

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية

السر سائل
حاسة داسا
البحر مجمع
حاسة داسا

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

بناء الدولة بين فكر الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ومنهج ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) دراسة تحليلية

أطروحة تتقدم بها الطالبة

فاطمة عبد سعيد شلال المالكي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة البصرة وهي
جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ
الإسلامي

بإشراف الأستاذ الدكتور

شكري ناصر عبد الحسن المياحي

٢٠١٨ م

١٤٣٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)

صدق الله العلي العظيم

سورة المائدة آيات ٥٥-٥٧

إقرار المشرف

أشهد بأن إعداد هذه الأطروحة الموسومة ((بناء الدولة بين فكر الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) ومنهج ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) دراسة تحليلية)) للطالبة فاطمة عبد سعيد شلال جرى تحت إشرافي في قسم التاريخ - كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي .

التوقيع :

المشرف : أ.د. شكري ناصر عبدالحسن

التاريخ : / / ٢٠١٨ م

توصيات رئيس القسم

بناءً على التوصيات المتوافرة من المشرف أشرح هذه الأطروحة للمناقشة وبيان الرأي فيها .

التوقيع :

رئيس القسم : أ.م.د. نوفل كاظم مهوس

التاريخ : / / ٢٠١٨ م

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أني قرأت هذه الأطروحة الموسومة ((بناء الدولة بين فكر الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) ومنهج ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) دراسة تحليلية)) التي تقدمت بها الطالبة **فاطمة عبد سعيد شلال** في قسم التاريخ - كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي ، وقد تم تقويمها لغوياً فأصبحت مؤهلة للمناقشة ولأجله وقعت .

التوقيع :

الاسم :

اللقب العلمي :

التاريخ : / / ٢٠١٨م

الإهداء

ما نُحِبُّهُ عِنَّا كَيْ نَقُولَ فَقِيْدَنَا

إِذْ لَيْسَ مِثْلَكَ مَنْ يُغِيْبُ وَيَفْقِدُ

الى روحِ المرحومِ خالي العزيز

كريم عبد الزهرة المالكي (ابو علي)

عرفاناً بالجميل لأحاطته لي بالرعاية الأبوية

الباحثة

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه كلها، وصلى الله على عبده ورسوله وصفيه وخيرته من خلقه محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين .

بعد أن انعم الله تعالى علينا بإنجاز هذا الجهد المتواضع يدعوني واجب الوفاء ان اتقدم بجزيل الشكر والامتنان الى أستاذي المشرف الاستاذ الدكتور شكري ناصر عبد الحسن اذ كان صاحب الفكرة في تناول هذا الموضوع والكتابة فيه. وكذلك لما بذله من جهود علمية وملاحظات قيمة لها الاثر الكبير في إظهار هذه الدراسة بالمظهر الذي هي عليه .

وأقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل الى أستاذتي في قسم التاريخ لما قدموه لي من الاعداد التربوي والعلمي وأسجل شكري الى منتسبي مكتبة نازك الملائكة في كلية التربية للعلوم الانسانية ومكتبة الروضة الحيدرية على جميل المساعدة التي شملوني بها ، والشكر والتقدير موصول لكل منتسبي مكتبة الكلية السياسية جامعة المستنصرية في بغداد لسعة صدورهم وجميل تعاونهم وكذلك منتسبي المكتبة المركزية في جامعة الكوفة والمكتبة المركزية في بغداد ومكتبة كلية تربية ابن رشد على حسن تعاونهم.

واحسب أن كلمات الشكر والثناء لاتفي بحق عائلتي الكريمة لما أفاضوا به عليّ من رعاية واهتمام منقطعي النظر وتوفيرهم الجو الملائم للدراسة ، يتقدمهم والديّ العزيزان واني لعاجزة حقاً عن بيان فضلها عليّ وتواصل تشجيعهما وخالص دعائهما لي، راجية نيل رضاها عني .

وفي الختام تقدم الباحثة شكرها وتقديرها الى كل من ساهم من بعيد أو قريب في

تقديم المساعدة لها لإنجاز هذا البحث وعذراً لمن لم اذكر أسماءهم وادعوا الله سبحانه لهم

بالتوفيق انه سميع مجيب

الباحثة

المحتويات

الموضوعات	رقم الصفحة
مقدمة	٦-١
الفصل الاول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة	٩٣-٧
تمهيد	٩- ٨
المبحث الاول: ضرورة وجود القيادة الحاكمة للدولة	١٤-١٠
المبحث الثاني: مسميات القيادة	٢٥-١٥
المبحث الثالث : مؤهلات وصفات القائد وأثرها في استراتيجية بناء الدولة	٦٥-٢٦
المبحث الرابع : طرق اختيار القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة	٩٣-٦٥
١. اختيار القيادة بالنص الالهي	٧٠-٦٥
مزايا قيادة اختيار النص الالهي	٧٩-٧٠
٢ . طرق اختيار القيادة عند ابن خلدون	٩٣-٧٩
اولا: مبدأ الاجماع	٨٠-٧٩
ثانيا: مبدأ شورى اهل الحل والعقد	٨٣-٨٠
ثالثا :مبدأ القوة والعصبية	٨٩-٨٣
رابعا: مبدأ ولاية العهد	٩٣-٩٠
الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرها في استراتيجية بناء الدولة	١٥٠-٩٤
المبحث الاول: روابط بناء المجتمع واثرها في استراتيجية بناء الدولة	١١٧-٩٥
المحور الاول :روابط بناء المجتمع	١٠٧-٩٥
المحور الثاني :اساس التفاضل واثره في بناء المجتمع والدولة	١١٧-١٠٧
المبحث الثاني: دور المجتمع واثره في بناء الدولة	١٢٢-١١٨
١ . المجتمع واثره في اختيار القيادة	١٢٠-١١٨
٢ . أهمية الرأي العام في بناء الدولة	١٢٢-١٢٠
المبحث الثالث : نظام العلاقة بين القيادة والشعب واثرها في بناء الدولة	١٣٣-١٢٣
-المحور الاول: حقوق الحكومة (واجبات الشعب تجاه الحكومة)	١٢٦-١٢٣

١٣٢-١٢٦	-المحور الثاني: حقوق الشعب (واجبات الحكومة تجاه الشعب)
١٥٠-١٣٧	المبحث الرابع : انفتاح الدولة على المجتمع
١٥٠-١٣٧	المبحث الخامس : التأسيس الفكري لمفهوم المعارضة واثره في بناء الدولة
١٣٨-١٣٧	اولا: ضوابط عمل المعارضة
١٣٨-١٣٨	ثانيا : تفعيل الوعي المجتمعي لمعارضة الانحراف
١٤٢-١٣٨	ثالثا: المنطلقات الشرعية للمعارضة
١٤٦-١٤٢	رابعا: مراحل منهج المعارضة
١٤٩-١٤٦	خامسا: مبدأ منهج المعارضة وأخلاقياتها
١٥٠-١٤٩	سادسا :اهداف المعارضة
١٩٩-١٥١	الفصل الثالث : تلازمة الدين والاخلاق وأثرهما في استراتيجية بناء الدولة
١٦٦-١٥٢	المبحث الاول : أثر الدين في بناء الدولة
١٥٤-١٥٢	اولا: مصدر التشريع لاستراتيجية بناء الدولة
١٦٩-١٥٤	ثانيا: محورية الدين في استراتيجية بناء الدولة
١٧١-١٧٠	ثالثا: اولوية صيانة الثوابت الاعتقادية عند بناء الدولة
١٧٥-١٧٢	رابعا: ثبات المرجعية الدينية (الفكرية)
١٩٩ - ١٧٦	المبحث الثاني : أثر الاخلاق في بناء الدولة
١٧٧-١٧٦	اولا : محورية الاخلاق في بناء الدولة
١٧٨-١٧٧	ثانيا: اخلاقيات السياسية الادارية
١٧٩-١٧٨	١ . التقوى في العمل الاداري
١٨١-١٧٩	٢ . التنسيق العام بين مؤسسات الدولة
١٨٣-١٨١	٣ . ابعاد الاصاله والتجديد في النظام الاداري
١٨٥-١٨٤	٤ . الاهتمام بالوقت واحترام قيمته في النظام الاداري
١٨٦-١٨٥	٥ . الاستفادة من عامل التجارب
١٨٩-١٨٦	٦ . التحفيز المعنوي والمادي للداريين في الدولة
١٩١-١٨٩	٧.اخلاقيات العدالة السياسية
١٩٩-١٩١	ثالثا: مرحلة الاخلاق عند ابن خلدون
٢٩٨-٢٠٠	الفصل الرابع : استراتيجية بناء المنظومة الادارية للدولة

٢٠٠-٢٢٢	المبحث الاول: هيكلية النظام الاداري واثره في استراتيجية بناء الدولة
٢٠١-٢٠٥	اولا: مصادر تشريع القوانين الادارية
٢٠٥-٢٠٦	ثانيا: اهداف النظام الاداري
٢٠٦-٢٢٢	ثالثا: المؤسسات الادارية
٢٢٣-٢٥٣	المبحث الثاني : هيكلية النظام الاقتصادي وأثره في استراتيجية بناء الدولة
٢٢٤-٢٣٤	اولا : معايير الانفاق الحكومي
٢٣٥-٢٤٣	ثانيا : استراتيجية تنظيم الموارد المالية للدولة
٢٤٣-٢٥٣	ثالثا: استراتيجية تنظيم الصناعة والتجارة واثر ذلك في بناء الدولة
٢٥٤-٢٦٧	المبحث الثالث : استراتيجية الرقابة الحكومية وأثرها في بناء الدولة
٢٥٤-٢٥٥	١. الرقابة الذاتية
٢٥٥-٢٦٧	٢. الرقابة العامة
٢٦٨-٢٨٢	المبحث الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الامنية
٢٦٨-٢٧٢	اولا :المرتكز البشري
٢٧٢-٢٧٥	ثانيا: المرتكز العقائدي
٢٧٥-٢٧٩	ثالثا: المرتكز الاخلاقي
٢٧٩-٢٨١	رابعا: المرتكز المالي
٢٨١-٢٨٢	خامسا: مرتكز محور مهام المنظومة الامنية
٢٨٣-٢٩٨	المبحث الخامس: استراتيجية بناء المؤسسة القضائية واثرها في بناء الدولة
٢٨٣-٢٨٥	١.معايير اختيار القضاة
٢٨٥-٢٩٣	٢. استقلالية السلطة القضائية
٢٩٣-٢٩٥	٣. مراقبة القضاء
٢٩٥-٢٩٧	٤. إقامة الحدود وتنفيذ القصاص
٢٩٧-٢٩٨	٥. ضوابط إقامة الحدود
٢٩٩-٣٠٣	الخاتمة
٣٠٤-٣١٤	الملاحق
٣١٥-٢٣٦	قائمة المصادر
A-B	ملخص الاطروحة باللغة الانجليزية

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام محمد بن عبدالله وعلى اله الطيبين الطاهرين.

يعد التخطيط الاستراتيجي^(١) العنصر الاساسي في الفكر السياسي لبناء الدولة، لكونه يحدد الرؤية والفلسفة الخاصة المراد بناء الدولة على اساسها ويحيط بالأهداف المرسومة والمتناسقة المراد تحقيقها لفترة زمنية محددة ومن الممكن تنفيذها ، ووضع البرامج والاليات المحكمة لتنفيذ هذه الاهداف وفق الاستراتيجية المرسومة لها سلفاً. وقد اعتنى موضوع البحث (بناء الدولة بين فكر الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) ومنهج ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) دراسة تحليلية) بدراسة نموذجين في بناء الدولة تمثل النموذج الاول بناء الدولة في فكر الامام المعصوم من خلال الولوج في فكر الامام علي (عليه السلام) واستخراج اهم الاليات والتخطيط المحكم في بناء الدولة وكيفية تنظيمه وتسخيره امكانيته وقدراته الفكرية الروحية السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية لتنظيم الدولة وبنائها على اساس هذه المستويات المذكورة وتنظيم امر بنائها بشكل متناسق محكم ودقيق لبناء دولة قوية ومستمرة وقادرة على حملة رسالة الاسلام الانسانية وتجسيد مبادئها تطبيقياً عملياً واقعياً.

ومثل النموذج الاخر بناء الدولة في منهج ابن خلدون حيث بنى اسس نظريته على اساس اطلاعه على اخبار الدول وما عايشه من الاحداث والتي دونها في مؤلفه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر) الذي درس فيه ابن خلدون معطيات بناء الدولة واسباب انهيارها والتي اكد عليها ابن خلدون وعدها من الثوابت التي لا يمكن تجاوزها وانها من السنن الطبيعية التي لا تتغير وهي حاکمة على بناء الدولة وان حكومات الدول لا تملك بدلا الا ان تسير على وفق هذه المعطيات وكذلك عبر فيه عن فكره الذي تبلور لدية نتيجة عمله الاداري والسياسي في الاندلس والمغرب ومصر ونتيجة قراءته للواقع والتاريخ من وجهة نظره وتحليله^(٢) .

^(١) التخطيط الاستراتيجي هو الطريقة التي تمكن المسؤولين من توجيه المنظمة بدء من الانتقال من مجرد العمليات الادارية اليومية ومواجهة الازمات وصولا الى رؤية مختلفة للعوامل الديناميكية الداخلية والخارجية القادرة على تحقيق التغيير في البيئة المحيطة بهم فتحقق في النهاية توجيهاً فعالاً بصورة افضل لمؤسساتهم. ينظر: خبراء بيمك ،ادارة الازمات ،ترجمة توفيق عبد الرحمن ،ص٢٩٧.

^(٢) ١. ابن خلدون هو عبد الرحمن بن محمد ، كنيته أبو زيد ، لقبه وليّ الدين ، وقد اشتهر بابن خلدون ، ينتمي إلى أسرة عربية يمانية من حضرموت ، ترجع أصولها إلى الصحابي وائل ابن حجر كانت ولادته عام (٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) في مدينة تونس ، أمضى عدة سنوات في طلب العلم . ينظر: تقي الدين أحمد بن

وقد تم اختيار موضوع البحث لعدة دواعي منها ما يأتي :-

١. ان تحديد نموذجي البحث بفكر الامام علي ومنهج ابن خلدون لكون الامام علي مثل بناء الدولة التي مثلت فكر المعصوم في وضع استراتيجية بناء الدولة ولما عبر فيه ابن خلدون عن دراسة شاملة لجميع الدول لمساحة مترامية الاطراف من الشرق الاسلامي الى المغرب والاندلس وكذلك امم الروم والمجوس فصل في اخبارها وعوائد بناء الدول فيها مما يجعلنا امام نموذجين مثل الاول الفكر المعصوم في البناء ومثل الثاني الفكر البعيد عن فكر الائمة المعصومين فآثارنا دراستهما معا لمعرفة نقاط الضعف والقوة في كليهما ومدى الاصاله والمعاصرة التي تتمتع بها فكر بناء الدولة على اسس اسلامية دون الحيد عنها والثبات عليها مهما حدث من متغيرات وظهرت من مستجدات ، ومدى دستورية الاسلام في اسس بنائها من حيث تشخيص مدى تلازمية الدين والاخلاق في استراتيجية بنائها ، فمثل النموذج الاول فكر الامام علي (عليه السلام) الذي يعكس صورة منهج الاسلام الكامل في التخطيط الاستراتيجي لبناء الدولة الذي جاء ترجمة وتطبيقاً متكاملًا لمبادئ الشريعة الاسلامية من خلال الخطب والرسائل التي عرفت عنه (عليه السلام) والتي ارسلها الى ولاته وعماله وغيرهم بالإضافة الى حكمه القصار التي جمعت في مؤلف (نهج البلاغة) وفي غيره من المصادر الاخرى وتناولناها

علي ،المقريزي ،السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور، ٥١٧/٣ . الخطط المقريزية ، ٢٠٤ /٢ .ابن حزم ،أبو محمد علي ، جهمرة أنساب العرب ،ص ٤٦٠ ؛ ابن خلدون ،عبد الرحمن ، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ص ٣ - ٤ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٢٧٠ .

٢. دخل ابن خلدون في سلك الأعمال الإدارية والسياسية عمل أول الأمر حاجباً لأمير بجاية (والحجاية تعد أرقى منصب اداري وسياسي في الدولة في ذلك الحين) ، ثم تنقل في العمل الوظيفي في ظل السلاطين والأمراء المتصارعين على السلطة ولمدة ثماني سنوات تعرض خلالها للسجن مدة سنتين (٧٥٨ - ٧٦٠ هـ / ١٣٥٧ - ١٣٥٩ م) على يد السلطان أبي عنان صاحب فاس ، بعد أن اتهمه بالتآمر ضده مع صاحب بجاية ، وبعد أن أطلق سراحه السلطان أبو سالم عيّنه كاتباً له ، ثم تولى خطة المظالم للنظر في الأمور التي يتناولها الشرع ، وبعدها رحل إلى الأندلس. ثم سافر الى غرناطة وبقي سنتين (٧٦٤ - ٧٦٦ هـ / ١٣٦٢ - ١٣٦٤ م) كُلف خلالها بسفارة من قبل سلطان غرناطة إلى ملك قشتالة الأسباني، ثم سافر الى مصر وشغل منصب قاضي المالكية الذي عُزل عنه وأعيد إليه خمس مرات. وسافر عن مصر ثم عاد إليها وبقي فيها حتى توفي في القاهرة في (٢٦ رمضان ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) راجع :ابن خلدون ، التعريف ، ص ٥٧ - ٨٣ و ص ١٠٤ و ص ١٠٦ و ص ٤٢٩؛ المقريزي ، الخطط المقريزية ، ٢ / ٢١٠ .

٣. ولكن العمل الإداري والسياسي لم يصرف ابن خلدون عن الكتابة والتأليف ، فقد تفرغ لذلك في فترات مختلفة حتى استقر به المقام في سنة (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) في قلعة بني سلامة ، ولمدة أربع سنوات ، ألف خلالها كتابه (العبر) بصورته الأولية ، ولكنه احتاج إلى مصادر لم تكن متيسرة له في قلعة ابن سلامة ، فعاد إلى تونس سنة (٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م) لإكمال كتابته وتعزيزها بالمصادر الموجودة في مكتبة سلطان تونس أبي العباس أحمد الحفصي الذي وقر له كل وسائل الراحة لإنجاز كتاباته وإتمامها ، وبعد انتهائه أهداه ابن خلدون نسخة من كتاب (العبر). راجع :ابن خلدون ، التعريف، ص ٥٧ - ٨٣ و ص ١٠٤ و ص ١٠٦ و ص ٤٢٩؛ المقريزي ، الخطط المقريزية، ٢ / ٢١٠ .

بالدراسة المقارنة مع النموذج الاخر وهو فكر ومنهج ابن خلدون الذي مثل الاتجاه الواقعي لدراسة الواقع التاريخي للدولة الاسلامية كمصدر لأفكاره ونظريته ومنهجه في دراسة ظاهر قيام الدول وزوالها في التاريخ الاسلامي فقدم صورة الدولة العصبية التي تقوم على العامل القبلي (العصبية) والعامل الديني وفق منهج ومبدأ القوة المادية المتمثلة بالعصبية الى جانب العامل الديني الذي سخره لتبرير سياسات هذه الدول وجعل من سياستها وتخطيطها في بناء وادارة الدول بانها حقيقة لا بد منها ولا يمكن تجاوزها حسب فكره ومنهجه الجبري الذي يفسر به الظواهر التاريخية ،فقدم لنا صورة منهج بناء الدولة التي ابتعدت عن التأسيس الاسلامي للدولة التي تحمل بذور مرضها وانهارها المحتم في اسس واستراتيجية بنائها عندما اعتمدت مبدأ القوة المادية والشهوات النفسانية وانحرفت عن المبدأ الاسلامي .

٢. عدم وجود دراسات تناولت هذا الموضوع من قبل فاعلمت الدراسات الاكاديمية ان لم نقل جميعها وحسب اطلاع الباحثة انها شملت جانب معين من بناء الدولة في فكر الإمام علي (عليه السلام) كالجانب الاداري أو السياسي أو الاقتصادي منها الدراسة الاكاديمية التي حملت عنوان "الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة"^(١) للباحثة نكري عواد ياسر العامري التي اختصت بالفكر الاقتصادي عند الإمام علي (عليه السلام) . واما في الجانب الاداري جاءت دراسة الباحثة هدى ياسر سعدون بعنوان (الفكر الاداري عند الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة)^(٢)، وهي دراسة اهتمت بالجانب الاداري فقط .

واما الدراسة الشاملة التي تعرضت لهذا الموضوع فهو كتاب بعنوان (اسس بناء الدولة في فكر الإمام علي (عليه السلام)) . وهذا الكتاب هو رسالة ماجستير منشورة وهو جهد يشكر عليه الباحث لكونها اول دراسة شاملة لبناء الدولة في فكر الإمام علي (عليه السلام) الا انها دراسة مختصرة جداً ولم تعط جميع الجوانب حقها من الدراسة فلم تتعرض لمزايا القيادة المعصومة ولم يعط للأساس الاجتماعي في بناء الدولة حقه من الدراسة والبحث لما يمثله هذا الجانب من قاعدة اساسية مهمة فاقصر دراسته على مكانة الاسرة في فكر الإمام علي واثرها الاجتماعي، ولم يبين الاثر الاستراتيجي الكبير للقاعدة الاجتماعية التي تمثل الرعية بعنوانها

(١) رسالة ماجستير ، كلية تربية العلوم الانسانية ، جامعة البصرة .

(٢) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية تربية ابن رشد للعلوم الانسانية ، جامعة بغداد، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م ، وكذلك في هذا الجانب دراسة الباحث نزار فاضل حسين العزاوي بعنوان "النظام الاداري في خلافة الإمام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) ٣٥-٤٠ هـ .

الواسع في بناء الدولة وقيمة المجتمع في نظر الدولة ايضاً والتي يعتمد عليها في كونها مخزن للطاقات الكامنة البشرية التي استفاد الإمام من توظيفها في كل مراحل وجوانب بناء الدولة .

اما الدراسات التي تناولت بناء الدولة عند ابن خلدون فأنها ، (فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي) لمحمد عابد الجابري كانت دراسة تحليلية لنظرية العصبية في بناء الدولة و (الدولة في فكر ابن خلدون) لتوفيق خلف زيدان احمد السعيدى وهي رسالة ماجستير غير منشورة، فجميع الدراسات جاءت منفردة في الجانبين وكان لهذه الدراسة الريادة في عقد المقارنة بينهما.

وتمت دراسة الموضوع في اربعة فصول ومقدمة وفي نهايتها خاتمة تضمنت اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة وقائمة المصادر والمراجع جاء الفصل الاول بعنوان القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة .تضمن عدة مباحث الاول ضرورة وجود القيادة الحاكمة للدولة .والمبحث الثاني مسميات القيادة في فكر الامام علي(عليه السلام) وفكر ابن خلدون ،والمبحث الثالث مؤهلات وصفات القائد وأثرها في استراتيجية بناء الدولة واما المبحث الرابع طرق اختيار القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة من كونها اختيار بالنص الالهي عند الامام علي(عليه السلام) ومزايا قيادة اختيار النص الالهي ومقارنتها بطرق اختيار القيادة عند ابن خلدون.

والفصل الثاني بعنوان قيمة المجتمع واثرها في استراتيجية بناء الدولة تضمن عدة مباحث المبحث الاول روابط بناء المجتمع وأثرها في استراتيجية بناء الدولة، والمبحث الثاني دور المجتمع واثره في بناء الدولة والمبحث الثالث نظام العلاقة بين القيادة والشعب واثرها في بناء الدولة والمبحث الرابع انفتاح الدولة على المجتمع والمبحث الخامس التأسيس الفكري لمفهوم المعارضة واثره في بناء الدولة.

والفصل الثالث تلازمية الدين والاخلاق وأثرهما في استراتيجية بناء الدولة وتضمن مبحثين؛ الاول أثر الدين في بناء الدولة والمبحث الثاني أثر الاخلاق في بناء الدولة.

اما الفصل الرابع استراتيجية بناء المنظومة الادارية للدولة بثلاثة مباحث الاول هيكلية النظام الاداري وبناء مؤسساته ونظام عملها وأثره في استراتيجية بناء الدولة من حيث الولايات والية ادارتها والوزارة والكتاب وتشخيص صفات اختيار موظفي الدولة، والمبحث الثاني هيكلية النظام الاقتصادي واثره في استراتيجية بناء الدولة من حيث توزيع الاقتصاد وتطوير الانتاج من الزراعة والصناعة والتجارة والمبحث الثالث استراتيجية الرقابة الحكومية وأثرها في بناء

الدولة وما تثمره هذه المؤسسة من نتائج تؤدي الى تنفيذ الواجبات وتأدية الحقوق ورسالة عمل الاداريين في الدولة .والمبحث الرابع استراتيجية بناء المنظومة الامنية من حيث مرتكزات بنائها واسس هذه المرتكزات، وبيان محور مهام المنظومة الامنية والمبحث الخامس استراتيجية بناء المنظومة القضائية من حيث اهمية القضاء في نظام الدولة وشروط القاضي ومدى الحرص على استقلالية القضاء وتنفيذ احكامه .

واعتمدت الدراسة على جملة من المصادر والمراجع العلمية في مقدمتها كتاب (نهج البلاغة) المصدر الاساس للدراسة الذي حوى منهج الامام علي (عليه السلام) ومشروعه الحضاري لبناء الدولة بما تضمنه من خطب ورسائل وحكم ،الذي جمعه الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ /١٠١٥ م)، وكذلك شروحات نهج البلاغة التي تناولت خطب النهج ورسائله بالشرح والتوضيح .ومنها منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لقطب الدين الراوندي أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ /١١٧٧ م .) وشرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني (ت ٦٠٦ هـ /١٢٠٩ م) . وكذلك المصدر الاساسي الاخر الذي كان محور الدراسة كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر) لابن خلدون ت ٨٠٨ هـ موضع الدراسة، والذي كان موضوع الدراسة بما احتوى لفكر ابن خلدون ونظريته في بناء الدولة وطبيعة العمران البشري.

واغنت التفاسير بما حوته من احكام واره كانت لها الكلمة الفصل في المواضيع التي تم توظيفها فيها منها تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للقران للطبري (ت ٣١٠ هـ /٩٢٢ م)، وكذلك تفسير ابو الليث السمرقندي (ت ٣٨٣ هـ /٩٩٣ م) وتفسير الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) . والتي كان لها حضور محوري في موضوع الدراسة لما تضمنته من تفسير بعض الآيات القرآنية الكريمة التي استشهدنا فيها في بعض محاور الدراسة ومنها التي تخص موضوع البحث في الفصل الاول في اختيار القيادة واثر هذا الاختيار في بناء الدولة.

وكان لكتب الحديث والايخبار فائدة مهمة للدراسة لما تضمنته معلومات واحاديث كثيرة عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته المعصومين (عليهم السلام) فيما يخص النظم الادارية والسياسية لبناء الدولة منها كتاب الكافي للكليني (ت ٣٢٩ هـ /٩٤٠ م) ، وكتاب الاختصاص للمفيد (ت ٤١٣ هـ /١٠٢٢ م) ، وكتاب دعائم الاسلام للقاضي النعمان (ت ٣٦٣ هـ /٩٧٣ م).

وكذلك كتب التاريخ كان لها الحضور والاولوية في مقدمتها كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، وكتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م). وكذلك كتب الطبقات والتراجم ومنها كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد محمد بن منيع (ت ٢٣٠هـ / ٩٤١م)، وكتاب سير الاعلام للذهبي ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، وغيرها من المصادر التاريخية الاخرى.

اضافة الى المراجع الحديثة التي اغنت البحث ببعض الآراء التي عضدت الدراسة منها كتاب منطق ابن خلدون لعلي الوردي، والفكر الاجتماعي عند الامام علي (عليه السلام) دراسة في ضوء نهج البلاغة لعبد الرضا الزبيدي. وغيرها من المراجع الاخرى.

وكذلك جملة من الاطاريح والرسائل العلمية اهمها رسالة الماجستير الدولة في فكر ابن خلدون، لتوفيق خلف زيدان احمد السعيدي والتي اغنت الاطروحة بما تضمنته من اراء ومعلومات. وكذلك رسالة ماجستير (ألفاظ الدولة وشؤونها في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) - دراسة دلالية -) لعلي شعلان سلطان الساعدي، التي اغنت معلوماتها بعض مواضيع الفصل الاول وخاصة مسميات القيادة وهناك جملة من الاطاريح والرسائل الاخرى والبحوث العلمية التي افادت الدراسة والتي يطول المقام بذكرها اثرنا ذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

واخيراً نود ان نشير الى ان كل دراسة مهما بلغت لا يمكن لها ان تدعي الكمال فالكمال لله وحده لأنه جهد بشري يخطئ ويصيب ولكن هذا لا يمنع من الدراسة والبحث على قدر الوسع والاجتهاد ومن الله العون وله الحمد اولاً واخراً.

تمهيد

ان القيادة هي رأس الهرم في بناء نظام هيكلية الدولة وان استراتيجية بناء الدولة ورسم الخطط والسياسات الكفيلة بتنظيم هذا البناء تعكس فكر وثقافة القائد وما يحمله من مشروع حضاري تتم ترجمته من خلال جملة من البرامج والانظمة لتنفيذ بناء هذا المشروع وتطبيقه واقعياً، لذا اكد الاسلام على مسألة القيادة وعدها من الحتميات في النظام الاسلامي، واخذت من الاهمية ذروتها، بأن يكون القائد فرداً يتميز بالعصمة والأعلمية، والافضلية والصدق والصبر والامانة والاخلاص، وهذه الصفات تكون له سداً ومنعاً وعصمة عن الخطأ وتحقق له قيادة قادرة لوضع استراتيجية محكمة لبناء دولة الانسانية لتكون تنفيذاً وتطبيقاً للمشروع الرسالي الحضاري للإسلام .

والقيادة لغة: من " قود القاف والواو والداد اصل صحيح يدل على امتداد في الشيء ويكون ذلك امتداداً على وجه الارض وفي الهواء "(١) والقيادة: " مصدر القائد ، وكل شيء من جبل او مسناة كان مستطيلاً على وجه الارض ، وهو قائد وظهر من الارض يقود وينقاد ويتقاود ..."(٢)، و " قاد الراية قوداً وقياداً ، وقيادة : مشى امامها اخذاً بمقودها ... والجيش قيادة : رأسه ودبر امره ... والقائد : من يقود الجيش"(٣).

اما اصطلاحاً: فهي: " الارادة ثم العمل، واثارة رغبة العمل في نفوس الاخرين وتوزيع الجهود و المسؤوليات لتحقيق الاهداف. وقيل هي: تعميم الانضباط عن رغبة لاعتن خوف والاهتمام بالمصلحة العامة قبل المصلحة الخاصة "(٤).

وللقيادة في المنظومة القرآنية ضوابط ومؤهلات، والقرآن الكريم يشير الى ان القيادة لا تنتخب الى هذه المهمة إلا بعد قراءة طويلة ومحصنة في سيرتها الذاتية التي يحصل من خلالها على الاستحقاق القيادي . فقبل اختيار القائد لأبد أن يثبت قدرته وقوته وتمكنه من هذه المسؤولية، وهناك شواهد قرآنية كثيرة منها في اصطفاء قيادة طالوت واختيارها فكانت صفتا العلم والقوة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥) .

(١) ابن فارس ، احمد ، معجم مقاييس اللغة ، ص ٨٣٧ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢١٥/١٢ .

(٣) الزيات احمد حسن، المعجم الوسيط ، ص ٧٦٥ .

(٤) حوى سعيد ، فصول في الامرة والامير ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(٥) سورة البقرة ، اية ٢٤٧ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

وان يكون القائد ممن يهدي العباد ولا يضلهم ،ويدبر البلاد في رضى الله سبحانه والصالح العام قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾^(١) وهذه قراءة قرآنية في مؤهلات الانبياء والقادة وخصائصهم قبل اصطفايتهم لمنصب القيادة لأهليتهم وقدراتهم .

وهناك فرق كبير بين ان القائد قائد بجدارة واستحقاق وانه اثبت قيادته وحكمته في تدبير الامور قبل ان ينتخب اي انه يمتلك من كاريزما القيادة وجاذبية الشخصية مما يُقنع الآخرين على اختياره للقيادة من دون منازع . وبين من يفرض نفسه بالقوة وهو غير اهلاً لها .

وان معايير المنظومة القرآنية لاختيار القيادة واصطفايتها ثابتة لا تقبل التغيير والتلاعب لما لها من اثار كارثية ، وهناك فرق كبير وشاسع بين انسان يمتلك مؤهلات ذاتية واستعدادات قيادية ، وبين من ينتزع القيادة انتزاعاً من اهلهما ويتقمصها مكانهم ويزحزحهم عنها ويأخذها بالقهر والقوة والتغلب . وقد اثبت التاريخ ان القيادة للمبادئ والمثل والقيم ، وان ليس كل من ترأس او ملك او حكم يستحق القيادة ولنا في حكام دُونَ التاريخ سيرتهم وأيام حكمهم انهم لم يزيدوا الخلق الا بُعداً عن الله واعدموا الانسانية انسانيتها وعاثوا في الديار الفساد والقتل والتشريد للعباد . فان القيادة هي من تجمع الجمع ولا تشتته وتشرده وتفرقه ، وتسموا بهذا الجمع الانساني نحو الكمالات الروحية والمعنوية والمادية التي هي الهدف من خلق الانسان وتسخير الطبيعة لخدمته لتتحقق هذه الاهداف وتتم معاني الرحمة وتجلياتها في المعمورة عامة .

وهناك من يتسمى بالقيادة والفضل في ذلك يعود للمنصب نفسه لأنه وضع في هذا المكان فحمل اسمه وانه جلس فيه ولا يمتلك رؤية وبرنامجاً حكومياً لقيادة الدولة، وان منصبه يحتم عليه البقاء في هذا المنصب وانه عليه سياسة الامور من منطلق المنصب نفسه للحفاظ عليه لا من منطلق كفاءة واستحقاق.

(١) سورة يونس، اية ١٠ .

الفصل الاول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

المبحث الاول : ضرورة وجود القيادة الحاكمة للدولة

ان القيادة العليا للدولة تمثل نقطة بداية الشروع لبناء أي دولة ؛ لأنها الرأس المفكر والمبتكر والمنظم والمبدع والمخطط لاستراتيجية بناء الدولة ، فبدونها تنتج الفوضى والاضطراب ، ولهذا سندرس في هذا المبحث موقف كل من الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وابن خلدون من ضرورة وجود القيادة من عدمها وفي حياة المجتمعات ، وتشخيص اسباب هذه الضرورة ان وجدت ضمن المعطيات المحددة لها في فكر ونظرية كل منهما، وان قراءة المعطيات سيشرح ويبين لنا اهمية القيادة من حيث انها وسيلة وأداة لبناء الدولة أم أنها هدف بذاتها لما يطمح اليه بعض شاغليها من تسخيرها لتحقيق مصالحهم الخاصة. ونتيجة لتتبع فكر الامام علي (عليه السلام) وابن خلدون نجد ان ضرورة وجود القيادة تتجلى في صورتين وهما الاتي :-

الصورة الاولى - ضرورة اجتماعية : اكد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) على ضرورة وجود الحكومة بصورة عامة فلا يمكن للمجتمعات ان تعيش بدون حكومة تنظم امور حياتها وأشار الى ذلك بالنحو العام في معرض رده على معارضي حكومته من الخوارج ومغالطتهم الفكرية في هذه الضرورة الاجتماعية والشرعية التي رفضوها والبسوا صيغة الرفض لها رداءً شرعياً عبر رفع شعار (لا حكم الا لله)، فرد عليهم الامام رداً حاسماً أوضح فيه بطلان احتجاجهم فقال: "كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ ، نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ ، إِلَّا لِلَّهِ ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ ، وَيُبْلَغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَيُجْمَعُ بِهِ الْفِيءُ ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ ، وَيُؤَخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ" (١). وقبل ان نبين اشارة الضرورة الاجتماعية من النص نود التويه حسب اعتقادنا ان الحديث قد لا يخلو من الدس الذي اقحم في الحديث ونعتقد ان الدس يكمن في كلمة (أَوْ فَاجِرٍ) وذلك لان وجودها يناقض سياق الحديث وفكرة موضوعه ، وكذلك نجد ان توضيح الامام لم يشمل مهام الحكومة الفاجرة بل اشار فقط الى مهام الحكومة البارة بدليل قوله: " وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ ، وَيُؤَخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ " فهذه الواجبات ونتائجها لا تحققها على الوجه الكامل الا الحكومة البارة وهذا ما يدفعنا الى الشك بأن الحديث ادخل عليه ما ليس فيه.

والامر الاخر انه لا يمكن للإمام ان يترك ثغرة عليه في مجال رده على الخوارج فهم اعترضوا على حكومة امير المؤمنين التي هي خير من مثل تطبيق الاسلام وعلى الرغم من ذلك رفضوها

(١) نهج البلاغة، ص ٨٢.

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

بقولهم: (لا حكم الا لله) فلا يمكن ان يرد عليهم بقوله انه (لا بد من حكومة برة او فاجرة) ويدخل خيار الحكومة الفاجرة كبديل لان هذا سيضعف حجته امامهم سيما وان موضوع الحديث دار بين امير المؤمنين وثلة من المسلمين خرجوا على نظام حكم بناء الدولة الاسلامية لذا يجب ان يكون الرد ضمن فكر المنظومة الاسلامية ، سيما وان امير المؤمنين قد اكد على وجوب الحكومة البارة باعتباره خيار النظام الاسلامي الوحيد لا غير ، ولم يترك الى جانبه خيارات اخرى من حكومة فاجرة او غيرها من المسميات وهذا ما أكده في قوله : " وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وامامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيفضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة " (١) .

ونجد في كلا النصين المذكورين اعلاه تأكيد الامام على ضرورة وجود الحكومة لحاجتها الاجتماعية لتنظيم امور المجتمع على المستوى الاقتصادي، وحفظ حقوق افراد المجتمع ورد اعتداء بعضهم على بعض ، وتوفير الامن العام ،ورد العدو الخارجي عنهم .

وكذلك رأى ابن خلدون في نظريته ان للحكومة ضرورة اجتماعية وانه لا بد للناس من حاكم حتى ينتظم امرهم ويرد عدوان الناس بعضهم عن بعض بقوله : " الاجتماع إذا حصل للبشر ... وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لأنها موجودة لجميعهم فلا بد من شئ آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك وقد تبين لك بهذا أن للإنسان خاصة طبيعية ولا بد لهم منها " (٢) .

الصورة الثانية - ضرورة شرعية : اثبت الامام علي (عليه السلام) بأن القيادة فرض شرعي لا بد منه مفروض على الامة والفرض لا ينقطع العمل به في أي زمان او مكان جاء ذلك في معرض كلامه (عليه السلام) لكميل بن زياد النخعي: " اللَّهُمَّ بَلَى، لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا، وَإِمَّا خَائِفًا مَعْمُورًا، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ وَكَمَّ دَا ؟ وَأَيَّنْ أَوْلَيْكَ ؟ أَوْلَيْكَ وَاللَّهِ الْأَقْلُونَ عَدَدًا، وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ

(١) نهج البلاغة، ص ١٨٩ .

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، ١٦٧ / ١ .

الفصل الأول : القيادة وائمتها في استراتيجية بناء الدولة

اللَّهُ قَدْرًا، يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ، حَتَّى يُودِعُوهَا نُظْرَاءَهُمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى، أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالِدُعَاةُ إِلَى دِينِهِ، آه آه شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ^(١).

وان حكم الإمامة الوجوب، كما جاء في قول الإمام علي (عليه السلام): "وَأِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قَوْمٌ اللَّهُ عَلَى خَلْفِهِ، وَعَرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ"^(٢) فلا بد من وجود الائمة لانهم يقررون مصير الانسان في الدنيا والاخرة فلا يمكن جهلهم او عدم تواجدهم في أي زمان ومكان.

اما في فكر ابن خلدون فانه لم يعترف بوجود ضرورة شرعية تستدعي ان لا تخلوا الامة او الدولة من حاكم الا بعد ان تمت بيعة السقيفة لأبي بكر بن ابي قحافة وان الدولة والامة حسب اعتقاده عاشت فراغ قيادي او حكومي بعد وفاة النبي محمد (ﷺ) و اشار الى ذلك بقوله: " فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم غير مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الأهمية زمان الخلافة بعض الشيء بما دعت الضرورة إليه في الحماية والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا بالخيار في الفعل والتترك كما ذكرناه عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من أهم الأمور للألفة على الحماية والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سر الوزع عن الفرقة والتخاذل ومنتشاً الاجتماع والتوافق الكفيل بمقاصد الشريعة وأحكامها"^(٣) فأهمية الضرورة الشرعية لوجود القيادة توضحت عند ابن خلدون بعد موت النبي (ﷺ) وان هذه الضرورة قامت وظهرت بتولي حكومة ابي بكر لدولة المسلمين، ورفض ابن خلدون استناداً الى الروايات التاريخية برفضه كون النبي محمد (ﷺ) قد اكد على القيادة من بعده وانه (ﷺ) نوه وعهد بالقيادة الى شخص من بعده بغض النظر عن مصداق ذلك الشخص سواء كان الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) او غيره في مرضه الذي توفي به . لكون الوصية لم تقع لاعتراض عمر بن الخطاب على ذلك وهذا ما استدلل به ابن خلدون على ان الامة عاشت فراغ قيادي لاعتراض عمر حسب قول ابن خلدون بما نصه: " شأن العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم وما تدعيه الشيعة من وصيته لعلي رضي الله عنه وهو أمر لم يصح ولا نقله أحد من أئمة النقل والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس ليكتب الوصية وأن عمر منع من ذلك فدل

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٩٧ .

(٢) نهج البلاغة، ص ٢١٢ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٦٧ / ١ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

واضح على أنه لم يقع ^(١) وعلى هذا فان ابن خلدون لم يأت بشيء جديد في هذا المجال ، وان ما قاله بشأن القيادة بأن الرسول (ﷺ) ترك الامة سدى بدون قيادة وانها لم يرد فيها نص ، وان مهمة الاختيار فوضت للامة تقرر مصيرها فكان رأيه جزء لا يتجزأ من المنظومة الفكرية لمدرسة اهل السنة من امثال الماوردي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ^(٢)، وابو يعلي الفراء(ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م) ^(٣)، وأبو المعالي الجويني(ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ^(٤) الذين قال ابن خلدون بقولهم وسار على فكرهم.

ان اعتراض ابن خلدون ان الرسول محمد (ﷺ) ترك الامة سدى ولم يوص للقيادة من بعده بصورة عامة بغض النظر عن ذكره مصداق القيادة للإمام علي (عليه السلام) هو رفض لا يصمد امام النقد والحقائق التاريخية التي اعرض عن ذكرها ابن خلدون والتي يمكن ان نجعلها بالرد على ابن خلدون بما يأتي :-

١. كيف ان النبي لم ينتبه لأهمية القيادة من بعده؟ في حين انتبه لأهميتها الصحابة لضرورات الحرب من الجهاد وحروب الردة ، حسب قوله: " ثم تدرجت الاهمية [أي اهمية القيادة] زمان الخلافة بعض الشيء بما دعت الضرورة إليه في الحماية والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا بالخيار في الفعل والترك كما ذكرناه عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من أهم الأمور للألفة على الحماية والقيام بالمصالح " ^(٥) فهل ان الصحابة احرص من النبي على الدولة الاسلامية أم انهم ادركوا اهمية القيادة للدولة الاسلامية وان النبي (ﷺ) لم يدرك ذلك، فهذا نوع من التخبط من قبل ابن خلدون في الحكم على النبي محمد (ﷺ) واتهامه بالتهاون في امر الاسلام والامة والدولة من بعده ، وهذا كله لم يكن وان رسول الله اهتم ببناء الدولة بدليل حدد لها دستور للعمل به والاحتكام اليه منذ الايام الاولى لتواجده في المدينة ^(٦) فكيف يغفل امر كهذا .

٢. ان اقرار ابن خلدون بأن عمر بن الخطاب عارض كتابة الوصية لقيادة الإمام علي (عليه السلام) وان الوصية لذلك لم تتم ولم تقع بقوله: " شأن العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم وما تدعيه الشيعة من وصيته لعلي رضي الله عنه وهو أمر لم يصح ولا نقله أحد من أئمة النقل والذي وقع في الصحيح من

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٦٧/١ .

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص٦-١٠ .

(٣) الأحكام السلطانية، ص٩ .

(٤) الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد، ص٤٢٣ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ١٦٧/١ .

(٦) ابن هشام ، السيرة النبوية، ٣٥٠/٢ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

طلب الدواة والقرطاس ليكتب الوصية وأن عمر منع من ذلك فدليل واضح على أنه لم يقع ^(١) فهو اعتراف كافٍ من ابن خلدون بكون النبي محمد (ﷺ) أراد ان يحدد القيادة وان يعهد بها الى شخص من بعده ،وان الدولة يجب ان لا تعيش فراغ قيادي حسب الدستور الاسلامي الشرعي لبناء الدولة، الا ان عمر بن الخطاب هو من رفض وحال دون ذلك ، لا ان النبي محمد (ﷺ) لم يهتم بموضوع قيادة الدولة من بعده واوكله الى الامة.

٣. الملاحظ مما ينقله ابن خلدون في تاريخه ان اجتماع الصحابة لم يكن من اجل مناقشة اهمية وضرورة وجود قيادة بل كان اجتماعهم على ما يفهم من النزاع هو (لمن تكون القيادة) أي ان فكرة ضرورة وجود الحاكم امرا محسوم بالنسبة لهم ؛ لكن الامر الذي لم يحسم بعد ودار النزاع عليه هو المصداق (اي شخص الحاكم) من هو من قبل المهاجرين لما ينقله ان " لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتاع الحاضرون لفقده حتى ظن أنه لم يمت واجتمعت الأنصار في سقيفة بنى ساعدة يبائعون سعد بن عبادة وهم يرون ان الامر لهم بما آووا ونصروا وبلغ الخبر إلى أبي بكر وعمر فجاؤوا إليهم ومعهم أبو عبيدة ولقيهم عاصم بن عدى وعويم بن ساعدة فأرادوهم على الرجوع وخفضوا عليهم الشأن فأبوا إلا أن يأتوهم فأتوهم في مكانهم ذلك فأعجلوهم عن شأنهم وغلبوهم عليه جماحا وموعظة ^(٢) وينقل نص قول أبا بكر : " نحن أولياء النبي وعشيرته وأحق الناس بأمره ولا ننازع في ذلك وأنتم لكم حق السابقة والنصرة فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ^(٣) وكذلك ما ينقله من قول الحباب بن المنذر بن الجموح: " منا أمير ومنكم أمير وان أبوا فاجلوهم يا معشر الأنصار عن البلاد فبأسيا فكم دان الناس لهذا الدين وان شئتم أعدناها جذعة أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بكم كما تعلمون ولو كنتم الأمراء لأوصاكم بنا ثم وقعت ملاحاة بين عمر وابن المنذر وأبو عبيدة يخفضهما اتقوا الله يا معشر الأنصار أنتم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير فقام بشير بن سعد بن النعمان بن كعب بن الخزرج فقال ألا إن محمدا من قريش وقومه أحق وأولى ونحن وان كنا أولى فضل في الجهاد وسابقة في الدين فما أردنا بذلك الا رضى الله وطاعة نبيه فلا نبتغى به من الدنيا عوضا ولا نستطيل به على الناس ^(٤) بغض النظر عن مواصفاته ومؤهلاته للقيادة بل فقط هناك مؤهل وحيد فقط وهذا المؤهل هو كسب رضا الاغلبية القرشية ليرتفع بذلك ويكون حاكما حتى تكون بذلك قوة الى جانبه لتصد كل معارض لحكمه .

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٦٧/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٤٢٨/٢ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٤٢٨/٢ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٤٢٨/٢ .

المبحث الثاني: مسميات القيادة

وردت القيادة في فكر الامام علي (عليه السلام) وابن خلدون بعدت مصطلحات، كلها تعبر عن حقيقة فلسفة القيادة وكيف يجب ان تكون ومن هذه المصطلحات ما يأتي :-

اولا - الإمام

ان الإمام من مصدر (أَمَّ) في اللغة: "الأَمُّ بالفتح القصد، أُمَّهُ يُؤْمُهُ أُمَّاً، إذا قصدته (١) وينفَرَع من المصدر مشتقات عدّة، منها (الإمام، والإمامة)، والإمام: "كُلُّ مَنْ انْتَمَ بِهِ مِنْ رَئِيسٍ وَغَيْرِهِ، وَالْجَمْعُ أُمَّةٌ" (٢)، وكلمة كُلِّ هنا تفيد العموم، أي عموم الانتماء، لذا أصبح كُلِّ من يقود مجموعة أو يقتدى به يسمّى إماماً، سواء أكان إماماً هَدَى أم إماماً رَدَى، "فإمام كلّ شيء قيّمه والمصلح له، فالقرآن إمام المسلمين، وسيّدنا محمّد (صلى الله عليه وآله) إمام الأئمة والخليفة إمام الرعيّة وإمام الجند قائدهم" (٣).

والإمام في الاصطلاح: "هو الذي له الرئاسة العامّة في الدين والدنيا جميعاً" (٤)، فأما تسميته إماماً فتنشيباً بإمام الصلاة في اتّباعه والافتداء به" (٥)، أما الإمامة فهي مصدر (أَمَّ) وقد "أَمَّ القومَ، وأمَّ بهم تَقَدَّمَهُمْ، وهي الإمامة" (٦)، والإمامة في الاصطلاح: "عبارة عن خلافة شخص من الأشخاص لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في إقامة القوانين الشرعية وحفظ حوزة الملة" (٧).

وقد وردت مصطلح الإمام في عدة من خطبه منه قوله (عليه السلام): "أَمَّا وَصِيَّتِي فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّدًا (صلى الله عليه وآله) فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هَدْيِي الْعَمُودِينَ، وَأَوْقِدُوا هَدْيِي الْمِصْبَاحِينَ، وَخَلَاكُمْ ذَمًّا مَا لَمْ تُشْرُدُوا، حُمِّلْ كُلُّ امْرِيٍّ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وَخَفِّفْ عَنِ الْجَهْلَةِ رَبِّ رَحِيمٍ وَدِينٍ قَوِيمٍ وَإِمَامٍ عَلِيمٍ" (٨)، جاء في شرح ابن أبي الحديد للفظة الإمام: "والإمام العليم، يعني به رسول الله (صلى الله عليه وآله)" (٩)، وذهب الخوئي إلى أنّ الإمام العليم هنا جاءت لتدلّ على الإمام نفسه (عليه السلام) (١٠)، في حين قال الموسوي: "أراد بالإمام العليم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنّه العليم

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٢٢/١٢.

(٢) لسان العرب، ٢٢/١٢.

(٣) المصدر نفسه، ٢٣/١٢.

(٤) الشريف الجرجاني، التعريفات، ص ٣٧.

(٥) ابن خلدون، العبر، ٢٣٩/١.

(٦) ابن سيّدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، ٥٧٢/١٠.

(٧) محمد بيومي، الإمامة وأهل البيت، ٧/١.

(٨) نهج البلاغة، ص ٢٠٧.

(٩) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٢٢/٩.

(١٠) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١٢٢/٩.

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

بكل أسرار الحياة والكون وما يوصل إلى الله ويبلغ به الإنسان الجنة ودار السلام، ويمكن أن يريد به نفسه وكلّ إمام زمانه لأنّ الأئمة امتداد لرسول الله، وخلفاؤه وهم علماء الأمة وقادتها أعطاهم الله من علمه ما يعطون به حاجة الإنسان^(١).

وقال (عليه السلام): "أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَفْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ"^(٢)، وهذا ذكر لحاله (عليه السلام): وإنه إمامٌ يجب أن يقتدى به"^(٣). ووردت الامامة بمعاني عدة في نهج البلاغة منها الاتي:-

١. القِيم : جاء ذلك في قول له (عليه السلام) معبرا عن الامام بالقيم: "وَأَيُّهَا الْأَيُّمَةُ قَوْمًا اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعَرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ"^(٤). وقوله (عليه السلام): "لِلَّهِ أَنْتُمْ أَنْتَوَقِعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ"^(٥)، وقوله (عليه السلام) بطريقة الاستفهام لغرض التفرغ أو على سبيل الإنكار والتوبيخ والمراد أنه لا يوجد إمام غيره يرشدهم ويوصلهم إلى طريق النجاة^(٦).

٢. القائد: استعمل الإمام (عليه السلام) اللفظ أحيانا للدلالة على القيادة و التروّس ؛ لأنّ من معاني اللفظة (القيادة) وأنّ (إمام الجند قائدهم)^(٧)، وقد تكون القيادة عسكرية كما في الجيش أو تكون علمية علمية وغيرها على نحو قيادة عامة للدولة، وورد هذا المعنى في قوله (عليه السلام): "مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلْيُبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ"^(٨)، وقوله (عليه السلام) ايضا في وصف الإنسان الضالّ: "وَيَعْدُو مَعَ مَعَ الْمُذْنِبِينَ بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ"^(٩) أي يكون القيادة هنا من خلال هذين النصين بمعنى الاخذ بيد المقود نحو الكمال والتعلم وهذا هو دور القائد الحقيقي الصالح والكمال القادر على بناء مجتمع ودولة .

ولمّا كان القائد هو القدوة، هادياً كان أم ضالاً لذا هو إمّا أن يقود من انتمّ به إلى الخير والسلام والجنة أو يقودهم إلى الشرّ والخذلان والنار، وهذا ما وضّحه (عليه السلام) في قوله: "فَأِنَّهُ لَا سَوَاءَ إِمَامٌ

(١) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١٤٧/٢ .

(٢) المصدر نفسه، ٣٩٣/٣ .

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي، ٣٥٩/١٥ .

(٤) نهج البلاغة، ص ٢١٢ .

(٥) نهج البلاغة، ص ٢٦٣ .

(٦) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣٩٣/٣، ينظر: الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١٩٠/٣ .

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ٢٢/١٢ .

(٨) نهج البلاغة، ص ٤٨٠ .

(٩) نهج البلاغة، ص ٢١٣ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

الهُدَى وَإِمَامُ الرِّدَى وَوَلِيُّ النَّبِيِّ وَعَدُوُّ النَّبِيِّ" (١)، وقال ابن ميثم البحراني: "فإمام الهدى يعني به نفسه، وإمام الردى هو معاوية" (٢).

ثانيا - الخليفة

وردت (خليفة او خلافة) في نهج البلاغة في خطب واقوال عديدة وتتوّعت دلالاتها ومنها ما يعبر عن القيادة في ما يأتي:-

١. حجة الله على عباده : جاءت لفظة الخليفة بصيغة الجمع (الخلفاء) تدل على ان الخليفة هو حجة الله على عباده في الارض في كلام له (عليه السلام) لكميل بن زياد النخعي: "اللَّهُمَّ بَلَى، لَا تَخْلُو الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ، إِمَامًا ظَاهِرًا مَشْهُورًا، وَإِمَامًا خَائِفًا مَعْمُورًا، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ وَكَمَّ ذَا؟ وَأَيْنَ أَوْلَيْكَ؟ أَوْلَيْكَ وَاللَّهِ الْأَقْلُونَ عَدَدًا، وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا، يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ، حَتَّى يُودِعُوهَا نُظْرَاءَهُمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلْتَلْنَا مَا اسْتَوَعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنَسُوا بِمَا اسْتَوَحَّشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى، أَوْلَيْكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالِدُعَاةُ إِلَى دِينِهِ، آه آه شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ" (٣).

وقال (عليه السلام): "وَ عَجَبَاهُ أَنْتَكُونُ الْخِلَافَةُ بِالصَّحَابَةِ وَلَا تَكُونُ الْقَرَابَةُ" (٤)، وهو إنكار منه (عليه السلام) ورَفُضُ ورَفُضُ للقول بأنّ الخلافة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تكون بالقرابة أو الصحبة، وهذا ينسجم ويتصف مع مذهب الإمامية القائل: لا بدّ من أن ينصّ النبيّ على الخليفة من بعده؛ لأنّ الإمامة عندهم كالنبوة تحتاج إلى العصمة (٥). فالخلافة عند الإمام مقامٌ سامٍ يقوم على أساس الأهلية الشرعية والكفاية؛ " لأنّ الخلافة كالإمامة شأنٌ ديني، نابع من صميم الفرد وإمكانياته الذاتية" (٦).

ثالثا - الوصي

الوصي في اللغة: "الاتّصال، ووَصَى الشيء إذا اتّصل، والوَصِيُّ النَّبَاتُ الملتقُ، وأَرْضٌ وَاصِيَةٌ : مُتَّصِلَةٌ النَّبَاتِ. ومنها الوَصِيَّةُ، "وَالْوَصِيَّةُ مَا أُوصِيَتْ بِهِ، وَسُمِّيَتْ الْوَصِيَّةُ وَصِيَّةً لِاتِّصَالِهَا

(١) نهج البلاغة، ص ٣٨٥.

(٢) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/٤٣١، وينظر: حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٩٥/١٩.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٩٧.

(٤) الشريف الرضي، خصائص الانمة، ص ١١١.

(٥) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/٣٥٩.

(٦) إدريس الحسيني، الخلافة المغتصبة، ص ٦٤.

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

بأمر الميِّت^(١)، وجاء في الزاهر: " وَسُمِّيَتِ الْوَصِيَّةُ وَصِيَّةً؛ لِأَنَّ الْمَيِّتَ لَمَّا أَوْصَى بِهَا وَصَلَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ حَيَاتِهِ بِمَا بَعْدَهُ مِنْ أَمْرِ مَمَاتِهِ " (٢)، والوصية: العهد جاء في لسان العرب: "أَوْصَى الرَّجُلُ وَوَصَّاهُ: عَهَدَ إِلَيْهِ" (٣)، وورد في الصحاح: "والعهد: الوصية، وقد عهدتُ إليه أي أوصيته، ومنه اشتُقَّ العهد الذي يكتب للولاية"^(٤). والوصية في الاصطلاح: "هي تمليكٌ مضافٌ إلى ما بعد الموت"^(٥)، وورد عنه (عليه السلام): "أنا سيِّدُ الوصِيِّينَ ووصيُّ سيِّدِ النَّبِيِّينَ" (٦)، وذكر الطبري في تاريخه الأحداث التي التي صاحبت بداية الدعوة المحمدية للإسلام فبعد أن أمر الله نبيه محمداً (صلى الله عليه وآله) بأن يُنذر عشيرته وأقاربه بقوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (٧)، والتي جاءت في بيان وتحديد الوصي والقيادة بعد النبي المتمثلة بالإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) واندازهم وتحذيرهم من قبل الله سبحانه من التلاعب بهذا الامر من بعده بقوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ، وان ما ينقله الطبري في نقل الحادثة المتعلقة بهذه الآية بأن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) قال: "أَيْكُمْ يُؤَاذِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ ؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت وإني لأحدثهم سناً، وأرمضهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً، أنا يا نبي الله أكونُ وزيرك عليه، فاخذ برقبتي، ثم قال: إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا" (٨). و قراءة نص الرواية توحى للقارئ بأن قريش زهدت بالخلافة والحكم بعد النبي محمد

ونجد أنّ هذه المعاني جميعها جسدها الإمام في قوله (عليه السلام): " لَا يُقَاسُ بِأَلِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ النَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوَلَايَةِ وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ، الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَنُقِلَ إِلَيَّ مُنْقَلَهُ " (٩)، وجاءت اللفظة بصيغة الجمع (الأوصياء) مرة واحدة في قوله (عليه السلام): "أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَّهَمُ، وَأَدَيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِمْ" (١٠).

(١) ابن منظور، لسان العرب ، ٣٩٤/١٥ .

(٢) الشافعي، الزاهر في غريب ألفاظ، ٢٧/١ .

(٣) ابن منظور، ٣٩٤/١٥ .

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٥١٥/٢ .

(٥) الشريف الجرجاني، التعريفات، ص ٢٧٣ .

(٦) المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ١٤٨/١٧ .

(٧) سورة الشعراء، آية ٢١٤ .

(٨) تاريخ الرسل والملوك، ٦٢/٢-٦٣؛ ينظر : ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٦٣/٢ .

(٩) نهج البلاغة، ص ٤٧ .

(١٠) نهج البلاغة، ص ٢٦٣ .

الفصل الأول : القيادة وائرها في استراتيجية بناء الدولة

فجاءت لفظة الأوصياء للدلالة على "الذين يأتهم الأنبياء على الأسرار الإلهية"^(١)، وجاء المعنى المعنى نفسه في قوله (عليه السلام): "فِيَا عَجَبًا وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَا هَذِهِ الْفِرْقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لَا يَقْتَصُونَ أَثَرَ نَبِيِّ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيِّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبِ"^(٢)، فأراد بالوصي هنا نفسه، ونلاحظ أن الإمام (عليه السلام) يُرجع أسباب اختلاف الآراء في دينهم إلى تركهم ما قاله النبي، ولو أنهم اقتفوا أثره لما اختلفوا، فضلاً عن تركهم الاقتداء بعمل الوصي، ويقصد نفسه (عليه السلام) ، يزيد على هذا تركهم الإيمان بالغيب^(٣).

رابعاً - سلطان الله

جاءت لفظة (السلطان) عند امير المؤمنين (عليه السلام) مضافة إلى لفظ الجلالة (الله) في قوله: "وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُؤَمَّةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا"^(٤) دالاً على سلطان الإسلام وهو المثل والطاعة والحكم، وذكر حبيب الله الخوئي: "وقد يكون سلطان الله نفسه (عليه السلام) لكونه خليفة الله في عباده فتكون معناها بذلك السلطنة الإلهية"^(٥).

ولما كانت من معاني السلطان التسلُّط والاستيلاء نلاحظ أن الإمام قد أضاف السلطان إلى الشيطان أحياناً^(٦) كما جاء في قوله (عليه السلام): "حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ، فَتَجَمَّتِ الْحَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ وَذَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ"^(٧)، والسلطان هنا: "شدة السطوة إشارة إلى كمال قدرته على تطويع النفس وقهرها"^(٨)، وسلطان الشيطان وسطواته تشمل من تولاه واتبعه، ولا تشمل المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾^(٩)، وان سلب القيادة بسلب هذه السلطة في قوله (عليه السلام): "فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَأَجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَبْلِي فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي، فَقَدْ قَطَعُوا رَحْمِي وَسَلْبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي"^(١٠)، و " السلطان الذي أَرَادَهُ (عليه السلام) هو سلطان الإسلام المتمثل

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩٩/١٥ .

(٢) نهج البلاغة، ص ١٢١ .

(٣) ابن ميثم البحراني، المصباح، ٣٠٨/٢ .

(٤) نهج البلاغة، ص ٢٤٤ .

(٥) منهاج البراعة، ١٠٩/١٠ .

(٦) علي شعلان سلطان الساعدي، ألفاظ الدولة وشؤونها في كتاب نهج البلاغة، ص ٣٥ .

(٧) نهج البلاغة، ص ٢٨٨ .

(٨) نهج البلاغة، ٢٧٥/٢ .

(٩) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢٣٩/٢ .

(١٠) سورة النحل، آية ١٠٠ .

(١١) نهج البلاغة، ص ٤٠٩ .

الفصل الأول : القيادة واثريها في استراتيجية بناء الدولة

بالخلافة التي هو أولى بها ^(١). ويدلل قول الامام (عليه السلام) ب(سلطان ابن أمي) " أن خلافته وإمارته لا تختلف عن سلطة النبي، وفي هذا إشارة إلى معنيين: أحدهما: أن من سلبه الخلافة إنما سلب سلطان النبي من النبي نفسه، وأن من ناوأه فإثماً ناوأ النبي، وثانيهما: أن من سلبه الخلافة وحققه الشرعي إنما قطع رحم النبي ^(٢) وكذلك نلاحظ ان هناك معنى ثالث : بان قول الامام (عليه السلام) يدل على ان سلطته وقيادته استمراراً لسلطة وحكومة النبي في بناء الدولة فكراً ومنهجاً.

خامسا - وزعة الله

ان الوزعة من الوازع: وهو الرادع المانع ؛ وفي فكر الامام (عليه السلام) أن الله تعالى وضع القائد كالوزعة في أرضه ليمنع به ما يريد منعه . وأراد السلطان العادل ^(٣) بقوله: " السلطان وزعة الله في أرضه " ^(٤) .

سادسا-امير المؤمنين

هو من القاب القيادة عند امير المؤمنين عليه السلام وانه اول من لقب به بل ان الامام علي بن ابي طالب ،وانه من مختصاته (عليه السلام) لا يشاركه فيه احد ، وهذا ما ذكره الكليني " عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سأله رجل عن القائم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ؟ قال : لا ذاك اسم سمي الله به أمير المؤمنين (عليه السلام)، لم يسم به أحد قبله ولا يتسمى به بعده إلا كافر ، قلت جعلت فداك كيف يسلم عليه ؟ قال : يقولون : السلام عليك يا بقية الله " ^(٥) وذكر المفيد " وحديث بريدة بن الحصيب الاسلمي ^(٦) ... إن رسول (عليه السلام) أمرني سبع سبعة ، فيهم أبو بكر وعمر وطلحة والزبير ، فقال: " سلموا على علي بإمرة المؤمنين " فسلمنا عليه بذلك ورسول ص حي بين أظهرنا " ^(٧).

وهي تسمية قيادية خص رسول الله بها الامام علي فذكر الصدوق انه الامام علي (عليه السلام) امير المؤمنين بشهادة الرسول محمد (عليه السلام) بما يذكر من أنه جاء إليه رجل ، فقال له: يا أبا الحسن ، إنك تدعى أمير المؤمنين ، فمن أمرك عليهم ؟ قال (عليه السلام) : " الله جل جلاله أمرني عليهم . فجاء الرجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله ، أصدق علي فيما يقول إن الله

(١) الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٦١/٢٥ .

(٢) الساعدي، أفاظ الدولة وشؤونها في كتاب نهج البلاغة، ص ٣٥ .

(٣) ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤٠٦/٥ .

(٤) نهج البلاغة، ص ٥٣٣ .

(٥) الكافي، ٤١٢/١ .

(٦) هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله يكنى أبا عبد الله أسلم قبل بدر ، ولم يشهدها وشهد الحديبية ، وبيعة الرضوان تحت تحت الشجرة واقام في المدينة ثم تحول الى البصرة ثم خرج منها الى خراسان ومات بمرو في إمرة يزيد بن معاوية ينظر :ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢٤٢/٤ ؛ ينظر :ابن عبد البر ، الاستيعاب ١٨٥/١ .

(٧) الارشاد ٤٨/١ .

أمره على خلقه ، فغضب النبي (صلى الله عليه وآله) وقال : إن عليا أمير المؤمنين بولاية من الله عز وجل ، عقدها له فوق عرشه ، وأشهد على ذلك ملائكته ، أن عليا خليفة الله ، وحجة الله ، وأنه لإمام المسلمين ، طاعته مقرونة بطاعة الله ، ومعصيته مقرونة بمعصية الله ، فمن جهله فقد جهلني ، ومن عرفه فقد عرفني ، ومن أنكر إمامته فقد أنكر نبوتي ، ومن جحد إمرته فقد جحد رسالتي " (١).

اما ابن خلدون فانه ايضا يعده من مسميات القيادة والحكم كونه ايضا احدى مسميات الخليفة بقوله: " اللقب بأمرير المؤمنين وانه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء وذلك أنه لما بويع أبو بكر رضي الله عنه وكان الصحابة رضي الله عنهم وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الامر على ذلك إلى أن هلك " (٢).

الا انه خص ان اول من تسمى به هو عمر بن الخطاب عند توليه الحكم بقوله : " فلما بويع لعمر بعهدة إليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنهم استنقلوا هذا اللقب بكثرتهم وطول إضافته وأنه يتزايد فيما بعد دائما إلى أن ينتهي إلى الهجنة ويذهب منه التمييز بتعدد الإضافات وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب إلى ما سواه مما يناسبه ... واتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به " (٣) ، وذكر ابن خلدون ان اول من لقبه بذلك " عبد الله بن جحش وقيل عمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وقيل بريد جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول أين أمير المؤمنين وسمعا أصحابه فاستحسنوه وقالوا أصبت والله اسمه إنه والله أمير المؤمنين " (٤) فصار بذلك لقب لعمر لعمر " فدعوه بذلك وذهب لقباً له في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشاركون فيها أحد سواهم " (٥).

و ابتعد ابن خلدون عن الصواب بجعل لقب أمير المؤمنين من اختصاصات عمر بن الخطاب وكذلك ذكر الطبرسي ان لقب أمير المؤمنين من مختصات الامام علي، خصه النبي (صلى الله عليه وآله) به لما قال : " سلموا على علي بإمرة المؤمنين ولم يجوز أصحابنا رضي الله عنهم أن يطلق هذا اللفظ لغيره من الائمة عليهم السلام وقالوا : إنه انفرد بهذا التلقب فلا يجوز أن يشاركه في ذلك غيره وقد

(١) الامالي ، ص ١٩٤ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٨/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٨/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٨/١ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٨/١ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

لقبه رسول ص :سيد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين و سيد الاوصياء ، وسيد العرب ^(١). وكذلك الروايات السابقة الذكر اعلاه تشير الى ان لقب أمير المؤمنين هو من مختصات الامام علي بن ابي (عليه السلام) بأمر الله ورسوله (ﷺ) وقد كان يلقب به في حياة الرسول الاعظم وفي زمن الحكام الثلاثة الذين سبقوه بالحكم.

اما ابن خلدون فانه عبر في نظريته عن مفهوم الحاكم (القائد) بمصطلحات عدة وهذا التغيير في استعمال المفاهيم عند ابن خلدون خاضع لتنوع أشكال الحكم لديه، تبعا لمتغيرات الواقع السياسي والاجتماعي الذي اعتمده ابن خلدون في قراءة مفهوم الحاكم. وهي كالاتي:-

١. الوازع : والوازع وهو الرادع المانع ^(٢) يأتي تعبيره عن القيادة بالوازع عندما يتحدث عن خواص طبيعية موجودة في طبيعة الانسان وهي طبيعة العدوان في البشر بعضهم على بعض وضرورة طبيعة الحياة الاجتماعية للناس وعدوان بعضهم على بعض تحتم وجود الوازع (الحاكم) فيهم لرد اعتداء بعضهم عن بعض وهو وجود نستطيع تسميته بالحكومة الطبيعية البدائية لأنها حاجة طبيعية اجتماعية لا بد منها كما يراها ابن خلدون بقوله: "الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم" ^(٣) ، وكذلك قوله: "الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة؛ حتى لا يصل احد الى غيره بعدوان ؛ وهذا هو معنى الملك" ^(٤) .

والوازع عند ابن خلدون اما يكون بشرع الهي او بغير شرع لقوله: " أن الوازع إنما يكون بشرع من الله تسلم له الكافة تسليم إيمان واعتقاد وهو غير مُسَلَّم ؛ لان الوازع قد يكون بسطوة المُلْك وقهر أهل الشوكة ولو لم يكن شرعٌ كما في أمم المجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب أو لم تُبلَّغهُ الدعوة" ^(٥).

٢. الرئاسة: وهو منصب الحاكم في العمران البدوي والتنظيم القبلي لعصبية وعرفها ابن خلدون بان " الرئاسة إنما هي سؤدد وصاحبها متبوع، وليس له عليهم قهر في أحكامه" ^(٦) فهو متبوع بحكم العادات والتقاليد القبلية لأنها رئاسة على قبيلة واحدة وليس قبائل متعددة وهذا ما بينه ابن خلدون " أن الرئاسة لا تزال في نصابها المخصوص من اهل العصبية إعلم أن كل حي أو بطن من القبائل وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففيهم أيضا عصبية أخرى لانساب خاصة هي أشد التحاماً من

(١) اعلام الورى باعلام الهدى ، ٣٠٧/١ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٠٢/٩ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٤٨/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٣٤/١ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ٣٤/١ .

(٦) ابن خلدون ، العبر ، ١١٠/١ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

النسب العام لهم مثل عشير واحد أو أهل بيت واحد أو إخوة بني أب واحد لا مثل بني العم الأقربين أو الأبعدين فهؤلاء أقعد بنسبهم المخصوص ويشاركون من سواهم من العصائب في النسب العام والنصرة تقع من أهل نسبهم المخصوص ومن أهل النسب العام إلا أنها في النسب الخاص أشد لقرب اللحمة والرئاسة فيهم إنما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل^(١).

٣. **الولي:** عندما تكون الحكومة في طور الدين أو النبوة بقوله في ذلك " في أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو اثر عظيم من الدين على الجملة ... فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله يذهب عنهم مذمومات الاخلاق ويأخذهم بمحمودها ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك " ^(٢).

٤. **الخليفة :** وجاءت عند ابن خلدون بصيغة (خليفة) و (الخلافة) عندما تكون الحكومة او القيادة في طور الدين مع الصبغة العصبية ولم تنفرد العصبية بعد بالحكم ،وعلل ابن خلدون كون الحاكم يسمى خليفة " فلكونه يخلف النبي في أمته فيقال خليفة بأطلاق وخليفة رسول الله واختلف في تسميته خليفة الله فأجازه بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي للأدبيين في قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة وقوله جعلكم خلائف الأرض"^(٣). وكذلك جاء بصيغة الخلافة بقوله : " الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"^(٤) اي انه الحاكم المنظم لامر الدولة بالشرع والدين .

٥. **إمام :** ويسمى الحاكم امام تشبيها بإمام الصلاة: " فأما تسميته إماما فتشبيها بإمام الصلاة في اتباعه والافتداء به ولهذا يقال الإمامة الكبرى"^(٥) ولم يبين ابن خلدون او يشخص هذا الافتداء او يحدده بانه امام يحكمه الهدى او امام يحكمه الهوى والشهوات النفسية.

وهكذا تبين ان ابن خلدون عندما يتحدث عن الحكومة العصبية في العمران البدوي (الرئاسة)، وعندما يتحدث عن الحكومة الدينية يستعمل مصطلحي الخلافة والإمامة ، والولي ، واستعمل ابن خلدون (الوازع) للتعبير عن الحاكم بصورة عامة سواء كان في العمران البدوي او العمران الحضري

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٠٤/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١١٩/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٥١/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٥١/١ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ١٥١/١ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

(١). ثم استعمل مصطلح أكثر شمولية هو (الملك) يرافق الدولة عندما تنتقل من البداوة إلى الحضارة ،وتقع (الخلافة) بين بين لأنها تستند إلى العصبية كونها تزيد الدولة قوة فوق قوتها عند ابن خلدون وللخلافة زمن تحولت بعده إلى ملك، بمعنى إن اختلاف الظرف التاريخي والسياسي جعل ابن خلدون يستعمل تعابير مختلفة للقيادة هي: الوازع، الرئاسة، الملك، الخلافة .

والقيادة لديه تتمثل في(الملك) الذي يمثل أعلى سلطة في الدولة، ويستند إلى القهر والغلبة ،ويحمل صفة إكراه الناس على مصالحهم العامة، لأنهم يجهلون، وتمثل القيادة والسلطة السياسية العليا في البلاد أهم قضية فكر فيها ابن خلدون، اذ يقول : " أن الآدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يدفع بعضهم عن بعض ،فلا بد أن يكون متغلباً عليهم بتلك العصبية، وإلا لم تتم قدرته على ذلك، وهذا التغلب هو الملك وهو أمر زائد على الرئاسة "(٢).

٦. **الملك**: وهو مرتبة اعلى من مرتبة الرئاسة لان الرئيس متبوع من قبل ابناء قبيلته لكن الملك متبوع بالقهر والقوة لتغلبه على الاخرين بسطوته وقوته ،وعرفه ابن خلدون بقوله:" الملك فهو التغلب والحكم بالقهر، وصاحب العصبية إذا بلغ إلى رتبة طلب ما فوقها، فإذا بلغ رتبة السؤدد والإتباع ووجد السبيل إلى التغلب والقهر لا يتركه لأنه مطلوب للنفس، ولا يتم اقتدارها عليه إلا بالعصبية التي يكون بها متبوعاً، فالتغلب الملكي غاية للعصبية"(٣) ونلاحظ ان الحاكم هنا هو من يفرض نفسه بقوة عصبية وشوكته على العصبية الاخرى لا لميزة اخرى فيندفع بالطمع الدنيوي وحب السؤدد فيطلب الملك بالقوة والغلبة .

٧. **السلطان**: وعرفه ابن خلدون عند الحديث عن قوة الحاكم وغلبته وتحكمه بالمحكومين بقوله : " السلطان أنه المالك للرعية القائم في أمورهم عليهم فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان والصفة التي له من حيث إضافته إليهم هي التي تسمى الملكة وهي كونه يملكهم"(٤).

ونلاحظ من خلال المقارنة ما يأتي :-

١. انه تتعدد التسميات في فكر ومنهج كل من الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وابن خلدون.
٢. انه رغم تعدد تسميات القيادة عند الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الا انها تلتقي في معنى واحد وهو القيادة المعصومة او تعبير عن جانب من مهامه السياسية و الادارية وتلك التسميات هي بمثابة تعبير عن صفات القائد والقابلية اي تتعدد التسميات لكن المفهوم يبقى واحد. اما عند ابن خلدون تتعدد

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٦٠/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١١٠/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١١٠/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٤٩/١ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

التسميات لتعدد المفاهيم التي جاءت نتيجة مرور الدولة بعدة اطوار ولكل طور مفهومه كما يراه ابن خلدون يكون نتاج لمرحلة عمر الدولة من طور العمران البدوي مع قوة حضور الدين ثم انحسار الدين وسيادة العصبية ايضا تكون لهذه المرحلة مخرجات حاكمة خاصة بها تعبر عن المرحلة التي تمر بها الدولة .

المبحث الثالث : مؤهلات القائد واثرها في استراتيجية بناء الدولة.

القيادة في فكر الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ولاية مطلقة عامة يتحمل الامام بمقتضاها مسؤولية صيانة الاعراض والدماء والاموال وتطبيق الشريعة بمقتضى الانصاف والعدل للذين نص عليهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بقوله (عليه السلام): " أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلمهم بجعله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ، ولا الحائف للدول ، فيتخذ قوما دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الامة"^(١).

فالإمامة ليست منصباً تشريعياً يتوصل عن طريقها الفرد لتحقيق مآرب خاصة على حساب حقوق العباد الدينية والدنيوية ، لأنها في جوهرها رعاية مصالح المؤمنين بما يؤمن لهم الحياة الكريمة في الدنيا والنعيم الدائم في الآخرة . فالأسس التي يجب ان تقام الامامة عليها هي الكرم والعدل والنزاهة في تنفيذ الاحكام بما يصون حقوق الافراد ، وتحقيق العدالة^(٢) لذلك حصر الامام علي (عليه السلام) الاستحقاق في عدة شروط ومؤهلات منها الاتي :-

١. حسن الاعداد والنشأة :- ان للإعداد والنشأة دورهما التربوي في جسم و نفس وروحية الفرد لما تتركه من اثار مادية ومعنوية وروحية وفكرية في بناء الشخصية وكشف الامام علي(عليه السلام) في خطبته المسماة القاصعة^(٣) عن اهمية النشأة والتربية في اعداد القائد وهو ما يؤكد عليه في الوقت الحاضر من قراءة السيرة الشخصية والعلمية للمؤهل القيادي على مستوى نشأته وتحصيله العلمي الفكري والتربوي (الروحي والمعنوي). فنشأته (عليه السلام) في البيت النبوي وتربيته التي كان لها بالغ الاثر في اعداده القيادي لحمل امانة الرسالة السماوية حيث اوضح ابرز المواقف التي كان لها الاثر في اعداده الروحي والفكري و الاخلاقي.

يشير الامام علي(عليه السلام) الى مرحلة مهمة في حياة القائد لدورها في الاعداد والتربية القيادية وهي مرحلة ما قبل تولي القيادة أي مرحلة الاعداد والتربية ومصدرها واثره في نشأة القيادة وهو ما وضعه وبشكل جلي من خلال نشأته وتربيته من قبل الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله : " وقد علمتم

(١) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ١٨٩ .

(٢) جليل منصور العريض، فكر الامام علي كما يبدو في نهج البلاغة ، ص ٥.

(٣) القاصعة من قضع فلان فلانا : أي حقره لأنه (عليه السلام) حقر فيها حال العصبية القبلية وما فيها من التكبر، أو من قضع الماء عطشه إذا أزاله ، لأن سامعها لو كان متكبرا ذهب تأثيرها بكبره كما يذهب الماء بالعطش . ينظر : أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، ٩٢/٥؛ ينظر : الإمام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة، تحقيق وشرح محمد عبده ، ١٣٩/٢،

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

موضعي من رسول الله (ﷺ) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجرة ... " (١) وهذا التصريح العلوي يعطي عدة صور عن الاعداد القيادي من حيث ما يأتي :-

أ) القرابة المادية النسبية وما يترتب عليها من اهمية بين الاثر التربوي من الحجر والصدر الرسالي الحنون بقوله (ﷺ): " وانا ولد يضمني الى صدره ويكفني فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه " (٢) كناية عن الاقتراب والالتصاق الشديد بالنبي محمد (ﷺ) وهذا له الاثر المعنوي في اعداد الحاكم وبيان مصدر التغذية واثرها في التربية حيث كان النبي (ﷺ) يتعهد بالتربية بقوله (ﷺ): " يمضغ الشيء ثم يلقمنيه " (٣).

ب) القرابة المعنوية (المنزلة الخصيصة) المنزلة بالقرب و المنزلة الخاصة التي لها اثر النفسي والفكري من الرسول (ﷺ) على شخص الامام علي (ﷺ) حيث كان دائم القرب منه مما اعطى التقارب الروحي والمنزلة الرفيعة القريبة من النبوة ي بالافتداء به بقوله (ﷺ) : " ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ،... أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله ، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة ؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته . إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ، ولكنك وزير وإنك لعل خير " (٤) وانعكس اثر التربية الرسالية في اقواله وافعاله الصادقة بقوله (ﷺ): " وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة (٥) في فعل " (٦) وهذه صفة ضرورية ان يتحلى بها القيادي مستقبلاً حتى يكون صادقاً فيما يقول ويعمل ، وهذا كله يرجع اثره الامام الى رفيع ورقي مصدر التربية النبوية حيث يقول مادحاً وواصفاً اخلاق رسول الله وتعلمه منه بقوله : " ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه ، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً ، ويأمرني بالافتداء به " (٧).

وبعد ان قدم لنا الامام علي (ﷺ) صورة واضحة عن نشأته ، اخذ يبين ثمار هذه النشأة فيما بعد التي اعدته للقيام بدوره العملي والمباشر مع الرسول محمد (ﷺ) ومساندته في دعوته وقد قدم وصفاً مقطعيًا لمؤازرة النبوة فبين نوعيه العلاقة التي تربطه بالنبي محمد (ﷺ) حيث كانت علاقة تكاملية بكل معنى الكلمة بقوله (ﷺ): " انا من رسول الله (ﷺ) كالصنو من الصنو ، والذراع من

(١) نهج البلاغة ، ص ٣٠٠ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٣٠٠ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٣٠٠ .

(٤) الامام علي ، نهج البلاغة ، ص ٣٠١ .

(٥) الخطل : الخطأ نشأ عن عدم الروية . ينظر : محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١/١٧٥ .

(٦) نهج البلاغة ، ص ٣٠٠ .

(٧) نهج البلاغة ، ص ٣٠٠ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

العقد " (١) ، وهذا يؤيده رسول الله (ﷺ) بقوله: " يا علي خلق الناس من شجر شتى وخلقت أنا وأنت من شجرة واحدة أنا أصلها وأنت فرعها " (٢).

أما الاعداد والنشأة في فكر ابن خلدون فانه اكد ان يكون الحاكم من اسرة لها الزعامة بالغلب والقوة المادية ولم يولي أهمية للتربية والقوة الروحية والمعنوية لأعداد ونشأة الحاكم ونرجح عدم اهتمام ابن خلدون بالتنشئة يعود لكونه خصص اختيار القائد الى العصبية الغالبة بغض النظر عن اسلوب تربيته أو تنشئته لكونه حاكم بالوراثة حسب مبدأ التوريث القائم عليه بالعرف القبلي الذي نصبه لا لإستعدادات وخصائص قيادية فيه وانما حاكم بالتوريث وأشار الى ذلك ابن خلدون بقوله: " الرئاسة على القوم إنما تكون متناقلة في متن واحد تعين له الغلبة بالعصبية... والرئاسة لا بد ان تكون موروثه " (٣).

٢. النسب :- حدد الامام علي (عليه السلام) نسب القائد واشترط ان يكون قرشي من بني هاشم من عترة النبي محمد (ﷺ) من ولد فاطمة الزهراء (عليها السلام) بقوله: " ان الائمة من قریش، غرسوا في هذا البطن من هاشم -يقصد نفسه وبنيه المعصومين- لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم " (٤). ويفهم من كلام الامام (عليه السلام) ان الامامة لا تصلح الا فيهم مطلقا ولم تذكر انها باقية فيهم ما بقيت قوة عصبيتهم فان ذهبت عصبيتهم ذهبوا بل انها باقية فيهم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم.

و وضع الامام الرضا (عليه السلام) امر نسب (الامامة/القيادة) بصورة اكثر تفصيلا وتخصيصا بانهم من بني هاشم من ولد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ابنة النبي محمد (ﷺ) بقوله: " فكيف لهم باختيار الإمام والإمام عالم لا يجهل وداع لا ينكل معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة ... مخصوص بدعوة الرسول ونسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب في البيت من قریش والذروة من هاشم والعترة من الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم والرضا من الله تعالى شرف الأشراف والفرع من عبد مناف نامي ... " (٥).

وان تحديد النسب ببني هاشم من ولد فاطمة الزهراء (عليها السلام) لاتصال الامامة بالنبوة ليحصل التكامل النسبي والفكري والروحي بين الامامة والنبوة فالرسول هو اصل الاسلام واهل بيته من

(١) الامام علي ، نهج البلاغة ، ص ٢٣.

(٢) محمد بن سليمان الكوفي ، مناقب الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ١/٢٤٢.

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١/١٠٥.

(٤) علي ابن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٢٠١.

(٥) الكليني ، الكافي ، ١/٢٠٢؛ ينظر: الصدوق ، الامالي، ص ٧٧٧.

الفصل الأول : القيادة وائرها في استراتيجية بناء الدولة

الائمة المعصومين هم الفرع من هذا الاصل فبين الامام علي (عليه السلام) نوعية العلاقة التي تربطه بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) حيث كانت علاقة تكاملية بكل معنى الكلمة بقوله: "وانا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) كالصنو من الصنو ، والذراع من العضد" (١)، وهذا يؤيده رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله: "يا علي خلق الناس من شجر شتى وخلقت أنا وأنت من شجرة واحدة أنا أصلها وأنت فرعها" (٢).

اما في نظرية ابن خلدون فإنه يرى نسب الحاكم في العصبية الغالبة فأينما تكون العصبية من القوة والغلبة يكون الحاكم منها بغض النظر عن نسبه فهو في عهد الخلافة يرى ان نسب الحاكم يكون من قريش لقوتها وغلبتها على بقية القبائل الاخرى فيقول: "إن الأحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لأجلها ونحن اذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه ، لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي كما هو في المشهور ، وان كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلًا لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية" (٣) فيبحث ابن خلدون في ايجاد علة اخرى في اشتراط النسب القرشي للإمام المنتخب وهو لما تتمتع به قريش من عامل القوة لأنها اكثر واكبر عصبية بين العرب وقتئذٍ، وتتمكن من الهيمنة على جميع العصبيات والقبائل الاخرى بقوتها وغلبتها فهي تستحق ان تكون القيادة فيها بفضل قوتها وغلبتها عليهم جميعا بقوله: " فلا بد اذا من المصلحة في اشتراط النسب وهي المقصودة من مشروعيتها وإذا سبرنا وقسمنا لم نجد لها إلا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن إليه الملة وأهلها وينتظم حبل الالفة فيها وذلك أن قريشا كانوا عصبية مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم" (٤).

وقوله ايضا: " ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلمنا أن الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا عصر ولا أمة علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها وطردها العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية فاشتراطنا في القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولي عصبية قوية غالبية على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك في الأقطار والآفاق كما كان في القرشية إذ الدعوة

(١) الامام علي ، نهج البلاغة ، ص ٤١٨ .

(٢) الصدوق ، عيون اخبار الرضا ، ٢/٧٨ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١/١٥٤ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١/١٥٤ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

الاسلامية التي كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا سائر الأمم وإنما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة" (١).

ويرى ابن خلدون لو ان الامر وضع في غير قريش لافترق المسلمون لعدم قدرة غير قريش على جمع شتاتهم بقوله: " فلو جعل الامر في سواهم - اي في غير قريش - لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر أن يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكرة فتتفرق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما إذا كان الامر في قريش لأنهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب إلى ما يراد منهم فلا يخشى من أحد من خلاف عليهم ولا فرقة لأنهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها فاشتراط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم أهل العصبية القوية ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة وإذ انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع فأذن لهم سائر العرب وانقادت الأمم سواهم إلى أحكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في أيام الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين إلى أن اضمحل أمر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس أخبار العرب وسيرهم وتقطن لذلك في أحوالهم" (٢)، وقوله: " وإذا نظرت سر الله في الخلافة لم تعد هذا لأنه سبحانه إنما جعل الخليفة نائبا عنه في القيام بأمر عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالأمر إلا من له قدرة عليه" (٣).

نستخلص بذلك من قول ابن خلدون ان حكمة اشتراط النسب تكون لما ياتي:-

١. التبرك ببيت النبي (ﷺ) وعشيرته لكنها ليست العلة الاساسية.
٢. لقوة عصبية قريش حيث كانت قريش عصبية مضر واصلها وشرفها وانقاد الناس لهم وقد استمر هذا في الاسلام الى ان تلاشت عصبية العرب وغلبهم الاعاجم .

وبعد تلاشى العرب وعصبية قريش يظل الشوق قائما وهو ان يكون من قوم اولى عصبية قوية غالبية كما كان لقريش ونجد ان ابن خلدون يتمسك في الكفاءة حرصا على العصبية والقوة حتى يلائم

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٤/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٤/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٤/١ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

بذلك مع نظريته القائلة بحتمية الملك والحكم لأولي العصبية فنراه ضرب بأراء جمهور العلماء الذين يرون شرط القرشية .

فلهذا ثبت عند ابن خلدون ان شرط القرشية هو لدفع النزاع لما كان لهم من القوة والشوكة والغلبة على باقي القبائل .فمن هذا ذهب ابن خلدون الى ان القرشية يراد بها القوة والشوكة بقوله " وعلمنا ان الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا امة ،... وعصبية العرب كانت وافية بها لغلبوا سائر الامم"^(١) وان شرط العصبية البالغة في الخليفة من تنفيذ امر الله في الرعية ويقوم بمصالحهم ويدفع الضرر عنهم بقوله: " لأنه سبحانه وتعالى انما جعل الخليفة نائبا عنه في القيام بأمر عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم على مضارهم ... فانه لا يقوم بأمر امة أو جيل الا من غلب عليهم "^(٢).

وبهذا ذهب ابن خلدون الى تبيان علة هذا الحديث بعيدا عما يراد منه لانه تعليل مغلوط وقد علقت احاديث اخرى جاءت عن لسان النبي محمد (ﷺ) واثبتت الاحاديث بانه الاختيار منهم لا لقوة عصبيتهم وغلبتهم فان كانت علة الاختيار الكثرة لما قال رسول الله (ﷺ): " لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي اثنان "^(٣) اي ان القيادة لقريش باقية فيهم حتى لو بقي رجلين فقط منهم فهي لهم من دون الناس لأفضليتهم وأعلميتهم على جميع الخلق.

وتفسير ابن خلدون في علة القرشية يتعارض مع فلسفة علة القرشية بتحديدتها في بني هاشم ثم تخصيص بطن الامام علي من بني هاشم التي اشترطها النبي (ﷺ) في القائد ، والتي سار عليها الامام علي (عليه السلام) ايضا وعدها احد الشروط الاساسية لتأهيل الشخص للقيادة وذلك لعدة اسباب منها:

١. لرجاحة عقل ورأي الامام من اهل البيت المعصومين (عليهم السلام).

٢. لتقدمهم بالعلم على الجميع لقوله (ﷺ) " تعلموا من قريش ولا تعلموهم وقدموها ولا تسبقوها " ^(٤) ويقول رسول الله (ﷺ) "ان قوة الرجل من قريش مثل قوة الرجلين من غيرهم " ^(٥)، وفي قول "عشرة

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٤/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٥/١ .

(٣) ابن الجعد ، مسند ، ص ٣١١ .

(٤) ابن أبي شيبه الكوفي ، المصنف ، ٥٤٥/٧ .

(٥) ابن أبي عاصم ، السنة ، ص ٦٢١ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

رجال " أي نبل الرأي ورجاحته، وقوله (ﷺ) "لا تعلموا قريش وتعلموا منها ولا تتقدموا قريش ولا تتأخروا عنها، فان لقريش قوة الرجلين من غيرهم يعني في الرأي" (١).

٣. **الاعلمية :-** ان تلازمة العلم والقيادة حقيقة قرآنية فاختر الانبياء قادة لهداية البشرية لعلمهم، فخصيصة العلم المحور الاساس لاختيار طالوت لقيادة بني اسرائيل ، قال تعالى (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٢)، وكذلك سبق طالوت النبي ادم (ﷺ) في استحقاقه للاستخلاف الارضي لقيادة وهداية البشرية بفضيلة العلم فلما اعترضت الملائكة على خلق ادم بالاية المباركة قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) (٣).

وهذا الرد من الملائكة خوفاً منهم لعدم اهليته للاستخلاف القيادي ،فرد الله تعالى على الملائكة وطمانتهم بانه محصن بالعلم ،الذي يمنعه من سفك الدماء، قال تعالى : (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٤)، فاعلميه ادم اعطته التأهيل لهذه المهمة القيادية للنهوض بمسؤوليات الخلافة على الارض وتنفيذ المشروع الالهي وفق ما خطط له رب العزة .

لذا انطلق الامام علي(ﷺ) فكريا من الاسس القرآنية ،ويحصر الاستحقاق القيادي كذلك بشرط الكفاءة العلمية (الاعلمية) بقوله (ﷺ): " إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاؤُوا بِهِ ، ثُمَّ تَلَا (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا) (٥) " (٦)، المراد بأولى الناس بالانبياء الولاية الولاية عنهم ، ويعبر عنها ب(الخلافة)، وهي علاقة إلهية طبيعية بين النبي وخليفته ، ولا تكون هذه

(١) الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام ، المصنف ، ٥٤/١١ .

(٢) سورة البقرة ، اية ٢٤٧ .

(٣) سورة البقرة ، آيات ٣١-٣٣ .

(٤) سورة البقرة ، اية ٣١ .

(٥) سورة ال عمران ، اية ٦٣ .

(٦) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٤٨٤ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

الخلافة أو الولاية ولن تكون إلا لعالم برسالة النبي عامل بها ومناصر له في جميع موافقه ، ويشير الإمام بهذا إلى نفسه وانه أولى الناس برسول الله (ﷺ) لأنه امتداد له علما وأخلاقاً^(١) .

وقد اوضح نص الامام ان الاحق بقيادة وحكومة الامة هو الاعلم بعلوم النبي (ﷺ) وهذا العلم اطلع عليه الامام بالكامل واثبت التاريخ له ذلك .

وقد اكد الامام ان يكون هذا العلم من التميز النوعي والكمي ليكون مؤهلاً للقيام بواجبات ومتطلبات بناء وادارة الدولة في جميع المجالات ، من حيث التخطيط والتنظيم والتنفيذ . وهذا العلم له العمق والخصوصية التي اوضحها الامام (ﷺ) بقوله: " اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربت اضطراب الارشية في الطوى البعيد "^(٢) وهذا النص يكشف عن ميزات علمه (ﷺ) التي اهلته للقيادة بدون منازع ، وهي كالآتي:-

الميزة الاولى :الهيئة المصدر العلمي .

ويأتي عن طريقين :

الاول : الكسب والوراثة للنبي محمد (ﷺ) وتعليمه للامام .

يتضمن علماً كسبياً وراثياً من علوم رسول الله وتعليمه له (ﷺ) لقول رسول الله : " يا علي انت وارث علمي "^(٣) وقوله (ﷺ): " انت وارث علمي وقاضي ديني ومنجز وعدي و الخليفة من بعدي "^(٤).

الثاني : العلم اللدني (الرياني) : بتعليم رباني بواسطة، و اشار الى هذه الحقيقة العلمية جملة من المفكرين والفلاسفة المسلمين ومنهم الغزالي بقوله " واعلم ان العلم يحصل من طريقين احدهما التعلم الانساني ، والثاني التعلم الرياني ، ويمكن من خلال القاء الوحي "^(٥) وهذا له شواهد قرآنية كثيرة ان الله اوحى الى اشخاص ليسوا بأنبياء ولا رسل كالإيحاء الى ام موسى قال تعالى : (إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ أَنْ أَذْفِفِيهِ فِي النَّبُوتِ فَأَذْفِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي)^(٦)، وكذلك مخاطبة الملائكة السيدة مريم(عليها السلام) بقوله تعالى:(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)^(٧).

(١) محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة ، ٢٧٣/٤

(٢) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٥٢ .

(٣) ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب، ١٧٨/٢ .

(٤) الخزاز القمي ، كفاية الاثر في النص على الائمة الاثني عشر عليهم السلام ، ص ١٢١ .

(٥) ابو حامد محمد بن محمد ، الرسائل اللدنية ، ٩٦/٣ .

(٦) سورة طه، آيات ٣٨-٣٩ .

(٧) سورة ال عمران ، آية ٤٢ .

وان للعلم اللدني وسائله والتي من اهمها ما يأتي:-

الوسيلة الاولى - التحديث من قبل الملائكة : انهم عليهم السلام محدثون تحدثهم الملائكة بعلوم غيبية ، جاء ما يؤكد هذا الامر عن الامام علي بن ابي طالب قال لابن عباس : " ان ليلة القدر في كل سنة ، وانه ينزل في تلك الليلة امر السنة ، ولذلك الامر ولاة بعد رسول الله (ﷺ) فقال ابن عباس : من هم ؛ قال : انا وأحد عشر من صليبي أئمة محدثون" (١) وقد بينت الروايات عن الائمة المعصومين (عليهم السلام) معنى المُحَدَّث وعن الباقر (عليه السلام) " ... المُحَدَّث فهو الذي يحدث - أي من قبل الملك جبرائيل - فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه" (٢) أي ان علومهم عن طريق سماع حديث الملائكة ولا يراهم ولا يعاينهم.

وقد اعترف ابن خلدون بهذه المنزلة لأئمة اهل البيت (عليهم السلام) وانهم محدثون ويخبرون عن الغيب في فصل بعنوان " في حدثان الدول والأمم ، وفي الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر" (٣) بقوله : " و وقع لجعفر وأمثاله من أهل البيت كثير من ذلك ، مستندهم فيه ، والله أعلم الكشف بما كانوا عليه من الولاية ، وإذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الأولياء في ذويهم وأعقابهم ، وقد قال (عليه السلام) : ان فيكم محدثين ، فهم أولى الناس بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة ... وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنك بهم علما ودينا وآثارا من النبوة ، وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة ، وقد ينقل بين أهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب إلى أحد" (٤)، وقال كذلك ابن خلدون ما ملخصه : ان هارون بن سعيد العجلي رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص، وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور وفيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني ، وقد صح عنه انه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم ، فتصح كما يقول وقد حذر يحيى ابن عمه زيد من مصرعه وعصاه ، فخرج وقتل ... كما هو معروف (٥) .

الوسيلة الثانية - الإلهام : من مصدر ألهم " ويطلق الإلهام اطلاقاً خاصاً على حدوث علم في النفس بدون تعليم ولا تجربه ولا تفكير ... " (٦) وقد استفاضت الروايات عن ائمة اهل البيت (عليهم السلام) لبيان هذه الحقيقة ، فعن الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) " ان العبد اذا اختاره الله عز وجل لأمر

(١) الكليني ، الكافي ، ٢٠٢/١ .

(٢) الصفار ، محمد بن الحسين ، بصائر الدرجات ، ١١٤/٢ ؛ ينظر: الكليني ، الكافي ، ١٧٦/١

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٢٦٠ / ١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٢٦٠/١-٢٦٢ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ٢٦٠/١-٢٦٢ .

(٦) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ٣٠/٣٢٦

الفصل الاول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

عباده ، شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة والهمه العلم الهاماً ، فلم يع بعده بجواب ولا يحير فيه عن الصواب" (١).

الوسيلة الثالثة - العلم بواسطة القذف والنقر في القلوب والاسماع : وجاء في رواية عن الامام الصادق تكشف عن هذه الوسيلة ، عن ابي بصير قال : قلت للصادق (عليه السلام) : "الذي يسأل الامام عنه وليس عنده فيه شيء ، من اين يعلمه ؟ قال : ينكت في القلب نكتاً او ينقر في الاذن نقرًا" (٢) .

الميزة الثانية - موسوعية علمه : يكشف عن شمولية وموسوعية علم الامام القيادية ومحدودية علم من سواه من الناس .

الميزة الثالثة - السبق والاعجاز العلمي: لعلمه (عليه السلام) بعلم لم يطع عليها احد في محيط بيئته ، فقد كانت علومه (عليه السلام) سابقة لعصره لذا يضطرب منها السامع ، فهي الي يومنا هذا ولا يمكن مقارعتها رغم التطور العلمي الهائل ،وإذا اخذنا العمر الزمني لعلم الامام فانه سابق لهذا التطور ب ١٤٠٠ عام فانه علمه (عليه السلام) يعد من إعجاز (٣).

واما العلم عند ابن خلدون فان تأكيده عليه جاء تقليد لما قال به الماوردي في هذا المجال فالعلم شرطاً اساسياً في تولي منصب القيادة لان باطلاعه العلمي يتمكن من الاجتهاد في اتخاذ القرارات وتشخيص الامور عن دراية ومعرفة لان عدم اهليته العلمية لا يستحق تولي هذا المنصب " فأما اشتراط العلم فظاهر لأنه انما يكون منفذ الاحكام (٤) وهذا التأكيد حينما تكون الدولة وحكومتها في عهد الخلافة كما يسميها ابن خلدون اما عندما تتحول الى الملك والعصبية فان العلم احياناً لا يتطلب وفي هذه الصفة نلاحظ تناقض في تشخيص ابن خلدون لانه تارة يعتقد ان العلماء والفلاسفة ابعد الناس عن السياسة (٥) فلم يؤكد عليه مادام الحاكم يمتلك القوة الغالبة والشوكة.

٤. الايمان واليقين: ان حكومة المسلمين تحتاج قائد مؤمن على يقين من امر ربه فنظام الحكم والسياسية العادلة تحتاج الى اليقين الذي يمدّها بالثبات ، فضغوط الاعداء واهواء النفس قد تحمل

(١) الكليني ، الكافي ، ٢٠٢/١ .

(٢) الصفار ، بصار الدرجات ، ١٠٣/٢ .

(٣) راجع : حميد سراج جابر ، الفكر الاختباري في نهج البلاغة ، وهو دراسة في مختلف العلوم التي احاط بها الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، ومنها العلوم الجغرافية والفيزيائية والاحيائية (علوم الانسان والحيوان والنبات) واحاطة الامام بكل هذه العلوم وجاءت نظرياته في هذه المجالات مطابقة للنظريات العلمية في الوقت الحاضر .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٩٠/١ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٢/١ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

شخص الحاكم الى التشكيك في معتقداته ، والتردد او الضعف في مواقفه ، والتراجع عن اهدافه وحقوقه وهنا تبرز قيمة اليقين في السياسة وضرورة الاصرار على الموقف والمبدأ كما يقول الامام علي (عليه السلام): "فباليقين تدرك الغاية القصوى" (١).

وعهد الله سبحانه الى الائمة الهداة قيادة الامة ليقينهم وایمانهم وصبرهم ، قال تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (٢) فمن حاز اليقين تمكن من امر القيادة في الدين والدنيا فيكون على يقين من امر ربه لقوله (عليه السلام) : " لو رفع لي الغطاء ما ازددت يقيناً " (٣) وهذا يرمز الى قوة هائلة لدى الامام تمكنه من الاحاطة التامة بشؤون الدين والدنيا فالقادة هم اعمدة اليقين الذين يثبتون الامة على الهدى والسبيل المستقيم بقوله : " لا يقاس بال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من هذه الامة احد هم اساس الدين ، وعماد اليقين " (٤). وقال (عليه السلام) ايضاً مخاطباً كميل بن زياد في حقيقه خلفاء الله وعلمهم وبقينهم "هجم لهم العلم على حقيقة البصيرة وياشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون ... اولئك خلفاء الله في أرضه" (٥) فبعزم اليقين لا تعرف روح القائد اليأس او الهزيمة ، لان القائد المؤمن الموقن بأمر ربه القيادة عنده ليست صناعة النصر الدائم بأي وسيلة والتحرز من الهزائم ، بقدر ما تعد القيادة هي وسيلة لتحقيق رضا الله سبحانه وتعالى وتأمين حقوق الشعب وحفظ الدولة الاسلامية وهذا ما نستشفه من رده (عليه السلام) على معاوية بن ابي سفيان لما طلب منه بان يتوقف عن الحرب ويسلم له الشام فقال(عليه السلام): "أما قولك إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت ألا ومن أكله الحق فالإلى الجنة ومن أكله الباطل فالإلى النار ، وأما استواؤنا في الحرب والرجال فلست بأمضى على الشك مني على اليقين" (٦). فكان على يقين تام في كل ما يقدم عليه وقت السلم او الحرب.

وحذر الامام (عليه السلام) من مغامرة القائد بقرارات ارتجالية من غير دراسة وتمحص. فان هذا سيوجب الويلات للامة ودخولها في دوامة الفوضى لان " المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه

(١) الامدي ، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٥ .

(٢) سورة الشعراء ، اية ٢٤ .

(٣) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٥٣/٧ .

(٤) الامام علي نهج البلاغة ، ص ٤٧ .

(٥) نهج البلاغة ، ص ٤٩٧ .

(٦) نهج البلاغة ، ص ٣٧٤ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

فأخذه إن المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى إنكاره في عمله " (١) وقال : " ما شككت في الحق مذ رأيتة " (٢).

وقد عاش الامام اليقين بكل مراحل حياته قبل توليه القيادة تجلى يقينه بالله ورسوله بكل وضوح في كثير من المواقف منها لما ارسله رسول الله هو والزيبر بن العوام لاسترجاع كتاب ينقل اخبار المسلمين في المدينة الى مشركي قريش في مكة قبل فتحها عام ٨ هـ ، كتبه حاطب ابن ابي بلتعه ، مع امرأة ، فلما ادركوا المرأه فحلفت لهم بانها لا تحمل الكتاب ، ورد عنها الزيبر وطلب من الامام الرجوع للمدينة فانهم لم يجدوا شيئاً عندها فاجاب الامام علي (عليه السلام) الزيبر بقوله: " يخبرني رسول الله (ﷺ) ان معها كتاباً وبأمرني بأخذه منها وتقول انت : إنه لا كتاب معها !!؟ الا ان الامام (عليه السلام) اصر عليها وهددها ان تكشف عن الكتاب فسلمت الكتاب للامام علي (عليه السلام) (٣).

وعند توليه (عليه السلام) قيادة الدولة الاسلامية ساس امور الدولة عن رؤية واضحة ويقين تام فكان يقرء ويخبر عن الاحداث كأنها امام ناظره فلما وصلت اشاعه في حرب النهروان عام (٣٨ هـ / ٦٥٧ م) ان الخوارج عبروا النهر . قال (عليه السلام) لم يعبروا ، وارسل طليعة فعادت بخير العبور ايضاً. فقال: " والله ما عبروا وان مصارعهم لدون الجسر والله لا يقتل منكم عشرة ولا يسلم منهم عشرة " وقد شك الناس في قول الامام (عليه السلام) وارتاب بعضهم ، حتى تقدموا لنحوهم فوجدوهم عند الجسر لم يعبروه (٤) ، فلم يرتب (عليه السلام) ولم يتزعزع حتى مع تعدد المخبرين بخلاف قوله .

٥. الصبر على المبادئ والقيم الاسلامية : ان صفة الصبر مهمة في القائد ، لأنها تعطيه الثبات على المبادئ وتحمل الصعاب ومواجهة المشكلات لتحقيق الاهداف العليا التي تؤمن بها القيادة الاسلامية .

ولأهمية الصبر يصفه القرآن الكريم احد واهم خصائص القيادة لقوله تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (٥) ، والصبر من صفات الائمة قرانياً ، وجعلناهم أئمة بصبرهم معناه كما صبروا عن الدنيا وصبروا على دينهم فلم يرجعوا عنه (٦) والصبر من لوازم اليقين وثماره ، لان من اعتقدوا بحقائق الوجود وعلى رأسها المبدأ والمعاد وآمن بالهدف الاسمي وهو رضا الله

(١) الفيض الكاشاني ، الوافي ، ٤ / ١٤١ .

(٢) الامام علي ، نهج البلاغة ، ص ٥١ .

(٣) المفيد ، محمد بن محمد بن نعمان ، الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد ، ١ / ٥٧ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٣٤٥ .

(٥) سورة السجدة ، اية ٢٤ .

(٦) أبو الليث السمرقندي ، تفسير السمرقندي ، ٣ / ٣٧ .

الفصل الأول : القيادة وائرها في استراتيجية بناء الدولة

تعالى وقيادة عباده الى الكمال والرفي فان ايمانه اليقيني من الصبر لمواصلة سياسته لتحقيق اهداف رسالة الدولة الاسلامية . ولهذا التفت الامام الى هذه الحقيقة والفائدة الكبيرة لصفة الصبر للقيادة وأكد عليها. فالصبر يبني قيادة استراتيجية فالصبر احد عوامل النجاح الاداري يتحقق الوصول الى الهدف دون الميول والاتجاه نحو استعمال العنف وفقدان الاواصر بين أفراد المجتمع، الدفع السلوكي للصبر باتجاه قويم الاعمال يخدم القائد والمجتمع، لقول الامام (عليه السلام): " لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان" (١) ، و "... لا ايمان كالحياء والصبر ... " (٢) ، اي الصبر هو منهاج لعقل القيادي المدبر للأمر والصبر منهج توازن الشخصية فالذي لا توازن وموازنة له ، لا يصلح أن يكون ذلك القيادي الفاعل لجزعه يولد الانفعالات ويشوه المحاوره والراي الاخر بقويم الاسلوب الحضاري ويدمر الحياة بتفكك المجتمع وانبعث الصراعات السلبية ، وان صبر القائد مرهون بمستوى ايمانه ، فالأيمان والصبر لا ينفصلان ؛ يعني تلازم الفكر النقي بمكوناته ، والنفس السوية ، والسلوك القويم ، ومنه حث (عليه السلام) على تفعيل الترابط التطبيقي وذلك من خلال قوله : .. وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في ايمان لا صبر معه" (٣).

ولا نغفل ما يعني ويحوي الرأس من جوانب عقيلة بما فيه مركز المعلومات والتفكير والمعارف والعلوم ، بمعنى مبسط ؛ الرأس مركز ادارة وتنظيم الانسان وما يتعلق به ويتأثر به ضمن البيئة المحيطة له ، فضلاً عن ما يحتوي من جوانب سمعية واصغاء للذات والبيئة الداخلية والمحيط الخارجي وبه يسهم في تكامل مهمة العقل .

وتدخل التفاصيل الالية لتفصح الكلمات عن دقة البلاغة وموجز التحليل الوصفي ، ومنه ما يتضمنه قوله (عليه السلام) : من مقومات الصبر واثبات يوردها امير المؤمنين في اربع عوامل : "والصبر منها أربع شعب : على الشوق والاشفاق ، والزهد والترقب ، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات ، ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات" (٤) ويقف الشخص القيادي عند الهدف الاسمي المتمثل بالجنة، والحذر من النار ، فيكون عمل الخيرات ونبعها من صميم سلوك الانسان النقي الافكار عن ايمان وعقيدة.

٦. **العصمة** : من مؤهلات القيادة في فكر الامام علي (عليه السلام) ان يكون القائد معصوماً، وهنا العصمة شرطاً في الإمامة التي تقوم مقام النبوة والهدف من ذلك لتفسير الشريعة بالشكل الصحيح ، والعصمة

(١) نهج البلاغة ، ص ٥١ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٨٨ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٨٢ .

(٤) نهج البلاغة ، ص ٧٣ .

الفصل الاول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

لغة من " مادة عصم يعني الامساك والمنع والاستمساك "(١) فالمعصوم هو " المنزه من الخطأ والذنب " فالعصمة ... معناها المنع "(٢) ، و " العاصم المانع الحامي "(٣) .

اما اصطلاحاً عرفها الشريف الجرجاني بأنها: " ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها "(٤) فالمعصوم هو الذي لا يذنب ، ولا يرتكب خطأ في الآراء والعقائد والاعمال (٥) فالتطابق واضح بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي بان يكون الشخص ممتنع عن الخطأ.

ويُلزم الامام علي (عليه السلام) ان من أولويات مؤهلات القيادة ان يكون القائد معصوماً لأن العصمة تمنعه من الوقوع في الخطأ القيادي، وأشار الى ذلك في احدى خطبه (عليه السلام) فقال: " انما الطاعة لله عز وجل ولرسوله ولولاة الامر، وانما امر بطاعة اولي الامر لانهم معصومون مطهرون لا يأمرهم بمعصيته "(٦)، وعنه (عليه السلام): " والإمام المستحق للإمامة له علامات فمنها ان يعلم انه معصوم من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها ولا يزل في الفتن ولا يخطيء في الجواب ، ولا يسهو ولا ينسى ، ولا يلهو بشيء من امر الدنيا "(٧) اي أن العصمة مدد من الله تعالى واستعداد من العبد (٨).

وهناك جملة من الادلة العقلية والنقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية تثبت عصمة القيادة

كالاتي:-

١. الادلة العقلية

ان الدليل العقلي على وجوب الإمامة او القيادة المعصومة في فكر امير المؤمنين (عليه السلام) يمكن استنتاجه من كلام قاله لرسول (٩) وقد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب (عليه السلام) منها ، لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْجَمَلِ ، لِتُرْوَلَ الشُّبُهَةُ مِنْ نُفُوسِهِمْ ، فَبَيَّنَ لَهُ (عليه السلام) مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ ، مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ بَايِعْ ، فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ ، وَلَا أُحَدِثُ حَدَثًا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ (عليه السلام) : " أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَأَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا ، تَبَتَّعِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْعَيْثِ ، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلْبِ وَالْمَاءِ ، فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعًا ، قَالَ كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالَفَهُمْ إِلَى الْكَلْبِ وَالْمَاءِ ، فَقَالَ (عليه السلام) فَاْمُدُّ إِذَا يَدُكَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ ، فَوَاللَّهِ مَا اسْتَنْطَعْتُ أَنْ أَمْتَنَعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ

(١) الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٥٦٩، ينظر الطريحي ، مجموع البحرين، ٢/١٢٢٥.

(٢) الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح ، ص ٤٣٧.

(٣) ابن منظور ، لسان العرب، ١٢/٤٠٣.

(٤) التعريفات ، ص ١٢٧.

(٥) الريشهري ، محمد ، القيادة في الاسلام، ص ٤٣.

(٦) سليم بن قيس الهلالي ، كتاب سليم ، ص ٤٠٥ ؛ ينظر: الصدوق ، علل الشرائع ، ص ٥٢.

(٧) المجلسي ، بحار الانوار ، ٢٥/١٦٤.

(٨) احمد الوائلي ، هوية التشيع، ص ١٦٠.

(٩) الرسول هو كليب الجرمي . راجع : الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٢٤٥.

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

عَلَيَّ ، فَبَايَعْتُهُ (عليه السلام) ^(١) فقد طلب الامام علي عليه السلام بيعة الرجل من وجهة عقلية مبنية على الإرادة التامة في حرية الاختيار بالدليل العقلي المحض.

ولقد اكد العديد من الباحثين المختصين بهذه المسألة ضرورة عصمة القائد يقول بها العقل لا

النقل فقط ، واثبتوا ذلك بالعديد من الادلة ومنها:

الدليل الأول - يقول العلامة الحلي: "الممكنات تحتاج في وجودها وعدمها إلى علة ليست من جنسها إذ لو كانت من جنسها لاحتاجت إلى علة أخرى واجبة غير ممكنة ، كذلك الخطأ من البشر ممكن فإذا أردنا رفع الخطأ الممكن يجب أن نرجع إلى المجرّد من الخطأ وهو المعصوم ، ولا يمكن افتراض عدم عصمته لأدائه إلى التسلسل أو الدور أما التسلسل فإن الإمام إذا لم يكن معصوما احتاج إلى إمام آخر لأن العلة المحوجة إلى نصبه هي جواز الخطأ على الرعية ، فلو جاز عليه الخطأ لاحتاج إلى إمام آخر فإن كان معصوما وإلا لزم التسلسل ، وأما الدور فلحاجة الإمام إذا لم يكن معصوما للرعية لترده إلى الصواب مع حاجة الرعية للاقتداء به" ^(٢).

الدليل الثاني - لأن مفهوم الإمام يتضمن معنى العصمة لأن الإمام لغة هو المؤتم به : كالرداء اسم لما يرتدى به ، فلو جاز عليه الذنب فحال إقدامه على الذنب إما أن يقتدى به أو لا ، فإن كان الأول كان الله تعالى قد أمر بالذنب وهذا محال ، وإن كان الثاني خرج الإمام عن كونه إماما فيستحيل رفع التناقض بين وجوب كونه مؤتما به وبين وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بتصور أن العصمة متضمنة في مفهوم الإمام ولازمة لوجوده ^(٣).

الدليل الثالث - الإمام حجة الله في تبليغ الشرع للعباد وهو لا يقرب العباد من الطاعة ويبعدهم عن المعصية من حيث كونه إنسانا ، ولا من حيث سلطته فإن بعض الرؤساء الذين ادعوا الإمامة كانوا فجرة لا يصح الاقتداء بهم فإذا أمروا بطاعة الله كانوا مصداق قوله تعالى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) ^(٤) وفي مثل هذه الحالات لا يثق المكلف بقولهم وله عذره ، فثبت أن تقريب الناس من طاعة الله لا من حيث كون الإمام إماما، وإنما من حيث كونه معصوما حيث لا يكون للناس عذر عصيانه تصديقا لقوله تعالى: (لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) ^(٥)، والأئمة حجج الله كالرسل سواء بسواء لأن الإمام منصوب من قبل الله تعالى لهداية البشر ^(٦).

(١) نهج البلاغة ، ص ٢٤٥ .

(٢) الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ٥٤ .

(٣) الحلي، الألفين ، ص ٧٤ .

(٤) سورة البقرة ، آية ٤٤ .

(٥) سورة النساء ، آية ١٦٥ .

(٦) الوائلي، هوية التشيع، ص ١٤٦ .

الفصل الاول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

٢ . الادلة القرآنية ومنها ما يأتي:-

الدليل الاول : اقران طاعة القائد بطاعة الله تعالى ورسوله ، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(١) فتكون طاعة واجبه كما هي طاعة الله ورسوله^(٢) ومن هنا لابد ان يكون الطاعة المشار اليها في الآية مختصه بمن هو معصوم ، اذ لو لا عصمه اولي الامر لما امرنا الله تعالى بطاعتهم^(٣).

والمراد بـ (أولي الامر) هم الائمة الاثني عشر من آل محمد (عليه السلام) بأثبات الروايات المتصلة عن اهل البيت (عليهم السلام)^(٤) فعن الامام الباقر (عليه السلام) قال: " الائمة من ولد علي وفاطمة (صلوات صلوات الله عليها) الى ان تقوم الساعة " ^(٥)، وعن الامام علي (عليه السلام) انه قال: " انما الطاعة لله عز وجل ورسوله ولولاة الامر ، وانما امر بطاعة اولي الامر لانهم معصومون مطهرون لا يأمرن بمعصية " ^(٦) اي ان الله سبحانه يقرن طاعة ولي الامر بطاعته الا لكونه معصوم عن الذنب والخطأ .

الدليل الثاني : عدم تولي الظالمين للإمامة ، قال تعالى مخاطباً نبيه ابراهيم (عليه السلام) (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)^(٧) وهنا الفخر الرازي يصرح بدلالة العصمة في القيادة الاسلامية المتمثلة بـ (الامام المعصوم) بقوله والمراد بهذا العهد إما عهد النبوة أو عهد الإمامة ، فإن كان المراد عهد النبوة وجب أن لا تثبت النبوة للظالمين، وإن كان المراد عهد الإمامة وجب أن لا تثبت الإمامة للظالمين وإذا لم تثبت الإمامة للظالمين وجب أن لا تثبت النبوة للظالمين ، لأن كل نبي لا بد وأن يكون إماماً يؤتم به ويقتدى به^(٨) ، فدل ذلك على أن منصب الإمامة والرياسة في الدين لا يصل إلى الظالمين^(٩) وأن الظالمين لا يجوز أن يكونوا بمحل من يقبل منهم أوامر الله تعالى ، لأنهم غير مؤتمنين على أوامر الله تعالى وغير مقتدى بهم فيها فلا يكونون أئمة في الدين^(١٠) الا ان الرازي يرى ان المعصوم هو الامة وليس

(١) سورة النساء ، ايه ، ٥٩ .

(٢) الحلي ، كشف المراد ، ص ٣٩١ .

(٣) الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب ، ١ / ١٤٤ .

(٤) البحراني ، تفسير البرهان ، ١ / ٣٨١ .

(٥) الصدوق ، كمال الدين وتمام النعمة ، ٨ / ١٢٢٢ .

(٦) الصدوق ، علل الشرائع ، ١ / ١٢٣ ؛ ينظر : الكليني ، الكافي ، ١ / ٣٠٤ .

(٧) سورة البقرة ، اية ١٢٤ .

(٨) الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب ، ٣ / ١٠ .

(٩) الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب ، ٤ / ٣٧ .

(١٠) الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب ، ٤ / ٤٧ .

الفصل الأول : القيادة واثارها في استراتيجية بناء الدولة

فرد محدد بقوله: " نحن نعترف بأنه لا بد من معصوم في كل زمان ، إلا أنا نقول : ذلك المعصوم هو مجموع الأمة" (١) .

الدليل الثالث: قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ) (٢) اثبت نزولها نزولها في أهل البيت (٣) معنى ذهاب الرجس أنه نفي كل ذنب وخطأ عنهم والإرادة هنا تكوينية لا تشريعية لوضوح أن التشريعية مراده لكل الناس ، ولكنها طهارة خاصة لأهل البيت ، ولا يلزم منه الإلجاء (٤) .

وهذه الآية معروفة النزول في اصحاب الكساء وهم رسول الله (ﷺ) وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين (٥) والآية صريحة في عصمة اصحاب الكساء بدليل اذهاب الرجس عنهم والتطهير لهم على الاطلاق من كل ما يكره الخالق سبحانه من المخلوقين، ولهذا اطلق الفعل (يطهركم) واكده بالمصدر (تطهيرا) ولم يغيره بشيء من المتعلقات ارادة بانها طهارة عامة ، ولا معنى للمعصوم الا أنه مطهر من جميع ما يكره الخالق من المخلوقين (٦) .

٣ . الادلة النبوية

اكذ النبي محمد (ﷺ) على عصمة القيادة وضرورة التمسك بها لأنها تنجي الامة من الهلاك ولا يجوز التقدم على هذه القيادة او التأخر عنها ؛ لان (ﷺ) قرنها بالقرآن المنزل بقوله: " اني قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا بعدي الثقيلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي الا وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض " (٧) فقرن عصمتهم عصمتهم بعصمة القرآن الكريم، فكما ان القرآن لاشك ولاريب فيه (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) (٨) كذلك اهل البيت لم يساورهم الشك بل على يقين من امر ربهم فأمر المؤمنين (الْمُؤْمِنِينَ) يقول: " لو كشف لي الغطاء ما ازدت يقينا " (٩) .

وان للعصمة اهميتها واثارها على صعيد القيادة نفسها والمجتمع في عدة امور منها:

(١) الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب ، ٢٢١/١٦

(٢) سورة الأحزاب ، اية ٣٢ .

(٣) احمد بن حنبل ، مسند ، ٣٣١/١ ؛ ينظر مسلم النيسابوري ، صحيح ، ١٣٠/٧ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ٣٠/٥ .

(٤) الوائلي : احمد ، هوية التشيع ، ص ١٦٠ .

(٥) احمد ابن حنبل ، فضائل الصحابة ، ٦٧٢/٢ .

(٦) البحراني ، هاشم بن سليمان ، عمدة النظر في بيان عصمة الأئمة الإثنى عشر (عليهم السلام) ، ص ٤٥ .

(٧) احمد بن حنبل ، مسند ، ٥٩/٣ ؛ ينظر : مسلم النيسابوري ، صحيح ، ١٢٢/٧ ؛ الترمذي ، سنن ، ٣٢٩/٥ .

(٨) سورة البقرة ، اية ١ .

(٩) ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ٣١٧/١ ؛ ينظر : العلامة الحلي ، منتهى المطلب ، ٤٤/٣ .

الفصل الاول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

(١) لكونه حافظ و منفذ للشرع علما وعملاً، فيجب ان يكون معصوماً ليؤمن منه الزيادة والنقصان في الشريعة ويؤمن منه الظلم والجور .

(٢) لان الامامة الامتداد الطبيعي للنبوته فما دل على عصمة النبي دل على عصمة الامام ، لان النبوته والامامة من الله سبحانه فلا يجوز بعثه غير المعصوم في النبوته ولا غير المعصوم في الامامة لأنه قبيح عقلاً لكونه منصوب من الله سبحانه.

(٣) الامام يجب ان يكون غير جائز الخطأ والا لاحتاج الى مسدد وحتى لا تتسلسل في اعداد المسددين وجب ان يكون القائد معصوم.

(٤) القيادة اسوة وقدوة فيجب ان التأسي بالمعصوم عن الخطأ.

(٥) لكونه يمثل السلطة الرقابية العليا في الدولة فلزم العصمة ، وان لم يكن معصوماً لوجب وجود مسدد فيؤدي الى سلسلة لا منتهية من الهرم الرقابي.

(٦) لتمييزه عن العامة فلو لا صفة العصمة تساوى المأموم مع الامام والتابع والمتبوع ، وهذا لا يصح لقولة تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (١) (٢).

(٧) لأنه امام الرعية يجب ان يكون معصوماً ليؤمن من الظلم والجور والتعدي في الحدود والقصاص ضمان الثقة المتبادلة بين القيادة وشعبها لعصمته.

(٨) بقي الامامة من الفتن لأن قيادته وطاعته تمنع البدع والضلالة فجميع قراراته عن يقين وعلم بعيدة عن الشبهة والضلالة.

اما المعصوم في فكر ابن خلدون فهو: " مَنْ يمتنع منه فعل القبيح بخاصية في نفسه أو بدنه عند قوم ، أو بمعنى عدم القدرة عليه ... ويمكن منه عند اخرين ، لكن يخلق فيه مانع من الفعل (٣) ... ولو كانت بالمعنى الاول لبطل المدح والامر والنهي (٤) ؛ وايضاً " قل انما انا بشر مثلكم " (٥) يدل عليه ، فالعصمة حصول ملكة الصفة في النفس مع العلم بالثواب والعقاب وخوف المؤاخذه على ترك الاولى (٦). الا ابن خلدون فانه لم يشر في نظريته الى عصمة القيادة التي يقول بها الامام علي بن ابي طالب بكونها احد صفات او شروط الحاكم ، وقد انكر على الشيعة قولهم بضرورة وشرط بعصمة القيادة بقوله: " اعلم أن الشيعة ... ومذهبهم جميعا متفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة

(١) سورة الزمر ، آية ٩.

(٢) البحراني ، عمدة النظر في عصمة الائمة الاثني عشر ، ص ٤٣-٤٤.

(٣) ابن خلدون ، لباب المحصل في اصول الدين ، ص ١٧٨.

(٤) ابن خلدون ، لباب المحصل في اصول الدين ، ص ١٧٩.

(٥) سورة ال عمران ، آية ٣١.

(٦) ابن خلدون ، لباب المحصل ، ص ١٧٥.

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من الكبائر والصغائر وإن عليا رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهاذة السنة ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة" (١).

وايضا نجد ابن خلدون قد حمد سيرة المهدي مؤسس دولة الموحدين الا انه اتهمه بالبدعة لأتفاقه مع مذهب الامامية الاثنى عشرية بالقول بعصمة (الامام/ القائد) بقوله: " المهدي ... كان حصورا لا يأتي النساء وكان يلبس العباءة المرقعة وله قدم في التقشف والعبادة ولم تحفظ عنه فلتة في البدعة الا ما كان من وفاقه الامامية من الشيعة في القول بالإمام المعصوم والله تعالى أعلم" (٢).

٧.الصدق : صفة مهمة في القيادة ،لان القائد الصادق موضع ثقة شعبه وتأييده ،فهو دعامة من دعائم المنهج الاستراتيجي لإدارة الدولة ويقوي وشائج التأييد الشعبي الدائم والداعم للقيادة من المحبة والاحترام لما وجدوه من تلازمة الصدق والوفاء لأقواله وافعاله ، قال (عليه السلام): " ان الوفاء توأم الصدق " (٣)، فالوفاء مولود مع الصدق او الوجه الحقيقي الناصع للمصادقية ، وليس للوقاية اوقى منه ، وليس من شيم الرجال الذين يحملون الاخلاقية القيادية ويتعاملون على وفقها ، وينسلخوا عن الصدق والوفاء ، لكونه منبثقا من الايمان (٤).

ويجب ان يتصف القائد بالصدق لأنه ترجمان القرآن والمبين للناس فرائضهم وواجباتهم وما لهم من حقوق لقوله (عليه السلام) في بيان اهليته للقيادة هو واهل بيته لصدقهم: " فأين يتاه بكم وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم ازمة الحق واعلام الدين والسنة والصدق ، فانزلوهم بأحسن منازل القرآن " (٥) .

الصدق معيار الايمان واحد مصاديقه لقوله (عليه السلام) : " الايمان ان تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك ، وألا يكون في حديثك فضل عن عملك ، وان تتقي الله في حديث غيرك " (٦) أي ان يتطابق قول القائد مع عمله لا ان يوعد الناس بالكلام المعسول والوعود ولا يرون شيء على ارض الواقع فالصدق يعد رابطة استراتيجية بين القائد والرعية ومتى ما كان الكذب من سمات

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١ / ١٥٥ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٦ / ٢٢٩ .

(٣) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٨٣ .

(٤) المحنك ، هاشم حسين ناصر ، الادارة والاسلوب القيادي في نهج البلاغة ، ص ٢٠١ .

(٥) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ١٢٠ .

(٦) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٥٥٦ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

القائد انفضوا من حوله . لتزعزع الثقة التي فقدت بقطع رابط الصدق يفقد اعوانه ومساندة شعبه لهذا قال امير المؤمنين (عليه السلام): " ان الوفاء توم الصدق ، ولا اعلم جنة اوفى منه ، وما بقدر من علم كيف المرجع" (١).

وحذر الامام (عليه السلام) من فقدان المصداقية بالكذب ، فالقائد يضر بمكانته بين الاخرين العاملين معه والمحيطين به ، وتعاونهم معه ، ويدمر كل استراتيجياته ، حينما يفقد مصداقيته أمام رعيته، وقوله (عليه السلام) : " فليصدق رائد اهله، وليحضر عقله ، وليكن من ابناء الآخرة ، فانه منها قدم ، واليهما ينقلب" (٢).

وبهذا تظهر اهمية القائد الصادق لقدرته في بناء نظام حكم موثوق به من قبل الشعب ويكسب اسناده ونصرته وطاعته فيوسع من دائرة جماهيريته ومقبوليته لصدده واخلاصه، لأنه لم يختلف سره وعلايته وفعله ومقالته فقد ادى الامانة واخلص القيادة (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (٣) وفسرت هذه الآية واضحة الدلالة في حصر الصادقين بالأئمة المعصومين عليهم السلام، فقد سئل أبا جعفر (عليه السلام): " عن قول الله عز و جل (اتقوا الله و كونوا مع الصادقين) قال :إيانا عنى" (٤) وكذلك سئل الامام الرضا (عليه السلام) عن قول الله عز و جل (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال :الصادقون هم الأئمة و الصديقون بطاعتهم" (٥) ، وذكر الثعلبي رواية رواية عن ابن عباس في هذه الآية قال : " مع علي بن أبي طالب وأصحابه " (٦) ، وفي رواية اخرى " مع آل محمد (صلى الله عليه[واله] وسلم)" (٧) والآية الشريفة تدل على عصمة الصادقين ، اذ أن أن الله أمر المؤمنين بالكون مع الصادقين مطلقا ، ومعنى الكون هنا أن نتمسك بهم ، وأن نتبع أوامره ، أن نأخذ بأخبارهم ، ونعمل بمفادها ، وأن نطيعهم في كل شيء ، ولا بد أن يكون هذا الصادق ، صادق في كل شيء ، في عقيدته وأفعاله وأقواله وهذه الصفات من العصمة فالصادق في كل شيء هو المعصوم ، وقد استشف هذا المعنى العلامة المجلسي بقوله بصدد هذه الآية : " و وجه الاستدلال بها أن الله أمر كافة المؤمنين بالكون مع الصادقين، و ظاهر أن ليس المراد به الكون معهم بأجسادهم بل المعنى لزوم طرائقهم و متابعتهم في عقائدهم و أقوالهم و أفعالهم، و معلوم أن الله تعالى

(١) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٨٣ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٢١٥ .

(٣) سورة التوبة، آية ١١٩ .

(٤) الكليني ، الكافي ، ٢٠٨/١ .

(٥) الكليني ، الكافي ، ٢٠٨/١ .

(٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ١٠٩/٥ .

(٧) الثعلبي ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ١٠٩/٥ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

لا يأمر عموماً بمتابعة من يعلم صدور الفسق و المعاصي عنه، مع نهيه عنها، فلا بد من أن يكونوا معصومين لا يخطئون في شيء حتى تجب متابعتهم في جميع الأمور، و أيضاً اجتمعت الأمة على أن خطاب القرآن عام لجميع الأزمنة لا يختص بزمان دون زمان، فلا بد من وجود معصوم في كل زمان ليصح أمر مؤمني كل زمان بمتابعته^(١) فقد ذكر الفخر الرازي ، في تفسير أن قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) بقوله: " فكانت الآية دالة على أن من كان جائز الخطأ وجب كونه مقتدياً بمن كان واجب العصمة ، وهم الذين حكم الله تعالى بكونهم صادقين ، فهذا يدل على أنه واجب على جائز الخطأ كونه مع المعصوم عن الخطأ حتى يكون المعصوم عن الخطأ مانعاً لجائز الخطأ عن الخطأ ، وهذا المعنى قائم في جميع الأزمان ، فوجب حصوله في كل الأزمان " (٢).

٨. **العدالة:** العدل هو رعاية الموضع الحقيقي للأمر، وعرف الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) العدل بقوله: " العدل يضع الأمور مواضعها " (٣) العدل إذا أساس القانون في نظام الخليقة الذي لولاه لأنهار لأنهار النظام المذكور وفقد تماسكه لهذا، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) " العدل أساس به قوام العالم " (٤) فعدالة الحاكم وإيمانه بتحقيقها هي احد الصفات الاساسية الواجب توفرها في القائد لأنها اساس تحقق العدالة الاجتماعية العامة التي هي احد اهداف بناء الدولة عند الامام علي (عليه السلام). ومن كانت عقائده غير صحيحة لا تكون أخلاقه وأعماله صحيحة ، ولا يتسنى له أن يطبق العدالة في المجتمع كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " ما كرهته لنفسك فأكرهه لغيرك ، وما أحببته لنفسك فأحبيه لأخيك ، تكن عادلاً في حكمك ، مقسطاً في عدلك ، محباً في أهل السماء ، مودوداً في صدور أهل الأرض " (٥) من هنا نرى أن العدالة بمفهومها المطلق شرط من شروط القيادة في الإسلام .

العدل يقوي العلاقة بين القيادة والرعية لبناء جسور الثقة بعدل القيادة ، ومن صور عدالة الامام (عليه السلام) ما رده على المسلمين من قطائع عثمان: " والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته ، فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق " (٦) ولعل المقصود أن في العدل سعة الإمام والأمة معاً ، فإن الأمة تظمن نفوسها تحت لواء العدل فتنقاد قهراً للحكومة العادلة الحافظة لحقوقها ، وبذلك يرى الحاكم أيضاً سعة وراحة لأداء واجب العدل ، وأما جور الحاكم عاقبة

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ٢/٥٣٢.

(٢) الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب، ٨/١٧٦.

(٣) نهج البلاغة ، ص ٥٥٣.

(٤) المجلسي ، بحار الانوار، ٦٧/١٩.

(٥) ابن شعبه الحراني ، تحف العقول عن ال الرسول صلى الله عليه واله وسلم، ص ١٤.

(٦) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٥٧.

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

سنة من مخالفة الأمة له وثورتها عليه فيضيق الأمر على الإمام والأمة معاً وأشار الإمام الى هذا بقوله ايضا" ... وإن أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية ، وإنه لا تظهر مودتهم إلاّ بسلامة صدورهم ، ولا تصحّ نصيحتهم إلاّ بحيّطتهم على ولاة الأمور وقلة استتقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدّتهم" (١).

يظهر من نتائج حكم الإمام العادل إحياء السنّة وإماتة البدع والضلالة لعدم ضلالة الأمة وهداية الأمة نحو عقيدتها الحقّة الهادية وقد اوضح ذلك في خطابه (عليه السلام) لعثمان: "فاعلم أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُدي وهُدَى ؛ فأقام سنّة معلومة وأمات بدعة مجهولة" (٢) و وجهه أنّه إذا كان الحاكم على النظام هو العدل ففي ظلّه تحفظ وتضامن حقوق جميع الأفراد والطبقات ، وأمّا إذا فشا الجور والظلم صار مثله مثل النار إذا أصابت الديار يحرق بها الرطب واليابس (٣)، وقوله (عليه السلام) مخاطباً احد عماله على فارس وأعمالها: "استعمل العدل واحذر العسف والحييف، فإنّ العسف يعود بالجلء ، والحييف يدعو إلى السيف" (٤) العسف : الشدّة في غير حقّ . والجلء : التفوّق وترك الأوطان . والحييف : الميل إلى الظلم . وظلم الحاكم وعمّاله هو العامل الأساسي لثورة الأمة وقيامهم بالسيف في قبال الحكومة (٥).

وفي ظلّ العدل الاجتماعي وإعطاء المناصب والأعمال على أساس القابليّات والتخصّصات تنمو القابليّة وتبرز الاستعدادات الكامنة لبناء دولة على اسس صحيحة مبنية على اسس استراتيجية ثابتة. اما في نظرية ابن خلدون كذلك يشترط العدل في الحاكم حسب ما ذكره من شروط الماوردي في هذا الباب بان يكون عادلاً (٦) بقوله : " وأما شروط هذا المنصب فهي أربعة العلم والعدالة ... وأما العدالة فلأنه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها فكان أولى باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وأمثالها وفي انتفائها بالبدع الاعتقادية خلاف" (٧) لأنه في منصب يكون فيه مشرفاً على جميع مؤسسات الدولة والمناصب الادارية الادارية الاخرى فعليه ان يقيم الامور ويديرها بعدالة .

(١) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٤٣٣ .

(٢) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٢٣٥ .

(٣) المنتظري ، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ، ١٨٧/٢ .

(٤) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٥٥٩ .

(٥) المنتظري ، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ، ١٨٧/٢ .

(٦) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٦ .

(٧) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٦/١ .

الفصل الأول : القيادة وأثرها في استراتيجية بناء الدولة

وذكر ابن خلدون أهمية العدالة في الحكم ناقلاً لقول الموبدان^(١) بخصوص ذلك : "... الرعية عبيد يكتفهم العدل ، العدل مألوف وبه قوام العالم"^(٢) اي يجمعهم الى الحاكم وتتوثق العلاقة مع الدولة حينما يعم العدل لأنه بالعدل يؤلفهم ولا يفرهم منه ، حتى تقوم قائمة الدولة بال عمران والاستمرار بل ان في العدل سعة و تسعى الى عمران العالم وقيامه . الا انه من المآخذ على صفة العدل في نظرية ابن خلدون ما يأتي :-

١. ان فلسفة العدل في نظرية ابن خلدون انها موجوده حتى مع فسق جوارح الحاكم وارتكاب المحظورات وهذا ينافي صورة العدل الالهي لان الذي يأتي المحظورات ويظلم نفسه فليس بمأمن ان لا يظلم غيره .

٢. ان صفة العدالة حسب رؤية ابن خلدون نجدها مطلب في صفات الحاكم في مراحل الحكم الاولى من صفات خليفة المسلمين لما كان الحكم بالوازع الديني ، ولكن لما انقلبت الخلافة الى ملك وعصبية وصار الحكم بهما ، نجدهما يتناقضان مع صورة العدالة لكون حكم العصبية قائم على القهر والقوة وهذه حقيقة واقعية اشار اليها ابن خلدون بقوله : " وأكثر الأحكام السلطانية جائرة في الغالب إذ العدل المحض إنما هو في الخلافة الشرعية وهي قليلة اللبث قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضوا"^(٣) وهذين المبدئين على النقيض مع صفة العدالة الا ان ابن خلدون يجوز حكم العصبية حتى لو كان ظالما.

٨. التواضع : - يؤكد الامام (عليه السلام) ان احدى الصفات التي تمكن الشخص للقيادة هي صفة التواضع لله وفي نفسه وامام الناس وله في التواضع واثره واهميته خطب طويلة منها ما جاء في خطبته التي يذم فيها التكبر وانه صفة شيطانية وان التواضع صفة رحمانية بقوله: " واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر . فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه . ولكنه سبحانه كره إليهم التكابر ورضي لهم التواضع . فألصقوا بالأرض خدودهم ، وعفروا في التراب وجوههم . وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين"^(٤) فالتواضع من الصفات الاخلاقية التي تعكس قوة الشخصية القيادية وثقتها بنفسها ، لتجسيده سلوكا ثقافيا مرناً في التعامل والتواصل مع الرعية بمختلف طبقاتهم او مستوياتهم ، بدون تفرقه ، فبديهيها التكبر افة القيادة ، لكونها حاجزا بين

(١) الموبدان للفرس كقاضي القضاة عند المسلمين ينظر : ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/٣٦٩؛ ابن منزور ، لسان العرب ، ٣/٥١١.

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١/٣٠.

(٣) العبر ، ١/٢٩٠.

(٤) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٢٩٠.

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

القائد والجماهير منعزلاً عنها لا يعيش معاناتها ولا يطلع على طموحاتها بقوله " فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا نَكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ وَلَا تَتَّظُنُّوا بِي اسْتِنْقَالًا فِي حَقِّ قِيلٍ لِي ، وَلَا التَّمَّاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي ، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَنْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ ، أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَنْقَلَ عَلَيْهِ...، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجْنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى" (١).

ولهذا اصطفى الله سبحانه انبياءه قادة للبشرية لتواضعهم ، لكونهم على تماس دائم مع اممهم ، فأوحى الله تعالى الى موسى قائلاً : "يا موسى تدري لما خصصتك بوحىي وكلامي من بين خلقي ؟ فقال : لا أعلم يا رياه ، قال يا موسى : اني اطلعت على خلقي اطلاعة فلم ار في خلقي شيئاً اشد تواضعاً فيك ، فمن ثم خصصتك بوحىي وكلامي من بين خلقي ..."(٢) ان التواضع يعيش القائد حالة لا يرى لنفسه مقاماً ومكاناً ، اي ان جذره عقدي ايماني وليس اخلاقي فقط ، حيث يسلم تسليماً تاماً لله سبحانه مهما بلغ من العلم والمقدرة والدولة.

والتواضع هو حالة معرفة الانسان حقيقة قدر نفسه امام الله فينزلها منزلتها بقلب سليم، تكشفها صفات المتواضع التي اوضحها الامام (عليه السلام) بقوله : "التواضع درجات ان يعرف المرء قدر نفسه ، فينزلها منزلتها بقلب سليم ، لا يحب ان يأتي الى احد الا مثل ما يؤتي اليه ، ان رأى سيئة درأها بالحسنة ، كاظم الغيظ ، عاف عن الناس والله يحب المحسنين"(٣) ، ويمكن من خلال هذه الحديث ان نعرف ما اهمية صفة التواضع في القائد وكالاتي:-

١- ان منزلة التواضع منزلة توحيدية خالصة لله تعالى فهي صفة الملائكة والانبياء لعلو منزلة التواضع عند الله سبحانه.

٢- ان القيادة المتواضعة لا ترى لنفسها قيمة امام الله سبحانه وهذا قمة الذوبان في الله ومن كمال الايمان به سبحانه.

٣- ان يعامل الناس بتواضع وليس كما يحب ان يعامله الناس بالمثل قوله (عليه السلام): "التواضع ان تعطي الناس ما تحب ان تعطياه"(٤) فهذا يكسب مودة الرعية واحترامهم ، فلا يرونه متكبراً عليهم بل خافضاً جناحه مواسياً لهم .

(١) نهج البلاغة ، ص ٣٣٥ .

(٢) الصدوق ، علل الشرائع ، ٥٧/١ .

(٣) الحويزي ، تفسير الثقلين ، ٥٧/٤ .

(٤) الكليني ، الكافي ، ١٢٤/٢ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

٤- من ثمار القيادة المتواضع انه لا يقابل الاساءة بالإساءة وتكون الرعية منه بأمان لخلقه.

وكذلك اشار ابن خلدون الى صفة التواضع بانها من صفات الحاكم وان من وجدت فيه استحق ان يكون سائس للناس وحاكم الا انه قرن التواضع بضرورة وجود القوة العصبية الغالبة فيه ايضاً بقوله في ذلك "فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة..."^(١) واقرانه التواضع بالعصبية يعد من التناقض ويحول دون تفعيل صفة التواضع ونتيجة لهذا الاقتران بالعصبية التي من نوازعها القهر ومبدأ القوة في التعامل نلاحظ ان فلسفة صفة التواضع لا تبقى على حالها ثابتة ويصورها لنا ابن خلدون في صورتين وهما كالآتي :-

الصورة الاولى : ان هذا التواضع تكون صورته محدودة ومؤقته ومرحلية فقط مع ابناء عصبية التي سياتي لها فيما بعد عند وصوله الى سدة الحكم والملك ويتحول تواضعه لأهل عصبية الى الاحتقار والقتل واجمل ابن خلدون هذه الصورة بقوله : " وإذا تعين له- اي الحاكم - ذلك فمن الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والأنفة فيأنف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استتباعهم والتحكم فيهم ويجيء خلق التآله الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكام لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدت"^(٢) ويؤيد ابن خلدون صفة التكبر والانفة في الحاكم على الامة بانها من ضرورات الملك التي تساعد الحاكم بانفراده في الحكم واستبداده به.

الصورة الثانية : هي صورة متداخلة مع الاولى او تكون نتيجة طبيعية لاقتران التواضع بالعصبية فنحول العصبية دون تفعيل التواضع على ارض الواقع ويجد ابن خلدون ان هذا التواضع لا يستمر على وتيرة واحدة ايضاً ويتحول الى تكبر ويتلاشى التواضع مع مرور الزمن والتأثر بالماديات وابهة الملك وسلطانه فيتكبر الحاكم على الرعية فلا يقبل منهم البيعة للحكم بالمصافحة باليد تكبراً وانفة لان الحاكم يرى فيها نوع من التنزل والابتذال المخالف لمنصب الحاكم عندما يصافح العامة وصور ابن خلدون هذا الانقلاب الاخلاقي بقوله : "واما البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الأرض أو اليد أو الرجل أو الذيل أطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازاً لما كان هذا الخضوع في التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى صارت حقيقية عرفية واستغنى بها عن مصافحة أيدي الناس التي هي الحقيقة في الأصل لما في المصافحة لكل أحد من التنزل والابتذال المنافيين للرئاسة وصون المنصب الملوكي إلا في الأقل ممن يقصد التواضع من الملوك فيأخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير أهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة في العرف فإنه

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١١٣/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٣٢/١ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

أكيد على الانسان معرفته لما يلزمه من حق سلطانه وإمامه ولا تكون أفعاله عبثاً ومجاناً واعتبر ذلك من أفعالك مع الملوك والله القوي العزيز " (١). فنلاحظ من خلال المقارنة ان فلسفة تواضع القيادة عند الامام علي (عليه السلام) تختلف عنها عند ابن خلدون من حيث ما يأتي :-

١. ان خلق التواضع عند الامام علي (عليه السلام) خلق نبوي يجب أن يكون احدى الملكات للقيادة للتمتع بنجاح واستمرارية العلاقة مع الرعية والاطلاع على احوالها لان التكبر يمنع الحاكم من الاتصال والنتزل الى واقع الناس والجلوس معهم والعيش اسوة بافقر الناس لان الامام علي (عليه السلام) يرى ذلك واجب على القادة .

٢. ابن خلدون قرن التواضع بالعصبية فأضاع قيمة التواضع التي تحولت الى صفة الاحتقار والتكبر على الرعية فيما بعد لان العصبية لا يمكن ان تعطي تواضعاً للجميع لأنها تأنف من غير عصبيتها ولا تتعامل معه بالسواء بل حتى عصبيته يتكبر لها ويحتقرها ويتكبر عليها ويصل به الحد انه يتكبر عن مصافحة الناس العامة ولا يمد لهم يده للمبايعة بالحكم والتي هي صورة البيعة التي اقرتها الشريعة الاسلامية والتي كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يبايع الناس على هذه المصافحة بالإسلام الا ان ابن خلدون يعترف بهذا التغير الذي طرأ على البيعة بانه من متغيرات احوال الملوك وان اوضاع الملوك يتطلب لها نوع من التنزه والترفع عن العامة ولا يصفاح الا امثاله ومقربيه من رجال الدولة ، وهذا رأي مادي لابن خلدون ويعترف بالاجتهادات البشرية حتى لو كانت على خلاف السنة النبوية.

٩. الامانة : الأمين : من يتولى رقابة شئ ، أو المحافظة عليه (٢)، وعرفه الطوسي " هو الذي استودع الشئ على من أمن منه الخيانة " (٣).

ويرى الامام علي (عليه السلام) ان من صفات القائد الامانة بقوله: "ثلاثة من كنّ فيه من الأئمة صلح أن يكون إماماً : اضطلع بأمانته إذا عدل في حكمه ، ولم يحتجب دون رعيته ، وأقام كتاب الله تعالى في القريب والبعيد " (٤) ، فالامام علي (عليه السلام) يؤكد صفة الامانة كضرورة اساسية في القائد، لأنه موضع ثقة الله وثقة الناس لقوله (عليه السلام): "حق على الامام ان يحكم بما انزل الله وان يؤدي الامانة، فأذا فعل ذلك حق على الناس ان يسمعوا له وان يطيعوا وان يجيبوا اذا دعوا " (٥)، و في كتاب له

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٦٥/١ .

(٢) ابو حبيب ، سعدي ، القاموس الفقهي ، ص ٢٦٠ .

(٣) التبيان في تفسير القرآن ، ٤٩/٨ .

(٤) المتقي الهندي ، كنز العمال ، ١٦٩/١٣ .

(٥) ابن علي بن الحسين ، زيد ، مسند ، ص ٣٦٢ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

(عليه السلام) لآحد عماله : " وان عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك امانة، وانت مسترعي لمن فوقك"^(١)، وقوله في كتاب لعامله عبد الله بن عباس على البصرة : " اما بعد ، فاني كنت اشركتك في امانتي ، وجعلتك شعارى و بطانتي ، ولم يكن رجل او ثق منك في نفسي لمواساتي ومؤازرتي واداء الامانة"^(٢) وقوله (عليه السلام): "رأس الاسلام الامانة و رأس النفاق الخيانة"^(٣)، وقوله (عليه السلام) : " أفضل الإيمان الأمانة، أقبح الخلق الخيانة "^(٤).

ومن خلال هذه النصوص تظهر اهمية الامانة في القائد بما ياتي:-

١. ان منصب القائد امانة الهبة بنص القرآن .
 ٢. القائد الامين محل ثقة الله والامة، لحفظ بيضة الاسلام وحقوق الناس .
 ٣. تخلق لحمة لبناء دولة قوية .
 ٤. ان لا يجبر منصبه القيادي لمصالحه الشخصية او الفئوية.
 ٥. الامانة عنصر مهم في بناء الدولة ومؤسساتها .
 ٦. الامانة دليل الايمان، والخيانة دليل النفاق.
 ٧. رقي المجتمع بالامانة خلقياً وعلمياً وادارياً.
- ان صفة الامانة في القائد مبدأ قرآني لاختيار القيادة النبوية، فأصطفى الله انبياءه لأمانتهم، لان منزلة الرسالة والنبوة تتطلب الصدق والامانة في نقل تعاليم الوحي وايصالها الى الناس، وتنفيذ التعاليم الربانية بدون زيادة او نقصان، فالأنبياء جميعهم قد اثبتوا امانتهم في مجتمعاتهم عملياً، وكانوا موقع ثقة اقوامهم، لما ورد بحقهم آيات قرآنية تثبت ذلك منها قوله تعالى : (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)^(٥)، وقوله تعالى بأمانة النبي هود (عليه السلام) (كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)^(٦)، وما أنزل بأمانة النبي صالح (عليه السلام)^(٧).

كذلك اثبت التاريخ صدق الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمانته حتى لقب في قومه بالأمين^(٨) من قبل خاصة مجتمعه وعامتهم قبل نزول الوحي^(١) .

(١) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة، ص٣٦٦ .

(٢) نهج البلاغة ، ص٤١٢ .

(٣) الليثي الواسطي ، علي بن محمد ، عيون الحكم والمواعظ ، ص٢٦٤ .

(٤) الليثي الواسطي ، علي بن محمد ، عيون الحكم والمواعظ ، ص١١٧ .

(٥) سورة الشعراء ، الايات ١٥- ١٠٧ .

(٦) سورة الشعراء ، الايات ١٢٣- ١٢٥ .

(٧) سورة الشعراء ، الاية ١٤٣ .

(٨) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/١١٩ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

واكد النبي محمد (ﷺ) على ان يكون القائد والخليفة من بعده صادقاً أميناً وهي شروط اقرها في حديث الدار المشهور ، لما نزل قوله تعالى (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (٢) ، حيث جمع الرسول وبلغ اقرباءه من قريش فقال لهم "يا بني عبد المطلب اني انا النذير اليكم من الله عز وجل ... ومن يؤاخيمني و يؤازرني ويكون ولي ووصي بعدي وخليفتي في اهلي ويقضي ديني " فسكن القوم واعادها ثلاثاً كل ذلك يسكن القوم ولم يجبه الا الامام علي(عليه السلام) فاعلن النبي حينها خلفه علي من بعده بقوله (ﷺ) : " ان هذا اخي ووصي ، وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا..."(٣) .

فالرسول (ﷺ) لا يعطي كل هذه الامانات والمهام والمسؤوليات الكبيرة الا لرجل امين صادق، لأنها امانات ولا تؤمن الا عند الامين لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (٤) وفسر الامام الصادق (عليه السلام) (الامانة بالإمامة) في هذه الآية بقوله: " على الامام ان يدفع ما عنده الى الامام الذي بعده، وامرت الائمة بالعدل، وامرت الرعية ان يتبعوهم " (٥) ومن هنا، فان القيادة (الامانة) هي احد مصاديق الامانات التي اوصى الله سبحانه بأستيداعها عند الامين. وقال الامام الرضا (عليه السلام): "الإمام أمين الله في أرضه وحبّته على عباده وخليفته في بلاده"(٦).

وقد اشار الرسول (ﷺ) لأمانة الامام علي(عليه السلام) وصدقه وانه جدير بحكم هذه الامة بقول: "يا علي انت وصيي ووارثي ... انك لحجة الله على خلقه وامينه على سره وخليفة الله على عباده" (٧)، وقد أعطى الامام علي (عليه السلام) بعض المهام لأمانته ،منها دور تبليغ القرآن في حياة النبي لثقة الله ورسوله بصدقه وامانته ، وروى النسائي "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ببراءة حتى إذا كان ببعض الطريق أرسل علياً فأخذها منه ثم سار بها فوجد أبو بكر في نفسه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني " (٨) ، وقوله (ﷺ) : " لا يؤدي عني الا انا او علي " (٩) ، وايضاً عنه (ﷺ) : " لا ينبغي ان يبلغ عني الا رجل من اهل بيتي" (١٠).

(١) الطبرسي ، اعلام الورى بأعلام الهدى، ١٤٥/١ .

(٢) سورة الشعراء ، اية ٢١٤ .

(٣) الكوفي، محمد بن سليمان ،مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)،ص٣٧١؛ينظر: الطبري ،تاريخ الرسل والملوك، ٦٣/٢؛ ابن البطريق ، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار، ص٧٧ .

(٤) سورة النساء ، ايه ٥٨ .

(٥) الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٩٨/٣ .

(٦) الصدوق ، عيون اخبار الرضا ، ١٩٧/١ .

(٧) المرعشي ، شرح احقاق الحق ، ٣٢٣/٢٢ .

(٨) السنن الكبرى ، ١٢٩/٥ .

(٩) النسائي ، فضائل الصحابة ،ص ١١٧ .

(١٠) المرعشي ، شرح احقاق الحق ، ٤١٣/٢٢ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

وفي نفس سياقات النصوص حذر الامام من الخائن واكد على ابعاده عن منصب القائد ، لعدم اهليته لهذا المنصب ذو المسؤولية الكبيرة الذي تصعب على الانسان الضعيف امام هواه وشهواته ومصالحه الشخصية، فيقصر في اداء ما أوتمن عليه من أمانة الولاية وحفظ حقوق الرعية، لأنه يجلب الذل والخزي للدولة ولنفسه في الدنيا والاخرة ، فتضعف الدولة وتتفكك نتيجة لإدارة غير كفوء، فتضيع الحقوق وتنتهك الحرمات، قال (عليه السلام): " ومن استهان بالأمانة ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد أحل بنفسه في الدنيا الخزي ،وهو في الآخرة أذل وأخزى . وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة ، وأفظع الغش غش الأئمة "(١).

اما في نظرية ابن خلدون فانه لم يشير الى صفة الامانة في الحاكم ؛ لان الحكم هو ملك للحاكم يتصرف به كيفما يشاء من غير مسائلة ،وهذا ما اكده ابن خلدون يصف سياسة حكام العصبية بانهم لا امانة لهم يعتدون على حقوق الرعية بقوله : " أن الحضري إذا عظم تموله وكثر للعقار والضياع تأثله وأصبح أغنى أهل المصر ورمقته العيون بذلك وانفسحت أحواله في الترف والعوائد زاحم عليها الأمراء والملوك وغصوا به ولما في طباع البشر من العدوان تمتد أعينهم إلى تملك ما بيده وينافسونه فيه ويتحيلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلوه في رقة حكم سلطاني وسبب من المؤاخذه ظاهر ينتزع به ماله وأكثر الأحكام السلطانية جائزة في الغالب إذ العدل المحض إنما هو في الخلافة الشرعية وهي قليلة اللبث قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضوضا "(٢) .

١٠. نكران الذات: صفة مهمة لا بد توفرها في القائد من نكران ذاته وايتار مصلحة الامة على كل شيء وهذه الظاهرة من ابرز ما عرف به الامام علي ايام حكومته ، فلم يعرف المسلمون ولا غيرهم حاكم تنكر لجميع مصالحه الخاصة كأمر المؤمنين علي(عليه السلام)، فلم يدخر لنفسه ولا لأهل بيته شيئاً من اموال الدولة ، وتخرج منها تحرجاً شديداً (٣).

ونكران الذات هو الفرق بين الانانية من جهة والتضحية والايثار من جهة اخرى . وقد ضرب الامام علي(عليه السلام) قمة الايثار قبل توليه القيادة وهو فداءه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه ليلة مبينه في فراش النبي، عند هجرته الى يثرب ، فقدم نفسه على نفس رسول الله محبة وايماناً وقال تعالى مادحاً الامام علي وايتاره " وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ "(٤).

(١) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ،ص ٣٨٣.

(٢) العبير ، ١/ ٣٦٨.

(٣) القرشي ، باقر ، حياة الامام الحسين ، ١/ ٢٣١.

(٤) سورة البقرة ، اية ٢٠٧.

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

وقد حمل الامام صفه الايثار في حياته مبدأ وعاش حالة الايثار مع الناس اجتماعياً، فقد اثر نفسه ووعيله وقدم ما عنده لمن جاء يطلب ما يسد جوعه من بيت رسول الله وبعد ان تعذرت ازواج الرسول، قصد (عليه السلام) ذاهباً لزوجته فاطمة الزهراء وجاء بالطعام للجائع عند رسول الله (١) ، فأنزل الله فيهم قوله سبحانه : " وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (٢)، وهذه الآية مما احتج بها الامام علي (عليه السلام) بين الصحابة بالخلافة من بعد رسول الله بقوله: " نشدتم الله هل فيكم احد نزلت فيه هذه الآية "ويؤثرون على انفسهم قالوا : لا " (٣). ولان الايثار ونكران الذات هما تجسيد واحد وبذلك ضرب الامام علي افضل صور القيادة المثالية .

اما صفة الايثار في نظرية ابن خلدون فانه لا يذكرها من بعيد ولا قريب في صفات الحاكم لكون نظريته قائمة على مبدأ القوة والقهر والطمع بالملك والحكم فهو عد الوصول الى الحكم غنيمة للعصبية بقوله: "الغاية التي تجري اليها العصبية هي الملك" (٤) وان الحاكم حسب فلسفة ابن خلدون يبتغي الحكم والسلطة هدفاً ورغبة ذاتية لاننا الشخصية للحاكم فيتنافس عليه للوصول الى الشهوات النفسية والدينيوية من خلاله بقوله : " الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدينيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالبا وقل أن يسلمه أحد لصاحبه إلا إذا غلب عليه فتقع المنازعة وتفضي إلى الحرب والقتال والمغالبة وشئ منها لا يقع إلا بالعصبية " (٥). اي ان حكمه ليس من اجل الصالح العام بل من اجل نفسه وشهواته وهذا يؤدي الى استبداد الحاكم بالملك كما ذهب اليه ابن خلدون ولا يؤثر على نفسه احد .

١١ . الشجاعة : القوة في كل ولاية بحسبها، فالقوة في الحرب ترجع الى شجاعة القلب، والخبرة في الحروب (٦)، وقوة الولاية حسن التدبير الذي يضع الامور مواضعها فكان الامام علي من الشجاعة ما يرفض به الموت حتف انفه وكان يطلب الشهادة دائماً لقوله " والذي نفس ابن ابي طالب بيده ، لألف ضربة بالسيف اهون علي من ميتة على الفراش في غير طاعة الله " (٧) وكان لشجاعته (عليه السلام) الاثر في نمو الاسلام وقيامه ، ومدح الله سبحانه بطولات علي وشجاعته في الاسلام في معركة احد عام

(١) السيوطي ، الدرر المنثور في التفسير بالمأثور ، ٩٥/٦ .

(٢) سورة الحشر ، اية ٩ .

(٣) الطبرسي ، الاحتجاج ، ص ٦٥ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١١٠/٦ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ١٢٢/١ .

(٦) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ٢٥٣ / ٢٨ .

(٧) الإمام علي ، نهج البلاغة ، ص ١٨٠ .

الفصل الاول : القيادة وائدها في استراتيجية بناء الدولة

٥٢ هـ ، على لسان جبريل (عليه السلام): " لا فتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار" (١) ، وقال الامام الحسن المجتبي (عليه السلام): " استوى الاسلام بسيف علي (عليه السلام)" (٢) فهو صاحب المواقف المشهورة يوم بدر والاحزاب وخيبر وحنين .

اما خبرته في الحروب فكان له الباع الاول في التنظيم والهجوم فقد تمرسها منذ صغره وتحت اشراف وتعليم نبوي، وكشف عن ذلك في معرض رده على اشاعة قريش بانه لا علم له بالحروب ، فقال: " لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ، إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ، لِلَّهِ أَبُوهُمْ ، وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي، لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ ، وَهَذَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السَّيِّئِينَ ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ " (٣) ، وكان لشجاعته (عليه السلام) مميزات خاصة منها الاتي:-

(١) ان شجاعته وبطولته امتزجت بالقيم الاخلاقية والمبادئ الإنسانية ، فقد حفظ الجانب المبدئي والقيمي للاسلام ولم يتعد ويسرف او يبغى لقوته وشجاعته بل كان حكيماً في استخدام قوته فمن قوله لابنه الحسن وشاهد على ذلك " لا تَدْعُوَنَّ إِلَى مُبَارَزَةٍ وَإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ ، فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بَاغٍ وَالْبَاغِيَ مَصْرُوعٌ " (٤) .

(٢) سخر شجاعته لله سبحانه ولخدمة الدولة الاسلامية ، فكانت كل اقواله وافعاله وحركاته وسكناته من اجل الله فقط ، فما كان يقتل احد غضباً لنفسه وانتقاماً شخصياً ، فانه (عليه السلام) لما صرع ابن ود بصق ابن ود بوجه الامام فغضب الامام منه، فقام عنه ولم يقتله، ثم عاد وقطع رأسه ، ولما سال عن السبب اجاب بانه غضب ، ولم يرد قتله غضباً لنفسه، بل غضباً لله ورسوله. فكان عمله خالصاً لوجه الله ، فلم تكن اكثر من ضربة بالسيف ولكنها افضل من عبادة الثقلين للإخلاص الذي اعطاها كل هذا التميز لقول رسول الله " لضربة علي خير من عبادة الثقلين" (٥).

(٣) سر شجاعته في كمال ايمانه ، فلما برز لقتال عمرو بن ود ، قال رسول الله : " برز الايمان كله الى الكفر كله " (٦) ، فكان يجندل الابطال بقوة ايمانه فابن عبد ود من الشجاعة ليس له ندا ، ولم

(١) الميرجهاني ، مصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ، ٣/٢١٧ .

(٢) ابن البطريق ، خصائص الوحي المبين ، ص ٢٤٠ .

(٣) الإمام علي ، نهج البلاغة ، ص ٧١ .

(٤) الإمام علي ، نهج البلاغة ، ص ٥٠٩ .

(٥) العاملی، یوسف بن حاتم، الدر النظیم، ص ٢٧١ .

(٦) أبو الفتح الكراچکی، کنز الفوائد، ص ١٣٧؛ ينظر : ابن أبي الحديد، شلرح نهج البلاغة، ٣٦١/١٣ .

المتوسم : المتأمل المتثبت في نظره ، حتى يصرف سمته الشئ . ينظر الطريحي ، مجمع البحرين ، ٦/١٨٣ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

يخرج احد من المسلمين خوفاً منه لما دعاهم رسول الله يوم الخندق لرده، الا امير المؤمنين (عليه السلام) انبرى له يدفعه الايمان والثقة بالله تعالى .

(٤) وكان من ميزت شجاعته وقوته (عليه السلام) انه لا يثني في ضرباته ابداً ، فكانت ضرباته منفردة تكفي الواحدة لأنها الخضم لأنها كافيته منه ومن الكثرة . فقال ابن الاثير: " كانت ضربات علي مبتكرات لا عواناً "(١)، اي ان ضربته كانت بكرة تقتل بواحدة منها لا يحتاج ان يعيد الضربة الثانية .

(٥) انه كان من المتوسمين (٢) فكان يتفرس الرجال ويعرف ما في اصلابهم لا يقتل من يرى في صلبه مؤمناً فكان متوسماً كرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال الرضا (عليه السلام): " اول المتوسمين رسول الله ثم امير المؤمنين من بعده ثم الحسن ثم الحسين ثم الائمة من ولد الحسين الى يوم القيامة "(٣) .

هذه الشجاعة ميزت الامام علي (عليه السلام) وجعلته اهلاً للقيادة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " علي الب امتي واشجعها "(٤)، وقال الشعبي: " كان علي اشجع الناس "(٥) .

اما الشجاعة في نظرية ابن خلدون فانه ادرجها في (الكفاية) بقوله: " وأما الكفاية فهو أن يكون جريئاً على إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيراً بها كفيلاً يحمل الناس عليها عارفاً بالعصبية وأحوال الدهاء قويا على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل إليه من حماية الدين وجهاد العدو "(١) ، ولكن ولكن لا نجد هذه الصفة عند معاوية بن ابي سفيان اول الملوك عند ابن خلدون حسب اسس نظريته العصبية فمعاوية معروف بالجبن والضعف، فلما دعى الامام علي (عليه السلام) معاوية للمبارزة في صفين قائلاً: " ويحك ؛ علام يقتتل الناس بيني وبينك ؟ ويضرب بعضهم بعضاً ؟؟ أبرز إلي ؛ فأينا قتل صاحبه فالأمر له "(٢)، فامتنع معاوية رغم قول ابن العاص له قد انصفك الرجل فرد عليه معاوية: " ويحك ما أحمقك تدعوني إلى مبارزته ودوني عكّ وخدام والأشعرون "(٣) اي انه يخاف مبارزة الامام علي وان عصبية تسد مكانه في ذلك . ومع ذلك يعطيه ابن خلدون حق الحكم والملك لكون لديه عصبية قوية غالبية تقف دونه و تدافع عنه وتحمي ملكه .

١٢ . القدرة والتدبير: ان هاتين الصفتين تجمعان من المعاني القيادية التي يجب ان تتوافر في القائد من الكفاءة والذكاء والقدرة على اداء المسؤوليات الموكلة بها . من القدرة في الحكم بين الناس ترجع الى

(١) ابن الاثير، مجد الدين ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ١/٤٩٩ .

(٢) المتوسم : المتأمل المنتبث في نظره ، حتى يصرف سمته الشئ . ينظر الطريحي ، مجمع البحرين ، ٦/١٨٣ .

(٣) الحلبي ، حسن بن سليمان ، المختصر النافع ، ص ١٦٧ .

(٤) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ٤٧/١١٧ .

(٥) ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٣/٣٦٣ .

(٦) ابن خلدون ، العبر ، ١/١٥٢ .

(٧) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٥/١٩٣ .

(٨) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٥/١٩٣ .

الفصل الاول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة والى القدرة على تنفيذ الاحكام^(١)، وقال الامام علي (عليه السلام): "وانا ... أعرفكم بالكتاب والسنة وأفقهكم في الدين وأعلمكم بعواقب الأمور ..."^(٢)، وشهد له رسول الله الله بالعقوبة والدراية في كل الامور ؛ بقوله (عليه السلام): "يا علي أنت عبقرهم"^(٣) وقول رسول الله لعبد الرحمن بن عوف: "يا عبد الرحمن أنتم أصحابي وعلي بن أبي طالب مني وأنا من علي ، فمن قاسه بغيره فقد جفاني ، ومن جفاني آذاني، ومن آذاني فعليه لعنة ربي. يا عبد الرحمن إن الله تعالى أنزل علي كتابا مبينا وأمرني أن أبين للناس ما نزل إليهم ما خلا علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإنه يستغني عن البيان ، إن الله تعالى جعل فصاحته كفصاحتي ودرابته كدرايتي"^(٤).

اي انه (عليه السلام) يمتلك من الدراية والأعلمية ما يتمكن به من سياسة وتدبير جميع امور الدولة ، وتتويج همة القيادة لأداء الامانة ، فالقائد يحتاج الى الجرأة الكامنة والقوة لاتخاذ قرارات صعبة ، وتحكيم الامور برجاحة عقل وحزم وايمان، وتحمل النتائج ومواجهتها ، والتزام المبادئ السامية والقيم الاسلامية ، فلا يهن ، ولا يكسل ، ولا يضعف ولا يتردد في اقامة الحق، لثقله على النفوس ، فكان الامام علي (عليه السلام) لبلاءه في الإسلام لم يترك له حليفا او صديق .

و قد أشار عليه عبد الله بن عباس وبعض حواربيه : " أنه يجتث قوته بيده " لشدته في إقامة الحدود لعزله ولاة عثمان الذي قلبوا له ظهر المجن فيما بعد ، ولم يشر ذمهم بالمال والامتيازات ، فقال لهم : " أتأمرؤني أن أطلب النصر بالجور ، فيمن وليت عليه ، والله لا أطور به ما سمر سمير^(٥) ، وما أم نجم في السماء نجماً ، لو كان المال لي لسويت بينهم ، فكيف وإنما مال الله ، ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف ، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ، ويضعه في الآخرة ، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله ، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه ولا عند غير أهله ، إلا حرمه الله شكرهم ، وكان لغيره ودهم"^(٦) واجابة الامام تكشف عن ايمانه ،وقدرته وقوة ذكائه في قراءة الحدث والتعامل معه ،وانه لا يحيد عن ما امن به من مبادئ سياسية اسلامية التي اوضحا في نص رده كالآتي:-

(أ) ان الحكم قوامه العدل لا الجور .

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ٢٥٣/٢٨ .

(٢) الطبرسي ، الاحتجاج ، ٩٥ /١ .

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٤٣٦/٨ .

(٤) ابن شاذان ، محمد بن أحمد ، مئة منقبة من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده (عليهم السلام)

من طريق العامة ، ص ١٣٥ .

(٥) السمر : أي ما اختلف الليل والنهار . ينظر : الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ٥٢/٢ .

(٦) الإمام علي ، نهج البلاغة ، ص ١٨٣ .

الفصل الأول : القيادة وائرها في استراتيجية بناء الدولة

(ب) السلطة والحكم امانه في عنقه ، وعليه تأدية الامانة ، فالمال مال الله واعطاؤه في غير حقة تبذير واسراف .

(ج) إن الامام علي لا يفهم من لغة النصر والقوة إلا رضا الله سبحانه، واقامة الحق والعدل في رعيته. وهو مستعد لأن يضحي بكل ما يملك ليبلغ هذه الغاية .

(د) أنه (عليه السلام) يرفض المساومة على الحق او يؤجل تطبيقه لحين من الزمن وذلك تطبيقاً لمعالم الشريعة الاسلامية التي تقتضي العدالة في احكامها و لا تقبل المساومة (١).

(د) نبيل الوسيلة للوصول الى اهدافه ، وان لا يستخدم الوسائل المحرمة الملتوية، على حساب الدين والضمير .

(هـ) ان عاقبة وضع المال في غير حقه واهله، لا يكسبه ولائهم، ويحرم الشكر ورد الصنيعة بالود منهم.

(و) على القيادة المؤمنة أن تغير الظروف الاجتماعية المريضة وتعالجها لا أن يتأثر بها ، سيما وان الامام جاء الى الحكم اثر ثورة على الحاكم السابق شرارتها اقتصادية لسوء توزيع الحقوق المالية، وسرقة المال العام ، فعليه ان لا يتلاعب بمقدرات الدولة المالية مجددا لخطورة عواقبه.

وكذلك في نظرية ابن خلدون حدد في جملة من صفات الحاكم ان يمتلك الجرأة والتدبير وذلك بقوله : " اما الكفاية فهو ان يكون جريئاً على إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرا بها كفيلا يحمل الناس عليها عارفا بالعصبية وأحوال الدهاء قويا على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل إليه من حماية الدين وجهاد العدو وإقامة الاحكام وتدبير المصالح " (٢) اي ان تكون لديه القوة الحاصلة من قوة العصبية القبيلة التي تحمله على اقامة حدود الله سبحانه وسياسة الدولة بها ضالعاً بالسياسة مطلعاً على احوالها من الدهاء ومعاناة السياسة حتى يتمكن من سياسة الدولة وادارة شؤونها .

لكن فلسفة نظرية ابن خلدون في صفة الجرأة والتدبير تختلف عن ما هي عند الامام علي لكونه ربط التدبير والجرأة في تطبيق الدين بقوة العصبية مما يشوب تطبيقها وتدبيرها نوع من الظلم خاصة وقد اشرفنا من قبل ان تطبيق العدل في نظرية ابن خلدون يشوبه الظلم لكونه يجوز اقتراف الحاكم للمحظورات (٣).

(١) ينظر : محمد السند ، أسس النظام السياسي عند الإمامية ، ص ٢٧٦ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٢/١ .

(٣) راجع ص ٤٨ من الفصل الاول من الدراسة .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

١٣. الكرم : لغة "عطى بسهولة وجاد، وكرم الشيء عَزَّ ونفس" (١) ومعناه اصطلاحاً "هو الإعطاء بسهولة" (٢) اي عطاء بلا انتظار لمردود، وافاده بلا مقابل فالقيادة ان تكون من الكرم وتجسد اخلاقية العطاء بالكلمة وبالعمل المادي والمعنوي، ويوجه الامام (عليه السلام) الى التزام هذا السلوك القيادي لأنه يحتوي الجميع بلا ملل ونكل فيتمكن بسلوكه الانساني ان يحيط الرعاية بكرمه وعطاءه وينظر في حوائجهم فيقضيها، وحقوقهم فيؤديها .

والكرم عند الامام(القائد) نوعين : الكرم المادي بالأموال لمستحقيها والكرم المعنوي الانفس بإعطاء حق الله منها وحق الشعب، قال (عليه السلام): "فَلَا أَمْوَالَ بَدَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا ، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا ، تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ ، فَاعْتَبِرُوا بِزُرُوكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصِلَ إِخْوَانِكُمْ" (٣) . فمن تعريفات الامام للكرم نجد انها صفة لابد من توافرها في القيادة لأهميتها الاتية:-

(١) لأنها تخلق القائد الانساني الاخلاقي المعطاء . فيرفع الحيف ويعم العدل، وتسود المحبة ، بينه وبين الرعاية.

(٢) وتبرز النتائج الاخلاقية فعاليتها في ادارة الدولة لقدرة الكرم على حفظ الحقوق العامة للرعية، وعدم ارهاقها بالسقوف المالية للضرائب المرتفعة، او اشراكه في ارزاقهم ، بل انه يمنع الاعتداء على اموالهم العامة لقوله(عليه السلام): "الكرم اذا احتاج اليك اعفائك واذا احتجت اليه كفاك وللنيم اذا احتاج اليك احفائك واذا احتجت اليه عناك" (٤).

(٣) يثمر سلوك الكرم القيادي بمنهج من العلاقات الانسانية الاجتماعية المقارب بين الناس والقيادة قال (عليه السلام): "الكرم اعطف من الرحم" (٥) اي انه اثر الكرم في استعطاف الرعية وتقوية العلاقات الاجتماعية بينهم لتأمين الحقوق المادية والمعنوية للشعب وثقتهم بعدم الاعتداء عليها من القيادة ، فتكسب القيادة من عطف الرعية ما يفوق ما تكسبه من عطف الرحم سعة وشمولاً .

(٤) ان يكون القائد في قمة الكرم لأنه قدوة لرعيته فمن كرم الامام علي (عليه السلام) وسخاؤه انه كان يطوي في صيامه حتى صام طاوياً ثلاثة أيام يؤثر السائل كل ليلة بطعامه حتى أنزل الله فيه: (هَلْ أَتَى عَلَى

(١) ابن دريد ، جمهرة اللغة ، ٤/١٨٩ .

(٢) الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص ٧٥ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ١٧٤ .

(٤) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ ، ص ٦٣ .

(٥) الامام علي ، نهج البلاغة ، ص ٥١١ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٥٥ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

الإنسان^(١) وتصدق بخاتمته في الركوع فنزلت الآية: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) ^(٢) ^(٣).

وحذر الامام عليه السلام من انواع من الناس ،توضع في منصب القيادة، لتلاعبها بالمقدرات المالية والبشرية للدولة ويسخرونها لخدمة مصالحهم ، وهؤلاء هم:

١. البخيل : بقوله (عليه السلام): " وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وإمامة المسلمين البخيل ، فيكون في اموالهم نهمته" ^(٤) وهو توجيه وتخصيص مهم على مستوى يدخل ضمن العلوم الادارية ، بما فيه علم النفس الاداري وعلم النفس التربوي وما يحمله من ابعاد العلاقات الانسانية الوقائية ، اين ما يكون تطبيقاته ، فلا يجتمع البخل مع الشخص القيادي ، وكذلك سمة القيادي ان لا تتجاوز في انفاقه مستوى التبذير ولا يصل لمستوى هدر الاموال العامة .

٢. السفية والفاجر: لقوله (عليه السلام): " ولكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها ، فيتخذوا مال الله دولا وعباده حولا والصالحين حربا والفاسقين حزبا" ^(٥) السفية هو الجاهل والضعيف الأحمق ؛ الجاهل بالأحكام لا يحسن الإملال ولا يدري كيف هو ، ولو كان جاهلاً في أحواله كلها ما جاز له أن يُداین^(٦)، ينبه الامام من ابعاد هؤلاء عن سدة الحكم لخطورة نتائج حكمهم ومنها الاتي:

أ) الحالة المساوية للامة اثر تولي هذا النوع من الحكام ،اذ تصبح احوال الامة بحالة يرثى لها ، في جميع المجالات ، لذا يعلن الامام حزنه على وضع الامة مسبقا بقوله (ولكنني آسى).

ب) التصرف بإدارة اموال الدولة بغير وجه حق لمصالحهم الشخصية وملذاتهم.

ج) استعباد الناس بتسخير طاقات الشعوب لخدمة الحكام ،واسقاط حقوق الرعية .

د) يحاربون كل من يريد ان يصلح الوضع العام.

هـ) يتولى الفسقة والفاسدون ادارة المؤسسات، فينتج الانحلال والفساد الخلقي والاداري الذي تكون عواقبه وخيمة على الدولة.

وأن النبي (صلى الله عليه وآله) حذر من امارة السفهاء بقوله لكعب بن عجرة ^(٧) : " أعاذك الله يا كعب من

إمارة السفهاء، قال وما امارة السفهاء يا رسول الله، قال :أمراء يكونوا بعدي، لا يهتدون بهديي ولا

(١) سورة الإنسان : الآية ١ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٥٥

(٣) الطبري محمد بن جرير ،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٦/٣٨٩ .

(٤) الامام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ،ص ١٨٩ .

(٥) نهج البلاغة ، ص ٤٥٢ .

(٦) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٣ / ١٩٩ .

(٧) كعب بن عجرة بن أمية بن عدى بن عبيد بن الحارث البلوى ثم السوادى ، من بنى سواد بن مري ، من بلى بن

عمرو بن الحارث بن قضاة ، اسلم وراى النبي (صلى الله عليه وآله) ، نزل في الكوفة وتوفى في المدينة المنورة عام ٥٢ هـ او ٥٣

الفصل الأول : القيادة وأثرها في استراتيجية بناء الدولة

يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردون على حوضي. ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم، و يردون على حوضي" (١).

فالقائد البخيل يعمل ويخطط وينفذ لمصالحه الذاتية وليس لمصلحة الامة ورعايتها، ولا يعبر عن طموحها فتكون مصالح القيادة في وادٍ والامة في وادٍ اخر.

١٤. **صفة العفو** : لا يمكن ان يكون للقائد وأخلاقه ، أن يرقى صوب التكامل الا اذا تلاحقت قدراته على تحمل المسؤولية القيادية ومعرفة كيفية التعامل مع الاخرين بالعفو، وخصوصاً حينما لا يقصد الفرد الخطأ والخلل في الاداء ، لكون العفو أمراً ضرورياً لإصلاح ما حوله من الافراد العاملين او الرعية بشكل عام وتكاتفهم وتكافلهم وتضامنهم، ولا يتم ذلك الا بالعفو المتوجب تفعيله عند القائد لئلا يخرج صوب الظلم والظلمات في تعامله ونبيه الامام (عليه السلام) على ان العفو احد الصفات القيادية لحكم الدولة بقوله : " واحلم عند الغضب ، واصفح مع الدولة ، تكن لك العاقبة " (٢) اي عند تمام المقدرة ، وفي الموقف المناسب يكون العفو دولة تقوى أركانها به ، ونمو بناء صروحها الانسانية ، وقلة شهوة سفك الدماء والظلم ، وبهذا يقول أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام): " اذا كثرت المقدرة قلت الشهوة " (٣) ومما يشمل المقدرة على ؛زيادة العلم والمعرفة وسبل استعمالها واستثمارها ، والى جانبها قوة الاخلاق ومكارم الاخلاق ، حينها انتظم الفكر واستقرت النفس وتقوم السلوك واداء الاعمال ، ومنه بالرشاد والعقلانية والحلم قلت الشهوة اتجاه كل المنحرفات والموبقات وتهديد المخلوقات.

ولحماية الشخص القيادي ووقايته من سلوك الانتقام والظلم والتعسف ما قاله (عليه السلام): " واشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللفظ بهم ، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتتم اكلهم.. " (٤) وان " اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة " (٥) ، وهو مبدأ اداري تنظيمي يكمل ما تقدم ذكره وما سيلحق ، فالذي يقدر على العقوبة هو اولى الناس او اقدرهم على العفو فاستعمالات القوة بالمحرك الانساني في الحكم دليل على القدرة العقلية القيادية النبيلة وهي عقلنة القوة والحد من تماديها في العبيثية واروع

هـ عن عمر ٧٥ سنة ، روى عنه اهل المدينة والكوفة حديث النبي . ينظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٥/٢٨١؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣/١٣٢١.

(١) المتقي الهندي، كنز العمال ، ٥/٧٩٧.

(٢) الامام علي، نهج البلاغة ، ص٤٥٩.

(٣) نهج البلاغة ، ص٥١١.

(٤) نهج البلاغة ، ص٤٢٧.

(٥) نهج البلاغة ، ص٤٧٨.

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

تطبيق لهذا المبدأ حينما يكون الناس في وعي واستيعاب للمقدرة والعفو والعقوبة بحيث يكون العفو مجنداً للطاقات الانسانية نحو الخير^(١) .

وحينما يشعر القائد او الشاغل المنصب أهمية حب الشخص عمل الخير للآخرين كما يحبه لنفسه يكون في أدق ما يرمي اليه علم النفس الاداري او التنظيمي وحينها يكون عطاؤه الخير لعامة الناس يعني بناء قوة او متانة متنوعه داخل البنية الاجتماعية^(٢)، لذا يحث بل يأمر (ﷺ) قائلاً: " فأعطيهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك . وقد استكفأك أمرهم..."^(٣) ، فيخلق الامام حاجز صد في نفس الحاكم عن الظلم بأن يستشعر عظمة القدرة الالهية فوق قوته مهما بلغ من سطوة بمنصبه الاداري ، تغنيه عن حاجته لعفو وصفح الاخرين .

ان العنف في التعامل يولد في الطرف الاخر الشعور بالحقد والبغضاء والنفور ،لذا يكون اقرب الى قناعاتهم عند سلوكه العفو معهم، لا مستغلاً سلطته في البطش والاعتداء بعقوبته لمُخطأ اكثر من استحقاقه، وكان الامام (ﷺ) من الحلم بانه ترك عبد الرحمن بن ملجم في دياره ويعطيه العطاء مع علمه به وقوله فيه مرارا (إنه قاتلي)^(٤) وبعد ضربه من قبله اوصى ابنائه بقوله: " يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفا تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثل الرجل فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور"^(٥)، وعفا عن مروان يوم الجمل مع شدة عداوته له وقوله فيه : " سنتلقى الأمة منه ومن ولده يوما أحمر "^(٦)، وعفى عن سعيد بن العاص وكان عدوا له في غاية العداوة وعن عبد الله بن الزبير وكان يشتمه على رؤوس الاشهاد وأطلقه وقال له: " اذهب فلا أرينك"^(٧)، وعفوه عن أهل البصرة ممن أشترك مع اصحاب الجمل بعد ما هزمهم وكانوا قد ضربوا وجهه ووجوه بنيه وأصحابه بالسيوف ، ونكثوا بيعته ونصروا عدوه ، وعفوه عن عائشة وهي السبب الأعظم في نكث بيعته والإجلاب عليه ولو فعلت عشر ذلك بغيره ثم قدر عليها لمزق جلدتها وقطعها

(١) المحنك، الادارة والاسلوب القيادي ، ص٢٠٧ .

(٢) المحنك، الادارة والاسلوب القيادي ، ص٢٠٧ .

(٣) نهج البلاغة ، ص٤٢٨ .

(٤) التستري ، نور الله ، الصوارم المهركة في جواب الصواعق المحرقة ، ص ١٢٠ .

(٥) نهج البلاغة ، ص٤٢٢ .

(٦) نهج البلاغة ، ص ١٠٢ .

(٧) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٣/١ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

إربا إربا ، ولما منعه وأصحابه معاوية الماء يوم صفين حين ملك أهل الشام الشريعة فقاتلهم وهزمهم وأراد أصحابه منعهم من الماء لكنه رفض هذا السلوك المشين (١) .

الا ان هناك غضباً محموداً لا يحمد معه الحلم وهو الغضب لله ولرسوله وللحق وللعدالة كغضبه لتجاوز حدود الله والتعدي على الرعية بظلم بقوله: " ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون . وانتم لنقض ذم اباؤكم تأنفون " (٢) ، وان من اثار الغضب لله دعم لقوة الدولة بقوله: " من احد سنان الغضب لله سبحانه ، قوي على قتل اشداء الباطل " (٣) .

١٥ . **صفة الحلم** : هي صفة الاناة وضبط النفس وهو سلوك واقٍ من تبعات الغضب يبيع من السيطرة على عقلنة ردة الفعل تجاه الفعل الظالم ، فهو دليل على قوة الشخصية وروح الانقياد للعقل قبل استعمال القوة البدنية فالحلم احد الصفات التي تؤهل الشخص للقيادة لأنه لا ينقاد وراء انفعالاته وهواه بما يملك من قوة سيطرة عليه وعدم تأثيره في قراراته و منهجه بقوله: " اقوى الناس من قوي على غضبه بحلمه " (٤) والتأني في اتخاذ القرار على وفق ما يناسبه من علاج ووقاية فقال (عليه السلام): "الحلم غطاء ساتر ، والعقل حسام قاطع ، فاستر خلل خلقك بحلمك ، وقاتل هواك بعقلك " (٥) والحليم ينجح ادارياً واجتماعياً وفكرياً وتربوياً لأنه يمتلك رؤية استراتيجية لا يتأثر بالغضب الانبي عند اتخاذ قراراته. واما اجتماعياً ينعكس عليه الحلم بما يعوضه من كسب الرعية والانصار الى جانبه ضد السفه والسفيه بقوله (عليه السلام): " فالحلم عشيرة " (٦) ، وقوله ايضاً: " اول عوض الحليم من حلمه الناس انصاره على الجاهل " (٧) اي ان سياسة الحلم تخلق تقارب الافكار والعقول الجمعية او الجماعية بمعنى بناء قاعدة انسانية واعية ضد السفه والسفيه والجاهل ينفر عنه الناس لغضبه ، وهو ما يحتاج اليه القائد ليجمع القلوب على وحدة البلاد والعباد، ونشر المحبة والالفة ووحدة الاتجاه والهدف بين افراد الامة من جهة وبين الامة والقيادة من جهة اخرى.

وان الحلم وزير العلم بقوله: " ونعم وزير العلم الحلم ونعم وزير الحلم الرفق " (٨) ، فلا يكفي العلم للقيادة بل يجب ان يمزج بالحلم ، فليس كل ما تعرفه تنطق به ، وللحلم فلسفته عند الامام علي (عليه السلام) فورد أنه سمع رجلاً يشتم قنبراً و قد رام قنبراً أن يرد عليه، فناداه (عليه السلام): " مهلا يا قنبر، دع شاتمك

(١) البحراني ، علي ، منار الهدى في النص على إمامة الإثني عشر (عليهم السلام) ، ص ٢٨٥ .

(٢) الامام علي، نهج البلاغة ، ص ١١٤ .

(٣) الامام علي، نهج البلاغة ، ص ٥٠١ .

(٤) الليثي الواسطي : علي بن محمد ، عيون الحكم والمواعظ ، ص ١١٦ .

(٥) نهج البلاغة ، ص ١٥٤ .

(٦) الامام علي ، نهج البلاغة ، ص ٥٥١ .

(٧) الامام علي ، نهج البلاغة ، ص ٥٠٥ .

(٨) الكليني ، اصول الكافي ، ٣٨/١ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

مهانا ترضي الرحمن، وتسخط الشيطان ، وتعاقب عدوك، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أَرْضَى المؤمن ربه بمثل اللحم ،ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت ،ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه " فالحم اهانة لشاتم وسخط للشيطان، وعقوبة للعدو وقد كان الامام علي(عليه السلام) المصداق المطلق للحلم بشهادة نبوية، قال(عليه السلام): " لو كان اللحم رجلا لكان عليا "(١).

فالحلم مؤهل قوي للقيادة لأنه يمتلك من علو الهمة والقوة في تحقيق اهدافه العليا ولا تؤثر به سفاسف الامور وصغارها " الحلم والاناة توأمان تنتجها علو الهمة "(٢)، وذم الغضب بقوله (عليه السلام) : "الغضب وشدة الغضب تغير المنطق وتقطع مادة الحجة ، وتفرق الفهم "(٣).

ونتيجة المقارنة بين شروط ترشيح الحاكم في فكر الامام علي وابن خلدون نستنتج ما يأتي:-

١. ان شروط الامام علي علمية ودقيقة وخاصة العصمة والأعلمية لأنها تضمن وصول قادة لحكم الدولة قادرين على بنائها على اكمل وجه بلا انحراف عن المشروع الحضاري الاسلامي. اما ابن خلدون فانه يعتمد القوة والغلبة في ذلك.

٢. اما صفات الحاكم وبحسب شروط ابن خلدون فان القيادة ليس ممن تتوفر فيه مجموعة من الصفات فقط بل الناس كلهم يتمكنون من الوصول الى الحكم ما دام تكون لديهم قوة تساندهم، اي ان القائد ليس قائداً بذاته بل قيادته تأتي من تأييد القوة العصبية له فان حصل على تأييدها فهو قائد وحاكم ، وان منعت العصبية تأييدها له ، فانه لا يصلح للقيادة ، وهذا هو الفهم الخلدوني للقيادة .

٣. ان صفات وشروط الواجب توفرها في الامام عند ابن خلدون يرجع الى فهمه لنظرية ومنهج القيادة بان الامام او الخليفة هو الزعيم السياسي فقط المسؤول عن ادارة شؤون الامة على مختلف الصعد والمستويات حتى انحدرت على وفق فكر ابن خلدون بان اي زعيم قبيلة بل اي رجل يتمكن من تكون مجموع من الافراد حوله يستطيعون نصرته في اقامة سلطة وحكم سياسي فهو يستحق الخلافة زعيم القبيلة فهذا يؤدي الى فقدان القيادة المركزية وتعدد مركزية القيادة .

(١) ابن شاذان القمي ، مائة منقبة ، ١٣٦ .

(٢) الامام علي ، نهج البلاغة ، ص٥٥٦ .

(٣) أبي الفتح الكراجكي ، كنز الفوائد ، ص١٩٦ .

المبحث الرابع: طرق اختيار القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

نبحث في هذا الموضوع جملة طرق اختيار القيادة عند الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وابن خلدون في بيان اسس طريقة والية كل منهما في اختيار وتشخيص القيادة العليا للدولة ومزايا واثار هذه الاليات وكما يأتي :-

١ . اختيار القيادة بالنص الالهي

ترتكز نظرية الامام علي (عليه السلام) منظومة لضبط الية اختيار القيادة والنص عليها من الله سبحانه وتعالى وذكر اعدادهم ومزايا دولتهم ، لما لها من اهمية كبيرة في استراتيجية بناء الدولة حيث انها قاعدة تتصيب تؤمن وصول قيادات صالحة وامينة لبناء وحكم الدولة الاسلامية وابعاد الظالمين واقصائهم عن تولي هذا المنصب الحساس والمهم ، ويؤكد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) على نص التنصيب الالهي للإمام القائد في حديث طويل يصف به الامام ويعدد مزاياه منها قوله : " الإمام كلمة الله ، وحجة الله ، ووجه الله ، ونور الله ، وحجاب الله ، وآية الله ، يختاره الله ، ويجعل فيه منه ما يشاء ، ويوجب له بذلك الطاعة والأمر على جميع خلقه ، فهو وليه في سماواته وأرضه ، أخذ له بذلك العهد على جميع عباده ... ، ويُنادى له بالسلطنة ، ويُذعن له بالإمرة ، ويُحكم له بالطاعة ؛ وذلك لأنّ الإمامة ميراث الأنبياء ، ومنزلة الأصفياء ، وخلافة الله وخلافة رسل الله ، فهي عصمة وولاية ، وسلطنة وهداية ؛ لأنها تمام الدين ، ورجح الموازين "(١).

وهي نظرية ونظام حكم متكامل لكونه (عليه السلام) ينظر الى الامامة بانها استمرار للنبوّة وان الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يترك الامّة من دون امام قائد من بعده نظراً للتلازم بين النبوّة والامامة ، والدور المكمل للإمامة في بناء الدولة ، وان الدولة لم تمر بفراغ سياسي بل كان هناك ترتيب نبوي قد مهد له (صلى الله عليه وآله) واثبته في حياته بأن اختيار القيادة ليس من شأن اختيار الامّة او النبي بل هي اختيار وتنصيب الهي ، وهذا ما بينه وثبته كنظام حكم للدولة من بعده (صلى الله عليه وآله) وكألية تنقل على اساسها السلطات الى القيادة الجديدة في الدولة بجملة من المواقف منها :

اولا : - تثبيت القاعدة الالهية في قيادة الدولة ان لكل نبي وصياً يخلفه في جميع مهامه عدا الوحي فهو ينقطع بوفاة النبي واحد هذه المهام حكم الدولة

(١) المجلسي ، بحار الانوار ، ١٦٩/٢٥ ينظر : الميرجهاني ، مصباح البلاغة ، ١٩٤/١ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

بقول رسول الله (ﷺ) : " لكل نبي وصي ووارث ، وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب " (١).

ثانيا : - تتكيف المجتمع الاسلامي على هذا القانون الالهي في حكم الدولة واختيار القيادة فيها وتحديد آلية تداول القيادة فيها وذلك برد رسول الله (ﷺ) على بعض الطالبين للحكم والقيادة من بعده جزء لإسلامهم في جملة من المواقف التي سجلتها مصادر السيرة منها :-

١ . عندما جاء النبي (ﷺ) الى بني عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فقال احدهم ويقال له بحيرة بن فراس (٢) " والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال له : رأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله ، يضعه حيث يشاء . قال فقال له : أفنهدف نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك ! فأبوا عليه " (٣) .

وهذا ما ذكره ابن خلدون واقرب به وهو ما نصه في تاريخه " ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على وفود العرب في الموسم يأتيهم في منازلهم ليعرض عليهم الاسلام ويدعوهم إلى نصره ويتلو عليهم القرآن وقريش مع ذلك يتعرضونهم بالمقابح ان قبلوا منه وأكثرهم في ذلك أبو لهب وكان من الذين عرض عليهم في الموسم بنو عامر بن صعصعة من مضر وبنو شيبان وبنو حنيفة من ربيعة وكندة من قحطان وكتب من قضاة وغيرهم من قبائل العرب فكان منهم من يحسن الاستماع والعذر ومنهم من يعرض ويصرح بالإذابة ومنهم من يشترط الملك الذي ليس هو من سبيله فيرد صلى الله عليه وسلم الامر إلى الله " (٤) فيتترك ابن خلدون الحقيقة ويجانب الصواب ويذهب الى تقرير الامر الواقع للنوازع البشرية على واقع اخر كان معاش بمنهج الشرع واحكامه الا انه يغض الطرف عنه ولا يعرض بخطأ من ابتعد عن صواب الرشاد .

٢ . عندما عرض نفسه (ﷺ) على قبيلة كندة فقال احدهم: " ان ظفرت تجعل لنا الامر من بعدك، فقال (صلى الله عليه وسلم) وان الامر لله يضعه حيث يشاء " (٥).

(١) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق، ٣٩٢/٤٢ .

(٢) هو بحيرة بن فراس بن عبد الله بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو احد شخصيات بني صعصعة الذي كان متواجدا عندما عرض رسول الله الاسلام عليهم . ولم تجد الباحثة ترجمة له في كتب التراجم التي اطلعنا عليها ووجدنا ترجمة وتعريف له في السيرة النبوية لابن هشام ينظر : ابن هشام ، السيرة ، ٢ / ٢٨٩ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ، ٢ / ٢٨٩ ؛ ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ٨٤/٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٧١/٣ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٢ / ٣٧٠-٣٧١ .

(٥) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ١٥٩٨/٢ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

٣. كذلك في باب رده (عليه السلام) على عامر بن الطفيل عندما جاء يريد ان يعرض اسلامه مع قومه ، الا انه طلب من رسول الله مقابل اسلامه ان تكون له السلطة من بعده قائلاً: "أتجعل لي الامر ان اسلمت ، من بعدك " ، فقال (عليه السلام): " ليس ذلك لك ولا لقومك" أي إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء (١).

ولأنّ الامامة ميراث الانبياء من العلم والحكمة وتحديد الوريث يكون من قبل الله سبحانه لان المنصوص عليه هو وريث العلم وحكمة ومشروع النبوة فكما ان النبوة اجتباء واصطفاء الهي كذلك الامامة وريثة النبوة تكون بالاصطفاء والاختيار الالهي .

وهذه الشرعية الالهية لتنصيب القيادة من السنن الالهية بنص القرآن في تدبير منصب الامام وعلى اساسها تم تنصيب قيادة الامام علي (عليه السلام) قرآنياً ، واعلنها النبي محمد (عليه السلام) للامة من بعده وهناك العديد من النصوص القرآنية العامة والخاصة بتنصيب القيادة بنص قرآني والتتويجات الخاصة والعامة التي تؤكد عدم وجود فراغ سياسي في الدولة وسنأتي على بيان هذه الادلة كما يأتي :-

١. ان تنصيب الامامة (القيادة) سنة الهية عامة :وقد تنصب القيادة من الاوصياء والأئمة بالنص الالهي كما في تنصيب الله عز وجل النبي ابراهيم (عليه السلام) للإمامة بقوله تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْبَأُ لِعَهْدِي الظَّالِمِينَ) (٢) والمراد في العهد في الآية المباركة بانه عهد الإمامة للنبي ابراهيم (عليه السلام) وان الله سبحانه وتعالى اختصه بها وذريته الصالحين منهم (٣) اي ان النص من قبل الله سبحانه في اختيار القائد حتى يحول دون تقلد الظالمين لهذا المنصب لما لهم من آثار انحرافية على مشروع بناء الدولة الاسلامية .

٢. تنصيب الأئمة المعصومين واجتباؤهم قرآنياً : حسب ما جاء عن رسول الله في تفسير قوله تعالى: (رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ رَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) (٤) فروي عن النبي (عليه السلام) في تفسير هذه الآية انه قال: "ان الله اختارني واهل بيتي على جميع الخلق فاننجبنا ، فجعلني الرسول ، وجعل علي ابن ابي طالب الوصي ، ثم قال : (ما كان لهم الخيرة

(١) الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ٣٦١/٦ ينظر الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٢٤٦/٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٢٤ .

(٣) الطبري ، البيان في تفسير القرآن ، ٤٣٢/٤ .

(٤) سورة القصص ، ٦٩ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

(يعني ما تركت للعباد ان يختاروا ولكني اختار من اشاء ، فانا واهل بيتي صفوة الله وخيرته من خلقه" (١) .

٣.تتويجات خاصة لأمير المؤمنين (عليه السلام) من قبل النبي (صلى الله عليه وآله) : تدل على تنظيم الدولة سياسيا وانها لم تمر بفراغ سياسي مزعوم بل نظم النبي مبدأ تداول السلطة من بعده وعهد بالقيادة في حياته الى الامام علي (عليه السلام) من بعده بنتويجات عدة منها ما يأتي:-

١-آية الانذار : (وأذر عشيرتك الأقربين) (٢).

لما نزلت هذه الآية (وأذر عشيرتك الأقربين) جمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : يا بني عبد المطلب ، انى انا النذير إليكم من الله عز وجل ، والبشر بما لم يجئ به أحد ، جننكم بالدنيا والآخرة : فاسلموا وأطيعوني ، تهتدوا . ومن يواخيني ويوازني ، يكون وليي ووصيي بعدى وخليفتي في أهلي ، ويقضى ديني . فاسكت القوم ، وأعاد ذلك ثلاثا ، كل ذلك يسكت القوم ، ويقول علي: انا ، فقال : أنت . فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب : اطع ابنك فقد أمر عليك " (٣).

٢- اية الولاية : (اِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (٤). أجمعت الطائفة الامامية، ورواياتهم بهذا الامر متواترة ، بأن الآية المباركة نزلت عندما تصدق أمير المؤمنين سلام الله عليه بخاتمه على السائل ، وهو في أثناء الصلاة وفي حال الركوع ، وكذلك التفسير السنوية تذهب الى ان الآية نزلت في حق علي (عليه السلام) الا من شذ منهم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه والذين تكلفوا في حرف الآية عن الامام علي (عليه السلام) ، امثال الرازي في تفسيره والذي يتهم على علماء الشيعة كونهم ذهبوا في نزول الآية على علي (عليه السلام) ووجه دلالة الآية واضح في صراحتها في انحصار الولاية في الله ، ورسوله ، وفي علي ، ومن اقترن ولايته بولاية الله ورسوله دليل واضح وبرهان قاطع على إمامته .

يقول العلامة الحلي في الاستدلال بهذه الآية على امامة علي (عليه السلام) وذلك يتوقف على مقدمات.

الأول : إنما للحصر بالنقل عن اللغة قال الشاعر :

(١) المجلسي ، بحار الانوار ، ١٦٧/٣٦ .

(٢) سورة الشعراء ، اية ٢١٤ .

(٣) الثعلبي ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، ١٨٢/٧ ؛ ينظر: ابن البطريق ، خصائص الوحي المبين ، ص ١٢٣ .

(٤) سورة المائدة ، اية ٥٥ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

فلو لم يكن للحصر لم يتم افتخاره .

ان المراد بذلك البعض هو علي بن ابي طالب (عليه السلام) خاصة للنقل الصحيح ، واتفق أكثر المفسرين على انه كان يصلي فسأله سائل فأعطاه خاتمه راكعا، وإذا كان عليه السلام أولى بالتصرف فينا تعين أن يكون هو الإمام لأننا لا نعني بالإمام إلا ذلك (١) .

التتويج العام : التنصيب في غدیر خم

حديث الغدير : وملخصه (٢): أن النبي صلى الله عليه واله لما كان في طريقه عائدا من حجة الوداع عام (١٠هـ/٦٣٠م) الى المدينة المنورة نزل عليه جبرئيل بتعيين علي (عليه السلام) خليفة على المسلمين من بعده ، نزل عليه قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (٣) . فخطب في المسلمين وقال في خطبته : أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي ، ثم قال لهم : ألسنت اولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : بلى فكرر ذلك ثلاث مرات ، وهم يجيبونه بذلك ، فعندما رفع يد علي (عليه السلام) وقال : "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فأحب من أحبه ، وابغض من أبغضه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار" (٤) .

مزايا قيادة اختيار النص الالهي

ترتكز نظرية الامام علي(عليه السلام) في اختيار القيادة بالنص والجعل الالهي لما لها من اهمية كبيرة في استراتيجية بناء الدولة لما ينتج عنها من معطيات كبيرة مهمة على صعيد استراتيجية بناء الدولة وهذه المعطيات كالاتي :

(١) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر ، ص ١٠٨-١١١ .

(٢) الاميني ، الغدير ، ١١/١-١٣ .

(٣) سورة المائدة ، اية ٦٧ .

(٤) الحاكم النيسابوي، المستدرک ، ١١٠/٣ .

الفصل الاول : القيادة واثارها في استراتيجية بناء الدولة

١. تنصيب القيادة المعصومة : لاجل اصطفاء القيادة المعصومة لهذا المنصب كما جاء في قوله تعالى : (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (١) لقصور العقل البشري عن ادراك الافضل للقيادة من بعد النبي (ﷺ) ليكمل مشروع بناء الدولة من دون انحراف للاهواء والاحزاب فعلة التنصيب هنا هي اختيار القيادة المعصومة لسدة الحكم من دون غيرها لما تتميز به من صفات تجعلها قادرة ومؤهلة لبناء دولة العدل الالهي.

٢. ابعاد الظالمين عن قيادة الدولة: وتحريم هذا المنصب عليهم لآثارهم الوخيمة التي تتعكس على استراتيجية بناء الدولة ومن هذه الآثار ما يأتي :

أ. الظالم مستبد في رايه ، مستبد بفعاله ، مستبد برعيته ، يظن نفسه الاعلم والافهم بمصلحة رعيته وكما قال تعالى : (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) (٢).

ب. الظالم يحارب الصالحين بحجة الحفاظ على مصالح الشعب والامة قال تعالى : (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) (٣)

ج. الظالم يستخف قومه ، ويستغل سطوته فيهم ، ويستغل فسادهم فيلزمهم طاعته كما قوله تعالى : (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) (٤)

د. الظالم يلجأ الى البطش والتتكيل بخصومه من المعارضة وارهابهم بكل الوسائل من دون مراعاة لحرمة او كرامة انسانية كما في قوله تعالى عن لسان فرعون : (اقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافِ ثَمِّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) (٥) وقوله سبحانه : (قَالَ سَتَقُلُّ أَبْنَاءَهُمْ وَسَتَحْبِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) (٦)

هـ. الظالم يمن على المصلحين ويستغل هفواتهم ويتهمهم بأبشع التهم كما جاء في قوله تعالى : (الْمُ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (٧).

د. الظالم يجحد بآيات الله ويعرض عنها قال سبحانه (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) (٨) وقوله سبحانه : (

(١) سورة البقرة ، اية ١٢٤ .

(٢) سورة غافر ، اية ٢٩ .

(٣) سورة غافر ، اية ٢٦ .

(٤) سورة الزخرف ، اية ٥٤ .

(٥) سورة الاعراف ، اية ١٢٤ .

(٦) سورة الاعراف ، اية ١٢٧ .

(٧) سورة الشعراء ، اية ١٨-١٩ .

(٨) سورة العنكبوت ، اية ٤٩ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا (١).

ر . الظالم يتعدى حدود الله غير آبه بها يقول الله سبحانه وتعالى : (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (٢).

ز . الحاكم الظالم رافض لحكم الله تعالى حتى لو كان يمتلك القدرة على تطبيقه لكنه يمنع ذلك على مستوى القضاء العادل او غيره فيعطل حدود الله واحكامه عن التنفيذ ويفضل احكام وضعية اخرى تلبي مصالحه وتحافظ عليها كما في قوله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (٣).

س . الظالم يتولى الكفار ، ويبذل جهده في ارضائهم ، وينتصر لهم ، او ينتصر بهم (على المسلمين) ، وان كان ذلك حتى لا يقرب الناس فكيف بغيرهم!! كما قال الله سبحانه وتعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (٤).

ص . الظالم يفترى على الله سبحانه وعلى رسوله ليضل الناس ، ابتغاء مصالح خاصة او من باب النكاية بالصالحين بقوله تعالى : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٥).

ط . الصد عن ذكر الله، ومنع الناس عنه لأغراضه وسياساته الدنيوية، أو خدمة لأعداء الإسلام ، ومنه حرق المساجد وتدميرها او اغلاقها كما جاء في قوله تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٦).

ظ . السكوت عن الباطل وخذلان الحق وعدم الشهادة له ، بل الكذب على الله عز وجل وكما جاء في

(١) سورة الكهف ، آية ٦٥-٥٧ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٢٩ .

(٣) سورة المائدة ، آية ٤٥ .

(٤) سورة التوبة ، آية ٢٣ .

(٥) سورة الانعام ، آية ١٤٤ .

(٦) سورة البقرة ، آية ١١٤ .

الفصل الاول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

قوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَمَّ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ)^(١)، وقوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ اقْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ

كَذَبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ)^(٢)، وقوله سبحانه: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ)^(٣)

٣. اصطفاء النخبة الدينية والروحية :لحاجة المجتمع دائما الى مرجعية فكرية وروحية يفوق سمو دينها و روحيتها الجميع حتى يجذب اليها المجتمع ويعترف لها بالاذعان لقبلياتها المتميزة بكونها مرجعا " و رمزاً للحياة الشرعية العامة وتجسيدا للقيم الاخلاقية والدينية ولاشك ان الاختلاف في القابليات الذهنية والروحية للناس، والتباين في الاداء بين البشر يساعد على الركون الى نظرية الصفة. ذلك لان الاختلاف الشاسع في درجات الاذعان او التسليم تؤدي الى فوارق في النفوذ، والقيادة، والسلطة. فالانسان الذي ندع له ونسلم بسلطته لخصيصة معينة لا نملكها، نعطيها الحق في الحكم والادارة الاجتماعية والدينية"^(٤)

٤. صفة التلازمية والتكاملية مع قيادة النبي محمد (ﷺ) : حتى لا يؤثر ذلك على استراتيجية بناء الدولة ولا يحصل أي انحراف في مشروع بناء الدولة بل يستمر منهج القيادة كما كانت عليه في عهد النبوة لتكتمل المشروع الرسالي الذي هو احد الاهداف التي ينشدها الامام (ﷺ) في استراتيجية لبناء الدولة، وتاتي صفة التكاملية نتيجة لانتخاب القيادة الوارثة لعلم وحكمة النبوة وهذا ميراث يضعه الله سبحانه حيث يشاء لذا وجب النص على الوارث لعلم النبوة من قبل الله سبحانه ، وهذا ما جاء على لسان رسول الله : "لكل نبي وصي ووارث ، وان عليا وصيي ووارثي"^(٥) ، وقد حرص عليها من قبل النبي ابراهيم(ﷺ) ان تكون الامامة تورث في ذريته ، كما جاء عن الإمام الرضا (ﷺ) : " فقال الخليل سرورا بها " ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين"^(٦) لان حكم الظالمين هو انحراف بما يراد من استراتيجية بناء الدولة القائمة على اصول العدل والمساواة .

و عندما توج الامام علي (ﷺ) لقيادة المسلمين من قبل الرسول(ﷺ) في غدير خم بقوله:" الست اولى بالمسلمين من انفسهم قالوا بلى يا رسول الله ، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه"^(٧) فنزل قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ

(١) سورة البقرة ، اية ١٤٠ .

(٢) سورة العنكبوت ، اية ٦٨ .

(٣) سورة الزمر، اية ٣٢ .

(٤) الاعرجي ، الامام علي (ﷺ) الصديق الاكبر ، ص ٧٦ .

(٥) ابن شهر آشوب ، مناقب ال ابي طالب ، ١٧٨/٢١ .

(٦) ابن شعبة الحراني ، تحف العقول عن ال الرسول (ﷺ) ، ص ٤٣٨ .

(٧) الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، ١١٠ /٣ .

الفصل الأول : القيادة وائدها في استراتيجية بناء الدولة

مُجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) . فهذه الآية تدل بوضوح واضحة لا غبار عليها الى تكاملية النبوة وقيادة الامام من بعده.

٥ . تنصب قيادة مرضية من قبل الله تعالى : لأنها تمثل المصدق الكامل والتام للإسلام لما لها من قدرة على تطبيق مشروع الاسلام كما مخطط له في استراتيجية بناء الدولة ولا تحيد أو تضعف لإحاطتها التامة بالإسلام وتقدر مسؤولياتها لقول رسول الله (ﷺ): " لما نزلت هذه الآية قال : " الله أكبر الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتى وولاية علي ابن أبي طالب من بعدي" (٢)

ان نظرية النص تفرز قيادة قادرة على بناء دولة الاسلام الكريمة بما يرضي الله ورسوله دولة اهل البيت المعصومين (عليه السلام) التي يُعزُّ بها العباد والبلاد لما توفره لهم من العيش الكريم والفوز بسعادة الدارين، وهي دولة اهل البيت المأثور ذكرها في احدى فقرات الدعاء المعروف بدعاء الافتتاح: " اللهم اني أرغب إليك في دولة كريمة ، تعز بها الاسلام وأهله وتدل بها النفاق واهله وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك والقيادة الى سبيلك " (٣).

النص على عدد القادة (الائمة) المعصومين بأثنى عشر .

لقد كانت نظرية الامام علي كاملة في برنامجها القيادي في تسمية سلسلة القيادات المستقبلية لرئاسة الدولة قوله (عليه السلام) : "لَا يُقَاسُ بِأَلٍ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ النَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوَلَايَةِ وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ، الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَنُقِلَ إِلَيَّ مُنْقَلَةً" (٤)

ان النبي الأكرم (ص واله) لم يكتف بتتصيب الامام علي (عليه السلام) في منصب الإمامة والخلافة، كما لم يكتف بإرجاع الأمة الإسلامية إلى أهل بيته وعترته الطاهرة، بل قام كذلك ببيان عدد الائمة الذين يتولون الخلافة بعده ، واحدا بعد واحد ، حتى لا يبقى لمرتبا ريب ، فقد روي في الصحاح والمسانيد بطرق مختلفة عن جابر بن سمرة أن الخلفاء بعد النبي اثنا عشر خليفة كلهم من قریش ، وإليك ما ورد في توصيفهم من الخصوصيات كما وردت في كتب الصحاح والمسانيد والسنن : برواية

(١) سورة المائدة ، آية ٣ .

(٢) المجلسي ، بحار الأنوار ، ٣٧ / ٢٤٩ .

(٣) ابن طاووس ، اقبال الاعمال ، ١ / ١٩١ .

(٤) نهج البلاغة ، ٢٧ / ١ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

جابر بن سمرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا يزال الاسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة فقال كلمة خفية لم أفهمها قال قلت لأبي ما قال ، قال : كلهم من قريش" (١) عن جابر بن سمرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن هذا الدين لا يزال عزيزاً إلى اثني عشر خليفة قال ثم تكلم بكلمة لم أفهمها وضج الناس فقلت لأبي ما قال قال كلهم من قريش" (٢) وقوله : " لا يزال هذا الامر عزيزاً منيعاً ظاهراً على من ناواه حتى يملك اثنا عشر كلهم قال فلم أفهم ما بعد قال فقلت لأبي ما قال بعدما قال كلهم .قال : كلهم من قريش" (٣) و " عن جابر بن سمرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة قال ثم تكلم بشئ لم افهمه فقلت لأبي ما قال فقال كلهم من قريش" (٤) (لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة) قال : فكبر الناس وضجوا ، ثم قال كلمة خفية ، قلت لأبي : يا أبة ما قال ؟ قال : كلهم من قريش" (٥) وفي حديث " لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة" (٦). وفي حديث "لا يزال صالحاً" (٧) وفي اخر " لا يزال ماضياً" (٨)

وقال ابن كثير: " وفي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ما معناه : إن الله تعالى بشر إبراهيم بإسماعيل ، وإنه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثني عشر عظيماً، قال شيخنا العلامة أبو العباس بن تيمية : وهؤلاء المبشر بهم في حديث جابر بن سمرة ، وقرر أنهم يكونون مفرقين في الأمة ، ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا" (٩) وهذا اعتراف بانهم من ذرية رسول الله حصرأ وهم الائمة المعصومين الاثني الاثني عشر لا غير. وقد ذكر القندوزي في اهمية هذا الحديث قوله: " أن مراد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من حديثه هذا الائمة الاثنا عشر من أهل بيته وعترته ، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه ، لقلتهم عن اثني عشر ، ولا يمكن أن يحمل على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر ، ولظلمهم الفاحش ...، ولكونهم غير بني هاشم ، لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : (كلهم من بني هاشم) في رواية عبد الملك عن جابر ، وإخفاء صوته (

(١) احمد بن حنبل ، مسند ، ٩٠/٥ .

(٢) احمد بن حنبل ، مسند ، ٩٣/٥ .

(٣) احمد بن حنبل ، مسند ، ٩٣/٥ .

(٤) احمد ابن حنبل ، مسند ، ٩٨/٥ ؛ ينظر مسلم ، صحيح ، ٣/٦ .

(٥) ابو داود ، سنن ، ٣٠٩/٢ .

(٦) النيسابوري مسلم ، صحيح ، ٦-٢/٦ .

(٧) احمد بن حنبل ، مسند ، ٩٨/٥ و ١٠٧/٥ . وينظر باختلاف في اللفظ مع ورود عبارة (لا يزال ... عزيزاً) احمد بن

حنبل ، مسند ، ٩٠/٥ ، و ٩٨/٥ و ١٠٠/٥ و ١٠٦/٥ و ١٠٧/٥ ؛ ينظر مسلم ، صحيح ، ٣/٦ ؛ ابن حبان ، صحيح ،

٤٤/١٥ .

(٨) احمد ابن حنبل ، مسند ، ٩٨/٥ و ١٠١/٥ .

(٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٨٠/٦ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا القول يرجح هذه الرواية ، لأنهم لا يحسنون خلافة بني هاشم ، ولا يمكن أن يحمل على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور ، ولقلة رعايتهم الآية { قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى } فلا بد من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم ، وأعلاهم نسبا ، وأفضلهم حسبا ، وأكرمهم عند الله ، وكان علمهم عن آبائهم متصلا بجدهم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالوراثة واللدنية ، كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق ، وأهل الكشف والتوفيق ويؤيد هذا المعنى أي أن مراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته ، ويشهد له ويرجحه حديث الثقلين ^(١)

وعلق احد الباحثين على هذا الحديث وهو تعليق نراه جدير بتحليل الحدث واطهاره للغبن الذي وقع فيه بحق ال النبي الذين خصهم رسول الله بهذا الحديث واطهر التلاعب الذي حدث في كلام رسول الله ^(صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله : " ما ذكرته الروايات من أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد قال : " كلهم من قريش " موضع شك وريب . وذلك لأن ما تقدم من حقيقة الموقف الظالم لقريش ، ومن هم على رأيها ، وخطتهم التي تستهدف تقويض حاكمية خط الإمامة ، يجعلنا نجزم بأن العبارة التي لم يسمعها جابر بن سمرة ، ... ، بسبب ما اثاره المغرضون من ضجيج هي كلمة : " كلهم من بني هاشم " ... إلا ان يكون صلى الله عليه وآله قد قال الكلمتين معا ، أي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : " كلهم من قريش ، كلهم من بني هاشم " . ويكون ذكر الفقرة الأولى توطئة ، وتمهيدا لذكر الثانية : فتارت نائرة قريش ، وأنصارها ، وعجوا وضجوا ، وقاموا وقعدوا . . . ! ! وإلا . . فإن قريشا ، ومن يدور في فلکها لم يكن يغضبهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم : " كلهم من قريش " بل ذلك يسرهم ، ويفرحهم ، لأنه هو الأمر الذي ما فنتوا يسمعون إليه ، بكل ما أوتوا من قوة وحول ، يخططون ويتآمرون ، ويعادون ويحالفون من أجله ، وعلى أساسه ، فلماذا الهياج والضجيج ، ولماذا الصخب والعجيج ، لو كان الأمر هو ذلك ؟! " ^(٢) .

و نلاحظ أن استراتيجية بناء الدولة تتطلب تنصيب القادة وذكر اسمائهم للحفاظ على المشروع الانساني الاسلامي لما لهم من اثار في ذلك تتضمن ما ياتي :

(١) القندوزي ، يبايع المودة ، ٢٩٢/٣ .

(٢) جعفر مرتضى العاملي ، الغدير في ضل التهديدات الإلهية للمعارضة ، مجلة تراثنا ، العدد الرابع ، ١٤١٠ هـ ، ١٤٧/٢ - ١٤٨ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

١. ان النص على عددهم باثني عشر أضع الفرصة على من تقمص حقهم وأقام دولاً على انهم خلفاء من قبل الله كدولة بني أمية وبني العباس وتحديد عددهم هو الميزان لدولة الاسلام العادلة يكون عدد قادتها اثني عشر قائداً وان زاد العدد أو نقص فانها ليست دولة القادة من آل محمد المعصومين الذين حددهم النص النبوي التي ذكرها النبي محمد (ﷺ).
٢. ضمان بقاء الاسلام الاصيل قائماً حتى تقوم الساعة.
٣. يحفظوا للدولة الاسلامية عزتها وقوتها بحفاظهم على المشروع الحضاري الاسلامي بوجود اثني عشر قائد
٤. اذا ما اعطيت لهم الفرصة لقيادة التجربة الاسلامية فان الدولة ستكون بهم قائمة مستمرة وقوية عزيزة الجانب ومهابة ومتقدمة .
٥. بقيادتهم يبقى الدستور الاسلامي وقوانينه منيعة لا يمكن اختراقها من قبل ضعاف النفوس واعداء الاسلام من التلاعب بتفسير نصوصه حسب مصالحهم وهذا ما كان للإمام علي بحربه على التنزيل .
٦. قدم وصفا تاريخيا نموذجيا لمزايا بناء دولتهم بانها من القوة والمنعة والعزة للمسلمين حتى يُرغب المسلمين في اتباع قيادتهم.

النص على الائمة بالاسماء

لقد كانت نظرية النص من التكامل في التخطيط والتنفيذ فهي لم تحدد الية اختيار القيادة وعددهم بل ايضا حددت اسمائهم بالنص وعرفت الامة بهوية قادة دولتها في الوقت الحاضر وغدا وفي المستقبل وهذا ان دل على شيء يدل على التخطيط الاستراتيجي البعيد المدى لبناء الدولة والحفاظ على اهدافها ومشروعها من الانحراف وحددت اسمائهم ضمن عدة روايات وسنكتفي بنماذج منها وكما يأتي:-

اولا : رواية النص على امامة الحسن والحسين وعلي ابن الحسين ومحمد بن علي (عليهم السلام)

روى عن سليم بن قيس قال : " شهدت وصية أمير المؤمنين (ﷺ) حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين (ﷺ) ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته ، ثم (١) دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لابنه الحسن (ﷺ): يا بني أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إلي رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع إلي

(١) الكليني ، الكافي ، ٢٩٨/١ .

الفصل الأول : القيادة وائرها في استراتيجية بناء الدولة

كتبه وسلاحه ، وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين (عليه السلام)، ثم اقبل على ابنه الحسين (عليه السلام) فقال ، وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك هذا ، ثم أخذ بيد علي بن الحسين (عليه السلام) ثم قال لعلي بن الحسين : وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي واقراه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومني السلام (١) .

ثانياً: رواية النص على امامة الصادق الكاظم والرضا والحواد والهادي والعسكري والمهدي (عليهم السلام)

روى علقمة بن محمد الحضرمي عن الصادق (عليه السلام) قال : " الأئمة اثنا عشر ، قلت : يا ابن رسول الله فسمهم لي ؟ قال: من الماضين علي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي ابن الحسين ومحمد بن علي ثم أنا . قلت : فمن بعدك يا ابن رسول الله ؟ قال : إني قد أوصيت إلى ولدي موسى وهو الإمام بعدي . قلت : فمن بعد موسى ؟ قال : علي ابنه يدعى بالرضا يدفن في أرض الغربية من خراسان ، ثم بعد علي ابنه محمد ، وبعد محمد ابنه علي ، وبعد علي الحسن ابنه والمهدي من ولد الحسن " (٢) .

واعتماداً على النصوص اعلاه فالقيادة حسب ترتيبهم الالهي وهم على التوالي : علي بن ابي طالب والحسن بن علي بن ابي طالب والحسين بن علي بن ابي طالب وعلي بن الحسين بن علي بن ابي طالب و محمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ثامنهم ومحمد بن علي تاسعهم وعلي بن محمد والحسن بن علي ومحمد بن الحسن .

و يتبين ان النص على الائمة بالأسماء من التدبيرات الالهية والنبوية المهمة التي لها الاثر في استراتيجية بناء الدولة وذلك لعدة اسباب منها الاتي:-

١. حصر الاسماء بالائمة المعصومين من اهل بيت العصمة.
٢. يمنع المنتحلين ويحول دون تقمص حقهم وان حصل التقمص تصبح سرقة المنصب واضحة وهذا كان واضحاً في حديث الامام علي(عليه السلام): "أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى" (٣) فالواضح من كلام الامام ان القيادة (الامامة) من بعد النبي معروفة بالأسماء وبالنص عليهم الا انهم زحزحوا عن مراتبهم التي رتبهم الله عليها .

(١) الكليني ، الكافي ، ٢٩٨/١ .

(٢) الخزار القمي ، كفاية الاثر ، ص ٢٦٧ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٤٨ .

الفصل الأول : القيادة وائرها في استراتيجية بناء الدولة

٣. كان على النبي ان ينص عليهم بالأسماء ويبين هويتهم للناس لأنه مسألة معرفة الإمام كان حاجة مصيرية لاقتران معرفة الامام بإسلام الفرد وايمانه من عدمه لقول رسول الله: " من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية " (١) فلم يترك رسول الله الامر مبهماً بان يُعلن للناس و يُوصيهم بان تقرير مصيرهم مُقترن بموالاة هذه القيادة وإتباعها ولا يُبين اسمائهم وهويتهم الشخصية للأمة حتى تكون على بينة من امرها ولا تشتبه عليها المُسميات والشخصيات.

٢. طرق اختيار القيادة عند ابن خلدون

عند قراءة مقدمة ابن خلدون نجده يؤيد عدة طرق لاختيار الحكام اوجدها الواقع التاريخي للدول التي حكمت باسم الاسلام وتعددت فيها صورة آلية اختيار الحاكم للدولة ويرجع هذا التعدد لافتقاده أي نظرية في هذا المجال سوى الاعتراف بالواقع وتبرير الشرعية لمخرجاته فتعددت لذلك صور طرق اختيار الحاكم عند ابن خلدون تبعا لتعدددها في الواقع التاريخي بين مبدأ الاجماع والشورى ومبدأ القوة العصبية وولاية العهد. وسنأتي على بيان الية عمل كل طريقة وشرعية الحاكم المرشح فيها.

وقد استحكم الطرح المادي في اختيار الحاكم عند ابن خلدون فغلب الواقع بماديته على نظريته ، حيث قرأ ابن خلدون الواقع التاريخي للدول واعتمده مرجعاً لبناء الدولة غير قابل للخطأ ،وانه لا يمكن بناء أي دولة لا تعتمد هذا التأسيس المادي الذي قدم له حسب اعتقاده. ومنها طرق اختيار الحاكم التي أقر بها ابن خلدون جميعاً لا لشيء سوى انه وجدها حدث قد حصل في التاريخ فاتخذها مرجعاً لأفكاره وسنأتي على توضيح كل من هذه الطرق وكما يأتي:-

اولاً:- مبدأ الاجماع

وهو احد صور طرق اختيار الحاكم فرضته الظروف السياسة والامر الواقع حسب نظرية ابن خلدون نتيجة لوفاة النبي محمد (ﷺ) وتركه تعيين قيادة حاكمة للدولة من بعده ، فبقي لذا يكون النظر في اختيار القيادة متروك للامة هي من تختار وتجتمع على حاكم معين لا كما يدعي الشيعة بان القيادة (الإمامة) ركن الدين وقاعدة الاسلام وامرها مفوض الى الله و اشار الى ذلك بقوله "أعلم ان الشيعة لغة هم الصاحب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من ... تأويلاتهم الفاسدة" (٢) .

(١) الطوسي ، ابن حمزة ، الثاقب في المناقب ، ص ٤٩٥ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١ / ١٥٥ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

بقوله "ان نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين ، النظر اليه في امورهم وكذا في كل عصر من بعده ذلك، ولم تترك الناس فوضى في عصر من الاعصار "(١) وان مما يؤخذ على معطيات افراز هذا الاختيار ما يأتي :-

١. اتهام النبي محمد (ﷺ) بالغفلة عن تعيين الحاكم من بعده وهو اتهام ينتقص من حاكمية النبوة المتكاملة التي بينت الصغيرة والكبيرة فيما يخص حياة الانسان والمجتمع ، فكيف ترك امر تحديد مصير امة بأكملها فهذا ما يرفضه العقل والمبدأ الاجتماعي الذي يؤمن به ابن خلدون وما بيناه من نظام التسلسل والتدبير النبوي لانتقال السلطة من بعده في نظرية اختيار القائد ضمن النص الالهي عند الإمام علي (عليه السلام) يكشف زيف ما يدعيه ابن خلدون كذب الواقع التاريخي الذي اعتمد عليه والذي طمس حقائق ونظام الهي دقيق لتنظيم بناء دولة العدل الالهي في تشخيص قياداتها وآلية اختيارهم من قبل الله سبحانه وتعالى .

٢. اتهام النبي (ﷺ) بالضعف السياسي بعدم امتلاكه نظرية سياسية ، وانه لم ينظر لمستقبل الدولة من بعده وترك الامة فوضى بدون والي وقائد .

٣. افتقار مبدأ الاجماع للتأسيس الشرعي من القرآن الكريم والسنة النبوية واعتمد على اراء واجتهادات بعض الصحابة .

٤. ان ما تمخض من قرار اختيار ابي بكر لمنصب حكم الدولة لم يكن بالإجماع أي برضا الجميع وقناعتهم حسب ما زعم ابن خلدون بل كان اختيار ابي بكر فرض بالقوة الراجحة لقريش بعد جدال مستمر مع زعماء الانصار ولم يحسم وانما تم تجاهل اغلب اطرافه وهم ممثلوا قريش من طرف بني هاشم اهل البيت (عليهم السلام) الذين هم اولياء النبي وأولى بالأمر من بعده وأولى بما ترك النبي لا كما يدعي ابي بكر بانهم أي عامة قريش هم اولى بالنبي وهو ما حاجج به ابي بكر زعماء الانصار واخذ منهم زمام السلطة بقوله " نحن اهل النبي وأولى به "(٢).

ثانياً:- مبدأ شورى اهل الحل والعقد

ذكر ابن خلدون ان اختيار الخليفة راجع الى مبدأ الشورى الحل والعقد وهم الصحابة والتابعين وانه يجب عليهم نصب الخليفة لأنه من فروض الكفاية "وراجع الى اختيار اهل العقد والحل ، فيتعين

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١ / ١٥٥ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٢ / ٥٥ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

عليهم نصبه ، ويجب على الخلق جميعاً طاعته ، لقوله تعالى : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ^(١) وهنا يتبع ابن خلدون الامام الماوردي غير انه لم يذكر شروط أهل الاختيار ، ولا العدد الذي تتعد به الخلافة والإمامة كما فعل الماوردي ^(٢) ويرى احد الباحثين ان ابن خلدون لم يخض كثيراً في هذه الكيفية من انعقاد الخلافة ، وكأنها من المسلمات التي ليس فيها خلاف ، وكأنه أكتفى بقول الإمام الماوردي فيها وبشروط التي وضحها في اصحابها ^(٣) . وقد يكون عدم تحديد ابن خلدون لشروط المتوفرة لأهل الحل والعقد وعدم اقتناعه بهذا الرأي اعتماداً التطور التاريخي لواقع المجتمع الاسلامي فانه يحدد فيما بعد ان اهل الحل والعقد يجب ان يكونوا من الشوكة العصبية هم الذين يكون لهم الامر وانهي وتتصيب الخليفة وقد رد الامام علي (عليه السلام) هذه الطريقة لانعقاد الإمامة لعدم شرعيتها ولتعديها على مبدأ النص الذي يؤمن به الامام علي (عليه السلام) في تتصيب الامام لذا كان رد الإمام (عليه السلام) لم يكن " لمجرد الادلاء برأيه يقصد التنظير خاصة وان تلك المقولات تمسهم مباشرة لإعتقاده لأنه صاحب حق وقطب من اقطاب سياسة عصره لذلك لم يقبل مقولة : انعقاد الإمامة باتفاق أهل الحل والعقد لأنها فكرة أستحدثت لتبرير الواقع ، وانها لم تكن مستكملة الجوانب لأن معظم رؤوس اهل الحل والعقد الذين كانوا في المدينة كانوا غير متواجدين اثناء انعقاد البيعة لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة ، فقد انعقدت تلك البيعة حسب معظم المصادر ^(٤) بخمسة هم : عمر بن الخطاب ، وابو عبيدة الجراح ، وأسيد ابن حضير ^(٥) ، وبشير بن سعد ^(٦) وسالم مولى أبي حذيفة ^(٧) ، ولمجرد الإحتجاج وتسجيل الموقف على تلك البيعة قال علي (عليه السلام) : " واعجبا أتكون الخلافة بالصحابة ، ولا تكون بالصحابة والقرابة ؟! " ^(٨) .

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٢/١ .

(٢) المارودي ، الاحكام السلطانية ، ص ٤-٦ .

(٣) المحنك ، فكر الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) كما بدو في نهج البلاغة ، ص ١٩٠ .

(٤) القلقشندي ، مآثر الأئمة ، ٤٢/١ .

(٥) أسيد بن حضير الأنصاري الأوسلي أسلم قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير بالمدينة ، وكان إسلامه

بعد العقبة الأولى وقبل الثانية ، وكان أبو بكر يكرمه ولا يقدم عليه واحداً ، أخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينه وبين زيد بن

حارثه . توفي في شعبان من عام ٢٠ هـ . ينظر : ابن الاثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ١١١/١ .

(٦) بشير بن سعد بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج شهد العقبة الثانية وبدراً واحداً والمشاهد بعدها ، يقال انه أول من بايع

أبا بكر يوم السقيفة من الأنصار ، وقتل يوم عين التمر مع خالد بن الوليد بعد انصرافه من اليمامة عام ١٢ هـ . ينظر

: ابن الاثير ، أسد الغابة ، ٢٣١/١ .

(٧) سالم مولى أبي حذيفة ، وهو سالم بن عبيد بن ربيعة من أهل اصطخر هاجر الى المدينة قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان عمر

بن الخطاب يكثر الثناء عليه ، أخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينه وبين معاذ بن معاض ، شهد المشاهد كلها ، قتل يوم اليمامة

عام ١١ هـ . ابن الاثير ، أسد الغابة ، ٣٠٧/٢ .

(٨) الشريف الرضي ، خصائص الأئمة ، ص ١١١ .

الفصل الأول : القيادة وائرها في استراتيجية بناء الدولة

فإذا كان مقياس صحة انعقاد الإمامة لأبي بكر كما يراها عمر بن الخطاب هي صحبته لرسول الله (ﷺ) في جميع المواطن ، فالأولى بها القريب للحممة ومن صحبه (ﷺ) منذ نعومة أظفاره حتى اليوم الذي نزل فيه (ﷺ) في قبره ، أما الاحتجاج بالإختيار ورضا الجماعة^(١) فلم يثبت لغياب جل الصحابة عن السقيفة حين انعقدت البيعة ، أما الاحتجاج بانعقاد البيعة لقربة الرحم من الرسول (ﷺ) حسب قول ابي بكر يوم السقيفة بشأن قريش " هم أولياءه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر بعده "^(٢) ، فعلى ذلك المقياس بالقربة القريبة هم عترة آل البيت هم أحق وأولى بالأمر دون سائر قريش^(٣) .

وكذلك ناقض ابن خلدون نفسه بالشرط الذي اعتمده من فعل الصحابة وان فعلهم حجة وواجب الاعتراف والافتداء به ، حيث يرد فعل الصحابة في ضوء مناقشته و رده لشرط النسب القرشي وان بعض العلماء استندوا في ذلك على قول عمر بن الخطاب الذي نصه : " لو كان سالم مولى حياً لوليتاه "^(٤) فرد ابن خلدون قول عمر بقوله "وهو أيضاً لا يفسد ذلك لما علمت ان مذهب الصحابي ليس بحجة "^(٥) فكيف اذاً يحتج بهم في قضية ويرد قولهم في قضية اخرى؟! .

وايضا لم يوضح ابن خلدون قاعدة ثابتة يعتمد عليها شوري أهل الحل والعقد في الاختيار للخليفة بل جعل هذه القاعدة بدون تحديد لان رأيه في هذا الموضوع قابل للتغيير المستمر فابن خلدون يقر الواقع التاريخي على الشرع الاسلامي وتعاليم القرآن الكريم لذا لم يحدد شروطاً لأهل الحل والعقد فنجده يخرج الفقهاء من الشورى السياسية ويبقيهم للشورى الفقهية فقط أي انه يفصل الدين عن السياسة في تصنيفه هذا بقوله : " ولم يكن إيثارهم في الدولة حينئذ اكراماً لذواتهم ، وإنما هو لما يتلمح من التجمل بمكانهم في مجالس الملك لتعظيم الرتب الشرعية ، " ولم يكن لهم فيها من الحل والعقد شيء ، وإن حضروه فحضور صوري لا حقيقه وراءه ، إذ حقيقة الحل والعقد إنما هي لأهل القدرة عليه ، فمن لا قدره له عليه فلا حل له ولا عقد لديه . اللهم أخذ الأحكام الشرعية عنهم وتلقي الفتاوى منهم ، فنعم . والله الموفق "^(٦) فهو يثبت اخراج الفقهاء من الشورى السياسية وعقد القرارات السياسية المهمة في الدولة لسببين هما:-

(١) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٤١٦/١٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢٢٠/٣ .

(٣) جليل منصور العريض ، فكر الامام علي كما يبدو في نهج البلاغة ، ص ١٩٣-١٩٤ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٣/١ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٣/١ .

(٦) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٥/١ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

السبب الأول:- عدم امتلاكهم القوة لتنفيذ احكامهم :انهم وان امتلكوا فهم الاحكام الشرعية ، الا انهم لا يمتلكون القدرة على تنفيذ احكامهم وعجزهم عن تنفيذها يخرجهم عن دائرة الشورى السياسية "اذ حقيقة الحل والعقد إنما هي لأهل القدرة عليه ، فمن لا قدره عليه فلا حل له ولا عقد لديه" (١) .

السبب الثاني:- طبيعة التطورات العمرانية تقتضي ابعادهم : ان ما تقتضيه طبيعة العمران وواقع التطور والتغير في سياسة بناء دولة العصبية تحتم ابعادهم من الشورى السياسية " فطبيعة العمران في هؤلاء لا تقتضي لهم شيئاً من ذلك" (٢) أي من الشورى "لأن الشورى والحل والعقد لا تكون الا لصاحب عصبية يقتدر بها على حل أو عقد أو فعل أو ترك ، وأما من لا عصبية له ولا يملك من أمر نفسه شيئاً ولا من حمايتها ، وانما هو عيال على غيره فأى مدخل له في الشورى أو أي معنى يدعو الى اعتباره فيها ؟! اللهم إلا شوراه فيما يعلمه من الأحكام الشرعية فموجودة في الاستفتاء خاصة . وأما شوراه في السياسة فهو بعيد عنها لفقدانه العصبية والقيام على معرفة أحوالها وأحكامها" (٣) اي استبدلهم بشورى اهل الحل والربط وهم مجموعة من رؤساء وزعماء القبائل تحل وتربط ارادة قبائلها والذين يشكلون دعامة لحماية ملك معاوية واستمراره.

فابن خلدون اراد ان تكون قاعدة الشورى مبنية على مبدأ العصبية وهذا الامر يؤدي الى افراز قرارات مبنية على مبدأ القوة العصبية ، فكل عصبية تبحث عن مصالحها وترجيح اراءها وهذا يعد ظاهرة غير صحية تطراً على مبدأ الشورى في الإسلام ادخلها ابن خلدون على قاعدة الشورى التي افرغها من محتواها ومهمتها الشرعية لحفظ الدين وسياسة الدنيا به ، وسلب منهم مهمتهم في المشاورة والاجتماع لاختيار من يصلح لإمامة الامة .

ولان ابن خلدون يعتقد ان الإمامة "من المصالح العامة المفوضة إلى نظر الخلق" (٤) ويرى شورى شورى اهل الحل والعقد ، انما تنحصر فيمن يكون صاحب عصبية ، يقدر بها على الحل والعقد ، إنما تنحصر فيمن يكون صاحب عصبية ، يقدر بها على حل أو عقد " (٥) فأرجاع الشورى لأهل الشوكة والقوة يفرز قرارات لا تعير الشرع كبير اهمية .

ثالثاً :- مبدأ القوة والعصبية .

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٥/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٥/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٥/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٥/١ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٥/١ .

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

يقوم مبدأ القوة والشوكة على ان يكون الحكم فيه لأي شخص كان على شرط تمتعه بقوة عصبية وشوكة غالبية ، تمكنه من التحكم بالآخرين وردعهم ويرجع ابن خلدون قوة تحكيم العصبية على قوة تحكيم الدين لعدة معطيات فرضت نفسها على اسس السلطة السياسية ومنها الاتي :-

١. **طبيعة الواقع الاجتماعي:** لسيادة روح العصبية على الواقع الاجتماعي وفرض نفسها وقوتها وضعف تحكيم الدين، لذا كان الملك والحكم للأقوى بحكم العصبية وعبر عن هذا الرأي بقوله: "... إنهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل أحد وازع من نفسه فعهدوا إلى من يرتضيه الدين فقط وأثروه على غيره ووكلوا كل من يسمو إلى ذلك إلى وازعه وأما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف واحتيج إلى الوازع السلطاني والعصباتي فلو عهد إلى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانتقض أمره سريعا وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف"^(١).

وان العصبية الغالبة كانت في بني أمية فكان الملك فيهم كما يرى ذلك ابن خلدون بقوله:" اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستثنار الواحد به ولم يكن لمعاوية أن يدفع عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنو أمية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من اتباعهم فاعصوبوا عليه واستماتوا دونه ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالأمر لوقوع في افتراق الكلمة التي كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة"^(٢) ، ولهذا قال ابن خلدون ان عمر بن عبد العزيز كان إذا رأى القاسم بن محمد بن أبي بكر قال:" لو كان لي من الامر شيء لوليت الخليفة ، ولو أراد أن يعهد إليه لفعل ، ولكنه كان يخشى من بني أمية أهل الحل والعقد لما ذكرناه فلا يقدر أن يحول الامر عنهم لئلا تقع الفرقة وهذا كله إنما حمل عليه منازع الملك التي هي مقتضى العصبية"^(٣). وهنا اعطي ابن خلدون الشرعية لسيادة صاحب القوة والشوكة لقدرته على جمع الناس والحيلولة دون تفرقتهم الذي يؤدي الى ضعف الدولة فيتلاشى بقوة شوخته وعصبيته في جمعهم وانتلافهم.

ولكن رأي ابن خلدون هذا في سيادة العصبية على الواقع دخول الدولة طور الملك بعد ان كانت خلافة على نهج الدين لم تكن نتيجة طبيعية لسيادة العصبية وانحسار الدين حسبما زعم بل كان

(١) العبر، ١/١٦٦.

(٢) العبر، ١/١٦٦.

(٣) العبر، ١/١٦٦.

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

وصول الأمويين للسلطة وإستيلائهم عليها حسبما توصلت اليه بعض الدراسات الاكاديمية بالغبلة والقهر وإسكات الآخر الرافضين لمشروعهم بالحكم ليس بالترهيب فقط وفرض قوتهم بل بالترغيب بشراء ذمم بعض رؤساء القبائل بوقوفهم الى جانب بني امية، لأن هاجس الحفاظ على السلطة لديهم وإستمرارها بينهم ، عاملاً مؤزقاً ومقلقاً لهم في الوقت نفسه ، وهذا ما شجعهم ودفعهم للبحث في شتى السياسات والأساليب والوسائل التي تحقق لهم ذلك وتدعم سلطتهم ، فكان أن إنحصرت تلك السياسات بين الترهيب^(١) والترغيب^(٢) " (٣) التي كسب بها بني امية القوة العصبية الى جانبهم فوصلوا بفضلها الى كرسي السلطنة والملك .

٢. انحسار الدين وسيادة القوة العصبية : اكد ابن خلدون ان الحكم بوزع الدين كان قائماً لما كان الاسلام في بداية تأسيس بناء الدولة في طور البداوة وغضاضة الاسلام ولكن عندما دخلت الدولة دور الحضرة واثرت الترف في النفوس وضعف الدين وانتهت غضاضة الدين وجاءت طبيعة الملك التي هي غاية العصبية واساس مطالبها فكان الحكم للعصبية الغالبة بقول ابن خلدون : " اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد إلى عمر فاقتفي أثره وقاتل الأمم فغلبهم وأذن للعرب بانتزاع ما بأيديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه وانتزعوه منهم ... حتى إذا اجتمعت عصبية العرب على الدين بما أكرمهم الله من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا إلى أمم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الأرض بوعد الصدق فابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم فزخرت بحار الرقة لديهم... فلما تدرجت البداوة والغضاضة إلى نهايتها وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العصبية... اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستثنى الواحد به ولم يكن لمعاوية أن يدفع عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنو أمية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من اتباعهم فاعصوبوا عليه واستماتوا دونه ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالأمر لوقوع في افتراق الكلمة التي كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة " (٤).

٣. كثرة التنافس على منصب الحكم : ان كثرة المتنافسين على منصب الحاكم (الملك) لأنه منصب مطلوب لذاته لتمتع بما فيه من المصالح والملاذات فنتيجة لهذا تقع المنافسة عليه طمعا في الوصول

(١) ينظر : ماهر جواد كاظم الشمري ، اساليب الترهيب في الدولة العربية الاسلامية خلال العصر الاموي (٤١) -

١٣٢ هـ / ٦٦٦-٧٤٩ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠١٤ م ، ص ٢ .

(٢) ينظر : محمد عباس حسن الطائي ، سياسة الترغيب في العصر الاموي (٤١ هـ - ١٣٢ هـ) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب - جامعة الكوفة ، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥ م .

(٣) محمد عباس حسن الطائي ، سياسة الترغيب في العصر الاموي (٤١ هـ - ١٣٢ هـ) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب - جامعة الكوفة ، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥ م .

(٤) العبر ، ١/١١١ .

الفصل الأول : القيادة وائرها في استراتيجية بناء الدولة

اليه فيقع الصراع عليه ويصبح الملك من حصة الاقوى الذي يصارع الجميع ويغلبهم. لذا يحتاج ان يكون الحاكم هو الاقوى بقوله: " ثم إن الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالبا وقل أن يسلمه أحد لصاحبه إلا إذا غلب عليه فتقع المنازعة وتفضي إلى الحرب والقتال والمغالبة وشيء منها لا يقع إلا بالعصبية"^(١) .

٤. سنة الهية بأرسال انبياء ذات شوكة: يؤصل ابن خلدون لمبدأ القوة بأنه لا بد منه حتى يتم امر الله سبحانه في عبادته بأيصال الشرائع السماوية وتطبيقها لان السنن الالهية جرت ان الانبياء لا تبعث الا من اقوام ذات قوة عصبية وشوكة حتى يتمكنوا من نشر الشرائع وتبليغها في اقوامهم بقوله: " الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم ... وان كل امر حمل عليه من الكافة فلا بد له من العصبية وفي الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبياً الا في منعة من قومه واذا كان هذا في الانبياء وهم اولى الناس بخرق العوائد ، فما ظنك بغيرهم الا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية "^(٢) ، وقوله: " أن الشرائع والديانات وكل أمر يحمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصبية إذ المطالبة لا تتم إلا بها كما قدمناه . فالعصبية ضرورية للملة وبوجودها يتم أمر الله منها وفي الصحيح ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه "^(٣) لذا يحتاج الحاكم الى القوة العصبية من اجل نشر مبادئ الاسلام بين الناس.

ويكون حسب نظرية ابن خلدون فان نصرة العصبية للأنبياء هي لان الانبياء من ابناء قبيلتهم وجنسهم لذا يتعصبون لنصرتهم هذا على حد ادعاء ابن خلدون لكن هذا الامر لا يتفق و واقع الانبياء والمرسلين الذين بعثهم الله بالرسالات السماوية الى اقوامهم منفردين لا في منعة من قومهم بل محاربين من قبل قومهم فالنبي إبراهيم(عليه السلام) اراد قومه حرقه بالنار والنبي عيسى (عليه السلام) كان طفلاً صغيراً لا اعمام ولا اخوال فحاربه قومه هو وامه وكذلك النبي موسى (عليه السلام) ليس له من قومه الا اخيه هارون حتى رسول الله محمد فإنه ما تعرض لحرب شديدة من قومه ومحاصرة عنيفة وارادوا قتله بأي شكل كان، فجميع الانبياء لم يقف احد الى جانبهم وانتشرت رسالاتهم بين الناس بانفتاح القلوب للإيمان ومبادئ التوحيد. ان رأي ابن خلدون هذا مردود لعدة اسباب منها الاتي :-

١ . ان النصرة للأنبياء حسب ما ذهب اليه ابن خلدون فيها تعصب قبلي وليس لله تعالى لأنه نبي الله هذا من جانب ، ومن جانب اخر يُفهم منه عدم قدرة الرسالات السماوية عن القيام بذاتها وعجز

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٢٢/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٢٦/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٩/١ .

الفصل الأول : القيادة وائرها في استراتيجية بناء الدولة

مبادئها عن استقطاب الناس وتكوين قوة اجتماعية بهم تكون قاعدة بناء الدولة بديلاً عن استخدام القوة لأستقطابهم.

٢. تؤشر قراءة ابن خلدون ايضاً على ضعف الوازع الديني لدى انصار الانبياء الذي تسد ضعفه حماية العصبية القبلية أي تكون نصرته على اساس نسبه وعصبيته فيهم وليس لأنه نبي مرسل وايماننا بمبادئ رسالته ونصرة للحق والتوحيد.

٣. أن تأكيد ابن خلدون على بعثة الانبياء من اولي عصبية او عشيرة قوية يدفعنا الى القول ان ابن خلدون يشكك بقدرة الاسلام على القيام بذاته من لا شيء سوى حب الله وتبشيريه بمبادئ العدل والمساواة والاخوة بين الانسانية جمعاء والرحمة للعالمين وجمع قلوب الناس على الايمان بالله فتكونت بعد ذلك جماعة المسلمين ، وهذا ما حدث فعلاً فوجد المسلم المؤمن برسالة النبي محمد (ﷺ) يترك قبيلته واخوته وبنية وعصبته ويتجه منفرداً الى الايمان بالله تعالى فترك اخوة النسب لأجل الله تعالى فوجد الاخوة في الله عوضاً فكثر جماعة الاسلام .

٤. ان ما جاء به (ﷺ) من نبأ عن توحيد الله ومبادئ وقيم الاسلام العادلة كاف لخلق الجماعة المؤمنة التي تدافع عن الدين حتى يقوم بأهله فهو اول من آمن به البسطاء والاذلاء والضعفاء الذين لا اموال لهم ولا قوة والذين لا يستطيعون نصرته والدفاع عن انفسهم فكيف يدافعون عنه . ولأجل حمايتهم امرهم الرسول (ﷺ) بالهجرة الى الحبشة لأجل طلب الامان والحفاظ على عقيدتهم الجديدة من ضغط وأذى وتعذيب زعماء مشركي قريش لهم. فلو كان هناك تضامن معه من قبل قومه لما هاجر بعض المسلمين من قبيلته الجهرتين الاولى للحبشة والاخرى للمدينة المنورة فأخرجته قبيلته جهارا وأرادوا قتله بشهادة القرآن الكريم في قوله تعالى (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) (١) .

٥. ان طرح ابن خلدون هذا يتناقض مع الفكر الاسلامي الذي نبذ العصبية بأنها من حماية الجاهلية ونبذ رسول الله العصبية بقوله (ﷺ) : "دعوها فإنها منتنة" (٢) . فكيف ينتصر بها وقد دعا الله تعالى الى اخوة الايمان ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٣) ، وقال سبحانه: ﴿

(١) سورة محمد، آية ١٣ .

(٢) مسلم، صحيح، ١٩/٨ .

(٣) سورة الحجرات ، آية ١٠ .

الفصل الأول : القيادة وائدها في استراتيجية بناء الدولة

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾ .

٦. ان الله سبحانه لو ارسل الرسل في عزة وقوة من اقوامهم لكان الايمان به خوفاً منهم ومن سطوة قومه، وليس ايماناً واعتقاداً لما جاء به من مبادئ الاسلام ، وان فلسفة ابن خلدون هذه تتعارض مع السنن الالهية بأرسال الرسل في ضعف مما ترى العين من حالتهم وقوة في عزائمهم أي انهم لا يملكون من القوة إلا الإيمان بالله تعالى وبشرائعه بما تضمنته من مبادئ و اخلاق، حتى يؤمن الناس بهم عن ايمان وقناعة لا عن خوف ورهبة بدليل قول الامام علي(عليه السلام): "وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ ، حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الدُّهْبَانِ ، وَمَعَادِنَ الْعِظْيَانِ وَمَعَارِسَ الْجِنَانِ ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ وَلَمَّا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنَى ، وَخَصَاصَةٍ تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدَى وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تَرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرَّجَالِ وَتُسَدُّ إِلَيْهِ عَقْدُ الرَّحَالِ ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْإِسْتِكْبَارِ ، وَلَا مَأْمُونًا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ ، فَكَانَتِ النَّبِيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُفْتَسَمَةً ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ وَالْخُشُوعُ لَوَجْهِهِ ، وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ ، أُمُورًا لَهُ خَاصَّةٌ لَا يَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبُلُوى وَالِإِحْتِبَارُ أَعْظَمَ ، كَانَتِ الْمُنُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ" (٢) أي ان الله سبحانه فلو اراد لجمع لأنبيائه الاموال والقوة الا انه سبحانه اقتضت حكمته ان لا يفعلها ولم تقع إذ لو فعل لترتب عليه مفساد كثيرة وأمور كلها خلاف مقتضى الحكمة الالهية ولسقط ابتلاء المتكبرين بالمستضعفين من الأنبياء والمرسلين وارتفع اختبارهم بهم ، إذ مع وقوعها ارتفع الضعف عنهم وانتفى علة الاستضعاف (٣) وكذلك لبطل الجزاء ؛ لأنَّ الجزاء مترتب على التسليم للأنبياء وعلى امتثال التكليف الالهية على وجه الخصوص ، ومع كون الأنبياء حين بعثهم بزينة الملوك والسلطين يكون الانقياد لهم وامتثال

(١) سورة آل عمران ، آية ١٠٣

(٢) نهج البلاغة ، ص ٢٩٢ .

(٣) حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١١ / ٣٣٤-٣٣٩ .

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

وأمرهم ونواهيهم عن رغبة مائلة أو رهبة قاهرة ، فلا تكون طاعتهم عن إخلاص حتى يستحق المطيعون للجزاء كما هو واضح لا يخفى (١).

ونص آخر له عليه السلام يثبت فيه قلة الناصر لجميع الرسل من ادام الى الخاتم (عليهم السلام) بقوله: " واصطَفَى سُبْحَانَهُ ... أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَجَهَلُوا حَقَّهُ ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ ... فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ ، لَيْسْتَادُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ ، وَيَحْتَجُّوْا عَلَيْهِمْ بِالنَّبْلِغِ ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَقَائِنَ الْعُقُولِ ، وَيُزَوِّدُهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ : مِنْ سَفْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ، وَمِهَادِ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ ، وَأَجَالَ تُغْنِيهِمْ ، وَأَوْصَابِ تُهْرِمُهُمْ ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُخَلِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ ، رُسُلٌ لَا تُفَصِّرُ بِهِمْ قَلَّةَ عَدَدِهِمْ ، وَلَا كَثْرَةَ الْمُكْذِبِينَ لَهُمْ : مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ ، أَوْ غَابِرِ عَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ : عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ " (٢) وبهذا لا يجتمع الامام علي(عليه السلام) بالرأي مع ابن خلدون في ان الانبياء ترسل في منعة وقوة في اقوامهم بما أوضحه (عليه السلام) من علة ارسال الرسل وحيدين مع قلة الناصر.

٧. انه اعطى الحق لكل من يمتلك قوة عصبية ان يكون حاكما بغض النظر عن اسس تكوين هذه العصبية او اهدافها في بناء الدولة.

٨. يؤيد ابن خلدون مخرجات مبدأ الحكم بالقوة وهو تحول الخلافة الى ملك مستشهداً بملك النبي سليمان بن داوود (عليهما السلام) وان الله اعطاه ملكاً وحكم به بقوله: " واعلم ان الشرع لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به وانما ذم المفاصد الناشئة عنه من القهر والظلم...وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من انبياء واکرم الخلق عنده" (٣) وهو بذلك يريد ان يوهم القارئ بأن ملك القوة قائم على الشرع وان الانبياء ملكوا من قبل في حين ان ملك سليمان وداود قائم على الدين واما الملك الذي يسوغه ابن خلدون قائم على القهر والقوة وهذا يتنافى مع الشرع الالهي.

(١) حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١١ / ٣٣٤-٣٣٩ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٤٣ .

(٣) العبر ، ١٥٢/١ .

رابعاً : مبدأ ولاية العهد

لقد ايد ابن خلدون كل المستجدات في السلطة السياسية التي اوجدها الواقع البشري بأتباع مصالحهم واهوائهم فأيد مبدأ العهد الذي ينص بأن يولي الحاكم ابنه او اخوه ما دامت موازين القوى العصبية الى جانبهم واخرج له التحليلات الواقعية بالإضافة الى التخريجات الشرعية ويرى ابن خلدون ان هذا المبدأ اوجدته مستجدات ومعطيات تاريخية وشرعية اهمها الاتي :-

١ . **لحفظ مصالح الامة والدولة عامة:** حسب رأي ابن خلدون ان الحاكم هو الناظر والاعلم بمصلحة الدولة فهو صاحب الرأي فيمن يضع الحكم من بعده ووضح ذلك بالقول: "الإمامة ومشروعيتها لما فيها من المصلحة وأن حقيقتها للنظر في مصالح الأمة لدينهم ودنياهم فهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ويقوم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها ويتقون بنظره لهم في ذلك كما وتقوا به فيما قبل"^(١)، ان المصالح التي يتحدث ابن خلدون على حفاظها هي مصلحة عصبية غالبية فقط وليس مصلحة امة كاملة لانه هنا ينظر الى مصلحة عصبية الحاكم بقوة العصبية والشوكة فورث الحكم في عصبية حتى لا يخرج الحكم منها لان الغاية التي تجري العصبية اليها هي الملك حسب منطق ابن خلدون.

٢ . **موافقة الشرع (إجماع الأمة):** أصل ابن خلدون لشرعية مبدأ ولاية العهد بأجماع الامة بقوله: "وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على جوازه وانعقاده إذ وقع بعهد أبي بكر رضي الله عنه لعمر بمحضر من الصحابة وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به طاعة عمر ... وكذلك عهد عمر في الشورى إلى الستة بقية العشرة وجعل لهم أن يختاروا للمسلمين ففوض بعضهم إلى بعض حتى أفضى ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين على عثمان وعلى علي فآثر عثمان بالبيعة على ذلك لموافقة إياه على لزوم الاقتداء بالشيخين في كل ما يعن دون اجتهاده فانعقد أمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته والملا من الصحابة حاضرون للأولى والثانية ولم ينكره أحد منهم فدل على أنهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته والاجماع حجة كما عرف"^(٢) ورأي ابن خلدون ينقضه استنتاجنا السالف الذكر بان اجماع الصحابة ليس بحجة لانهم ليس جميعهم بعدول بشهادة القرآن الكريم قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ

(١) العبر، ١/١٦٥.

(٢) العبر، ١/١٦٥.

الفصل الأول : القيادة وائتمارها في استراتيجية بناء الدولة

فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْرَجٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا^(١) فهنا الآية المباركة حددت بالتبشير بالمغفرة والاجر العظيم الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم وليس جميعهم.

٣. ان مبدأ ولاية العهد نتاج مبدأ حكم القوة: لسيادة امر العصبية وغلبتها على الواقع فان اختيار الحاكم حسب مبدأ القوة اعلاه هو من يحدد ولي العهد من بعده والذي تجتمع عليه العصبية ويحول دون تفرقتها ، واكد ذلك ابن خلدون بقوله: "ولايتهم الامام في هذا الامر وإن عهد إلى أبيه أو ابنه لأنه مأمون على النظر لهم في حياته فأولى أن لا يحتدل فيها تبعة بعد مماته خلافا لمن قال باتهامه في الولد والوالد أو لمن خصص التهمة بالولد دون الوالد فإنه بعيد عن الظنة في ذلك كله لا سيما إذا كانت هناك داعية تدعو إليه من إيثار مصلحة أو توقع مفسدة فتنتفي الظنة في ذلك رأسا " ويضرب مثلا تاريخيا في ذلك بولاية عهد معاوية بن ابي سفيان لأبنة يزيد بقوله " كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وإن كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع"^(٢).

وأيد ابن خلدون هذا المبدأ والسائرين عليه من الحكام ويعتذر لهم لخروجهم عن مسار الخلفاء الثلاثة الاوائل لانهم عاصروا سيادة العصبية وضعف الوازع الديني بقوله: " ولا يعاب عليهم إيثار أبنائهم وإخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعة في ذلك فشأنهم غير شأن أولئك الخلفاء فإنهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل أحد وازع من نفسه فعهدوا إلى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكلوا كل من يسمو إلى ذلك إلى وازعه وأما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف واحتيج إلى الوازع السلطاني والعصباتي فلو عهد إلى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانتقض أمره سريعا

(١) سورة الفتح، آية ٢٩.

(٢) العبر، ١/١٦٥.

الفصل الأول : القيادة وأثرها في استراتيجية بناء الدولة

وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف " وجملة من ايدهم ابن خلدون من الحكام هم " ثم إنه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني أمية والسفاح والمنصور والمهدي والرشيد من بني العباس وأمثالهم ممن عرفت عدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين والنظر لهم " ويضيف قائلاً بأن هؤلاء : " لا يعاب عليهم إثارة أبنائهم وإخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعة في ذلك فشأنهم غير شأن أولئك الخلفاء فإنهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينياً فعند كل أحد وازع من نفسه فعهدوا إلى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكلوا كل من يسمو إلى ذلك إلى وازعه وأما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف واحتيج إلى الوازع السلطاني والعصبياني فلو عهد إلى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانتقض أمره سريعاً وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف "(١)

٤. انه لطف الهي بعباده : رأى ابن خلدون انه نتيجة المتغيرات الزمانية التي تؤدي الى تقلبات موازين القوى وسيادة القوة العصبية الغالبة منها وحتى لا يعيش المجتمع المنازعات التي تؤدي به الى التفرقة فأجتمعت على هذا الحل وهو لطف من الله سبحانه حسب منطق ابن خلدون فأشار الى ذلك بقوله: " فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الأمور والقبائل والعصبية وتختلف باختلاف المصالح ولكل واحد منها حكم يخصه لطفاً من الله بعباده "(٢). ولكن نلاحظ بأن ابن خلدون يجانب الصواب ويرى ان لطف الله يكون بحكم القوة والقهر وهذا مجانب لسنة العدالة الالهية والتي كانت ترى في حكم المعصوم حسب نظرية الامام علي(عليه السلام) في الحكم هي اللطف الالهي الحقيقي التي يحقق تطبيقها وصول القيادة .

ونلاحظ ان ابن خلدون تحول في رأيه من مبدأ الشورى والاجماع الى مبدأ القوة والاكراه بسبب التغيرات الجوهرية التي حدثت على اسس السلطة السياسية في الواقع ولم يستند الى شرع في ذلك. واخذ يبرر لها شرعياً وتناقض ابن خلدون في ذلك مع نفسه في هذا التبرير حسب ما يذهب الى ذلك ايضاً احد الباحثين بأن تفسيره وتأصيله لهذا المبدأ بأستشهاده بعمل ابي بكر بولايته للعهد لعمر بن الخطاب فقد فسرها ابن خلدون سابقاً انها من الوازع الديني وهنا يرى ان السبب الرئيس في مبدأ العهد هو القوة العصبية الغالبة (٣) وكذلك استشهاده بتصرف عمر بن الخطاب يفقر هو الاخر الى الدقة

(١) العبر، ١٦٥/١.

(٢) العبر، ١٦٨/١.

(٣) النظرية السياسية لابن خلدون دراسة مقارنة في النظريات الاسلامية والفكر السياسي الاسلامي ، ص ١٤٥.

الفصل الأول : القيادة واثرها في استراتيجية بناء الدولة

لأنه لم يعين ابنه او اخاه كما صار وانما عين ستة اشخاص لكي يختاروا لا لكي يعينوا خليفة له،
ويزيد قائلاً وعلى الرغم من ان تصرف ابي بكر وعمر كان في طور الوازع الديني حسب زعم ابن
خلدون وان مبدأ ولاية العهد هو نتيجة انحسار الدين والوازع وسيادة العصبية^(١).

(١) محمد محمود ربيع ، النظرية السياسية لابن خلدون ، ص ١٤٥-١٤٦ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرها في استراتيجية بناء الدولة

المبحث الاول: روابط بناء المجتمع واثرها في استراتيجية بناء الدولة

ان نظام بناء اي مجتمع يعكس فلسفة الدولة في صيغة بنائها للمجتمع وتجسيد حي لفكر و منهج واستراتيجيتها في بناء الدولة؛ لأنه القاعدة لبنائها وعليه يعتمد شكل بناء الدولة ، وتكشف روابط البناء عن اهمية ودور المجتمع في بناء الدولة ،هذا ما سيتوضح لنا من خلال هذا الفصل .

سعى الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ان يكون هناك انسجام تام بين مجتمع الدولة والحكومة لان المجتمع هو مادة الدولة وهدف بنائها إلى تأسيس نواة مجتمع مبني على اسس او رسالة معينة كما في النظرية الاجتماعية التي يطرحها الإمام علي (عليه السلام) وهي النظرية الاسلامية التي تؤكد على بناء مجتمع مؤمن بمبادئ الرسالة الاسلامية ومبني على اسسها وفكرها حتى يكون من القوة ومهيأ لبناء الدولة عن ايمان و يقين بها لأنها تُبنى من اجله فعليه ان يكون على اطلاع وايمان كاملين بمشروعها الحضاري .وقد نظم الإمام علي (عليه السلام) بناء المجتمع على اساس الرابطتين الدينية والانسانية لان دولة الإمام علي (عليه السلام) من اجل الانسان بغض النظر عن عرقه او انتمائه أي انها بنيت من اجل احتواء الجميع سواء المسلم او غير المسلم وكما سنأتي لبيان وتوضيح ذلك من خلال وقوفنا على اسس او روابط بناء المجتمع ومن خلال محورين وكالاتي:-

المحور الاول: روابط بناء المجتمع

سننتظر اولاً إلى روابط بناء المجتمع عند الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ويعد ذلك عند ابن خلدون لمعرفة الاسس الفكرية لمنهجية بناء المجتمع عند كل منهما ولملاحظة نقاط الالتقاء والتضاد واثر ذلك كله في بناء الدولة بصورة عامة.

الاساس الاول : رابطة الاخوة الدينية(العقيدة الايمانية).

نظم الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) بناء المجتمع على اساس الرابطة الدينية والانسانية، ونستشف هذا من خلال كتابه لواليه مالك الاشر : " وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سُبُعاً ضَارِباً تَعْتَمُّ أَكْلَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَحْ لَكَ فِي الدِّينِ ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ " ^(١)، فالإمام كونه حرص على تنظيم علاقة الوالي برعيته على اساس هذين الرابطتين فهذا اولى وجدير به عليه السلام بان يجعل هذه العلاقة هي التي تؤسس للرابطة بين افراد المجتمع وتنظيم العلاقات والتعامل فيما بينهم ،وهذه استراتيجية تنظيم

(١) نهج البلاغة، ص ٤٢٧.

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثراها في استراتيجيّة بناء الدولة

إنسانيّة اجتماعية عظيمة ، بل حضاريّة راقية لا يمكن أن يدرك مدى قيمتها إلا من يمتلك عقلاً راجحاً وثقافةً واسعةً . جعلها الإمام مبدأً عاماً للبشرية ، وقانوناً إنسانياً حضارياً ، إن طبّق بما جاء فيه سعدت البشرية وحلّ الأمن والسلام . وما يطرحه أديعاء الحريّات وحقوق الإنسان من مبادئ عامّة بهذا الشأن لا تعدو كونها محض شعارات ، وهذا ما نراه في عصرنا الحاضر وما سبقنا، حيث التبجّح والتمسك الزائف بنصوص برّاقية ولامعة تحوي الخلق السليم على الورق والقتل والسبي والتشريد للشعوب المستضعفة على أرض الواقع . فالإنسان عند الإمام عليّ (عليه السلام) أخو الإنسان ، سواء كان في الدين وارتباطاته الوشيحة أو في الخلقة ، فالله خلقهم كلهم من آدم وحواء قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (١).

ويبين الإمام أهمية هذه الرابطة الدينية والايمانية واثارها على بناء مجتمع الدولة لكونها تأصل للألفة بين افراد المجتمع وتعمل على تماسكه وقوته بقوله (عليه السلام): " فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اٰمَنَنَّ عَلَيَّ جَمَاعَةً هَذِهِ الْأُمَّةُ ، فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ ، الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا وَيَأْوُونَ إِلَى كَنْفِهَا ، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً ، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنِ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ " (٢) والمراد بالعقد بينهم الألفة التي تدعو إلى التعاون المتكامل على أساس الإيمان والعقيدة (٣)، واستناداً لنص الإمام يمكن بيان أهمية واثر هذه الرابطة بما يأتي :-

١. ان هذه الرابطة او العقد ذا قيمة كبيرة هو (أرجح من كل ثمن ، وأجلّ من كل خطر) أي جليل ، لأن التعاون بهذا المفهوم يكون لخدمة الجميع لا لصالح فئة على حساب فئة أخرى (٤) ، كما قال سبحانه : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (٥)، وقال تعالى: (وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٦).

٢. ان رابطة العقيدة تسهم في صياغة وبناء الجماعة المتماسكة وتحقق الشعور بالترابط والتقارب والالفة والقوة بين ابناءها نتيجة لوحدة المنطلق ووحدة الهدف.

(١) سورة الحجرات، اية ١٣ .

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٢٩ .

(٣) مغنية ، في ظلال نهج البلاغة، ص ١٤٦ .

(٤) مغنية ، في ظلال نهج البلاغة، ص ١٤٦ .

(٥) سورة ال عمران، اية ١٠٣ .

(٦) سورة الانفال، اية ٦٣ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

الاساس الثاني: رابطة الاخوة الانسانية

ان هدف الإمام علي (عليه السلام) هو بناء استراتيجية دولة عالمية وليس دولة شخصية او دولة ملكية لأسرة او لعائلة ما ولا دولة طائفية بل هي دولة من اجل الشعوب بمختلف إنتمائاتهم واعراقهم فقد بنى المجتمع ونظم العيش والعلاقات العامة فيه وفق الرابطة الانسانية وهو تنظيم استراتيجي مجتمعي يراد منه اعطاء مرونة للمجتمع من اجل احتواء المسلم والآخر من غير المسلمين كذلك لا فرق بينهم في مجتمع واحد ، ونظم علاقتهم وفق حقوق وواجبات على كل منهم واكد الإمام على هذه الرابطة بقوله (عليه السلام): "وَمَا نَظِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ" ، وهذه أيضاً لها مضامينها وضوابطها ، فالدين الإسلامي مترجم بفكره الذي طرح العدالة بمعانيها الحقة ، مطبقاً على نفسه أولاً ومُراعياً كل الظروف التي تمر على المجتمعات من خيرٍ أو شرٍّ ، اراد أن يبني مُجتمعاً إنسانياً بمعنى الكلمة ، فالإنسان عنده الهدف في البناء ، والبناء لا يكون إلا بأساسٍ مُحكمٍ والأساس المُحكم هو العدالة المطلقة، فالإمام علي (عليه السلام) كان لا يلتفت إلى جانب إنسانيٍ ويترك الآخر ، إنه ينظر نظرةً شاملةً للأمة ، ويكون ذلك عبر الحكم بالحق كافة ، فلا ينسى مثلاً أهل الذمة من اليهود والنصارى وغيرهم من المكونات الاخرى للمجتمع، وهذا ما أوضحه قوله إلى دهاقين بعض المناطق وعاملها : "أما بعد ، فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَذَى وَصَرْفِ الشَّدَى ، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ" (١) ، فيحذر الإمام (عليه السلام) عماله وجُباة الخراج بأنّه قد وجّه جيشاً إلى جهة معينة وهو يمرُّ بهم ، وأنّه قد أوصاهم بكفّ الأذى وإبعاد شرهم عن الناس ، ثمّ يقول : (وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ) ، أي : اليهود والنصارى الذين بينكم (٢).

وكتب الإمام علي (عليه السلام) إلى عمر بن مسلمة الأرحبي : "أما بعد ، فإن دهاقين عمك شكوا غلظتك ، ونظرت في أمرهم فما رأيت خيراً ، فلتكن منزلتك بين منزلتين : جلاباب لين بطرف من الشدة في غير ظلم ولا نقص ، فإنهم أحيونا صاغرين ، فخذ ما لك عندهم وهم صاغرون ، ولا تتخذ من دون الله ولياً ، فقد قال الله عز وجل : " لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً " ، وقال عز وجل في أهل الكتاب : " لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء " ، وقال تبارك وتعالى : " ومن يتولهم منكم فإنه منهم " ، وقرعهم بخراجهم . وقابل في ورائهم وإياك ودماءهم والسلام" (٣).

(١) الإمام علي ، نهج البلاغة ، ص ٤٥٠ .

(٢) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٤٧/١٧ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢٠٣/٢ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجيّة بناء الدولة

وكذلك قال (عليه السلام): " مَنْ آذَى دَمِيًّا فَكَأَنَّمَا آذَانِي " (١)، وقوله (عليه السلام): " إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا " (٢). وهذا طرح اجتماعي من حكومة حكيمة تدعو إلى التعايش السلمي المجتمعي في الدولة الواحدة وبناء كيانها على أسس إنسانية بين مختلف الطوائف والديانات للعيش بكرامة بدون تمييز او استثناء .

وكذلك دعوته لحفظ حقوق الأقليّاتِ والدفاع عنهم فلما وقعت الغزوات المتكررة لجيش معاوية بن أبي سفيان على ثرى ومُدُن الدولة الإسلاميّة في الأنبار وكان فيها من اهل الذمة ايضا، حيث قتلوا ونهبوا وسلبوا وأحرقوا كلّ شيءٍ للناس ، فتأثّر الإمام عليّ (عليه السلام) تأثراً شديداً وحثّ أصحابه على الجهاد والقيام لمقارعة العدو بعد أن وجد فيهم التكاثر والتباطؤ والخذلان ، وقد قال في ذلك: " وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ ، فَيَنْتَرِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَانِدَهَا وَرُعْتَهَا ، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْأَسْتِرْجَاعِ وَالْأَسْتِرْحَامِ ، ثُمَّ انصَرَفُوا وَافْرِينَ ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ ، وَلَا أَرِيْقَ لَهُمْ دَمٌ ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا ، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا " (٣) . فأسفهُ كان واحداً لتلك المسلمة والمعاهدة ، فهي تحت حمايته كما هي المسلمة ، ولقد عبّر (عليه السلام) عن عمق حُزنه على أعمال هؤلاء الغدرّة في قوله : " فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا ، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا " (٤) . وهذه نظرة انسانية قل نظيرها على مر التاريخ ، وللرابطة الانسانية اثار مهمة منها الاتي:-

١. بناء مجتمع دولة منفتح على الاخر بغض النظر عن عرقه او دينه.

٢. احترام الذات الانسانية وتامين حقها في العيش المجتمعي .

٣. شجع على التعايش السلمي الحر مع الجميع بدون أي حواجز او فواصل اجتماعية.

ولأجل تعزيز الرابطة الدينية على اساس العقيدة الايمانية والرابطة الانسانية ودعوة المسلمين إلى التمسك بهما ، دعا الإمام (عليه السلام) إلى نبذ الرابطة العصبية التي بين مخاطرها واثارها ومنها التكبر والحمية على غير هدى وحذر من اعتمادها كعامل بناء وربط بين افراد المجتمع وذلك في خطبته القاصعة كان التحذير فيها على عدة جوانب منها الاتي :-

(١) نهج البلاغة ، ص ٣٥١ .

(٢) الحلي ، تذكرة الفقهاء ، ٢٨٦/٩ .

(٣) الإمام علي ، نهج البلاغة ، ص ٦٩ .

(٤) الإمام علي ، نهج البلاغة ، ص ٧٠ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرها في استراتيجيّة بناء الدولة

١. ترك التكبر بالانتماء العصبي للمجتمع لان الكبرياء لله وحده وان التكبر صفة ابليس الذي دفعه لمعصية الله عز وجل وذم إبليس لعنه الله ، على استكباره وتركه السجود لآدم (عليه السلام) ، لأنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية ، وتحذير الناس من هذا السلوك الاجتماعي الشيطاني وان لا ينظروا لنظائرهم من الخلق بهذه النظرة العصبية الفوقية المتكبرة على اخوتهم بالدين او ابناء نوعهم الانساني ؛ لان العزة والكبرياء لله وحده سبحانه وتعالى و اشار إلى ذلك بقوله (عليه السلام): "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ الْعَزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ ، ... ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ ، لِيَمَيِّزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالَمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ ، وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ (إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ) ، اغْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَحَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْفِهِ ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ ، فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصِيَّةِ وَنَارَ اللَّهِ رِذَاءَ الْجَبْرِ ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّنَدُّلِ ، أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبُرِهِ ، وَوَضَعَهُ بِتَرْفُوعِهِ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُورًا ، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا ... " (١).

٢. دعى (عليه السلام) إلى نبذ العصبية وتذويبها لأنها من حمية الشيطان ومبغضة للرحمن وليست من سمات المجتمع المسلم ان تكون العصبية احد قيمه الاجتماعية لأنها تنزع ايمان الفرد وتجعل عمله وعبادته هباء منثورا بقوله : " فَاغْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ ، إِذْ أَحْبَبَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ ، لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ ، عَنْ كِبَرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ ، كَلَّا مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا ، بِأَمْرِ أُخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا ، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ ، وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ ، فِي إِبَاحَةِ جَمِي حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ " (٢).

٣. التحذير من العصبية لكونها شيطانية التأسيس فأول من قال بها و طبقها وعمل بها هو ابليس لعنه الله فيجب الابتعاد عنها والحذر من تبعاتها السيئة لانها من طباع الشيطان عدو الانسان والمجتمع المسلم ولكون الدولة اسلامية فيجب ان تبنى على اسس رحمانية وانسانية بقوله " فَاخْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ اللَّهُ عَدُوُّ اللَّهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ ، وَأَنْ يَسْتَفْرِكُمْ بِدَنَائِهِ وَأَنْ يُجَلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ ، فَلَعْمَرِي لَقَدْ فَوْقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ ، وَأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، فَقَالَ: (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَأُغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ) ، قَذَفًا بِغَيْبٍ بَعِيدٍ وَرَجْمًا بِظُلْمٍ غَيْرِ مُصِيبٍ ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وَإِخْوَانُ الْعَصِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ الْكِبَرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ ، حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ ،

(١) الإمام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ٢ص ٢٨٥.

(٢) الإمام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٢٨٦.

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجيّة بناء الدولة

وَأَسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ ، ... فَأَطْفَنُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ ، مِنْ نِيرَانِ الْعَصِيَّةِ وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ ، مِنْ حَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ وَنَزَعَاتِهِ وَنَفَاتِهِ ^(١).

٤. التحذير من طاعة كبراء العصبية وزعمائها لأنها طاعة عمياء تكون احيانا على حساب طاعة الله تعالى والمؤمنين ولان منطق زعماء العصبية ينطق عن الشيطان الذي هو عدو الانسان دائما بقوله: "أَلَا فَالْحَدَرَ الْحَدَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبْرَائِكُمْ ، الَّذِينَ تَكْبَرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفَعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ ، وَالْقَوَا أَلْهَجِيَّةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ ، مُكَابِرَةً لِقَضَائِهِ وَمُعَالَبَةً لِأَلَانِهِ ، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصِيَّةِ ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ وَسُيُوفُ اعْتِرَازِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعْمِهِ عَلَيكُمْ أَضْدَادًا ، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا ، وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدْرَهُمْ ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ ، وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ وَأَخْلَاسِ الْعُقُوقِ ، اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ ، وَجُنْدًا بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقًا لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولًا فِي عُيُونِكُمْ ، وَنَفْتًا فِي أَسْمَاعِكُمْ ، فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ وَمَوْطِيَّ قَدَمِهِ وَمَأْخَذَ يَدِهِ ^(٢).

٥. العبرة بالأمة الماضية التي احبط الله عملها وتفردت وحدتها بسبب اتخاذها العصبية شعارا لانتمائها الاجتماعي والتكبر على ابناء جنسهم ونوعهم الانساني ليبعد الإمام (عليه السلام) المجتمع من استحقاق عذاب الله وبلائه نتيجة لتكبرهم بالعصبية وظلم بعضهم بعض بقوله (عليه السلام): " فَاغْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَّةَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ ، ... فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ)، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَارُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ ، بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ ... ^(٣).

الاساس الثالث:- الاساس العصبي

وجد ابن خلدون من خلال دراسته للواقع الاجتماعي في نظرية بناء الدولة ان البيئة التأسيسية لبناء مجتمع الدولة هي العمران البدوي لما تتميز به هذه البيئة من روابط عصبية تضم افراد عصبيتها وتشد بعضهم إلى بعض . فحسب قراءة نظرية ابن خلدون في بناء الدولة العصبية فانه دولة العصبية لم تهتم ببناء المجتمع بقدر ما كانت تهتم بالحصول على قوة قادرة وداعمة لمشروعها المتمثل ببناء

(١) الإمام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٢٨٦.

(٢) الإمام علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة، ص ٢٨٩.

(٣) علي بن ابي طالب ، نهج البلاغة، ص ٢٨٩.

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

الدولة والوصول إلى الملك لان هدف العصبية هو الوصول إلى الملك والحفاظ عليه باي وسيلة كانت " أن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك وذلك لأننا قدمنا أن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه ^(١) لذا اتجهت الانظار في البدء إلى العمران البدوي لما فيه من قوة مهيئة يمكن ان يتغلب بها على القوى الاخرى وفرض السيطرة عليها والتحكم بها وعلان الملك عليها جميعا لما لها من بنية عصبية اسهمت العديد من الظروف في بنائها وتلاحمها منها النسب والقرباية او الولاء القبلي وكذلك المصلحة المشتركة التي تربطهم مجتمعين لضرورة الدفاع عن انفسهم وتأمين احتياجاتهم من ضروريات الحياة.

لذا لا يحتاج الساعي إلى الملك ان يبدأ بتأسيس نواة مجتمع مبني على اسس جديدة او رسالة معينة كما في النظرية الاجتماعية التي يطرحها الإمام علي (عليه السلام) والمناسبة لاستراتيجية بناء الدولة وفق النظرية الاسلامية التي تؤكد على بناء مجتمع بمبادئ الرسالة الاسلامية فيكون من القوة ومهياً لبناء الدولة عن ايمان و يقين بها لأنها تُبنى من اجله فعليه ان يكون على اطلاع وايمان كاملين بمشروعها الحضاري ،فهذا ما لم يهتم به صاحب العصبية لان هدفه ليس بناء الدولة من اجل الشعب بل هدفه الوصول عن طريق الشعب إلى الملك والسلطة بأي وسيلة او قوة كانت وما دام قوة القبائل البدوية موجوده و مكتملة فلا ضير من استعمال شعبها لتحقيق اهدافه والوصول إلى مطامح الملك .

وتقوم بنية مجتمع دولة القوة والغلبة على اساس الرابطة العصبية التي تنظم طبيعة العلاقة القائمة بين افراد المجتمع من جهة وبينهم وبين السلطة الحاكمة من جهة اخرى . وتتباين اسس قيام مجتمع العصبية على اساس الرابط الذي يجمع بينها والذي يحدده عمر و اطوار الدولة العصبية والتي لكل طور اسس جديدة تبنى بها عصبية الحاكم على اساسه وبالتالي تباين انواع العصبيات وخصائصها ودورها في بناء وهدم الدولة فمنها العصبية الطبيعية (الخاصة) ، والعصبية الكبرى، والعصبية المصطنعة^(٢)، وتظهر هذه العصبيات نتيجة التفاعلات والمتغيرات والاطوار المختلفة التي تعيشها الدولة من طور التأسيس البدوي وصولا إلى العمران الحضري وطور الهرم والتي تنبثق منها عصبيات تعبر عن كل طور او دور تعيشه الدولة، وسنأتي على بيان وتوضيح هذه الروابط واثرها في بناء مجتمع الدولة والتي تتمحور فيما يأتي :-

١ . الرابط العصبي المعنوي (النسب او الولاء) .

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١١٠/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١١٠/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

٢. رابط الاخضاع بقوة العصبية والشوكة .

وسنأتي على توضيح وبيان كل منهما كالآتي:-

الرابط الاول: الاساس العصبي المعنوي (النسب او الولاء).

اشترط ابن خلدون في بداية بناء الدولة ان تنطلق من العمران البدوي لما لاحظته في المجتمع البدوي من خصائص تساعد في تهيأت القوة البانية والمطالبة بالملك؛ نتيجة طبيعة بنية مجتمعها الملتحم مع بعضه على اساس النظام العصبي الذي يجعل منها قاعدة القوة للانطلاق في بناء الدولة والتي تسهم في تهيأت متطلبات هذا البناء من قوة المال والسلاح والرجال، وكذلك لكون مجتمع العصبية لا يحتاج إلى وقت وجهد لتنظيمه وجعله قوة ضاربة لأنه منتظم اساسا انتظام طبيعي نتيجة العصبية التي تربط افراده من صلة القرابة والنسب التي تجمع وتصل بين ابنائه وتخلق منهم عصبية قوية قادرة على ادارة نفسها والدفاع عن حياضها او من ينضم اليها عن طريق الولاء فيصبح واحداً منهم .

فالعصبية من النسب او الولاء هي الرابط الاول الذي يربط افراد مجتمعها ، والعصبية لغة مشتقة من العصبه " عصبه الرجل : بنوه وقرابته لأبيه "(١) ، وعصبه الرجل " اولياؤه الذكور من ورثته ، سموا عصبه لانهم عصبوا بنسبه أي استكفوا: فالأب طرف والابن طرف، العم جانب والأخ جانب والجمع العصبات " والعرب تسمي قرابات الرجل اطرافه ولما احاطت به هذه القرابات وعصبت به وسموا عصبه"(٢) ، وورد في لسان العرب بان العصبية هي: " ان يدعوا الرجل إلى نصرت عصبته وتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين أو مظلومين "(٣) والعصبه الأقارب من جهة الاب، لأنهم يعصبون ويتعصب بهم أي يحيطون به، ويشتد بهم "(٤) وهذا يعني ان العصبه تقوم اساس على القرابة وان جميع اقارب الرجل ليسوا بالضرورة عصبه له، بل فقط، الذين يلزمونه منهم .

تكون صلة الرحم وعلاقات القرابة هي الاصره التي تشد المجموعة العصبية إلى بعضها وينتج عنها التناصر فيما بينهم الذي هو امر طبيعي عام نتيجة للرابطة الدموية النسبية كما يسميها ابن خلدون بقوله " ذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل ومن صلتهما النعرة على ذوي القربى

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ٧٥/٣ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ٧٥/٣ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ٦٠٦/١ .

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ٦٠٦/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع وأثرها في استراتيجيات بناء الدولة

وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العدا علىه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجرد ما ووضوحها" (١) .

الرابط الثاني : الاخضاع بقوة العصبية والشوكة

يتمثل هذا العامل بدمج العصبية المتعددة في مجتمع الدولة الغالبة بعنصر السطوة والشوكة التي تتمتع بها عصبية الملك والذي تتمكن بقوتها وشوكتها التغلب على العصبية الأخرى وضمها إلى عصبيتها وتكوين مجتمعا من عصبية متعددة يربطها بالمجتمع عامل القوة والسطوة ويجعلها تابعة للمجتمع بسطوة الاخضاع لتحقيق رغبة وطمع صاحب العصبية الغالبة للوصول إلى الملك والسلطة، الذي لا يتحقق الا بالسطوة على جميع العصبية ليتحقق لها" التغلب الملكي" (٢) ويتم من خلال تسخير قوة مجتمع العصبية لهذه المهمة بمرحلتين وهما كالآتي:-

١. المرحلة التمهيديّة :- اخضاع عصبية قبيلة الرئيس المطالب بالملك : وأشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: " وصاحب العصبية إذا بلغ إلى رتبة طلب ما فوقها فإذا بلغ رتبة السؤدد والاتباع ووجد السبيل إلى التغلب والقهر لا يتركه لأنه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه إلا بالعصبية التي يكون بها متبوعا فالتغلب الملكي غاية للعصبية كما رأيت ثم إن القبيل الواحد وإن كانت فيه بيوتات مفترقة وعصبية متعددة فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبية فيها وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى وإلا وقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف والتنازع (ولولا دفعُ الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) (٣) (٤)، ثم تأتي المرحلة الثانية.

٢. المرحلة الثانية :- اخضاع عصبية الاقوام الأخرى : تتمثل باخضاع العصبية الأخرى من غير عصبية قوم الحاكم المطالب بالملك والسلطة وبين ذلك ابن خلدون بقوله: " ثم إذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبيعتها التغلب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها فإن كافأتها أو مانعتها كانوا أقتالا وأنظارا ولكل واحدة منهما التغلب على حوزنها وقومها شأن القبائل والأمم المفترقة في العالم وإن غلبتها واستتبعتها التحمت بها أيضا وزادت قوة في التغلب إلى قوتها وطلبت غاية من

(١) ابن خلدون، العبر، ١/ ١٠٢ .

(٢) ابن خلدون، العبر، ١/ ١١٠ .

(٣) سورة البقرة، آية ٢٥١ .

(٤) ابن خلدون، العبر، ١/ ١١٠ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

التغلب والتحكم أعلى من الغاية الأولى وأبعد وهكذا دائما حتى تكافئ بقوتها قوة الدولة في هرمها ولم يكن لها ممانع من أولياء الدولة أهل العصبية استولت عليها وانتزعت الامر من يدها وصار الملك أجمع لها^(١).

وهناك جملة من المأخذ على نظرية ابن خلدون في اقراره وقبوله لاستعمال عامل القوة والغلبة والسطوة بإعتماده عامل ربط لبناء مجتمع بالقوة والقهر يمكن ان نلخصها بما ياتي:-

١. عد عامل القوة والسطوة بانه سنة الهية كونية وان الله سبحانه يدعم هذه الظاهرة ويدفع الناس اليها واستشهد بجزء من الآية ٢٥١ من سورة البقرة كما مر ، الا انه لو اكملنا تنمة الآية لأصبحت : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ فهل فضل الله على العالمين حسب ما يقره ابن خلدون يتم من خلال الافساد بدفع الله الناس إلى الاقتتال فيما بينهم لا لأجل شيء بل لأجل العصبية وحتى يتم امر دولة العصبية التي لا هدف لها سوى الوصول للملك والتمتع بملذاته . فهذا دفع من الله سبحانه ليس من اجل رفع الافساد حسب توظيف ابن خلدون للآية القرآنية في سياق حديثه بل هو تأصيل للإفساد في الارض معاذا الله من هذا جل شأنه .وان تفسير ابن خلدون بعيد عن تفسير جميع اهل الاختصاص من المفسرين ومنهم مقاتل بن سلمان(ت١٥٠/٢٦٧م) الذي فسرها بقوله: " لولا دفع الله المشركين بالمسلمين ، لغلب المشركون على الأرض ، فقتلوا المسلمين ، وخرجوا المساجد والبيع والكنائس والصوامع ، فذلك قوله سبحانه: (فسدت الأرض) " (٢) واما الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) فقال في تفسيره : " يعني تعالى ذكره بذلك : ولولا أن الله يدفع ببعض الناس ، وهم أهل الطاعة له و الايمان به ، بعضا وهم أهل المعصية لله ، والشرك به ، كما دفع عن المتخلفين عن طالوت يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له وقد أعطاهم ما سألوا ربهم ابتداء من بعثة ملك عليهم ليجاهدوا معه في سبيله بمن جاهد معه من أهل الايمان بالله واليقين والصبر ، جالوت وجنوده ، لفسدت الأرض ، يعني لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم ، ففسدت بذلك الأرض ، ولكن الله ذو من على خلقه ، وتطول عليهم بدفعه بالبر من خلقه عن الفاجر ، وبالمطيع عن العاصي منهم ، وبالمؤمن عن الكافر " (٣) ، وقال ابن ابي حاتم الرازي(ت٣٢٧هـ/٩٣٨م) في تفسيرها عن ابن عباس ، في قوله: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) انه قال: " يدفع الله بمن يصلى عن لا

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١/١١٠ .

(٢) تفسير مقاتل ، ١/١٣٤ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٢/٨٥٤ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرها في استراتيجيات بناء الدولة

يصلي ، وبمن يحج ، عن لا يحج وبمن يزكي عن لا يزكي^(١) ، وفسرها النحاس (ت٣٣٨هـ/٩٤٩م) بقوله: "لولا دفع الله بالمؤمنين الفجار، ودفعه بتقية أخلاق الناس بعضهم ببعض ، لفسدت الأرض بهلاك أهلها ... وهذا الذي عليه أكثر أهل التفسير . أي : لولا أن الله يدفع بمن يصلي عن من لا يصلي ، وبمن يتقي عن من لا يتقي ، لأهلك الناس بذنوبهم"^(٢) فقد شذ ابن خلدون عن أكثر المفسرين ، وان تفسيره تلاعب واضح بالآيات والنصوص القرآنية من قبل ابن خلدون لجعلها دليل على صحة طرحه ونظريته حتى لو على حساب تحميل الآيات فوق طاقتها وهذا لا يُعد الا نوع من التبرير الوصولي لابن خلدون لبناء دولة العصبية والتبرير لوسائل هذا البناء بقوانين اجتماعية تارة وشرعية تارة اخرى بإعطائها صفة السنن الكونية الالهية.

٢. تجني ابن خلدون على مبادئ الاسلام التي حاربت العصبية التي لا تجري بمجرى الشرع قال (عليه السلام): "ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية"^(٣) ، وقوله (عليه السلام): "من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتله جاهلية"^(٤) ، وقال ابن الجوزي العمية: "هو الأمر الأعمى ، كالعصبية التي لا يستبان ما وجهها والمقصود أنه يقاوم لهواه لا على مقتضى الشرع"^(٥) وقال تبارك تعالی: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا ﴿٦﴾ وَتطبيقاً لمبادئ الاسلام وقيمه بقوله " ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم ، وترفعوا فوق نسبهم ، وألقوا الهجينة على ربهم ، وجاحدوا الله ما صنع بهم مكابرة لقضائه ، ومغالبة لآلانه. فإنهم قواعد أساس العصبية . ودعائم أركان الفتنة ، وسيوف اعتزاء الجاهلية"^(٧) فإن الاقتتال إلى الغلبة على العصبيات في نظر الإمام علي (عليه السلام) هو نوع من سحب لعادات الجاهلية لمجتمع الدولة الاسلامية وتعزيزها باستغلال واستغلال الناس المندفعين بعامل العصبية لرئيس القبيلة وهي العادات التي حاربها الله ورسوله وسعى الاسلام للقضاء عليها، ونجد ابن خلدون يتعمى عن كل هذه التوصيات والمبادئ الاسلامية ويقر بهذه العادات و يؤصل لها قرآنياً إدعاءً وكذباً.

(١) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم) ، ٤٨٠/٢ .

(٢) ابو جعفر ، معاني القرآن ، ٢٥٥/١ .

(٣) ابي داود ، سنن ، ٥٠٣/٢ .

(٤) مسلم ، صحيح ، ٢٢/٦ .

(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين ، ٥١/٢ .

(٦) سورة الفتح ، اية ٢٧ .

(٧) نهج البلاغة ، ص ٢٩٠ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرها في استراتيجية بناء الدولة

٣. على الرغم من ان ابن خلدون اتجاهاه واقعي في دراسة واقع المجتمع وبناء الدولة الا اننا لم نسجل أي رفض او ادانة من قبل ابن خلدون لهذا الواقع القائم بنائه الاجتماعي بسطوة القهر والاضعاع، والتي سيشير إلى بعض اثارها السلبية كما سيأتينا ألا إنه لا يستكرها ويديرها على أنها من طبيعة حياة المجتمعات العصبية التي لا بد منها.

اما الاثار المترتبة على روابط بناء المجتمع بصورة عامة حسب نظرية وفكر ابن خلدون فهي عديدة يمكن ان نذكر منها ما يأتي:-

١. انغلاق مجتمع العصبية الصغيرة على نفسها وصعوبة انفتاح مكونات المجتمع من العصبية القبلية بعضها على بعض وصعوبة دمجها في مجتمع الدولة الا بالقوة المفروضة كما لاحظناه من فرض سيطرة العصبية الحاكمة على العصبية الاخرى بالقوة. وبالتالي تفكك هذا المجتمع بعد زوال اسباب القوة التي تجمعها وهو ما كان واضح من انفصال بعض اجزاء الدولة العصبية واستقلالها عن الدولة العامة الاستيلاء.

٢. ضعف رابطة العصبية (النسب والولاء) في مرحلة من مراحل عمر المجتمع وفسادها نتيجة الترف عند دخول الدولة في طور العمران الحضري أي ان تأثيرها يكون حسب زمان ومكان محددين ولا تمتلك القدرة على الاستمرار والفعالية عند المتغيرات الزمانية والمكانية وتكون هي القطب الذي يدير تلك المتغيرات. بل فعاليتها مقتصرة فقط بالعمران البدوي.

٣. ان وحدة المجتمع التي تنشدها دولة العصبية ليس من قبيل خلق مجتمع واحد متعاون لتحقيق مصلحته بل نجد ان انطلاقة وفلسفة دمج العصبية في عصبية واحدة او ما نسميه بمجتمع الدولة هو من اجل خلق قوة كافية للوصول إلى الملك الذي يحتاج إلى قهر بقية العصبية واجبارها على الخضوع لعصبية ومجتمع الحاكم او الملك الجديد .

٤. عدم قدرة روابط مجتمع العصبية على تذويب الحواجز القبلية والعادات العصبية بين مجموع عصبية مجتمع دولة ابن خلدون تبقى النزعة العصبية والاستقلالية غاية وهدف لجميع العصبية التي دمجت بقوة وسطوة العصبية الغالبة ان العصبية الكثيرة المحكومة برابطة القوة والقهر لا يمكن ان تستمر على هذا المنطق و تحاول الاستقلال والتخلص من قهر العصبية الغالبة والانسلاخ من سطوتها وهذا ما اكده ابن خلدون بقوله: " في أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء وأن وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمنع دونها فيكثر

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

الانتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وإن كانت ذات عصبية لان كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بأفريقية والمغرب منذ أول الاسلام ولهذا العهد فإن ساكن هذه الأوطان من البربر أهل قبائل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الأول الذي كان لابن أبي سرح عليهم وعلى الإفرنجة شيئاً وعاودوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد أخرى وعظم الاثنان من المسلمين فيهم" (١).

المحور الثاني: اساس التفاضل واثره في بناء المجتمع والدولة

ان تحديد اساس التفاضل بين ابناء المجتمع هو يعكس ويحدد بشكل عام وجهة نظر المجتمع والدولة بصورة عامة نحو الحياة وفلسفتها . وان اختيار اساس التفاضل هو اختيار ايضاً لنوع منهج بناء المجتمع وكيف له ان يحدد مظاهر حياته ويسير على اساسها ، وكيف يؤثر في بناء المحتوى الداخلي والخارجي للفرد والمجتمع بصورة عامة .

وكون الإمام علي (عليه السلام) يهدف إلى بناء مجتمع تحترم فيها الذات الانسانية بغض النظر عن انتمائها او هويتها وحتى يتمكن من تدويب اسس الطبقة التي اوجدتها سياسات الحكومات التي سبقته في بناء المجتمع التي جعلت التفضيل على اساس الانساب او السبق في الدخول بالاسلام او القرب او البعد من رسول الله (ص) فأوجدت التفاوت في العطاء المالي للدولة لأفراد المجتمع فخلقت بذلك طبقية حادة من فئات مترفة وغنية . واخرى فقيره معدمه فأوجد الإمام استراتيجية جديدة لبناء المجتمع على اساس المساواة بين افراده بلا تمييز ولا تفضيل سوى بالتقوى والعمل الصالح ، وقد اوصى الإمام علي الالتزام بالتقوى وجعلها شعار الفرد في حياته اليومية لبناء انسان مؤمن متقي وبالتالي خلق مجتمع الاسلام المثالي وهذا بالتالي يؤدي لبناء دولة قوية بقوة ايمان ابنائها وعرف الإمام التقوى بقوله : "التقوى هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ،والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل" (٢) وهو مفهوم يتطابق مع التعريف القرآني للتقوى قال تعالى: ﴿ ذَاكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤) اذن هي جمع للأخلاق والمثل الاسلامية الفاضلة التي يجب

(١) العبر ، ١٣٠/١ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣/٢٩٥ ؛ ينظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ١/٣٦٧ .

(٣) الصالحي الشامي ، سبيل الهدى الرشاد ، ١/٤٢١ .

(٤) سورة البقرة ، آية ٢-٥ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

ان يتحلى بها الفرد ليحصل على المكانة والقيمة العليا في المجتمع الاسلامي في دولة الإمام علي (عليه السلام).

وقد رفض الإمام علي ان يكون العامل المادي او العصبي او العرفي هو اساس التفاضل بين ابناء المجتمع وانما جعل تقوى الله سبحانه هي الفضيلة والقيمة العليا التي ترفع مكانة من يتصف بها في مجتمع دولة الإمام علي (عليه السلام) وهي قيمة اوصى بها الإمام علي (عليه السلام) وجعلها المثل الاعلى للحياة الاجتماعية في عدة خطبه وكلماته منها ما جاء في قوله "اوصيكم عباد الله بتقوى الله" فأنها حق الله عليكم ، والموجبة على الله حقكم ... سلف خلقاً" (١)، وقوله (عليه السلام): "اني اوصيكم بتقوى الله ... فان تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى افئدتكم ، وشفاء مرض اجسادكم" (٢). وان اتخاذ التقوى قيمة للتفاضل بين افراد المجتمع له اهمية واثار بالغة عليهم يمكن الاشارة إلى جملة من هذه الاثار فيما يأتي :-

١. انها طاعة لله تعالى وحق على الفرد المسلم ان يطيع الله سبحانه ولا يعصيه (٣) .
٢. انها قيمة يكون طالبها مستعينا بالله عليها وهي خير استعانة تربط الفرد بربه دائماً بقوله : " ان تستعينوا عليها بالله " (٤) .

٣. ان سلوك التقوى والتحلي بها هو ربح لأفراد المجتمع لأنها مسلك واضح وسالكها راجح .
٤. انها توظف الوعي وهي درع حصين من العثرات لانها شعور دائم بخشية الله سبحانه (٥) .

ولان الإمام اراد بناء مجتمع دولة بعيداً عن الفوارق الطبقية فلم يجعل اساس التفاضل هو المادة (المال) حتى لا ينكب المجتمع في تحصيل الاموال وترك الفضائل الاخرى وحتى لا يفضل بعضهم بعض بالعتاء، ولان افراد المجتمع يختلفون في المواهب والقدرات البدنية والمادية والانساب والاحساب فلم يجعلها الإمام معياراً للقيمة العليا الاجتماعية بقوله (عليه السلام): " من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه" (٦). لان اعتماد هذه القيم كأساس للتفاضل هو نوع من الظلم لبقية افراد المجتمع الذي لا يمتلك حسب او نسب بتسلسل به إلى اربعة اباء او خمس او يغبن الفقير الذي لا يستطيع الحصول على الاموال لتحصيل المكانة العليا. والذي قد يدفع بالفقير إلى السرقة او إلى وسائل عديدة من اجل الحصول على الاموال لأنها تعطيه وتجعل له قيمة في المجتمع الذي يقيم الماديات اكثر من غيرها لقوله: " لا ترفعوا

(١) نهج البلاغة ، ص ٢٨٤ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٣١٢ .

(٣) مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ١٠٢/٣ .

(٤) نهج البلاغة ، ص ٢٨٤ .

(٥) مغنية ، في ظلال ، ١٠٣/٣ .

(٦) نهج البلاغة ، ص ٢٨٤ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

من رفعتة الدنيا، ولا تضعوا من رفعتة التقوى" (١) الإمام كان يعي هذه القدرات المتفاوتة والمختلفة بين ابناء المجتمع لذا جعل قيمة التفاضل ان تكون نابعه من ذات الانسان وهي تكليف يستطيع كل فرد ان يتصف به لانها قيمة ذاتية لا يحتاج تحصيلها إلى تكلفة مادية او سلالة عائلية بل انها قيمة يستطيع كل فرد في المجتمع الوصول اليها لأنها اجتهاد ذاتي عند الفرد وهي باختصار الفرد المسلم كما يريده ان يكون الله سبحانه وتعالى ان لا يرتبط بالماديات فتحده عن بلوغ الكمالات الروحية والمعنوية .

اشار الإمام علي(عليه السلام) إلى طبقات المجتمع في جزء من كتابه إلى واليه على مصر مالك الاشر بقوله: "واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض ... عهد منه عندما محفوظاً" (٢) وقد كانت صورة الاحاطة من قبل الإمام لا تعني تقسيم المجتمع إلى طبقات واقسام وانما تأكيد منه(عليه السلام) على اهمية التنوع المهني والوظيفي في المجتمع لما له من اهمية كبيرة يمكن تلخيصها بالاتي:-

١. تأكيد منه (عليه السلام) إلى اهمية التنوع في الفئات الاجتماعية من الناحية المهنية والوظيفية لأهميتها في بناء المجتمع .

٢. التنوع في اعمال وفئات المجتمع يؤدي إلى صلاح المجتمع واصلاحه وبالتالي يصب ذلك في صلاح الدولة .

٣. لا يمكن للمجتمعات ان تقوم الا بالتنوع المهني والوظيفي لانه يلبي ويسد جميع حاجات الافراد والمجتمع بصورة عامة .

٤. ذكر الإمام إلى هذا التنوع الطيفي المهني والوظيفي هي دعوة منه (عليه السلام) إلى ضرورة المحافظة على استمرارية هذا التنوع لانه يشكل استمرار الحياة في المجتمعات واستمداد قوتها بالبقاء باعتماد بعضها على بعض وحاجة كل فئة وطبقة إلى الاخرى.

اما في فكر ابن خلدون تتعدد اسس التفاضل الاجتماعي لانه ينظر للواقع الاجتماعي العصبي كما هو ويعده حقيقة لا مناص منها وانها حقيقة ثابتة يجب الاعتراف بها والمحافظة عليها بانه لا تسوية بين افراد المجتمع بل هناك ميزات تميز بعضهم عن بعض وهي اما ان تكون اجتماعية او اقتصادية او سياسية ، والتفاضل الاجتماعي عند ابن خلدون وينقسم قسمين وهما كالآتي:-

اولا :- اصالة وشرف الحسب والنسب : يرى ابن خلدون ان ابناء مجتمع العصبية لا يرتقون جميعهم بشرف النسب إلى العصبية الام فمنهم من هو اصيل النسب فيها متسلسل الالباء ومنهم من هو منتمي

(١) نهج البلاغة ، ص ٢٨٤ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٤٣١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

بالولاء لا تربطه رابطة الدم مع ابناء القبيلة وهذا الاخير ينظر اليه نظرة اجتماعية متدنية لعدم امتلاكه شرف الحسب والنسب وتعدد الالاء في عصبية المنتمي لها فهذا يخلق الفوارق بين افراد القبيلة الواحدة ويتميز بعضهم على بعض بما موجود عنده من شرف الانتساب ولا يوجد عند المنتمي بالولاء واكد ذلك ابن خلدون في ضرورة الحفاظ على هذه القيم وتأصيلها حتى يعرف كلا قيمته ومكانته في مجتمعه بقوله : " في أن البيت والشرف بالأصالة والحقيقة لأهل العصبية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه وذلك أن الشرف والحسب إنما هو بالخلال ومعنى البيت أن يعد الرجل في آباءه أشرفا مذكورين يكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم تجلة في أهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجلة سلفه وشرفهم بخلالهم ... أن ثمرة الأنساب وفائدتها إنما هي العصبية للنصرة والتناصر فحيث تكون العصبية مرهوبة والمنبت فيها زكي محمي تكون فائدة النسب أوضح وثمرتها أقوى وتعيد الاشراف من الآباء زائد في فائدتها فيكون الحسب والشرف أصليين في أهل العصبية لوجود ثمرة النسب وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية لأنه سرها" (١).

وهذه المرتبة ينفرد بها صاحب العصبية الغالبة فقط من البدو والتي تختفي امثال هذه المراتب في الامصار عند الحضر بقوله: " ولا يكون للمنفردين من أهل الأمصار بيت إلا بالمجاز وإن توهموه فزخرف من الدعاوى وإذا اعتبرت الحسب في أهل الأمصار وجدت معناه أن الرجل منهم يعد سلفا في خلال الخير ومخالطة أهله مع الركون إلى العافية ما استطاع وهذا مغاير لسر العصبية التي هي ثمرة النسب وتعدد الآباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز لعلاقة ما فيه من تعدد الآباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالكه وليس حسبا بالحقيقة وعلى الاطلاق وإن ثبت أنه حقيقة فيهما بالوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في بعض مواضعه أولى وقد يكون للبيت شرف أول بالعصبية والخلال ثم ينسلخون منه لذهابها بالحضارة كما تقدم ويختلطون بالغمار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به أنفسهم من أشرف البيوتات أهل العصائب وليسوا منها في شئ لذهاب العصبية جملة" (٢).

ثانيا: التفاضل العرقي والقومي : لا ينظر ابن خلدون إلى ابناء المجتمع بانهم متكافئين اجتماعياً ولا فرق بينهم لعرق او قومية سواء عربي او اعجمي بل نراه يرفض هذا الطرح الاجتماعي ويفضل اجناس افراد المجتمع الواحد بعضهم على بعض فكان يفضل العرب على غيرهم من الاقوام ويعطي العرب دائماً اصحاب الملك والعصبيات مرتبة الشرف والتميز على جميع ابناء المجتمع لعربيته

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٠٦/١

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٠٦/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

وعصبيتهم الغالبة ، منه ما جاء من استنكاره وتكذيبه لرواية زواج العباسة بنت محمد المهدي بن عبدالله بن ابي جعفر المنصور العباسي ابنة الاشراف العرب من جعفر بن يحيى البرمكي لكونه فارسي اعجمي متدني الاصل بقوله: " كيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من موالي العجم ... وأين قدر العباس والرشيد من الناس" (١).

وفي نص اخر ايضا لابن خلدون لا يرى فيه مكانة للفرس في قبالة العرب قال فيه: " جعفر بن يحيى بن خالد من أعظم الناس بيتا وشرفا بالانتساب إلى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب في الفرس وكذا موالي كل دولة وخدمها إنما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولائها والأصالة في اصطناعها ويضمحل نسبه الأقدم من غير نسبها ويبقى ملغى لا عبرة به في أصلاته ومجده وإنما المعتبر نسبة ولائه واصطناعه إذ فيه سر العصبية التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتقا من شرف مواليه... وهذا حال بني برمك إذ المنقول أنهم كانوا أهل بيت في الفرس من سدنة بيوت النار عندهم ولما صاروا إلى ولاء بني العباس لم يكن بالأول اعتبار وإنما كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى هذا فوهم توسوس به النفوس الجامحة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وإن أكرمكم عند الله أتقاكم والله ورسوله أعلم" (٢).

وكذلك رأى ابن خلدون ان هناك امم راقية لاكتمال انسانيته لا يجوز لها الرق واخرى لديها نقص في انسانيته وهم اقرب لطبيعة الحيوانات فهؤلاء طبيعتهم مهينة للرق اكثر من غيرهم " إنما تدعن للرق في الغالب أمم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من عرض الحيوانات العجم كما قلناه أو من يرجو بانتظامه في ربة الرق حصول رتبة أو إفادة مال أو عز كما يقع لممالك الترك بالمشرق والعلاج من الجلاقة والإفرجة فإن العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يأنفون من الرق لما يأملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق" (٣) . ونلاحظ ان أراء ابن خلدون في وصف وتصنيف الامم وافراد المجتمعات يعكس لنا ما يأتي:-

- ١ . النظرة الاستغلالية لابن خلدون وتمييزه الحاد بين افراد المجتمع بالاشراف العرب والموالي العجم .
- ٢ . استهجانهم للعجم ووصفهم بالموالي وهم اسافل الناس وانما تمت ترقيتهم اجتماعياً لنسبهم وموالاتهم للعرب العباسيين .

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٥/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٠٩/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١١٧/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

٣. ويترفع ويتنكر عن ان يكون مع الموالي العجم علاقات اجتماعية جاده على صعيد المصاهرة العربية مع الموالي العجم.

٢. التفاضل برتبة الجاه (القوة والتسلط على الاخرين)

ان اساس التفاضل يخلق من المجتمع طبقات مادية تحسب مكانتها نتيجة لكثرة اموالها وقدرة تحكمها بافراد الطبقات التي هم دونها في الرتبة الاجتماعية او الاقتصادية "إن الجاه متوزع في الناس ومرتبب فيهم طبقة بعد طبقة ينتهي في العلو إلى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية وفي السفلى إلى من لا يملك ضرا ولا نفعا بين أبناء جنسه وبين ذلك طبقات متعددة حكمة الله في خلقه بما ينتظم معاشهم وتتنيسر مصالحهم ويتم بقاؤهم لان النوع الانساني لا يتم وجوده إلا بالتعاون وإنه وإن ندر فقد ذلك في صورة مفروضة لا يصح بقاؤه" (١).

وعرف ابن خلدون الجاه بقوله: " أن الجاه هو القدرة الحاملة للبشر على التصرف في من تحت أيديهم من أبناء جنسهم بالإذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة ليحملهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل بأحكام الشرائع والسياسة وعلى أغراضه فيما سوى ذلك ولكن الأول مقصود في العناية الريانية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور الداخلة في القضاء الإلهي لأنه قد لا يتم وجود الخير الكثير إلا بوجود شر يسير من أجل المواد فلا يفوت الخير بذلك بل يقع على ما ينطوي عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخليقة فنقهم" (٢).

ويستفاد من الجاه في تفعيل العلاقات الاجتماعية والاستفادة منها عن طريق استغلال الطبقة العليا للطبقة السفلى وتكون نسبة استغلال بعضهم لبعض حسب نسبة الجاه الذي يمتلكونه ويتمتعون به " ثم إن كل طبقة من طباق أهل العمران من مدينة أو إقليم لها قدرة على من دونها من الطباق وكل واحدة من الطبقة السفلى يستمد بذي الجاه من أهل الطبقة التي فوقه ويزداد كسبه تصرفا فيمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب المعاش ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه فإن كان الجاه متسعا كان الكسب الناشئ عنه كذلك وإن كان ضيقا قليلا فمثله وفاقد الجاه وإن كان له مال فلا يكون يساره إلا بمقدار عمله أو ماله ونسبة سعيه ذاهبا وآيبا في تنميته كأكثر التجار وأهل الفلاحة في الغالب وأهل الصنائع كذلك إذا فقدوا الجاه

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٧/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٧/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

واقترضوا على فوائد صنائعهم فإنهم يصيرون إلى الفقر والخصاصة في الأكثر ولا تسرع إليهم ثروة وإنما يرمقون العيش ترميقاً^(١).

ويكون هذا التفاضل على نسبة الجاه الذي تتمتع به الفرد او الطبقة الاجتماعية سواء وهم ممن يتمتعون بالمناصب الحكومية العليا او المهنية التي تمنحهم قوة التحكم في الآخرين وتسخيرهم وقهرهم فيخلق الرتب المتفاوتة اجتماعيا على نسبة تحصيل الجاه والقوة لان الجاه لا يمكن تحصيله من قبل الجميع بالتساوي . فينقسم افراد المجتمع إلى طبقات او رتب تبعا لذلك وكالاتي:-

المرتبة الاولى:- طبقة الاسياد والملوك وحكام الدولة: الذي تكون لهم رتبة السلطنة والسيادة على الجميع فلهم الفضل على الجميع لتمتعهم بالمرتبة الاول من الجاه بقوله: " إن الجاه متوزع في الناس ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة ينتهي في العلو إلى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية وفي السفلى إلى من لا يملك ضرا ولا نفعا بين أبناء جنسه وبين ذلك طبقات متعددة حكمة الله في خلقه بما ينتظم معاشهم وتيسر مصالحهم ويتم بقاؤهم لان النوع الانساني لا يتم وجوده إلا بالتعاون وإنه وإن ندر فقد ذلك في صورة مفروضة لا يصح بقاؤه"^(٢).

وكذلك اكد ابن خلدون بان العصبية الغالبة الحاكمة المتسلطة لتمتعها بالجاه المسخر للآخرين بالقوة فتكون لها الرتبة العليا في مجتمعها اي كان تكوين هذا المجتمع ومن اي عرق كان وهذا وما نستشفه بوصفه للبرامكة بانهم كانوا خيار قومهم ولهم الرتبة الاولى عليهم لانه الغلبة فقط كانت لهم لا لميزة اخرى فيهم سوى التسلط على ابناء جلدتهم وقدرتهم على تسخيرهم لخدمتهم: " جعفر بن يحيى بن خالد ... قد يكون نسبه الأول في لحمه عصبية ودولته فإذا ذهب وصار ولاؤه واصطناعه في اخرى لم تنتفعه الأولى لذهاب عصبيتها وانتفع بالثانية لوجودها وهذا حال بني برمك إذ المنقول أنهم كانوا أهل بيت في الفرس من سدنة بيوت النار عندهم ولما صاروا إلى ولاء بني العباس لم يكن بالأول اعتبار وإنما كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى هذا فوهم توسوس به النفوس الجامحة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وإن أكرمكم عند الله أتقاكم والله ورسوله أعلم"^(٣).

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٧/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٧/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٠٨/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

المرتبة الثانية تتمثل بالموالي المنتسبين لعصبة صاحب الملك والعصبة بما فيهم من الوزراء والخدم العاملين في خدمة الدولة والسلطان ويسميه ابن خلدون الموالي لانسابهم في الولاء للعصبة الحاكمة فجاءت مرتبتهم دون مرتبة الاسرة الحاكمة ضمن العصبة الغالبة. والموالي المنتسبين للعصبة ومهما تعدد ابائهم فانه يبقى دونهم بالمرتبة وهذا ما اشار اليه ابن خلدون بقوله : " في أن البيت والشرف للموالي وأهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بأنسابهم وذلك أنا قدمنا أن الشرف بالأصالة والحقيقة إنما هو لأهل العصبة فإذا اصطنع أهل العصبة قوما من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالي والتحموا به كما قلناه ضرب معهم أولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبة ولبسوا جلدتها كأنها عصبتهم وحصل لهم من الانتظام في العصبة مساهمة في نسبها كما قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى رق أو مولى اصطناع وحلف وليس نسب ولادته بنافع له في تلك العصبة إذ هي مباينة لذلك النسب وعصبة ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التحامه بهذا النسب الآخر وفقدانه أهل عصبيتها فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم فإذا تعددت له الآباء في هذه العصبة كان له بينهم شرف وبيت على نسبه في ولاتهم واصطناعهم لا يتجاوزه إلى شرفهم بل يكون أدون منهم على كل حال" (١).

وامثال ذلك كما يصفهم ابن خلدون وهم " الموالي في الدول والخدمة كلهم فإنهم إنما يشرفون بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الآباء في ولايتها ألا ترى إلى موالي الأتراك في دولة بني العباس وإلى بني برمك من قبلهم وبني نوبخت كيف أدركوا البيت والشرف وبنوا المجد والأصالة بالرسوخ في ولاء الدولة" (٢) و من على هذه الشاكلة كثير منهم كما يقول ابن خلدون: " جعفر بن يحيى بن خالد من أعظم الناس بيتا وشرفا بالانتساب إلى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب في الفرس وكذا موالي كل دولة وخدمها إنما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولائها والأصالة في اصطناعها ويضمحل نسبه الأقدم من غير نسبها ويبقى ملغى لا عبرة به في أصلته ومجده وإنما المعتبر نسبة ولائه واصطناعه إذ فيه سر العصبة التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتقا من شرف مواليه وبنائه من بنائهم فلم ينفعه نسب ولادته وإنما بنى مجده نسب الولاء في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والتربية وقد يكون نسبه الأول في لحمة عصبيته ودولته فإذا ذهب وصار ولاؤه واصطناعه في أخرى لم تنفعه الأولى لذهاب عصبيتها وانتفع بالثانية لوجودها وهذا حال بني برمك إذ المنقول أنهم كانوا أهل بيت في الفرس من سدنة بيوت النار عندهم ولما صاروا إلى ولاء بني العباس لم يكن بالأول اعتبار وإنما

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١/ ١٠٨ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١/ ١٠٧ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى هذا فوهم توسوس به النفوس الجامحة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وإن أكرمكم عند الله أتقاكم والله ورسوله أعلم^(١)

المرتبة السفلى هم المتضعين: بقية الشرائح الاجتماعية الاخرى امثال الفلاحين ومن على شاكلتهم حسب تصنيف ابن خلدون لهم في هذه المرتبة " في أن الفلاحة من معاش المتضعين وأهل العافية من البدو وذلك لأنه أصيل في الطبيعة وبسيط في مناهه ولذلك لا تجده ينتحله أحد من أهل الحضرة في الغالب ولا من المترفين ويختص منتحله بالمدلة قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى السكة ببعض دور الأنصار ما دخلت هذه دار قوم إلا دخله الذل وحمله البخاري على الاستكثار منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بألة الزرع أو تجاوز الحد الذي أمر به " (٢) .

ويعلل ابن خلدون سبب وضاعت هذه الفئة الاجتماعية إلى كونها تكون مقهورة من قبل الفئات العليا وهم السلطة الحاكمة (سلطان الملك) واجمل ذلك بقوله: " والسبب فيه والله أعلم ما يتبعها من المغرم المفضي إلى التحكم واليد العالية فيكون الغارم ذليلا بانسا بما تتناوله أيدي القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرما إشارة إلى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في المتمولات واعتبار الحقوق كلها مغرم للملوك والدول والله قادر على ما يشاء والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق"^(٣). ولاساس التفاضل عند ابن خلدون اثار اجتماعية كثيرة منها ما يأتي:-

١ . يتم كسب صفة التفاضل هذه عن طريق عدة وسائل او اساليب سلبية ومنها الاتي:-

الوسيلة الاولى :- **تحصيل المناصب العليا لتحصيل الجاه :** ان تحصيل المناصب العليا امر صعب كالمملك والسلطنة عن طريق الاقتتال والصراع بين مكونات المجتمع حتى يتمتع بالجاه الاجتماعي والاقتصادي الذي يمنحه القوة بالسطوة وتسخير الاخرين من افراد المجتمع.

الوسيلة الثانية :- **الخضوع والتملق :** ان تحصيل الجاه يتحصل عن طريق الخضوع والتملق للملك والطبقة الحاكمة ليدخل في الطبقة المقربة من الملك والسلطان وهذا ما نص عليه ابن خلدون بقوله : " أن الجاه متفرع وأن السعادة والخير مقترنان بحصوله ... فيحتاج طالبه ومبتغيه إلى خضوع وتملق كما يسأل أهل العز والملوك وإلا فيتعذر حصوله فلذلك قلنا إن الخضوع والتملق من أسباب حصول

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٠٨/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٣١٠/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٣١٠/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

هذا الجاه المحصل للسعادة والكسب وإن أكثر أهل الثروة والسعادة بهذا التملق ولهذا نجد الكثير ممن يتخلق بالترفع والشمم لا يحصل لهم غرض الجاه فيقتصرون في التكسب على أعمالهم ويصيرون إلى الفقر والخصاصة^(١) .

الوسيلة الثالثة :- الرق باب لتحصيل الجاه : الوقوع في الرق عن ارادة وقبول من بعض الافراد حتى يصلوا عن طريقه إلى رتبة في الجاه ، فيفقد الانسان حريته ويدخل بإرادته في الرق في تبعية الملوك من حكام الدول للحصول على المناصب العليا في الدولة والاموال الكثيرة التي تمنحهم الجاه والقوة التي يطلبونها ، وهذه كانت عادة في مجتمع دولة العصبية ولا غرابة فيها رغم ما يفقده الانسان فيها من الحرية والكرامة التي هي مطلب كل انسان الا ان قلة الحيلة وحتى لا يبقى فردا مسحوقا يتجه بعضهم إلى ولوج هذه الرتب لحماية نفسه وتأمين الحياة الرغيدة لها وهذا ما افصح عنه ابن خلدون بقوله: "إنما تذعن للرق في الغالب أمم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من عرض الحيوانات العجم كما قلناه أو من يرجو بانتظامه في ربة الرق حصول رتبة أو إفادة مال أو عز كما يقع لممالك الترك بالمشرق والعلوج من الجلالقة والإفرنجة فإن العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يأنفون من الرق لما يأملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق"^(٢). وهذه فلسفة اجتماعية خطيرة لبناء مجتمع متفاضل على هذا الاساس لأنها وسيلة تصطدم مع تعاليم الاسلام التي تحاول تجفيف منابع الرق ولا تشجع على هذه الظاهرة الاجتماعية التي تفقد الانسان حريته وكرامته .

٢. ضعف فاعلية العامل التفاضلي : ان الجاه الذي يرتب عليه ابن خلدون مراتب الناس ومفاضلتهم على اساسه ويذم كل من يقول بغير ذلك نجد ان هذا الاساس عامل ضعيف يستمر تأثيره لمرحلة معينة من الزمن اي انه عامل حصوله مرحلي ثم يتلاشى لأنه سيفسد مع الزمن على حد تعبير ابن خلدون ذاته بقوله: "في أن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة ابااء أعلم أن العالم العنصري بما فيه كائن فاسد لا من ذواته ولا من أحواله بالمكونات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات الانسان وغيره كائنة فاسدة بالمعاينة وكذلك ما يعرض لها من الأحوال وخصوصا الانسانية ... والحسب من العوارض التي تعرض للآدميين فهو كائن فاسد لا محالة وليس يوجد لاحد من أهل الخليقة شرف متصل في آباءه من لدن آدم إليه إلا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحياطة

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٧/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١١٧/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرها في استراتيجية بناء الدولة

على السر فيه ^(١) وهذا بخلاف عامل التقوى الذي يؤسس عليه الامام علي عليه السلام مفاضلته بين الافراد الذي لا يتلاشى العمل به ولا يفسده زماناً او مكاناً.

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١١٧/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

المبحث الثاني: دور المجتمع واثره في بناء الدولة

نستعرض في هذا المبحث دور المجتمع واثره في بناء الدولة من خلال معرفة قدر المساحة الممنوحة للمجتمع في فكر كل من الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وابن خلدون وقنوات توظيف هذا الدور وشكله وآثاره على استراتيجية بناء الدولة، من خلال منح حق الأمة في اختيار قيادتها ومبايعتها من عدمه، وكذلك بيان أهمية الرأي العام ونسبة تفعيله واستثماره في بناء الدولة، وبيان مدى الاهتمام بالطاقات المجتمعية المنتجة وتوظيفها في برنامج بناء الدولة كل حسب اختصاصه وقدراته وسنأتي على توضيح هذه المحاور بشيء من الاحاطة والتفصيل وكالاتي :-

١. المجتمع واثره في اختيار القيادة

ترك الإمام علي (عليه السلام) للمجتمع مسألة الاتفاق واختيار الحاكم بقوله: " ان هذا امركم ليس لأحد فيه حق الا من امرتم "(١)، وحسب اعتقادنا ان قوله هذا لا يتناقض مع ما قدمناه في الفصل الاول من الدراسة بان تحديد قيادة الدولة في فكر الإمام علي (عليه السلام) تتم بالإصطفاء الالهي، وان ليس للأمة اي دور في اختياره. وذلك لأن الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) عندما وصل الى الحكم لم يكن وصوله بالبيعة التي اخذها رسول الله في غدير خم وانما جاء نتيجة الفراغ السياسي الذي احدثه مقتل عثمان فلجأت اليه الناس لأنه الشخص الوحيد المؤهل لقيادة الامة، ولأنه لم يأت عن طريق الترتيب الالهي للخلافة أراد اشراك الناس في الاختيار ليكون اختيار واعٍ مدرك لخطورة الازمة التي تمر بها الامة لذا اكد الامام عليه السلام على اهمية البيعة الواعية للجماهير لحساسية المرحلة والظرف الذي وصل على اثره الامام الى الحكم والذي عبر عنه في خطابه مع الجماهير قائلاً: " دَعُونِي وَالتَّمِسُوا غَيْرِي ، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا ، لَهُ وَجُوهٌ وَأَلْوَانٌ ، لَا نَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ ، وَلَا تَنْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ ، وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ ، وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ ، رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ، وَلَمْ أَصْنَعْ إِلَيَّ قَوْلَ الْقَائِلِ وَعَنْبِ الْعَاتِبِ ، وَإِنْ تَرَكَتُمُونِي فَإِنَّا كَأَحَدِكُمْ ، وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطُوعُكُمْ ، لِمَنْ وَلِيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا ، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا "(٢) أي ان بيعته جاءت بعد قراءة واعية للوضع العام من قبل الجماهير النائرة وبعد ايمانها بمقدرات الإمام ومؤهلاته.

ورفض الإمام اجبار الامة على بيعته بل فضل ان تكون برضاها وقناعتها بقوله (عليه السلام): " فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا ، تَقُولُونَ : النِّبْيَةَ الْبَيْعَةَ قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُموها ، وَنَارَ عَثْمُكُم بِيَدِي

(١) سيف بن عمر الضبي ، الفتنة ووقعة الجمل ، ص ٩٤ .

(٢) الإمام علي ، نهج البلاغة، ص ١٣٦ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجيات بناء الدولة

فَجَادَبْتُمُوهَا ^(١)، وقوله ايضا: " لَمْ تَكُنْ بِيَعْتِكُمْ اِيَّايَ فَلَنتَ " ^(٢)، وقوله ايضا يصف قناعة الامة اثناء بيعته: " بِيَعْتِهِمْ اِيَّايَ اَنْ اِبْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ ، وَهَدَجَ اِلَيْهَا الْكَبِيرُ ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ ، وَحَسَرَتْ اِلَيْهَا الْكِعَابُ " ^(٣) وهذا ما يؤكد ايضا قوله في بعض اصحاب الجمل الذين خرجوا عليه ومنهم طلحة والزبير اصحاب الجمل: " وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ " ^(٤)، وقوله ايضا: " وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ " ^(٥)، ورفض اسلوب الترغيب او التهيب في معاملة الناس من اجل الحصول على بيعتهم بقوله (عليه السلام): " وَاِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايَعْنِي لِسُلْطَانِ غَالِبٍ ، وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ " ^(٦) على خلاف غيره ممن كان يبني وصوله للحكم على كل الوسائل من شراء الذمم والدين بالمال حتى يكسب مبايعة وولاء الاكثرية كما فعل معاوية مع زعامات القبائل بالترغيب والتهيب ومنه اغرائه لعمر بن العاص بولاية مصر وشراء دينه وطاعته في مقابل ذلك وهذا ما كشفه الإمام (عليه السلام) وشهر بهما في خطبة له منها قوله: " اِنَّهُ لَمْ يُبَايَعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ اَنْ يُؤْتِيَهُ اَنْبِيَاءَهُ ، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيحَةً " ^(٧).

اما في نظرية ابن خلدون فإنه وجد ان المجتمع في حكومة العصبية والشوكة دوره يكمن في كونه اداة للوصول إلى الحكم، وعلى الرغم من إعطائه دور للامة في اختيار الحاكم لكونه يرفض حاكمية النص الالهي، الا انه في نفس الوقت يقول بحاكمية العصبية والشوكة وان الحاكم يصل الى سدة الحكم بقوته وشوخته لا دور للمجتمع من بعيد او قريب في وصول او اختياره وهذ من التناقض في ارائه الفكرية سواء من بعيد او قريب وهذا ما نستنتج من قوله: " وصاحب العصبية إذا بلغ إلى رتبة طلب ما فوقها فإذا بلغ رتبة السؤدد والاتباع ووجد السبيل إلى التغلب والقهر لا يتركه لأنه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه إلا بالعصبية التي يكون بها متبوعا فالتغلب الملكي غاية للعصبية كما رأيت ثم إن القبيل الواحد وإن كانت فيه بيوتات مفترقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى وإلا وقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف والتنازع (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) ^(٨) ^(١)، فهذا النص يؤكد ان حكومة العصبية تصل الى الحكم بقوة شوكتها وليس ببيعة من

(١) الإمام علي ، نهج البلاغة، ص ١٩٥ .

(٢) الإمام علي ، نهج البلاغة، ص ١٩٤ .

(٣) الإمام علي ، نهج البلاغة، ص ٢٢٢ .

(٤) الإمام علي ، نهج البلاغة، ص ٢٤٧ .

(٥) الإمام علي ، نهج البلاغة، ص ٣٦٣ .

(٦) الإمام علي ، نهج البلاغة، ص ٤٤٥ .

(٧) الإمام علي ، نهج البلاغة، ص ١١٥ .

(٨) سورة البقرة، آية ٢٥١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع وأثرها في استراتيجيات بناء الدولة

هذا من جانب ومن جانب آخر ان المجتمع اداة ووسيلة لخلق القوة اللازمة للغلبة والسيطرة على باقي عصبية المجتمع الاخرى ، اي انعدام وجود بيعة للامة لاختيار الحاكم بل الحاكم يفرض نفسه بالقوة العصبية علي بقية المجتمع على الرغم من عدم مبايعته له. ويرى ابن خلدون ان ذلك ما يتطلبه طبيعة واقع المجتمع لتسلط قوة اقوى منه عليه حتى لا يتفرق " فلو عهد إلى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانتقض أمره سريعا وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف "(٢)، اي انها تأخذ الحكم بالاستبداد " أن الملك هو غاية العصبية وأنها إذا بلغت إلى غايتها حصل للقبيلة الملك إما بالاستبداد أو بالمظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك وإن عاقهم عن بلوغ الغاية عوائق كما نبينه ووقت في مقامها إلى أن يقضي الله بأمره "(٣).

٢. أهمية الرأي العام في بناء الدولة

تمثل هذا في إشراك الجماهير في الشورى من خلال التعبير عن آراءها حيث كان هذا حق مكفول وأكد عليه الإمام فكراً وحرصاً على تطبيقه منهجياً لأنه يؤمن بان استشارة الشعب هي دعامة اساسية لمشروع بناء الدولة القائم على المشاركة وتبادل الآراء للإرتقاء بالرأي العام وزيادة فعاليته للمشاركة في الحكم لما له من مصلحة مشتركة وسبباً لتأكيد وتوثيق العلاقة بين القيادة والامة(٤)، وشجع الإمام علي في خطاباته للامة على ممارسة حقها وابداء المشورة في ادارة شؤون الحكم بقوله: " لا تكفوا عن مقال بحق أو مشورة بعدل "(٥)، ومن باب مشاركة الجماهير في الحكم ودورها في بناء الدولة وخاطبهم بقوله: "أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الْوَالِي أَلَّا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ ، وَلَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ ، وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوًّا مِنْ عِبَادِهِ ، وَعَطْفًا عَلَى إِخْوَانِهِ ، أَلَّا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أَحْتَجِرَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ ، وَلَا أَطْوِي دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ "(٦).

وأكد الإمام علي الأمة اداء واجبها اتجاه قيادتها في ابداء النصح والمشورة لما يسهم في تنضيج الافكار وتمحيصها وتنبيه القيادة وقد سعى الإمام إلى تعميم وشمولية الشورى وعدم اقتصرها على العمر والسن وانما المهم الرأي الصائب النافع بقوله "إذا احتجت إلى المشورة في امر قد طرأ فاستبده

(١) ابن خلدون، العبر، ١/ ١١٠.

(٢) العبر، ١/ ١٦٦.

(٣) ابن خلدون، العبر، ١/ ١١١.

(٤) محمد باقر الحكيم ، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ، ١/ ٢٢١ .

(٥) الإمام علي ، نهج البلاغة ، ص ٣٣٥.

(٦) الإمام علي ، نهج البلاغة، ص ٤٢٤.

الفصل الثاني : قيمة المجتمع وأثرها في استراتيجية بناء الدولة

ببداية الشبان، فانهم أحد اذهاناً واسرع حساً ثم رده بعد ذلك إلى رأي الكهول والشيوخ ليستعقبوه ويحسنوا الاختيار له فإنه تجربتهم اكثر "(١).

وركز الإمام على الرأي وصوابه بغض النظر عن مصدر تقييم موضوعي من الإمام للآراء بقوله: " لا يستصغرن عندك الرأي الخطير اذا أتاك به الرجل الحقير "(٢) وعلى الرغم من معصومية الإمام في الحكم والقيادة الا انه لم يبلغ هذا الدور الفعال لعقل الأمة واشراك اراءها في استراتيجية بناء الدولة، وركز على هذه المشاركة السياسية الواعية للامة لأثارها الايجابية الفعالة.

اما دور المجتمع في بناء الدولة عند ابن خلدون فإنه دوراً يغلب عليه تفاوت فعالية المشاركة بين افراده وفئاته لما تلعبه العصبية الغالبة من دور في اقضاء بقية العصبيات والتفرد وحدها في شغل المناصب الحكومية جميعاً من المناصب السيادية وغير السيادية تكون بيدها فليس من حق جميع المواطنين شغل هذه المناصب نسبة لكفاتهم ومؤهلاتهم ،وانما تكون هذه المشاركة من حق العصبية الخاصة بالحاكم، هي التي تقرر نسبة المشاركة وقوتها بعد إقصاء العصبيات الاخرى عن المشاركة في الملك وبناء الدولة وهذا ما نبه اليه ابن خلدون بقوله: " إعلم أن صاحب الدولة إنما يتم أمره كما قلناه بقومه فهم عصابته وظهراؤه على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته ومنهم يقلد أعمال مملكته ووزارة دولته . وجباية أمواله لأنهم أعوانه على الغلب وشركاؤه في الامر ومساهموه في سائر مهماته " (٣).

وتتمثل مشاركة المجتمع في بناء الدولة عند ابن خلدون عن طريق قيامه بالواجب العصبي والواجب الذي يمليه شعور الفرد واحساسه من أجل نصرته ذوي الارحام أو بتعبير اخر ان العصبية هي القوة التي تدفع الفرد إلى انجاز وتنفيذ ما يمليه عليه الواجب العصبي اتجاه زعيم عصبية وابنائها " وذلك ان صلة الرحم طبيعية في البشر الا في الاقل ومن صلتها النعرة(٤) على ذوي القربى وأهل الارحام ان ينالهم ضيم فتشكل قوة تسيطر على جميع القوى العصبية في العمران البدوي مكتسحة متجهة بعد ذلك إلى العمران الحضري طالبة للملك والدولة فتسيطر فئة عصبية الحاكم على بقية ابناء المجتمع بقوتها وتقصي الجميع " (٥).

(١) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٣٣٧/٢.

(٢) الليثي الواسطي ، عيون الحكم ، ص٢٢٥.

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٤٤/١.

(٤) النعرة: هي " الأمرُ يُهْمُّ به ... إن في رأسه نَعْرَةٌ ، أي أَمْرًا يَهْمُّ به " ويقال النعرة من فوران الدم وهذا ما ينطبق عن التعصب وحمية الدم ونصرته لا لشيء الا لحمية العصبية وقراية الدم. ينظر: الزبيدي ، تاج العروس، ٥٤٣/٧-٥٤٤.

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ١٠٢/١.

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرها في استراتيجية بناء الدولة

بعد ان بينا بأن مجتمع دولة العصبية هو مجتمع مكون من عصبيات مختلفة مغلوبة على امرها التحمت في المجتمع بقوة وسيطرة عصبية الحاكم الغالبة عليها جميعاً فلا يكون للمجتمع بشرائحه العريضة رأي في بناء الدولة بل هذه المشاركة تكون مقتصره فقط على عصبية الحاكم الغالبة فهي التي قرر بها بناء الدولة "ان الغاية التي تجرى عليها العصبية هي الملك"^(١) فلا يكون هناك صوت مسموع لمشاركه بقية العصبيات في بناء الدولة لأنها حسب طبيعة تأسيس دولة القوة تكون خاضعة لعصبية الحاكم التي تقرر مصير بناء الدولة بدلاً عنها ،فتقرر العصبية الغالبة مصير المجتمع ،وتستبد بالحكم مكونة ما يعرف بالطبقة الحاكمة وهنا يختفي دور المواطن وعصبيات المجتمع الاخرى في بناء الدولة ويكون دورها فقط عون على الغلب لبناء سلطان الملك ، وينظر له بعد ذلك بأنه ليس له أي استحقاق أو حرية سياسية في تقرير مصير بناء الدولة لأن العملية السياسية في بناء الدولة تسير وفق روح العصبية والقبلية ولا سيادة لروح القوانين فيها التي تضمن حقوق المشاركة السياسية لأفرادها فنلاحظ ان دور المجتمع في بناء الدولة يكون دوراً مجتزأً من حق عصبية الحاكم فقط . وحتى عصبية الحاكم لا يكون لها مشاركة عن وعي سواء كان في اختيار الحاكم أم بناء الدولة وانما تكون مشاركتها بفعل ما يمليه عليها واجبها العصبي من طاعة رئيسها ونصرت ابناء عصبيتها .

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١١٠/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرها في استراتيجية بناء الدولة

المبحث الثالث: نظام العلاقة بين القيادة والشعب واثرها في بناء الدولة

ويمكن بحث نظام هذه العلاقة من خلال محورين وهما كالآتي:-

-المحور الاول: حقوق الحكومة (واجبات الشعب تجاه الحكومة)

-المحور الثاني: حقوق الشعب (واجبات الحكومة تجاه الشعب)

ويمكن ان نفصل فيهما كالآتي:-

المحور الاول: حقوق الحكومة (واجبات الشعب تجاه الحكومة)

بنيت العلاقة في فكر الإمام علي (عليه السلام) بين الحاكم وشعبه على اساس الحقوق والواجبات بأن جعل كلّ الأمور التي يعيش بها الخلق من سلوك وتعامل وتبادل وتناصح، بل كل العلاقات العامّة والصيغ المتبادلة في العمل وفق ما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى؛ لأنّ البارِي عَزَّ وَجَلَّ أَوْجِبَ هَذِهِ لِنَتِكَ بِمُوجِبِ قَانُونِ إلهِي، وَهُوَ التَّسَاوِي فِي وَجْهِ الْحَقِّ الْمَفْرُوضِ عَلَى النَّاسِ، بِحَيْثُ جَعَلَ فِيهَا التَّنَاسُقَ وَالنِّظَامَ وَالتَّلَازِمَ وَبِدُونِهَا لَا يَصِلِحُ بِنَاءُ دَوْلَةٍ مُتْرَابِطَةٌ وَقَوِيَّةٌ، وَكَذَلِكَ هَذَا الْوَجُوبُ لَا يَكُونُ بَعْضُهُ إِلَّا بِبَعْضٍ، ثُمَّ بَيَّنَّ (عليه السلام) ذلك بصورة واضحة بقوله: "وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ، فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأَلْفَتِهِمْ وَعِزًّا لِدِينِهِمْ. فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَدْلَالِهَا السُّنُنُ؛ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَسَّتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ" (١).

وإنّ الحقوق التي فرضها الله تعالى على الجانبين كما ذكرها الإمام (عليه السلام) فيها الجوانب المهمّة والدعائم الأساسيّة لثبات كيان المجتمع وحفظ مظاهره الإيجابيّة وصورة نظامه، هذا إذا شعر القائد بأنّ الله قد فرض له حقوقاً على رعيّته، وكذلك حقوقاً للرعيّة على القائد، وبحفظهما وعدم الإخلال بتوازنهما تكون (نظاماً لألفتهم)، وبهذه الألفة وهذا التعاون والمحبة والصدق في نيّاتهم وضمنان تأدية الحقوق إلى مُسْتَحَقِّبِهَا والالتزام اتجاه بعضهم بعض هي الضمان الحي للمسيرة الصالحة.

(١) نهج البلاغة ، ص ٣٣٣.

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرها في استراتيجية بناء الدولة

وعبر احد الباحثين عن هذا الطرح الاستراتيجي للإمام في تنظيم العلاقة بين القيادة والمجتمع بأنه (عليه السلام): " يطرح هذا الموضوع شرطاً في نموّ الدولة ودوامها، ويضع هنا واحداً من مفاتيح تفسير التاريخ، في واحد من شروط نموّ الحضارات ودوامها"^(١).

بين الإمام واجبات الرعية ودورها في بناء الدولة والمحافظة عليها بقوله: " أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ: ... وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَأَلُوفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمُرُّكُمْ"^(٢). وتحليل النص المتقدم يمكن بيان دور وواجب المجتمع بما يأتي:-

أولاً: الوفاء بالبيعة

واكد عليها الإمام وبينها اثناء خطابه بالناس قائلاً: " وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَأَلُوفَاءُ بِالْبَيْعَةِ " أن تبقى الأمة على بيعتها للقائد أو الحاكم، تُخلص له، وتدافع عنه، وتحافظ عليه، وتفي بما قطعته على نفسها من عهود الوفاء معه^(٣) أي توثيق البيعة وعدم نكثها وفعل ما ينافيها^(٤)، وقد لام الإمام من نكث ببيعته ولم يوف بها بقوله: " لَمْ تَكُنْ بَيْعْتَكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً ، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا "^(٥).

ثانياً: الاخلاص للقيادة

يبدو أن الإمام (عليه السلام) أراد بالنصيحة هنا، تلك التي تكون دوافعها حقيقية وشرعية، والتي تنطلق من منطلق الحرص وتحمل المسؤولية، لا النصيحة التي تقف وراءها دوافع الزلفى والطمع والتقرب من الحاكم، والتي ترمي إلى الحصول على الامتيازات الشخصية بداعي النفاق، فالحاكم ما دام صادقاً مع أمتة مؤدياً أمانته، فمن حقه أيضاً أن يصدق معه أبناء الأمة، بحيث لا يدور النفاق في أنفسهم في الحضور والغياب، في الشدة والرخاء^(٦).

فالنصيحة التامة هي " النصيحة في الحضور والغيبة، لا أنكم تتصحون وتطلبون لي الخير في حضوري، بينما تفعلون ما تريدون في غيابي، فيجب أن تكونوا ناصحين من أعماق قلوبكم "^(٧) ، وان ما يعزز النصح بينهم هو بقدر نصح القيادة معهم ومبدأ الثقة المتبادلة كما جاء ذلك في عهد الإمام

(١) عبد الرضا الزبيدي ، في الفكر الاجتماعي ، ص ٩٧.

(٢) نهج البلاغة ، ص ٣٣٣.

(٣) الزبيدي، في الفكر الاجتماعي، ص ١٠٥.

(٤) محمد الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/١٥٨.

(٥) الإمام علي ، نهج البلاغة، ص ١٩٤.

(٦) الزبيدي، في الفكر الاجتماعي، ص ١٠٥.

(٧) محمد حسين الطهراني، ولاية الفقيه في حكومة الاسلام، ٤/١٣٢.

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثراً في استراتيجية بناء الدولة

علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر: " ... ولا تحقرن أطفأ تعاهدتهم به وان قل، فانه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك ... " (١).

وعلى ذلك، فان الإمام (عليه السلام)، وعلى الرغم من اختصاصه بالإمامة، وهو الأمر القاضي بكونه أعلم الناس وأصلحهم، الا أنه كان يُربي الناس على أنه لا حدود بينه وبينهم فيما كان موافقاً لميزاني الحق والعدل وليكن ذلك ما يكون مقالةً أو مشورة، اذ يقول (عليه السلام): " فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل " (٢).

ثالثاً: تنفيذ قرارات الحاكم

حينما يدعوهم القائد إلى أمرٍ ما يتخذونه، أو يطلبهم لا تخاذ طريق معين أو ترك عملٍ مخالف لإرادة الله ومصلحة عموم الناس، أو تقويم في طبع ما مضرّ بالخلق، يجب أن تكون إجابة الأمة سريعة وبدون تباطؤ أو تلوؤ.

فان دعوة الإمام الشرعي المفترض الطاعة، هي في حقيقتها الشرعية ملزمة وواجبة على المحكوم، وذلك من جهتين، اولاهما: بحكم الاستخلاف الديني للإمام على أحكام الدين وسياسة الرعية، وثانيهما: بحكم التعاقد الذي تُمثله دلالة البيعة بينهما. وعلى ذلك فالجهتان توجبان تلبية دعوة الإمام ، والجدير بالذكر ان كلا الجهتين قد توفرتا في حكومة الإمام علي (عليه السلام)، ويمكن التوصل إلى ذلك المعنى من قول الامام: " لم تكن بيعتكم اياي فلتة ... " (٣)، وكذلك من قوله (عليه السلام): " ... اني لم أرد الناس حتى أراذوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني ... " (٤).

إن الأمة إذا شعرت بمحبة قيادتها وسيرته العادلة، بحيث أدى حقّ المجتمع، فما عليها حينذاك إلا إطاعة الأوامر الصادرة منه والعمل على تنفيذها فبلا شك أن طاعة الأمر تكون ملازمة لإجابة الدعوة ، وذلك على أساس أن الطاعة هي المدلول التطبيقي والعملي لإجابة الدعوة، والا فلن يكون لإجابة الدعوة أثرٌ من الناحية العملية من دون اطاعة الأمر. أنه قال: " حقّ على الإمام أن يحكم بما

(١) محمد مهدي شمس الدين، عهد الاشر، ص ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة، ص ٣٣٥.

(٣) الإمام علي، نهج البلاغة، ص ١٩٤.

(٤) نهج البلاغة، ص ٤٤٥.

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرها في استراتيجيات بناء الدولة

أنزل الله، وأن يؤدّي الأمانة، فإذا فعل ذلك، فحقّ على الناس أن يسمعوا له وأن يطيعوا وان يُجيبوا إذا دُعوا^(١).

المحور الثاني: حقوق الشعب (واجبات الحكومة تجاه الشعب)

وحدها الإمام علي (عليه السلام) هذه الحقوق بقوله: "أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ : فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ ، وَتَوْفِيرُ فَيُنْكَرُ عَلَيْكُمْ ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا ، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا" (٢) ، وقوله ايضا: "إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ : الْإِبْلَاحُ فِي الْمَوْعِظَةِ ، وَالِاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَالِإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحَقِّيهَا ، وَإِصْدَارُ السُّهُمَانِ عَلَى أَهْلِهَا . فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ نَصُوحِ نَبِيِّهِ ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَنْتَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ ، فَإِنَّمَا أَمْرُكُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي" (٣).

هذه الحقوق التي للرعية هي واجبات مفروضة على الحكومة وتطبيقها يوفّر الأمن للعلاقة الإيجابية وتُعطي الطاقة الفاعلة للسير على طريق الحق والاستقامة ، وإقامة العدل في المجتمع وهي منها الاتي:-

١. اخلاص القيادة قولاً وعملاً

وهو الاخلاص والصدق في القول والعمل (فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم) (٤).

٢. حق حفظ المال العام

والعدل والإنصاف في الحكم والتوزيع (وتوفير فينكم عليكم) . الحرص على بيت المال وتنميته ، وسد حاجة ذوي الحاجات (٥).

٣. حق التعليم

وإرشادهم السبيل التي أرشد إليها كتاب الله وسنة نبيه (وتعليمكم كيلا تجهلوا) ، لأن جهلكم بدين الحق يبتعد بكم عن مكارم الدنيا وحسناتها ، ويغريكم بأفذارها وسيئاتها (١).

(١) المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٧٦٤/٥.

(٢) نهج البلاغة ، ص ٧٩.

(٣) نهج البلاغة ، ص ١٥٢.

(٤) مغنية ، ظلال ، ٢٢٩/١.

(٥) مغنية ، ظلال ، ٢٢٩/١.

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرها في استراتيجيّة بناء الدولة

٤. حق التأديب

المراد بالتأديب هنا العقوبة بإقامة حدود الله سبحانه ، (وتأديبكم كيما تعملوا) والمراد بالعمل الاستقامة حيث قال في بعض ما يأتي من خطبه " وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا " (٢) (٣).

وبعد أن بيّن الحقوق بين الطرفين في كلام مفصّل وفي مواضع مختلفة يستمرّ (عليه السلام) في عرض النتائج المُستحصلة من الصورة السلبية في العلاقة التي إن وقعت اختلّ التوازن بين الطرفين، وهذا يحصل حينما تشعر الرعيّة بغبن وظلم الطرف الآخر، حيث تسعى هي الأخرى إلى غلبة واليها أو التخلص منه والعبث بالمقدّرات العامّة وترك العمل بالحقوق، وتصبح العمليّة هنا ساحة حرب وتسارعاً نحو الأهداف الشيطانيّة بين الوالي ورعيته، وهذا كلّه يأتي من عدم أداء الحقوق بين الوالي والرعيّة، وقد بيّن الإمام (عليه السلام) ذلك بصورة أكثر جلاءً ووضوحاً: " وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرِعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعَمِلَ بِالْهَوَى، وَعَطَلَتْ الْأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقِّ عَطَلٍ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ، فَهُنَالِكَ تَدُلُّ الْأَبْرَارُ وَتَعَزُّ الْأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ نَبْعَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ . فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنْ اشْتَدَّ عَلَى رِضَا اللَّهِ حِرْصُهُ وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ " (٤).

عند ذلك تظهر النتائج التالية للصورة أعلاه:

- ١ . انتشار معالم الجور والظلم.
- ٢ . كثرة الأمور التي تُفسد حقيقة وواقع الدين.
- ٣ . ترك المحجّة البيضاء والطريق الوسطى، أو الانحراف يميناً وشمالاً فيطرق أخرى.
- ٤ . غلبة الأهواء والرغبات الذاتية للنفس الإنسانيّة.
- ٥ . تعطيل أحكام الله والعمل بما لا يُرضي الباري عزّ وجلّ.
- ٦ . كثرة تَعَلُّلِ النفوس بالباطل.
- ٧ . موت الشعور بالمسؤوليّة أزاء المنكرات، وتعطيل الأحكام إلى الحدّ الذي قد يتجاوز عدم الاستنكار والنفرة فيها إلى الرضا والإقرار.

(١) مغنية ، ظلال ، ٢٢٩/١ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٢٦٣ .

(٣) مغنية ، ظلال ، ٢٢٩/١ .

(٤) نهج البلاغة ، ص ٣٣٤ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجيته بناء الدولة

وقد بين الإمام علي (عليه السلام) الخطبة الأولى معالم الحقوق المفروضة على الراعي والرعية اتجاه بعضهم البعض، ثم أعطى النتائج التي سوف تترتب حتماً على توفر هذه الحقوق أو على إهدارها، كاشفاً عن عمق الرؤية في السنن التاريخية ، وعمق استراتيجيته في السياسة المدنية، ثم جاءت الخطبة الأخرى بتفسير مفصل لطبيعة وأصناف الحقوق المفروضة على كل من طرفي المعادلة الاجتماعية، وقد عكست عن حالة تامة بوظائف علم الاجتماع (١).

اما فيما يتعلق بحقوق المجتمع في نظرية ابن خلدون فلم يذكر ذلك ابن خلدون ولم يشر اليه بوضوح كما اشار اليه الإمام علي (عليه السلام) بل نجد من خلال قراءة افكار ابن خلدون انه لا توجد في دولة العصبية حقوق للمجتمع ونبين علة ذلك من خلال ما يأتي :-

١. **انعدام حقوق المجتمع في دولة العصبية:** لانه مجتمع مغلوب على امره وان الحكومة تتلاعب بسياسته حسبما تشاء لا توجد حدود ثابتة في التعامل معه او قوانين متمثلة بحقوق وواجبات تنظم العلاقة بينه وبين الحكومة حتى يحول دون استبداد الحكومة و استغلالها للرعية ، الا ان دولة ابن خلدون كانت خالية من أي لائحة حقوق للمجتمع ؛ وهذا ما يمكن ان نستشفه مما اشار اليه ابن خلدون مما تقوم به الحكومة العصبية من قلب للموازن الشرعية في قوانين الاحكام السلطانية من تحويل الحقوق وضوابطها إلى مغارم على المواطنين من ابناء الدولة بقوله في: "باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بألة الزرع أو تجاوز الحد الذي أمر به والسبب فيه والله أعلم ما يتبعها من المغرم المفضي إلى التحكم واليد العالية فيكون الغارم ذليلاً بائساً بما تتناوله أيدي القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرماً إشارة إلى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في المتمولات واعتبار الحقوق كلها مغرم للملوك والدول والله قادر على ما يشاء والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق" (٢).

٢. **تعامل الحكومة الوصولي مع المحكومين:** ان معيار طبيعة العلاقة القائمة بين الحاكم والمحكومين وفق نظرية دولة القوة والغلبة يرى ابن خلدون انها تقوم على اساس الحفاظ على مصالح الملك واستمراره في الملك ، فاساس تعامل الحاكم مع الرعية لا يستند إلى قانون ومبدأ ثابت بل تعبير لردة فعل الحاكم ازاء الحرص على منصبه في الحكم فهو في بداية التمهيدي لملكه يعاملهم بالرفق والاحسان " حسن السلوك والعفو عن الزلات ... والصبر على المكاهم والوفاء بالعهد وبذل الاموال من صون الاعراض وتعظيم الشريعة وإجلال العلماء الحاملين لها والانتقياد إلى الحق مع الداعي اليه،

(١) الزبيدي ، الفكر الاجتماعي في نهج البلاغة، ص ١٠٨ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٣١٠/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

وانصاف المستضعفين من أنفسهم والتنزل من احوالهم والانقياد للحق والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغيثين ... والتجافي عن الغدر والمكر والخديعة^(١). الا ان هذا التعامل ينقلب حينما يحس بأن ملكه ومنصبه في الحكم متعرض للمنافسة فإن معاملته في هذه الاحوال تكون ردة فعل لخوفه للحفاظ على الملك^(٢).

ولم تُبنَ دولة الملك والعصبية من أجل تسخير طاقتها لخدمة المجتمع وذلك لانه لم يكن المجتمع هدفا لبناء الدولة بل كان الوصول إلى الحكم والملك هو الهدف من بناء الدولة وكان المجتمع مجرد أداة أو وسيلة لتحقيق ذلك والمحافظة عليه . لذلك نلاحظ ان ابن خلدون لم يهتم ببناء فرد ثم بناء المجتمع بناء فرد بمواصفات معينة وعلى اساس وقيم محددة ليتشكل في بناءه ضمن مجتمع القوة أو القاعدة اللازمة لبناء الدولة فمادام ما تحتاجه هذه الدولة لتأسيبها هو قوة بشرية فابن خلدون يتجه مباشرة إلى إيجاد قوة بغض النظر عن كيفية أسس بناء افراده هذه القوة وتكوينها فيتجه إلى العمران البدوي حيث العصبية المجتمعة التي تقي بالعرض .

وان غض الطرف عن اساس بنائها لان الحاكم الطالب للملك لا يحمل مشروعاً حضارياً او رسالة معينة حتى ينشأ افراد مجتمعه عليها وترسخ مبادئها فيهم بل هدفه اكتساب الملك والمال والجاه ويكفي ان يناصره على هدفه هذا ويشاركونه باتفاق اهوائهم على طلب الملك بقوله: " وذلك لان الملك انما يحصل بالتغلب والتغلب إنما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطالبة "^(٣) ، اي يكون هناك اجماع عام على تأييده بطلب الملك بالقوة والمنازعة عليه حتى تحقيق اهدافهم لانه مطلب طبيعي للعصبية تسعى اليه بقوله: " وهو ما اقتضته لهم العصبية لما فيها من الطلب للملك بالطبع "^(٤) . يكافئهم بالمقابل على اشراكهم في ادارة الدولة باعطائهم مناصب فيها.

وكما أسلفنا ذكر ذلك في روابط بناء مجتمع الدولة فنجد ان المجتمع منذ البدء يكون التعامل معه على اساس تسخير كقوة في البناء وبعد طور التأسيس وجني ثمرات الملك يكون المجتمع وسيلة لجلب اسباب الترف والنعيم لصاحب الملك عن طريق ما يفرض على الشعب من واجبات وضرائب مالية عليه تسديدها إلى الحاكم.

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١١٣/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٢٤/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٢٤/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٢٤/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثراً في استراتيجيات بناء الدولة

٣. المجتمع منزوع الارادة : يكون المواطن في دولة القوة منزوع الحقوق لأنه يتحرك عند بناء الدولة بالوازع البدوي نصرته لقبيلته فيكون مسيراً وليس مخيراً وعن وعي، وعندما يتم بناء الدولة فان المواطن يكون مقهوراً ومغلوباً على أمره بسطوة الملك والسلطان ،وهذا بينه ابن خلدون حينما اشار إلى " أن معاناة اهل الحضرة للحكام مفسدة للباس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم وذلك أنه ليس كل أحد مالك أمر نفسه إذ الرؤساء والأمراء المالكون لأمر الناس قليل بالنسبة إلى غيرهم فمن الغالب أن يكون الانسان في ملكة غيره "(١).

٤. استعباد الحاكم للمحكومين : لم تكن العلاقة على اساس تنظيم الحقوق بين الحاكم والشعب بل الحقوق للحاكم فقط وان على المواطن واجبات فقط يؤديها للدولة من دون ان يعترض على شيء منها وذلك على اساس طبيعة العلاقة الاستعبادية بين المالك والمملوك المالك(الحاكم) والمملوك(الرعية) العلاقة القائمة بينهم يسميها ابن خلدون بـ (الملكة) لكونه يملكهم بقوله: " فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان والصفة التي له من حيث إضافته إليهم هي التي تسمى الملكة وهي كونه يملكهم "(٢). وعلى الرغم من تأكيد ابن خلدون على صلاح العلاقة بين الحاكم والمحكومين بقوله : " فإذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الجودة بمكان "(٣) على انه لم يخرج هذه العلاقة من طبيعتها الاستعبادية فهو جعل الرعية بمثابة العبيد للملك وهو عين ما عرف به ابن خلدون الملك بقوله : " وإنما المالك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويجمع الأموال ويبعث البعث، ويحمي الثغور ولا تكون فوق يده يد قاهرة "(٤) وقوله في تعريف الرعية بأنهم " الرعية عبيد يكتفهم العدل "(٥) وتعريفه للعلاقة هي أساس السلطان والشعب بقوله : " ورأس الكل بافتقاد الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه "(٦) ومن خلال جملة التعريفات يتبين ان طبيعة العلاقة بين الحاكم ورعيته قائمة على التملك والسطوة. فلم ير انها علاقة قائمة على الحقوق والواجبات كما يراها الإمام علي بأن حقوق الشعب من الواجبات المفروضة على الحاكم وان الواجبات المفروضة على الشعب من حقوق الحاكم والدولة والتي يجب تأمينها وتحقيقها من قبل الطرفين حتى يخلق بذلك مجتمعاً متوازناً منضبطاً لا تبخس الحقوق فيه الا ان وضع العلاقة في دولة العصبية نجد ان الحاكم يستغل علاقته بالشعب ويحدد أو

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٠٠/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٤٩/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٤٩/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٨/١ .

(٥) بن خلدون ، العبر ، ٣٠/١ .

(٦) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

يوجه تعامله مع الرعية على اساس تحقيق مصالحه الخاصة للحفاظ على الملك والاستمرار فيه فنجد تعامله مع ابناء شعبه يتباين وهو مع ابناء عصبية يختلف في تعامله مع العامة.

ويعتمد في اساس تعامله مع الرعية سواء كانت الخاصة والعامة ينطلق من منطلق مصلحته الخاصة وانه في تعامله مع الطبقة الخاصة من الرعية لانهم ضمان لبقاه في الملك والمحافظة عليه فهم اول الممهدون له والمناصرين لسلطته للوصول إلى الملك وهؤلاء " هم افراد عصبية الخاصة من قرابته " (١) .

ثم اذا استطع هؤلاء بالملك او شكك في محاولتهم منافسته في الحكم فانه يقلب لهم ظهر المجن ويتكرر لما كان من عهدهم ونصرتهم له والدفاع عنه فيقوم بقطع الطريق امامهم ويعاملهم بالعسف والاستبداد والقتل والابعاد ليتخلص من منافستهم له في الملك وهو اجراء طبيعي يفرضه عليه طبيعة طور الترف الذي وصلت اليه الدولة ، وصور لنا ابن خلدون طبيعة العلاقة بقوله : " واعلم أن تمهيد الدولة وتأسيسها كما قلناه إنما يكون بالعصبية وأنه لا بد من عصبية كبرى جامعة للعصائب مستتبعة لها وهي عصبية صاحب الدولة الخاصة من عشيرة وقبيلة فإذا جاءت الدولة طبيعة الملك من الترف وجدع أنوف أهل العصبية كان أول ما يجدع أنوف عشيرته وذوي قرابه المقاسمين له في اسم الملك فيستبد في جدع أنوفهم بما بلغ من سوادهم لمكانهم من الملك والعز والغلب فيحيط بهم هادمان وهما الترف والقهر ثم يصير القهر آخرًا إلى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند رسوخ الملك لصاحب الامر فيقلب غيرته منهم إلى الخوف على ملكه فيأخذهم بالقتل والإهانة وسلب النعمة والترف الذي تعودوا الكثير منه فيهلكون ويقلون وتفسد عصبية صاحب الدولة منهم وهي العصبية الكبرى التي كانت تجمع بها العصائب وتستنبتعها فتتحل عروتها وتضعف شكيمتها " (٢) .

ثم يأتي بعصبية جديدة مصطنعة بالأموال والاحسان اليهم ويتخذهم خاصة وحاشية له " وتستبدل عنها بالبطانة من موالى النعمة وصنائع الاحسان وتتخذ منهم عصبية إلا أنها ليست مثل تلك الشدة الشكيمية لفقدان الرحم والقربة منها وقد كنا قدمنا أن شان العصبية وقوتها إنما هي بالقربة والرحم لما جعل الله في ذلك " (٣) . ويقمعه عصبية المؤسسة للملك لا بد له ان يعوضها بعصبية جديدة وهي عصبية مصطنعة .

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١ / ٦٥ .

(٢) بن خلدون ، العبر ، ١ / ٢٣٠ .

(٣) بن خلدون ، العبر ، ١ / ٢٣٠ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

ويجلب هذا التصرف على الدولة الاضطراب وتعدي باقي العصابات على الحاكم لاستضعافه بفقد عصبية " فينفرد صاحب الدولة عن العشير والأنصار الطبيعية ويحس بذلك أهل العصابات الأخرى فيتجاسرون عليه وعلى بطانته تجاسرا طبيعيا فيهلكهم صاحب الدولة ويتبعهم بالقتل واحدا بعد واحد ويقلد الآخر من أهل الدولة في ذلك الأول مع ما يكون قد نزل بهم من مهلكة الترف ... فتقل الحماية التي تنزل بالأطراف والثغور فتتجاسر الرعايا على بعض الدعوة في الأطراف وبيادر الخوارج على الدولة من الأعياص وغيرهم إلى تلك الأطراف لما يرجون حينئذ من حصول غرضهم بمبايعة أهل القاصية لهم وأمنهم من وصول الحامية إليهم ولا يزال ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتضايق حتى تصير الخوارج في أقرب الأماكن إلى مركز الدولة ^(١) ، وكذلك " وربما انقسمت الدولة عند ذلك بدولتين أو ثلاث على قدر قوتها ... واعتبر هذا في دولة العرب في الاسلام كيف انتهت أولا إلى الأندلس والهند والصين وكان أمر بني أمية نافذا في جميع العرب بعصبة بني عبد مناف حتى لقد أمر سليمان بن عبد الملك بدمشق بقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد أمره ثم تلاشت عصبية بني أمية بما أصابهم من الترف فانقرضوا وجاء بنو العباس فغضوا من أعة بني هاشم وقتلوا الطالبين وشردهم فانحلت عصبية عبد مناف وتلاشت وتجاسر العرب عليهم فاستبد عليهم أهل القاصية مثل بني الأغلب بإفريقية وأهل الأندلس وغيرهم ^(٢) وبهذا النص يمكن ان نلخص نتائج تعامل القهر والقوة مع الرعية بما يأتي :

١. سحق العصبية المؤسسة والتنكر لخدمتها إلى جانبه والتخلص منها بالقتل والابعاد وخلق قوة مصطنعة من العبيد والمماليك والموالي .
٢. تضعف علاقته بعصبية المؤسسة لملكه وهم قرابته وقبيلته وتعرض مكانة الحاكم للخطر بتجاسر العصابات الاخرى المسيطر عليها بعامل القوة والقهر مما يضعف قوة الحاكم .
٣. ضعف الوضع الامني للدولة عامة بسبب خروج بعض العصابات على الادارة المركزية للدولة .
٤. انهيار الدولة وانقسامها إلى ثلاث دول أو أكثر حسب قوة كل عصبية من العصابات الخاضعة سابقاً.

(١) بن خلدون ، العبر ، ٢٣١/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٢٣٢ /١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرها في استراتيجية بناء الدولة

المبحث الرابع: انفتاح الدولة على المجتمع

ركز الإمام علي (عليه السلام) على ضرورة عدم الاحتجاب عن الجماهير لأن من اسس نجاح العمل الاداري الانفتاح على المجتمع من قبل الولاة الاداريين وعدم الاحتجاب عنهم بقوله: " فلا تطولن احتجابك عن رعيتك ... واطلب انصاف في معاملة "(١)، ويحذر الامام (عليه السلام) ولاته من عواقب الاحتجاب الطويل عن الرعية لأثاره السلبية وانه من ضيق الفكر والادراك والتي تؤدي إلى : قلة علم الوالي باحوال الرعية وعدم معرفته تفاصيل الحياة العامة بما ينفعهم او يضرهم او التعرف فيما اذا كانت هناك اساءة او خطأ في سلوك تعامل الكادر الاداري او قرارات صدرت من الوالي اوقعت الضرر بالمجتمع فالاحتجاب يحول دون معرفة كل هذه الحقائق او الظلمات مما يؤدي إلى ترك اثر التذمر في نفوس الرعية من ولاتها والسخط منهم .

فالحاجب هو الذي يتولى الاذن في الدخول على الحاكم وظيفته تتعلق بـ: " حجب السلطان عن العامة ، ويغلق بابه دونهم او يفتحه لهم على قدرة في مواقيته "(٢) والحجابه تعد من الوظائف الادارية السياسية تناط بموظف خاص أشبه ما يسمى اليوم بكبير الامناء أو مدير التشريعات أو السكرتير الاول لرئيس الوزراء أو الجمهورية وقد تطورت وظيفة الحجابه بتطور الازمنة والامكنة والانظمة السياسية والعوائد والاحوال(٣) ، واخذت تتسع مهامها حسب الدول وتتبع ابن خلدون ذلك .

فالحجابه في النظام الاداري السياسي الاموي من الوظائف الادارية السياسية المحددة لان وظيفتها محصورة بانجاز الاعمال الخاصة نيابة عن الخليفة الذي يجري تعيينه منه باعتباره الامين العام للخليفة وهو أمين سره والمسؤول عن أمنه وعلاقته بالرعية (٤) .

اما في العهد العباسي فتجاوزت الحجابه معناها الاول في حفظ باب الخليفة والاستئذان لمن يدخل عليه إلى منع الناس من مقابلته الا في الامور المهمة حيث أصبح بين الناس والخليفة (دار للخاصة) و(دار للعامة). تتم فيها مقابلة الناس على منازلهم وطبقاتهم كما يراها هذا الحاجب (٥)، ثم تجاوز الحاجب هذا الاختصاص إلى المشورة الذي أخذ يعني معناه في هذا العصر بـ(المستشار السياسي) لانه أصبح يستشار في كثير من الامور(٦) فهو حاجب ومستشار في الوقت نفسه .

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٤١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٨/١ .

(٣) توفيق خلف زيدان احمد السعيدي ، الدولة في فكر ابن خلدون ، رسالة ما جستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد، ١٢٣٣هـ / ٢٠١٢م ، ص ١٥٢ .

(٤) توفيق خلف زيدان احمد السعيدي ، الدولة في فكر ابن خلدون ، ص ١٥٢ .

(٥) حسن ابراهيم حسن ، علي ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، ص ١٦٣ .

(٦) العزاوي ، عبدالرحمن حسين ، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، ص ١٤٧ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

وفي دولة الموحدين أصبحت الحجابة تفيد " الكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص أمره " اذ اختفى في هذا العهد لقب الحاجب واستعيض عنه بلقب الوزير^(١).

اما في النظام الاداري السياسي الحفصي فالحجابة تطورت وظيفتها فأصبحت " الخطة ارفع الرتب وأوعبها للخطط "حتى أصبح الحاجب يعرف كوزير للرأي والمشورة، فكان هو الرجل الثاني في الدولة بعد الحاكم مباشرة فأتسع نفوذه واختصت وظيفته الادارية بتعيين وعزل^(٢).

وفي النظام الاداري السياسي المريني أطلق على المكلف بوظيفة الحجابة لقب (المزوار) بدل (الحاجب) : وهو المتصرف (بباب السلطان) و (معناه المقدم على الجنادة) وهو مختص بتنفيذ أوامر السلطان وحفظ المعتقلين في السجون وأخذ الرعية إلى دار العامة لمقابلة السلطان^(٣). وعلت مرتبة الحاجب فأصبح يستشار في كثير من أمور الدولة ويقود الجيوش احيانا ايضا ومن ابرز الحجاب في العصر العباسي الأول هو الفضل بن الربيع الذي أوقع بالبرامكة عند الرشيد فكان شديد العداء للبرامكة، ويقال أنه هو الذي سعى بهم عند الرشيد، وأظهر عيوبهم، وغطى محاسنهم، ووضع عليهم العيون ، حتى استطاع أن يرصد حادثة هروب يحيى الطالبي عند جعفر، فأخبر بها الرشيد، وزين له أن البرامكة يريدون الخلافة للطالبين^(٤) ، وأدهى دورا هاما في إحداث الخلاف بين الأخوين الأمين والمأمون وكان الحاجب في العصر العباسي الثاني كثيرا ما يتدخل في أمور الدولة ويستبد بالنفوذ من دون الوزير ويلزم أصحاب الدواوين بالرجوع إليه في كل أمور الدولة ويحتم عليهم بالا يفصلوا في الأعمال إلا بعد موافقته كما حدث في سعة نفوذ البرامكة في حكم هارون العباسي حيث نafs نفوذهم نفوذ الحاكم الامر الذي دفعه للتخلص من نفوذهم وسطوتهم السياسية والادارية فيما يعرف بنكبة البرامكة " وإنما نكب البرامكة ما كان من استبدالهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه فغلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه فعظمت آثارهم وبعد صيتهم وعمرؤا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واحتازوها عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم^(٥).

٢- الاحتجاب يتسبب في تقليل قدر جليل الشأن مهما قدم من خدمات كبيرة لها الاثر المحمود في الصالح العام الا ان الاحتجاب يحول دون احترام وتقدير هذه الخدمات والانجازات فينفر الشعب

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٨/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٩/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ص ١٨٩/١ .

(٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٣٧/٤ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ١٦/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

عن الاعمال الصالحة وتقديم التضحية في سبيل منفعة المجتمع عامة (١) .
الاحتجاب يؤدي إلى التشويش في التقويم حيث يحكم بدون دراية ونتيجة الاريك والظلم . اما اذا ارفع الحجاب فانه يستطيع ان يتعرف على الاخبار ويطلع على الاسرار وتتكشف له مكامن الاحوال ويمكن من قراءة ما حولة من المشاهد والمواقف والمتغيرات والحكم عليها واتخاذ القرار الذي يحد عن تفاقم الامور والتواء الاحداث هذا من ناحية الوالي .

اما من ناحية الرعية فان احتجاب قيادتها عنها تؤدي بما لا يحمد نتائجه ويرى الإمام علي انه لا داعي لاحتجاب الولاة عن رعيته وذلك لان الوالي احد رجلين:
١- اذا كان سخياً ببذل الحق وأمن للناس حقوقها فان احتجابه عن الناس لا مبرر له طالماً انه يعطي حقاً ويفعل العمل الكريم ويسود به على الآخرين محينها يكون احتجابه لا مبرر له .
٢- واما ان يكون متبلى بالمنع . قد يأس الناس عن اتبانه للنظر في مسائلهم وحاجاتهم فإنهم يكونون عن الاتصال به.

فمن كان احد الرجلين هو يحتجب فانه احتجابه لا مبرر له لأنه في النوع الاول كفى الناس حاجتهم وفي النوع الثاني هو ممن لا تشكل عنده الرعية اي ثقل في معادلته الادارية ، ولا يدخلها ضمن واجباته وأولوياته ويكون احتجابه وعدمه سواء بالنسبة اليه او بالنسبة للرعية التي يأست من عطاءه واهتمامه .

ويرى احد الباحثين ان سر نجاح القائمين على الشؤون التنفيذية يكمن في امرين اساسيين هما :
الاول : ان يفرق كبار المسؤولين بين الامور الأولوية عن تلك الثانوية غير الضرورية التي يمكن تفويضها لمساعديه ان يؤديها عنه او يتفرع هو لأداء وانجاز الاعمال المهمة ذات الاولوية على نحو السرعة والدقة التي تحتاج إلى مباشرتها بأنفسهم (٢) .

الثاني : ان يعين اوقاناً لقضاء واداء الاعمال الضرورية فلا يؤجل عمل اليوم إلى الغد لأن التنظيم والدقة اساسان للعمل الاداري وهذا مستوحى من قول الإمام علي (عليه السلام): " ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا مِنْهَا إِجَابَةٌ عُمَّا لِكَ بِمَا يَعْيًا عَنْهُ كُتَابُكَ... لكل يوم ما فيه " (٣) فيؤكد الإمام على ضرورة التنظيم في العمل والدقة في انجازه حتى لا تصاب الانشطة والفعاليات الادارية بالتعثر والعرقلة مالم تسيره على ضوء منهاج ونظام محددين .

(١) توفيق الفيكي ، الراعي ورعية ، ص ٢٧٥ .

(٢) اللكراني محمد الفاضل ، الدولة الاسلامية : شرح لعهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الاشر ، ص ١١٢ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٤٤٠ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

فحرص الإمام علي على ان يحقق الوالي التواصل المباشر والمستمر مع الشعب يحقق اهدافه في تطبيق المعاملة الانسانية مع جميع شعبه بأن ينزل القادة إلى واقع شعوبهم ويكونوا على اطلاع بهم عن قرب. وتؤكد احد المبادئ الادارية الحديثة التي ظهرت معالمها في المجتمع الياباني وقد أطلق عليها (الادارة بالتجوال/الميدانية) وهو تعد هذه النظرية من اكثر انواع الفكر الاداري المعاصر استجابة لتطلعات العاملين من ناحية وتحقيق اهداف المنظمة من ناحية اخرى^(١).

وفيما نهى الإمام (عليه السلام) عن الاحتجاب في ادبيات العمل الاداري وضح مخاطر اثارها على الشعب والدولة . الا ان حكام دولة القوة والشوكة كانت علاقتهم بالجماهير تنتهي عند وصولهم لسدة الحكم ثم يضرب الحجاب بينها وبينهم^(٢) فنجد ان ابن خلدون يدرج منصب (الحجابة) ضمن الوظائف السلطانية والتي ظهرت لأول مرة في الدولة الاموية ثم العباسية^(٣).

وقد اقتدى الحكام العباسيون بحكام الدولة الاموية فاتخذوا الحجاب وزادوا في منع الناس عن ملاقة الحاكم في الامور المهمة فنرى ان الفجوة بين الحاكم والرعية زادت وكبرت وأصبح هناك حاجبان حاجب لدار الخاصة وهو الحاجب الذي يرتب دخول الناس المهمين وذوي المناصب العليا من الوزراء والقضاة ورجال الدولة وطبقة الاشراف وحاجب دار العامة وهو الحاجب الذي يرتب دخول عامة الناس إلى الحاكم العباسي مثل اصحاب المهن والصناعات والتجار وبعض الادباء والشعراء والحكماء وغيرهم من عامة الشعب^(٤).

وكان الحجاب سبباً من اسباب انتشار الرشوة في مفاصل الدولة فقد كان منهم ممن هم ضعاف النفوس وممن يسعون إلى الوصول للمناصب العليا والثراء السريع وجمع الاموال بشتى الطرق عن طريق الرشوة او الهدايا التي يقدمها طالبو الحاجات لقاء توسط الحاجب لهم لدى الحاكم في تعجيل الاذن لهم بالمقابلة، فاصبحت جزءاً من الفساد الاداري في المنظومة الحاكمة ، فيقول المغيرة بن شعبه: "ريما عرق الدرهم في يدي أرفعه لئرى ليسهل إذني على عمر"^(٥).

(١) خضير كاظم حمود ، السياسة الادارية في فكر الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) بين الاصلية والمعاصرة ، ص ٨٧.

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٨/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٨/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٨/١ .

(٥) الدينوري ، المعارف ، ص ٥٥٨.

الفصل الثاني : قيمة المجتمع وأثرها في استراتيجيات بناء الدولة

المبحث الخامس: التأسيس الفكري لمفهوم المعارضة وأثره في بناء الدولة

نبحث في هذه الموضوع رؤية كل من الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وابن خلدون تجاه المعارضة وكيفية الاستفادة منها وتوجيهها في بناء دولة عادلة وصالحة .

لقد حرص الإمام علي (عليه السلام) على سير العملية السياسية في بناء الدولة وفق للنسق والشرع القانوني للدستور الاسلامي ولالإمام علي (عليه السلام) رؤيته واسهامه في بيان ضوابط عملية المعارضة وتحديد انواعها ، وضمان حقوقها . وتتبلور الية المعارضة في رؤية ومنهجية الإمام علي في ابعاد مهمة تزيد من فعالية عملها وتحد من انحرافها عن مسارها المشروع لها من حيث ضوابط عملية المعارضة وسبيل التعامل معها وحقوق المعارضة وشرعيتها وسوف نتطرق إلى مضمون هذه الابعاد لتوضيح رؤية الإمام اتجاه المعارضة وسيتم بيانها عند كل من الإمام علي وابن خلدون و كالاتي:-

اولا: ضوابط عمل المعارضة

منح الإمام علي (عليه السلام) المعارضة السياسية الشرعية القانونية منطلقاً من كفالة الشريعة الاسلامية ورعايتها لهذا الحق وضمانته . إلا أنّ هذه الشرعية تمنح وفق التزام المعارضة بالمبادئ الشرعية والقانونية للإسلام ولا تتعارض مع المسلمات والثوابت الاسلامية لبناء الدولة ومنها اعتماد مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي مبدأ اسلامي قراني بقوله تعالى: (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(١) ، وقوله : " وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة من بحر لحي"^(٢) ، وقد اتخذ الإمام علي هذا الاجراء قاعدة تنطلق منها الأمة لتغيير الواقع كلما دعت الحاجة واقتضت الضرورة ذلك التغيير"^(٣) وقد عدها الإمام قضية مهمة لكونها غاية للشريعة الاسلامية وقوامها بقوله: " غاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود"^(٤) ، وقوله: " قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقام الحدود"^(٥).

(١) سورة ال عمران ، اية ١٠٤ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٥٤٢ .

(٣) السعد ، حقوق الانسان عند الإمام علي ، ص ٢٠٦ .

(٤) الليثي الواسطي ، عيون الحكم ، ص ٥٢١ .

(٥) الليثي الواسطي ، عيون الحكم ، ص ٥٢١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرها في استراتيجية بناء الدولة

ثانيا : تفعيل الوعي المجتمعي لمعارضة الانحراف

ان تفعيل وعي المجتمع لمعارضة الانحراف الحاصل في استراتيجية بناء الدولة يؤدي الى التشخيص المبكر للانحراف وتحييده واعادة تعديل مسار بناء وإدارة الدولة حسب ما مخطط لها ، ويتم ذلك كله من خلال تحقيق واثبات ارادة الامة الواعية لبناء دولة العدالة والحرص على تحقيقها وديمومة المحافظة عليها بقوله (عليه السلام): "أيها الناس إن المنتحلين للإمامة من غير أهلها كثير ولو لم تتخاذلوا عن مر الحق ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يتشجع عليكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوي عليكم" (١) فراهن الامام (عليه السلام) على وعي المجتمع بتشخص الحق ونصرتة وعدم خذلانه بضعفه امام الانحراف والباطل حتى لا تتعاطم قوة الباطل وتطغى وحتى يحولوا دون انحدار ادارة بناء الدولة.

وحذر الإمام علي (عليه السلام) من اثار ضعف الوعي المجتمعي بترك مبدأ معارضة الباطل لأن تركه سبب من أسباب انحدار المجتمعات وهلاكها لبقاء حكومة الظالمين واستمرارها بقوله: "إن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلا لتركهم الأمر المعروف والنهي عن المنكر . فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي . والحلماء لترك التناهي" (٢) فيحمل الإمام جميع الأفراد ويخص اهل الوعي والبصيرة منهم مسؤولية استمرار استبداد الحاكم بحكمه لكونهم تقاعسوا عن أداء مسؤولياتهم في الاعتراض عن المنكر والنهي عنه واستنكاره ، وقد انتبه جورج جرداق إلى ذلك بقوله "يتميز علي عن أكثر مفكري العصور السابقة بأنه لم يجعل رفع الظلم منوطاً بإدارة الحاكم أو المشروع إن شاء ظلم ، وإن شاء عدل ، بل جعله حقاً من حقوق الجماعة يولون من يرفع عنهم الجور ويعزلون من جار واضطهد" (٣).

أما ابن خلدون فلم نجد له صوت يرتفع يحث فيه على معارضة الظلم ورفعته وإنما أثار السكوت على رفع الصوت ضد السلطات الحاكمة بحجة الحفاظ على الجماعة وعدم فرقتها وللحيلولة دون إراقة الدماء دون منفعة في حسم الأمر إلى النصر

ثالثاً: المنطلقات الشرعية للمعارضة

هناك جملة من الأسباب التي هي بمثابة خلل أو خطأ في عمل الحكومة تدعو إلى المعارضة وتنبه الحكام عليها منها ما يأتي :-

(١) الكليني، الكافي، ٦٦/٨ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٢٩٩ .

(٣) الإمام علي صوت العدالة الانسانية ، ٣٧٣/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

١. الحد من التعدي على الشريعة الإسلامية (دستور الدولة): وإدخال عليها ما ليس فيها أي إحداث الحدث في الشريعة، كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وهذا ما نستشفه من مخاطبة الإمام لطلحة والزبير " فليس لكما غير ما رضيتما به إلا أن تخرجا مما بويعت عليه بحدث ، فإن كنت أحدثت حدثا فسموه لي "(١) والمحدث أو الحدث : هو " ما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنة ولا اجماع "(٢).

لهذا نلاحظ أنّ الإمام وقف إلى جانب المعارضة ضد عثمان بن عفان وطالبه بالإصلاح لقيامه بجملته من المحدثات منها أيوائه طريد رسول الله (ﷺ) الحكم بن العاص وأولاده (٣) وتسليطه الطلقاء من بني أمية على رقاب الأمة ومقدرتها ممن حرم عليهم رسول الله (ﷺ) تناول الحكم من قريب أو بعيد بخطابه الإقصائي الذي يعرفه القاصي والداني " اذهبوا فانتم الطلقاء "(٤) وكذلك ففيه ظلماً لصحابي صادق وهو أبو ذر الغفاري إلى الشام (٥).

٢. الضعف أو الفشل الإداري والسياسي : إشارة لفشل الحكومة في أداء واجبها سياسياً وإدارياً وهذا ما نلتسمه من خلال خطابه متسانلاً مع جبهة المعارضة التي مثلها طلحة والزبير ومن تبعهم ، قائلاً " أفوق حكم لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت منه ؟ قالوا : معاذ الله "(٦) وقوله (ﷺ) : " فقامت بالأمر حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا وانطلقت حين تعتصموا ومضيت بنور الله حين وقفوا "(٧).

وكذلك اجابته (ﷺ) تتكرراً منه ورفضه لمعارضة الخوارج له بقوله : " فلم آت لا أبأ لكم حراماً ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم ، ولا أوطأتكم عشوة ، وقد أجمع رأي ملئكم على أن تختاروا رجلين ، فأخذنا عليهما أن يحكما بالقرآن ولا يعدوا ، فتاها عن الحق وهما يبصرانه ، وكان الجور هوأهما ، والصد عن الحق بسوء رأيهما ، فبماذا تستحلون قتالنا ، والخروج من جماعتنا ، وأن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ، تضربون الرقاب ، وتسفكون الدماء إن هذا لهو الخسران المبين "(٨).

٣. الفساد الاقتصادي : وهو ما ترتكبه السلطة الحاكمة من خيانة مالية في سرقة المال العام مما يؤدي إلى إشاعة الفقر ودخول البلاد في ازيمات اقتصادية ، فقد عده الإمام (ﷺ) كل هذا من أسباب المعارضة ، وهذا ما جاء في معرض استنكاره لمعارضة طلحة والزبير بقوله: " الا تخبرانني دفعتكما

(١) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ٧٠/١ .

(٢) عبدالمنعم ، محمود عبد الرحمن ، معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية، ص ٢٠٤ .

(٣) الحاكم ، المستدرک على الصحيحين ، ٤٧٩/٤ .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٨٧٠/٤ .

(٥) الميرجهاني ، مصباح البلاغة مستدرک نهج البلاغة ، ١٥٢/١ .

(٦) الميرجهاني ، مصباح البلاغة ، ٢٨٠/٢ .

(٧) نهج البلاغة ، ص ٨١ .

(٨) الميرجهاني ، مصباح البلاغة ، ١٠٨/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

عن حق وجب لكما فظلمتكما إياه قالاً: معاذ الله ، قال فهل استأثرت من هذا المال لنفسي بشيء، قال معاذ الله ^(١) ، ولم يترك الإمام لمعارضيه أن يأخذوا عليه مأخذاً من هذا الجانب فيخاطب أهل الكوفة بقوله: "يا أهل الكوفة اذا انا خرجت من عندكم بغير رحلي وراحتي وغلامي فأنا خائن" ^(٢) .

٤. الاستبداد في الحاكم : عد الإمام (عليه السلام) الظلم والاستبداد من قبل الحاكم من أهم موجبات عوامل المعارضة لاستتكار هذا النوع من الحكم بما قاله (عليه السلام) لأحد ولاته ينيب من عواقب العسف في الحكم: "استعمل العدل واحذر العسف والحيف ، فإن العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو إلى السيف" ^(٣) .

أما عند ابن خلدون فنلاحظ أن شرعية المعارضة عنده يخضعها ويتعامل معها حسب مبدأ القوة العصبية الغالبة وكالاتي:-

أولاً : أن تكون المعارضة ذات عصبية قوية غالبية: وذلك مما أمر الله به حسب زعم ابن خلدون والعادة المستقرة في أمر الاطاحة بالحكومات على مر التاريخ بقوله: "أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فإن كثيراً من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله فيكثر أتباعهم والمثلثون بهم من الغوغاء والدهماء ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك وأكثرهم يهلكون في هذا السبيل مأزورين غير مأجورين لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلمه وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة والله حكيم عليم فإذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققاً قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك" ^(٤) أي أن ابن خلدون يرفض مرحلة المعارضة السياسية الدولة بالكلمة ولا يجد لها شرعية إلا حينما تكون هذه المعارضة من القوة القادرة على خوض المواجهة مع الحكومة القائمة والثورة عليها وأخذ مقاليد الحكم بعد الإطاحة بها لذلك عارض أي مواجهة للسلطة

(١) الميرجهاني ، مصباح البلاغة ، ٢٨٠/٢ .

(٢) الثَّقفي ، ابراهيم بن محمد ، الغارات ، ٦٨/١ ؛ ينظر: المجلسي ، بحار الانوار ، ٣٥٦/٣٤ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٥٥٩ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٢٦/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

تكون ضعيفة حسب موازين المعادلة المادية التي تحسب إلى الجني السريع والآني لثمرات النصر والنجاح المادي.

ثانيا: شرعيتها اعتمادا على نسبة نجاحها : يحدد ابن خلدون نسبة شرعية المعارضة اعتماداً على نسبة نجاحها فإن كانت فاشلة فلا شرعية لها، وإن كانت ناجحة فهي شرعية فعدم التوفيق الإلهي لكون النية في طلب الحكم طمعاً فيه وليس لأجل الصلاح بقوله "وأما إن كان من المبلسين بذلك في طلب الرئاسة فأجدر أن تعوقه العوائق وتتقطع به المهالك لأنه أمر الله لا يتم إلا برضاه وإعانتة والإخلاص له والنصيحة للمسلمين ولا شك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة" (١) وهذا التعليل يعد من المتناقضات في نظرية ابن خلدون لأن العصبية التي يؤسس لدولتها ابن خلدون هي أيضا غايتها الرئاسة والملك فلماذا يوفقها الله في الوصول لمبتغاها ولا يوفق المعارضة!!؟ وليس كل معارضة تخرج من اجل السلطة بل هناك معارضات كثيرة ذكرها التاريخ انها خرجت للإصلاح منها معارضة الإمام الحسين (عليه السلام) وثورته الإصلاحية .

إن إنكار ابن خلدون للمعارضة لكونها لا تمتلك القوة القادرة على تغيير الوضع القائم نتيجة لفلسفته المادية وفكره الدنيوي يتضارب مع أصل الشريعة الاسلامية وما تدعو إليه ونبين ذلك كالاتي:

١. الشريعة الاسلامية نفسها جاءت كفكر معارض لواقع الحال والثورة عليه ،وعدة الشريعة معارضة المنكر والأمر بالمعروف أحد مبادئها الثابتة لقوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٢)، وكذلك دعوة السنة النبوية الشريفة إلى استنكار المنكر ومعارضة الظلم بقوله "لا طاعة لمخلوق بمعصية الخال" (٣) وقوله (عليه السلام): "من رأى منكراً فليغيره بيده إن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه فذلك أضعف الإيمان" (٤) فهذا الحديث لم يشترط فيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه من ينكر المنكر لا بد أن يكونوا كمجموعة كما يقرر ذلك ابن خلدون بل يكفي شخص واحد لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أي فرد من الأمة ليشكل هذا الاعتراض عامل وعي وتنبية للحكومة يدفعها إلى تعديل سياستها الحيد عن سياسة الظلم أي أن الحديث قد يكون مقدماً للمعارضة السلمية التي ربما تؤثر في الحكومة وتسمع صوت المعارضة السلمي وتعديل عن مسار سياستها وهذا يحول دون خوض الحرب أو المواجهة العسكرية مع الحكومة أي أن تمر المعارضة بتجربة السلمية برفع

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٢٦/١ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٠٤ .

(٣) ابن البراج ، المهذب ، ٤٦٧/٢ .

(٤) ابن حنبل ، مسند ، ٤٩/٣ ؛ ينظر : مسلم ، صحيح ، ٥٠/١ ؛ ابن ماجه ، السنن ، ١٠٣٣ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجيه بناء الدولة

صوتها فإن لم تلقى أذن صاغية وإجابة إصلاحية واعية من قبل الحكومة فحين إذ يتم العمل بالمرحلة الثانية وهي مرحلة استخدام القوة المتمثلة بثورة المعارضة المسلحة واستخدام القوة والصدام مع الحكومة القائمة .

٢. إن ابن خلدون لم ينقل حديث الرسول (ﷺ) : " من رأى منكم منكراً... " كاملاً كما هو موجود في مصادر الحديث بل يقتطع نهاية الحديث كما هو منهج ابن خلدون في قص وتشذيب الآيات القرآنية من قبل لتوافق أفكاره وطرحه المادي البحت و كما هو ديدنه يقتطع تنمة الحديث (وذلك أضعف الايمان) أي وبحسب تنمة الحديث التي أراد ابن خلدون اخفاءها عن القارئ حتى يخفي التعارض الحاصل بين ما يطرحه في هذا الجانب وما تطرحه الشريعة الاسلامية . فالمطلوب للمعارضة ليس توفر القوة العصبية المادية الضاربة كما يقول ابن خلدون، بل المتطلب حسب التوجيه النبوي للأمة هو الحضور للوعي الدائم والحس الإيماني الراض لمظاهر المنكر في سياسة بناء الدولة لذا فإن تحديد نوع المعارضة يتناسب مع قوة إيمان المعارضة حصراً وليس لأي سبب آخر أي أن السكوت أضعف الايمان وهذا غير محبب لله ورسوله لقوله (ﷺ): " المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف" (١).

رابعاً: مراحل منهج المعارضة

لم يؤسس الإمام استراتيجيه انطلاق مراحل المعارضة في مواجهة الانحراف على أساس مبدأ الاجتهاد الشخصي أو تحصيل المنافع الدنيوية بل حدد منهج تحرك المعارضة اعتماداً على نسبة الانحراف الحاصل في واقع إدارة الدولة عن مبدأ المشروع الإلهي الذي وضع أسسه القرآن الكريم والسنة النبوية ، واعتماداً على ذلك يمكن تحديد نشاط المعارضة بالمراحل الآتية :-

المرحلة الاولى: المعارضة السلمية (مبدأ التنبيه والنصح والارشاد): أي تشخيص الأخطاء واستنكارها وتقديم المشورة والعلاجات المقترحة للوضع القائم وهذا يتم في المرحلة السلمية بقوله (ﷺ) : " لا خير في السكوت" (٢) وهو قول الحق بوجه الظلم فلم يؤثر الإمام السكوت بل شجع على المعارضة لقول رسول (ﷺ) " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" (٣) ، وقوله (ﷺ): " فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير ، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك

(١) مسلم ، صحيح ، ٥٦/٨، ينظر: ابن ماجه، السنن، ٣١/١ .

(٢) الواسطي ، عيون الحكم ، ص ٥٤٢ .

(٣) ابن ماجه ، سنن ، ٣٤٤/٢؛ ينظر : المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٥٦/٣ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

بيده ، فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة ، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة ، ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الأحياء وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لحي ^(١).

المرحلة الثانية : المعارضة باستخدام القوة : إذا لم يتحقق الهدف في تصحيح الاعوجاج بالكلمة الحسنة فإنه يتم التوجه إلى مرحلة استخدام القوة إذا كانت متوفرة فالإمام علي (عليه السلام) عندما انقلب الصحابة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) على مشروع امامته وقيادته للأمة ولم يأت أسلوب الاستنكار ومحاولات النصح والارشاد أكلها بباطل ما اقبلوا عليه من منعه حقه وحرفهم تنفيذ مشروع دولة العدل الإلهي عن مسارها فإنه (عليه السلام) فضل بعد ذلك استخدام القوة لرفع الانحراف الحاصل وهذا ما كشف عنه قوله (عليه السلام): " و طفقت أرتأي بين أن أصول بيد جدّاء، أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكح فيها مؤمن حتى يلقى ربه ... " ^(٢).

أي أنّ قلة الناصر للإمام (عليه السلام) حال دون تنفيذ استخدام القوة إذ الغالبية من الناس انطلت عليها المؤامرة وانصاعت مع الأمر الواقع الذي حدث أثناء السقيفة وفيما بعدها الاثلة قليلة من الصحابة الخالص الذين لا ينهض عددهم لمثل هكذا مواجهة ورفض الإمام المخاطرة بهم بقوله لهم لما جاؤهم يقدمون النصر له "وأيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم إلا حربا، ولكنكم كملح في الزاد وككحل بالعين" ^(٣) أي أنّ الإمام (عليه السلام) فضّل نهيبهم عن استخدام السلاح لقلّة عددهم بمقابل كثرة أنصار الحكومة الجديدة.

وفي رواية أيضا تثبت خذلان أهل المدينة للإمام عندما " جاء المهاجرون والأنصار وغيرهم بعد ذلك إلى علي عليه السلام فقالوا: أنت والله، أمير المؤمنين وأنت أحق الناس وأولاهم بالنبي صلى الله عليه واله وسلم هلّم يدك نبايعك، فوالله لنموتنّ قدامك، فأراد أمير المؤمنين (عليه السلام) اختبار مدى صدقهم في مدّعاهم، فقال لهم : إن كنتم صادقين فاغدوا عليّ غداً محلّقين. وعندما صار غد حلق أمير المؤمنين (عليه السلام) رأسه، وحلق سلمان، وحلق مقداد، وحلق أبا ذر، ولم يحلق غيرهم، ثم انصرفوا، فجاؤوا مرة أخرى فقالوا له: أنت والله أمير المؤمنين، وأنت أحق الناس وأولاهم بالنبي، هلّم يدك نبايعك وحلفوا أيضاً، فقال لهم أمير المؤمنين (عليه السلام): إن كنتم صادقين فاغدوا عليّ غداً محلّقين ... فما حلق

(١) ابن ماجة ، سنن ، ٣٤٤/٢ ؛ ينظر : المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٥٦/٣ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٤٨ .

(٣) الطبرسي ، الاحتجاج ، ٩٨/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

إلا هؤلاء الثلاثة^(١). فلو كان يملك عشرين من الانصار لكفاه القيام بهم لكنه لم يصل على هذا العدد فأثر السكوت والعود لقله (عليه السلام): " اللهم إنك تعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قال لي: إن تموا عشرين فجاهدهم وهو قولك في كتابك (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا)^(٢).

فعدم تحقق النصره حالت دون استخدام اسلوب القوة واعتماد الاسلوب السلمي للمعارضة على مضمض بدليل قوله (عليه السلام): " اللهم إني أَسْتَعْدِيكَ عَلَى فُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَجْمِي وَأَكْفَنُوا إِنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَارَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُنَمِّعَهُ فَاصْبِرْ مَعْمُومًا أَوْ مُتَّ مُنَاسِفًا ، فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْعَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعُلُقَمِ ، وَالْمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشَّفَارِ "^(٣).

المرحلة الثالثة: المقاطعة السلمية للحكومات الظالمة: ويتم العمل بهذه المرحلة بعد تعذر حصول نتائج تطبيق المرحلتين السابقتين، فيوجه الإمام بالابتعاد عن الظالمين قدر الامكان وعدم مخالطتهم موصيا بذلك أحد اتباعه وهو كميل بن زياد قائلاً له: " يا كميل إياك والتطرق إلى أبواب الظالمين والاختلاط بهم والاكنتساب منهم، وإياك أن تطيعهم، أو تشهد في مجالسهم بما يسخط الله عليك، يا كميل إذا اضطررت إلى حضورهم فداوم ذكر الله تعالى وتوكل عليه واستعد بالله من شرهم واطرق عنهم وأنكر بقلبك فعلهم، وأجهر بتعظيم الله تعالى لئلا يسمعونهم فإنهم يهابوك وتكفي شرهم "^(٤) ففي فكر الإمام السياسي تشكل مقاطعة الظلمة ضغطاً سلمياً حتى يعلم الظالمون ظلمهم ، ويخافوا أثر معارضة الناس لهم.

أما استراتيجية ابن خلدون في عرض منهج المعارضة فإنه يرفض المرحلة السلمية للمعارضة ثم حمل السلاح وإنما يفضل مباشرة استخدام القوة الغالبة الكاسحة وبدون مقدمات نقدية أو معارضة سلمية ، وأنتقد وخطأ كل معارضة لم تخرج بقوة كافية لأسقاط الحكومة المعترض عليها ، منها انتقاده الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) بقوله: " وأما الحسين فإنه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من أهل عصره بعثت شيعة أهل البيت بالكوفة للحسين أن يأتيهم فيقوموا بأمره فرأى الحسين أن الخروج على يزيد متعين من أجل فسقه لا سيما من له القدرة على ذلك وظنها من نفسه بأهليته

(١) القتال النيسابوري روضة الواعظين، ص ٢٢٨.

(٢) المفيد، الاختصاص، ص ١٨٧.

(٣) نهج البلاغة، ص ٣٣٦.

(٤) المجلسي، بحار الانوار، ٢٦٩/٧٤؛ ينظر: الميرجهاني، مصباح نهج البلاغة (مستدرك نهج البلاغة)، ١/١١٨.

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

وشوكته فأما الأهلية فكانت كما ظن وزيادة وأما الشوكة فغلط يرحمه الله فيها لأن عصبية مضر كانت في قريش وعصبية عبد مناف إنما كانت في بني أمية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه وإنما نسي ذلك أول الاسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وأمر الوحي وتردد الملائكة لنصرة المسلمين فأغفلوا أمور عوائدهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنازعتها ونسيت ولم يبق إلا العصبية الطبيعية في الحماية والدفاع ينتفع بها في إقامة الدين وجهاد المشركين والدين فيها محكم والعادة معزولة حتى إذا انقطع أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد فعادت العصبية كما كانت ولمن كانت وأصبحت مضر أطوع لبني أمية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل فقد تبين لك غلط الحسين إلا أنه في أمر دنيوي لا يضره الغلط فيه وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لأنه منوط بظنه وكان ظنه القدرة على ذلك" (١) ورأي ابن خلدون هذا ينم عن ما يأتي:-

١. نلحظ إغفاله آثار المقدمة السلمية للمعارضة وأهميتها واكتفى بالتأكيد على استخدام القوة وأن القوة هي وحدها القادرة على تغيير الوضع وهذا الرأي لابن خلدون ينعكس بالسلب على إمكانية بناء مسارات دولة ناجحة وعادله باستعمال الطرق السلمية إن كانت ناجحة وتؤدي إلى نتيجة مرضية.

٢. كونه كم الأفواه وأصوات النقد المعارض للحكومة التي ربما لو تكلمت تأتي بالنفع وتحول دون الصدام المسلح وإراقة الدماء وكذلك بإسكاته وعدم دعوته لارتفاع الصوت الفردي المعارض هو تكريس لبقاء الظلم في اروقة الدولة وسياستها ومن ثم استقاله وتوسعة قاعدة ضحاياه التي تجر الظلم والاستبداد وغبن حقوق الشعوب من جهة وإلى تجذره وصعوبة تغييره إلا باستخدام القوة من جهة أخرى.

٣. نسى ابن خلدون أو تناسا أن دعوة النبي محمد (ﷺ) بالإسلام المعارضة للكفر بدأت سلمية لمدة من الزمن .

ومن هذا نجد الإمام (عليه السلام) حتى وهو معارض رجل دولة بكل المعايير فاعتمد المعارضة وسيلة لتصحيح الانحراف الحاصل وتحسين أداء الحكومات وليس اداة لعرقلة اعمالها وخلق الازمات السياسية ،لذلك حدد الإمام نسبة قوة نشاط المعارضة وكيفية شروعها بالمواجهة اعتمادا على دوافع منها الاتي:-

الدافع الاول - نسبة الانحراف في إدارة حكومة الدول وعملها .

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١١٧/١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

الدافع الثاني - نسبة استجابة الحكومة المنحرفة لتوجيه الصوت المعارض وتبنيه.

الدافع الثالث - نسبة قوة المعارضة وقدرتها على التغيير إن كانت تتناسب مع قوة سياسة المعارض عليه أو تفوقها بالقدرة ، أو تقل عنها .

خامسا: مبدأ منهج المعارضة وأخلاقياتها

حرص الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على تأطير المعارضة بالمبدأ الأخلاقي فكرا ومنهجيا والتزم ثوابتها لأن التزام المعارضة الأخلاقية، هي التي تعطي للمعارضة مشروعيتها الحقيقية، وهي التي تميزها عن الأوضاع القائمة، وأي تجاهل لها يسلب المعارضة مشروعيتها، ومن ثم يبتعد الناس عنها، إن عليها أن تلتزم بالأخلاق، مهما كانت الظروف والأسباب التي قد تدعوها إلى خلاف ذلك، ... لكي تكون البديل الحضاري حقاً، ولا تكون معارضتها ضمن إطار الصراع على السلطة^(١) فلا يكون هناك فارق بينها وبين الحكومات الثائرة ضدها. ولأجل الحفاظ مبدئية اهداف المعارضة وصلاحها حدد الامام(عليه السلام) منهج عمل المعارضة بأخلاقيات مهمة منها ما يأتي:-

١. **الحفاظ على المصالح العامة للإسلام والرعية:** تتبع سياسة الإمام علي (عليه السلام) من تتبع اخلاقي سامي في تفضيل المحافظة على الصالح العام وعدم التفريط به حتى لو تضرر شخص القائد ، وهذا النمط الاخلاقي عرف به الإمام علي فالأولويات في سياسة الإمام الاسلام والرعية ، فلم يتحرك في السقيفة عندما صادر اجتماع السقيفة حقة في قيادة الأمة فقدم مصلحة الإسلام على استخدام القوة " فلما رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله ، فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه تُلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب ، أو كما يتفشع السحاب ، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق ، واطمأن الدين وتنهه"^(١) .

٢. **التعامل الاخلاقي مع العدو والصدیق :** لم يحد الإمام عن منهجه حين قطع عنه عدوه معاوية الماء في حرب صفين فصدر أمره بإخراج شريعة الماء من سيطرة اعدائه فلما سيطروا على الماء لأهميته في تموين الجيش اقترح عليه اتباعه أن يقابل اعداءه بالمثل فيحرم معاوية وجيشه الماء فرفض الإمام هذا المقترح السيء، لأنه يتنافى مع اخلاقيات الجهاد الذي خرج لأجله الإمام (عليه السلام) " ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعَفَّ لكاد العفيف ان يكون ملكاً من الملائكة

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٥١ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجيّة بناء الدولة

"(١) أي بأنّه لا يقدم على ارتكاب الشّهوات والمحرّمات ، في إعطاء نفسه سؤلها في الانتقام وإنما يعفّ عن إعدائه مقدّمًا بذلك رضا الله عزّ وجلّ على رضا نفسه وهواها .

٣. احترام ذات العدو والدعاء له بالهداية : وهذه من الاخلاقيات النادرة إن لم نقل المعدومة في تاريخ عالم السياسة ، فلم تكن غريزة حب الانتقام هي من تحرك سلوكيات سياسته (عليه السلام) فليتزّم الخلق في التعامل والرد على الخصم السياسي وثبت ذلك عنه (عليه السلام) لما سمع بعضاً من أصحابه يسبون أهل الشام فقال لهم "اني أكره لكم أن تكونوا سبائين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم . اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به "(٢) فهو (عليه السلام) لم ينظر لعدوه بعين الشنآن بل بعين القائد الرحيم الحريص على وحدة شعبه لأنهم جزء من رعيته ويرى أنّ هدايتهم من مسؤوليته .

٤. التأطير الخُلقي لأستخدم قوة المعارضة: أطر الإمام علي (عليه السلام) القوة والقدرة لمواجهة المعارضة بأخلاقيات حسنة ، وأنّ الالتزام بها يضاعف القوة والقدرة ، وحتى لا يفرط صاحب القوة في استخدام قوته وقدرته من جانب، ومن جانب آخر حتى لا يفقد الأجر والثواب الذي يترتب على عاقبة هذا العمل و الافادة من ثمرته دنيويا و آخروياً . فأوصى (عليه السلام) بالالتزام الاخلاقي بقوله : " الجود حارس الإعراض والحلم فدام(٣) السفية"(٤) ، و " العفو زكاة الظفر "(٥) ، وقوله (عليه السلام): " إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه "(٦) ، وقوله: " أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة "(٧) .

٥. حفظ حقوقهم المالية: فقد حفظ الإمام (عليه السلام) الحقوق المالية للجهات والأحزاب التي عارضت حكومته ولم يستخدم ضدهم المحاصرة الاقتصادية حتى يثيبهم أو يكسبهم بالضغط إلى جانبه ، بل كما هو عهد الإمام ومنهجه يترك للمقابل القناعة بمنهجه (عليه السلام) عن وعي وإيمان . وهذا ما تعامل به

(١) نهج البلاغة ، ص ٥٥٩ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٣٢٣ .

(٣) الفدام مصفاة الكوز والإبريق بمثابة الغطاء يوضع على فوهة الابريق للتصفية . ينظر :الخليل الفراهيدي ، العين ٥٥/٨ ،

(٤) نهج البلاغة ، ص ٥٠٦ .

(٥) الليثي الواسطي ، عيون الحكم ، ص ٣٨ .

(٦) نهج البلاغة ، ص ٤٧٠ .

(٧) نهج البلاغة ، ص ٤٧٨ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجيه بناء الدولة

الإمام مع حزب الخوارج بقوله (عليه السلام): "أما إن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتونا ، لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ... " (١) .

٦. حرية الحركة وممارسة شعائرهم وعباداتهم: أعطى الإمام (عليه السلام) لهم الحرية الكاملة في مشاركة المسلمين مساجدهم للعبادة وهذا يعني حرية التنقل لهم وعدم فرض الإقامة الجبرية عليهم بقوله (عليه السلام): "أما إن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتونا ، لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ... " (٢) .

٧. حرية التعبير عن الرأي : ما نجده في حوار أمير المؤمنين (عليه السلام) مع الخوارج نموذجاً رائعاً ، مع أنهم كانوا تحت سلطته إلا أنه رفض رأي من أشار عليه بمقاتلتهم وآثر أسلوب الحوار ولم يقصهم أو يقيم عليهم الإقامة الجبرية ، ولم يحاربهم ابتداءً، واقتصر على رد الرأي بالرأي ، وطرح البيّنات والحجج ، ما دام الطرف الآخر قد اعتمد لغة الحوار والطرح السلمي فحفظ لهم هذا الحق ولم يصادره.

وأراد الإمام (عليه السلام) بتعامله هذا تقديم أنموذجاً لتعامل الدولة العادلة مع المعارضة في إعطائهم كل الحقوق المتعلقة بإبداء الرأي وطرح الفكر المعارض للمناقشة والمكاشفة للوقوف على الشبه ونثيبت صورة الحق ليسهم ذلك في بناء دولة الحريات في التعبير وحفظ حقوق النقد وابداء الراي للجميع بدون استثناء بما لا يضر الصالح العام لاستراتيجية بناء الدولة.

أما ابن خلدون فنلاحظ أنّ اخلاقياته في التعامل مع المعارضة بعيدة عن الاخلاق والتعامل الانساني وحددها في هذا النص بقوله: " اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين يأخذون أنفسهم بإقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون إليه في إقامته من العصبية ولا يشعرون بمغبة أمرهم ومآل أحوالهم والذي يحتاج إليه في أمر هؤلاء إما المداواة إن كانوا من أهل الجنون وإما التكيل بالقتل أو الضرب إن أحدثوا هرجا وإما إذاعة السخرية منهم وعدهم من جملة الصفاعين (٣) " (٤) . أي أنّ سياسة سياسة التعامل مع المعارضة أن تكون كالاتي :-

١. الانتقاص من شخصياتهم ومنطقهم عند التغلب عليهم ويصف الثوار الفاشلين بأنهم حمقى أو مشعوذين.

٢. رأى أنهم يجب أن يعاقبوا عقاباً شديداً أو يعالجوا. فإذا كانوا من أهل الجنون عولجوا بالمداواة .

(١) هادي كاشف الغطاء ، مستدرك نهج البلاغة ، ص ١٦٧ .

(٢) كاشف الغطاء ، هادي، مستدرك نهج البلاغة ، ص ١٦٧ .

(٣) الصفاعين : وهم جملة اشخاص عديمي الهمة والحياء ينادمهم بعض الحكام للتسلية بأسلوب السخرية والاستهزاء من منافسيهم او اعدائهم للتشفي منهم والانتقاص من مكانتهم. ينظر : ابن خلدون ، العبر ،

(٤) العبر ، ١/١٢٦ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرا في استراتيجية بناء الدولة

٣. منهم من ينبغي إذاعة السخرية منهم واعتبارهم من جملة الصفاعين.

٤. أي أنّ تعامله مع المعارضة حسب نجاحها أو فشلها فإنه ان نجحت يعاملها باحترام وتقدير أي كانت لأنّ القوة معها وهذا انعكاس لنظرية ابن خلدون المادية العديمة المبادئ والأخلاق الانسانية .

سادسا :اهداف المعارضة

ان لكل معارضة اهداف تتحرك من اجل تحقيقها وقد كانت معارضة الإمام (عليه السلام) إصلاحية في هدفها لأجل ارضاء الله تعالى أولاً و لأجل جعلها أداة ووسيلة لبناء الدولة لما فيه مصلحة الأمة وإصلاح أوضاعها ثانياً، وليست ذات هدف وصولي إلى السلطة والحكم لابتغاء ملذاته ، لقوله (عليه السلام): " اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك" (١) فنجد الإمام (عليه السلام) في هذا النص وجه اهداف منهج المعارضة في سبيل تعديل وتصحيح استراتيجية بناء الدولة وادارتها نحو المنهج القويم من خلال تحديد أهداف المعارضة الرسالية بما يأتي :-

الهدف الأول:- ضبط منهجية بناء الدولة وفق قوانين الاسلام: وهو إرجاع معالم الدين بشكله العام (لنرد المعالم من دينك)(٢) ليحكم جميع مفاصل الدولة الادارية منها والاقتصادية و التربوية والاجتماعية وما إلى ذلك.

الهدف الثاني:- بناء استراتيجية الإصلاح العام للدولة: وهو تنفيذ مظاهر الإصلاح العام وابرازها(نظهر الإصلاح في بلادك) (٣) الذي يتعلق بمجمل وضع مؤسسات الدولة سواء في الجانب التربوي الأخلاقي أو السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو العمراني وغير ذلك.

ثم بين الإمام مُعَبِّاً آثار تحقيق هذين المبدأين سيؤدي إلى رسم منهجية بناء دولة تتمكن من تحقيق ما يلي:

اولا : تحقيق العدالة وإنصاف المظلومين، حيث ان تحقق برنامج انصاف المظلومين يعني ان تنفيذ استراتيجية بناء الدولة وسياستها تسير بشكل صحيح نحو العدالة الالهية .لان قضية ومسألة إنصاف المظلومين قضية كبرى ومهمة في الشريعة الاسلامية فاذا تحققت لها العدالة تحققت العدالة فيما دونها.

(١) نهج البلاغة ، ص ١٨٩ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ١٨٩ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ١٨٩ .

الفصل الثاني : قيمة المجتمع واثرها في استراتيجية بناء الدولة

ثانياً: تحكيم وتنفيذ ما عطل من الحدود في كل مناحي الحياة لأنه الضمان لتنفيذ استراتيجية ادارة الدولة وتحقيق العدالة الاجتماعية المنشودة.

المبحث الاول: اثر الدين في بناء الدولة

يمكن الاحاطة بمعرفة أثر الدين في استراتيجية بناء الدولة من خلال الوقوف على اثر الدين في مواد تشريع فقرات دستور الدولة ومدى المساحة التي يأخذها الدين في اسس وتنظيم قوانينه واخلاقياته وسناتي على بيانه.

اولا. مصدر التشريع لاستراتيجية بناء الدولة.

ان مصدر تشريعات قوانين بناء اي دولة يحدد استراتيجية بنائها والهدف من هذا البناء ، وقراءة مضمون دولة الامام علي وفق المعطيات التاريخية وعبر رصد فلسفته الفكرية في بناء الدولة نجد ان الدين هو الاساس في منهج استراتيجية بناء دولة الامام (عليه السلام) فلم تكن حاكمة ونظام الدولة منعزلاً عن الدين، لان طبيعة الدين الاسلامي هو دين ودولة لما يتميز به الدين الاسلامي من ديناميكية مستمرة ممثلة بالحياة و للإمام علي (عليه السلام) اسوة بدولة وحاكمة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في بناء دولة اسلامية ذات منهج عالمي مما يدل على ان الاسلام ليس مجرد طقوس ومراسيم فردية تعبدية فقط بقول الامام علي (عليه السلام): " ان الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى ولم يدعكم في جهالة ولا عمى وقد سمى آثاركم ،وعلم أعمالكم وكتب آجالكم ، وأنزل عليكم الكتاب تبياناً لكل شئ وعمر فيكم نبيه أزماناً ،حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه وأنهى إليكم على لسانه محابه من الأعمال ومكارهه ونواهيه وأوامره ، فألقى إليكم المعذرة واتخذ عليكم الحجة، وقدم إليكم بالوعيد، وأنذركم بين يدي عذاب شديد بين يدي عذاب شديد" (١) .

وكذلك بين الامام انه ملتزم بالسنة النبوية كمصدر تشريعي لبناء الدولة بقوله (عليه السلام): " ولا يحمل هذا الأمر إلا أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الأمر ، وإني حاملكم على منهج نبيكم (صلى الله عليه وآله) ومنقذ فيكم ما أمرت به ، إن استقمتم لي وبالله المستعان . ألا إن موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته كموضعي منه أيام حياته ، فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عند ما تنهون عنه ، ولا تعجلوا في أمر حتى نبيته لكم ، فإن لنا عن كل أمر تنكرونه عذراً " (٢).

اما مصدرية التشريع لسياسة واستراتيجية بناء الدولة في فكر ابن خلدون فكان الواقع التاريخي هو المصدر الاساس لهذا التشريع بما فيه من متغيرات ؛ لان ابن خلدون لم يمتلك نظرية خاصة

(١) نهج البلاغة، ص ١١٧.

(٢) الميرجهاني، مصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة)، ٧/٢.

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجفة بناء الدولة

لبناء الدولة بقدر ما كانت نظريته انعكاساً لدراسة للواقع التاريخي بما قامت فيه من دولٍ، فاخذ هذا الواقع على عواهنه وجعل منه مصدراً وامراً واقعاً لبناء الدولة، فتعددت بذلك مصادره التشريعية . وتباينت بين الدين الاسلامي ، والواقع التاريخي بما يحكمه من التجاذب والتنافر مع الدين ، وهذا ما نستنتجه مما اورده ابن خلدون في سياق النص التالي بقوله : " أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها امره ... وأنه لا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا إلى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه وتارة إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم فالأولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة ولمراعاته نجاة العباد في الآخرة والثانية إنما يحصل نفعها في الدنيا فقط " (١) ، ثم يكمل ابن خلدون قائلاً : " ثم إن السياسة العقلية التي قدمناها تكون على وجهين أحدهما يراعى فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة الفرس وهي على جهة الحكمة وقد أغنانا الله تعالى عنها في الملة ولعهد الخلافة لان الأحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة وأحكام الملك مندرجة فيها . الوجه الثاني أن يراعى فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع القهر والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تبعاً، وهذه السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع التي لسائر الملوك في العالم من مسلم وغيره إلا أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب جهدهم فقوانينها إذا مجتمعة من أحكام شرعية وآداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية وأشياء من مراعاة الشوكة والعصبية ضرورية والافتداء فيها بالشرع أولاً ثم الحكماء في آدابهم والملوك في سيرهم " (٢) .

فيكون مصدر منطلقات البناء حسب رؤية ابن خلدون ما يأتي:

١ . الدين لفترة من الزمن (فترة التأسيس)

٢ . قوانين الاجتماع الطبيعية من الشوكة والعصبية.

٣ . الاحكام السلطانية للملوك .

(١) ابن خلدون، العبر ، ٢٤١/١-٢٤٢ .

(٢) ابن خلدون، العبر ، ٢٤١/١-٢٤٢ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجفة بناء الدولة

وننتفة لقراءة مصادر تشرفعات قوانين بناء الدولة عند ابن خلدون، فأن تعدد هذه المصادر يمكن ان نرجعه لعدة اسباب منها ما يأتي :-

١. ان الحاكم نفسه هو من يؤسس لمصدر التشرف حسب الاحكام السلطانية والعصبفة التي ينظم بها مملكته ، ولا يستند الى ما هو ثابت في الشرع الاسلامي فقط ، بدليل قول ابن خلدون الذي اوردناه اعلاه وهو ما نصه: " أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشرفعة الاسلامية بحسب جهدهم فقوانينها إذا مجتمعة من أحكام شرفعة وآداب خلقفة وقوانين في الاجتماع طبفعية وأشفاء من مراعاة الشوكة والعصبفة ضرورفة والاقتداء فيها بالشرع أولاً ثم الحكماء في آدابهم والملوك في سيرهم" (١). أي ان من يقرر الاخذ من هذه النصوص هو الحاكم فالحاكم هو الذي يحدد أي نوع من اصناف هذه القوانين يتبع كتشرف لاستراتيجية بناء الدولة وذلك لان الدولة والملك غاية للعصبفة أي (غنفة للسلطان) وليست وسفلة لبناء دولة للرعة عامة لذا فهو من يحدد مصدر التشرفعات في الدولة بما يحقق ويحافظ على غايفه وغنمفمته .ونلاحظ ان صفات حاكم الدولة التي خصصها ابن خلدون وذكرناها في الفصل الاول من الدراسة وانه ذو قوة وشوكة ففستبد بحكمه وفبتعد عن تحكفم الشرع الى الاحكام السلطانية ذات الشوكة .

٢. ابدال القوانين الاسلامية بقوانين وضعفة بحكم القوانين الطبفعية او من اداب الملوك يفهم منه ان الشرع في فكر ابن خلدون غير مكتمل ويحتاج الى تنمة. او لعدم وجود مخرجا شرفعا ففوافق مع تحقيق مصالح الحكام الشرففة وفضفيلها على الصالح العام للرعة . ففنتجهون الى اخلاقيات وعادات خارج التشرفع الاسلامي لتطفبقها لفؤمنوا مصالحهم في الحكم اولاً.

ثانيا. محورفة الدين في استراتيجية بناء الدولة

شكلت اخلاقيات الدين الاسلامي الاساس في مبنفيات استراتيجية دولة الامام علي (ؑ) فلم تكن حاكمة ونظام الدولة منعزلاً عن الدين، لان طبفعة الدين الاسلامي هو دين ودولة لما ففتمفز به الدين الاسلامي من دفنامفكفة مستمرة وممثلة بالحفاة ،وللامام علي (ؑ) اسوة بدولة وحاكمة الرسول محمد (ص) في بناء دولة اسلامفة ذات منهج عالمي مما ففدل على ان الاسلام ففيس مجرد طقوس ومراسفم فردفة تعبذفة فقط .بل ففمتلك اخلاقيات ومبادئ لبناء دولة إنسانية بأطر واخلاقيات اسلامفة، بقوله (ؑ) " وَأَفْتَدُوا بِهَدْيِ نَبفِّكُمُ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدَفِ وَأَسْتَنْتُوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ وَتَعَلَّمُوا

(١) ابن خلدون، العبر، ١/٢٤١-٢٤٢.

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجية بناء الدولة

الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ ، وَتَقَفَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَقِينُ مِنْ جَهْلِهِ ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ ^(١).

ولما بويغ في المدينة اعلن الامام عن سياسته التي سيسير عليها في بناء الدولة بانها ستكون عين سنة وسياسة رسول الله (ﷺ) فيهم بقوله: " ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِيئَةً . وَأَنَا بِهِ رَعِيمٌ . إِنَّ مَنْ صَرَحَتْ لَهُ الْعِزُّ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ ، حَجَزَتْهُ النَّقْوَى عَنِ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ . أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لِنُبُلِّغَنَّ بَلْبَلَةً ، وَلِنُعْرِبَنَّ غَرْبَةً ، وَلِنُسَاطِنَنَّ سَوْطَ الْقَدْرِ ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ ، وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ ، وَلِيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصْرًا ، وَلِيَقْصِرَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا سَبْقًا . وَاللَّهُ مَا كَتَمْتُ وَشَمَّةً ، وَلَا كَذَبْتُ كَذِبَةً ، وَلَقَدْ نُبْتُ بِهِذَا الْمَقَامَ وَهَذَا الْيَوْمَ . أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا حَيْلٌ شُمُسُ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَخُلِعَتْ لُجْمُهَا ، فَتَفَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ . أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلٌّ ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَأُعْطُوا أَرْزَمَتَهَا ، فَأَوْرَدَتْهُمْ الْجَنَّةَ . حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ ، فَلَيْتَ أَمْرَ الْبَاطِلِ لَقَدِيمًا فَعَلَّ ، وَلَيْتَ قَلَّ الْحَقُّ قَلْرِيمًا وَلَعَلَّ ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ ^(٢) " وفي هذا النص يعلن فيه الامام (ﷺ) عن مستوى الإنعطافة الجديدة في التأسيس لاستراتيجية بناء الدولة تختلف عن منهج وسياسة من حكم الدولة من قبله وتتمثل سياسته بما يأتي:-

١. ان سيرته وسياسته فيهم ستكون عين سياسة رسول الله (ﷺ) التي اتبعها في بناء الدولة.

٢. اعادة العمل بزمام وقوانين الحق بعد ذهاب امر الباطل ودولته.

٣. اتباع سياسة الحق تعيد ترتيب الناس الى مراتبهم الحقيقية حسب تقوى كل منهم، واعطاء كلا استحقاقه ومنزلته.

ورؤية الامام علي (ﷺ) جعلت من الدين والفكر الديني المحرك الاساس والبوصلة الدقيقة لبناء مرتكزات الدولة فكان كل منهما يتحرك في الاخر في انسيابية منهجية واضحة لأيمانه المطلق (ﷺ) بان يد الرعاية الالهية لم تفارق الانسان منذ وجوده على وجه الارض فنظمت له العيش على هذه البسيطة بقوله (ﷺ): " ان الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى ولم يدعكم في جهالة ولا عمى وقد سمى آثاركم ،وعلم أعمالكم وكتب آجالكم ، وأنزل عليكم الكتاب تبيانا لكل شئ وعمر فيكم نبيه

(١) نهج البلاغة، ص ١٦٤.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٨.

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق واثريهما في استراتيجية بناء الدولة

أزمانا ،حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه وأنهى إليكم على لسانه محابه من الأعمال ومكارهه ونواهيته وأوامره، فألقى إليكم المعذرة واتخذ عليكم الحجة، وقدم إليكم بالوعيد، وأنذركم بين يدي عذاب شديد" (١) .

فمن هذا النص ينطلق الامام (عليه السلام) بفكره ورؤيته متخذاً القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مادة دستورية لبناء دولة العدالة الاسلامية . وقد صرح الامام بذلك اثر توليه قيادة الدولة مباشرة في خطابه بالجماهير موضعاً سياسته الجديدة والجدية في ادارة الدولة .

وكان (عليه السلام) الاعلم بمنهاج الاسلام وتطبيقه في كل مفاصل ومؤسسات الدولة وجعلها تسير في فلك رحمة الاسلام وعدالته التي سعت الانسانية جمعاء بقوله " واني لعلی بينة من ربي ومنهاج من نبي واني لعلی الطريق الواضح القطه لقطاً، انظروا اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا اثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولم يعيدوكم في ردى فإن لبدوا فالبدوا ، وإن نهضوا فانهضوا ،ولا تسبقوهم فتضلوا ،ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا" (٢) .

التزم الامام منذ اللحظات الاولى لتوليه القيادة الاسلامية ان منهاج الدولة يسير وقف مبادئ ومفاهيم الدين الاسلامي المحمدي الاصيل الذي اوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتمسك به نهج واضح للحياة العادلة الكريمة بقوله: " اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي ابدا" (٣) فقد رسم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) المنهاج الواضح للسير عليه من بعده في ادارة الدولة الاسلامية وقد لزم الامام علي (عليه السلام) هذا النهج واتخذ منه استراتيجية واضحة لبناء الدولة ولم ير بديل عنه ، فلما خيره عبد الرحمن بن عوف واشترط عليه بان تعطى له خلافة المسلمين عام ٢٣هـ مقابل سيره على كتاب الله ومنهاج النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة الشيخين ابو بكر وعمر رفض الامام (عليه السلام) ذلك ورد على ابن عوف شرطه قائلاً وموضحاً لمنهجه في الحكم " بل على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي" (٤) فكان يمتلك برنامج حكومي واضح و استراتيجية لبناء دولة قبل توليه الحكم عام ٣٥هـ، فلم يأخذ الامام علي (عليه السلام) بسيرة الشيخين ومنهجهما في بناء الدولة لعدة اسباب منها:-

(١) نهج البلاغة ،ص ١١٧ .

(٢) ابن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ١٤٢ .

(٣) الحاكم النيسابوري ، المستدرک علی الصحیحین ، ٣/ ٢١٣ .

(٤) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١/ ١٤٦ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائرهما في استراتيجية بناء الدولة

١. لأن سياستهما في بناء الدولة لم تكن تسير على هدي القران والسنة النبوية الشريفة في اغلب ادارتها فلم تكن سياستهما حجة بالنسبة له، . فلم يكن ابو بكر يستند في فترة حكمه الى برنامج واضح بل اجتهادات شخصية بعيدة في بعض مضامينها عن اصل الشريعة الاسلامية وقد انكر الامام علي (عليه السلام) هذه السياسة المتغيرة غير الثابتة بقوله (عليه السلام) " ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ... في تبليغه واداءه "(١). ورفض اغلب اجتهاداتهما لان الشيخين نفسهما كانا مختلفين في السيرة والاجتهاد فعلى اي سيرة منهما يسير الامام فعمربن الخطاب هو من قيم فتره حكم ابو بكر بانها فلتة بقوله " إن خلافة أبي بكر كانت فلتة وأن الله وقى شرها "(٢) فكيف يأتي ويرغم الامام على شرط غير متفق عليه من قبل من اشترط السير على سنتهم .

٢. هناك اختلاف في اجتهاداتهما لقضايا متماثلة فابو بكر مثلا سار بالعطاء بين المسلمين بالمساواة لا التفضيل ، اما عمر فقد فاوت في توزيعه(٣) ، وقد رصد الغزالي هذا الاختلاف في سيرة الشيخين القاضي بعدم حجية سنتهم اذ قال "وكيف يتصور عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف وكيف يختلف المعصومان "(٤)

فكان الامام علي بقوله (ورأيي) في رده على ابن عوف يقصد بذلك اجتهاده واستنباطه للأحكام الشرعية في ضوء القران والسنة النبوية الشريفة ، لان الائمة المعصومين ثبت عنهم انهم لا يتحدثون من عند انفسهم قال الامام الباقر: " لو حدثناكم برأينا ضلنا كما ضل من كان قبلنا ولكننا نحدثكم ببينة من ربنا بينها لنبيه فبينها نبيه لنا" (٥) وقال الامام الصادق "والله ما نقول باهوائنا ولا نقول برأينا ولا نقول الا ما قال ربنا فمهما اجبتك فيه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لسنا نقول برأينا من شيء"(٦).

ان صورة التلازم المستمرة تثمر العدالة الاسلامية في استراتيجية بناء الدولة التي اراد الامام علي (عليه السلام) تطبيقها وحرص على اقامتها بان كل شيء في الوجود قائم على اعتبار العدل وإعطاء الاستحقاقات المترتبة عليه وفق الموازين والقيم الإلهية ،بقوله(عليه السلام):" بالعدل قامت السماوات

(١) نهج البلاغة ،ص ٦٠.

(٢) النسائي ، السنن الكبرى ، ٢٧٣/٤ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢٩٥/٣ ؛ ينظر :البلاذري ، فتوح البلدان، ص ٣٦٧ .

(٤) المستصفى في علم الاصول ، ١٣٥/١ .

(٥) الصفار ، بصائر الدرجات ، ص ٣١٩ .

(٦) الصفار ، بصائر الدرجات ، ص ٣٢١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق واثارهما في استراتيجية بناء الدولة

والأرض" (١) ، وان الصورة الواقعية التي يجب على العباد أن ينهضوا بها فتتجلى في تنفيذ ما أراه الباري عز وجل بتفهم هذا العدل الذي هو أساس صلاح الكون (٢). وقد سئل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن العدل فقال: "العدل أن لا تتهمه" (٣) ، أي يجب أن لا يدنو إلى التفكير ذرة من اعتقاد أن الله عز وجل غير عادل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (٤)، وقال ابن أبي الحديد في ذلك: "أي لا تتهمه في انه أجبرك على القبيح وبعاقبك عليه ، حاشاه من ذلك ، ولا تتهمه في انه مكن الكذابين من المعجزات فأصل بهم الناس ، ولا تتهمه في انه كلفك مالا تطيقه" (٥) فتأكيد وتوضيح الامام لصورة العدل وماهيته وتعريفها للناس بانه عدل محظ لا ظلم فيه من اجل أن يسود الإنصاف والقسط بين الناس بصورته الحقيقية لا التي يريد ان يخلقها البشر الذي ينسب الى الله سبحانه الخير والشر .

وضع الامام (عليه السلام) العدالة اساساً لمنهج سياسة بناء الدولة لأهميتها واثارها المثمرة في استراتيجية بناء الدولة بقوله: "اساس الملك العدل" (٦) والتي هي نتيجة لمقدمة اخلاقية سابقة عليها وهي التزام الحق واداء الحقوق فعندما تطبق وتعطى الحقوق لأصحابها تظهر معالم العدل و يُجمل الامام اثار العدل على بناء الدولة بقوله: " عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَدْلَالِهَا السُّنُنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَبَسَّتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ" (٧). ومن اثار اتباع سياسة العدل الاتي:-

إ. يعطي العدل التوازن في صلاح الزمان (٨).

ب. جريان السنن على وجوهها ومسالكها بحيث لا تحريف فيها (٩).

ج. كفيل بالحفاظ على كيان الأمة و على ثروتها و رخائها في مقابل أعدائها (١٠).

(١) ابن ابي جمهور الاحساني ، عوالي اللآلي ١٠٣/٤ .

(٢) جبار محمد هاشم الموسوي، الاحتجاج العقائدي بالقرآن الكريم عند أئمة أهل البيت أطروحة دكتوراه غير منشوره ،كلية الفقه/ الشريعة والعلوم الإسلامية، جامعة الكوفة، ص ١١١ .

(٣) الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص ٣٩ .

(٤) جبار محمد هاشم الموسوي، الاحتجاج العقائدي بالقرآن الكريم عند أئمة أهل البيت ، ص ١١١ .

(٥) شرح نهج البلاغة، ٢٠/٢٢٧ .

(٦) الطبرسي ، حسين النوري، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل ، ١٩٣/١١ .

(٧) نهج البلاغة ، ص ٣٣٣ .

(٨) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٤٤/٤ .

(٩) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٤٤/٤ .

(١٠) أحمد راسم النفيس، علي بن أبي طالب و أخلاقيات السياسة، ص ٧٢ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق واثربهما في استراتيجية بناء الدولة

د. الأهم من هذا الحفاظ على تماسكها الخلقي و رفعتها المعنوية^(١).

هـ. من لوازم ذلك الطمع في بقاء الدولة ويأس مطامع الأعداء في فسادها وهدمها^(٢).

ثم يحدد الإمام الآثار الخطيرة الناتجة عن اختلال هذا التوازن القائم في استراتيجية بناء السياسة العادلة بين الوالي و الرعية عندما يتجاوز أي من الطرفين على حقوق الطرف الآخر و هو ما يسمى بالطغيان والجور بقوله: "اخْتَلَفْتُ هُنَالِكَ الْكَلِمَةَ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الْأُدْعَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعَمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقِّ عَطْلٍ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلِ فِعْلٍ! فَهُنَالِكَ تَذَلُّ الْإِبْرَارِ، وَتَعَزُّ الْأَشْرَارِ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ عِنْدَ الْعِبَادِ"^(٣) ويمكن ان نستخلص من هذه الاثار ما يأتي :-

١. تتقلب الموازين الاجتماعية فتصبح طليعة المجتمع من قياداته الفكرية والأخلاقية في المؤخرة و يتقدم المنافقون والأزلام والإمعات وأشباه الرجال إلى المقدمة لا لكفائتهم بل لفدريتهم على ممارسة التلون والتزلف والنفاق^(٤).

٢. اختلاف الكلمة ، وكنى به عن اختلاف الآراء والتفرق بسببه^(٥) .

٣. ظهور معالم الجور وعلاماته ، وهو ظاهر لعدم العدل بعدم أسبابه^(٦) .

٤. كثرة الفساد في الدين ، وذلك لتبدد الأهواء وتفرقها عن رأى الإمام العادل الجامع لها ، وأخذ كل فيما يشتهي مما هو مفسد للدين ومخالف له^(٧) .

٥. ترك العمل بنظام شريعة الدين ، والعمل بالهوى وتعطيل الأحكام الشرعية. بسبب جور الحكام فلا يستوحش بعظيم حق عطل ، وذلك للأنس بتعطيله ، ولا بعظيم باطل فعل ، وذلك لاعتياده والاتفاق عليه وكونه مقتضى لهواه^(٨) .

(١) أحمد، علي بن أبي طالب و أخلاقيات السياسة، ص ٧٢.

(٢) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٤٤/٤ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٣٣٣ .

(٤) أحمد ، علي بن أبي طالب و أخلاقيات السياسة ، ص ٧٢ .

(٥) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٤٤/٤ .

(٦) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٤٤/٤ .

(٧) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٤٤/٤ .

(٨) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٤٤/٤ .

الفصل الثالث: تلازمية الدين والأخلاق واثريهما في استراتيجية بناء الدولة

٦. انتشار الامراض الاجتماعية الخطرة ومنها ملكات السوء كالغُلّ والحسد والعداوات والعجب والكبر وغيرها (١).

٧. تعرض المجتمع للعقاب الالهي بسبب ابتعادهم عن طاعة الله سبحانه (٢).

اما صورة العدل في فكر ابن خلدون تختلف عما هي عليه عند الامام علي (عليه السلام) لكون مفهوم العدالة الالهية عند ابن خلدون تقتضي الخير والشر لانهما مقدران من الله والله سبحانه موجد للخير والشر معا حسب قوله: " فالسياسة والملك هي كفالة للخلق وخلافة لله في العباد لتنفيذ أحكامه فيهم وأحكام الله في خلقه وعباده إنما هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع وأحكام البشر إنما هي من الجهل والشيطان، بخلاف قدرة الله سبحانه وقدره فإنه فاعل للخير والشر معا ومقدرهما إذ لا فاعل سواه " (٣) فان الشر او الاستبداد في سياسة بناء الدولة هي نتيجة مقدرة مسبقا من الله سبحانه وان صاحب الدولة انما يتحرك ضمن القضاء والقدر المرسوم له من الله سبحانه فما صدر منه من شر او خير فهو من الله عز وجل.

وكذلك اعتقد ابن خلدون بوجود شيء من الظلم لا بد منه في احكام الله تعالى بقوله: " أن الجاه هو القدرة الحاملة للبشر على التصرف في من تحت أيديهم من أبناء جنسهم بالإذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة ليحملهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل بأحكام الشرائع والسياسة وعلى أغراضه فيما سوى ذلك ولكن الأول مقصود في العناية الربانية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور الداخلة في القضاء الإلهي لأنه قد لا يتم وجود الخير الكثير إلا بوجود شر يسير من أجل المواد فلا يفوت الخير بذلك بل يقع على ما ينطوي عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخليقة فتفهم " (٤) وابن خلدون يرجع سبب وقوع الظلم إلى قضاء الله سبحانه وقدره في الخلق.

ان اعتقاد ابن خلدون هذا يسقط الحساب والعقاب والجزاء والثواب من الانسان مادام الله سبحانه هو الفاعل للخير والشر وليس صادر من ذات الانسان واختياره. وبما ان العقاب والثواب قائم فيثبت بذلك توهم ابن خلدون وغلطه في هذا الامر وهذا ما اكده الامام علي (عليه السلام) في الحوار

(١) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٤٤/٤ .

(٢) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٤٤/٤ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١١٣/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٧/١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق واثربهما في استراتيجيات بناء الدولة

الذي دار بينه وبين شيخ سار معه إلى حرب صفين أوضح دليل وأجلى وصف للقضاء والقدر " إذ يعتبر هذا الحوار الوثيقة التاريخية التي يطل من خلالها على مفهومي القضاء القدر" (١) ، إذ سأله الشيخ : " أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام، أبقضاء الله وقدر ؟ فقال (عليه السلام): أجل يا شيخ ، فو الله ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن وادٍ الا بقضاء من الله وقدر، فقال الشيخ: عند الله احتسب عنائي يا امير المؤمنين، فقال (عليه السلام): مهلاً يا شيخ لعلك تظن قضاءً حتماً وقدرًا لازماً ، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر ، ولسقط معنى الوعيد والوعد ولم يكن على مسيء لائمة ، ولا لمحسن محمداً، وكان المحسن أولى بالائمة من المذنب، والمذنب أولى بالإحسان من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وقدرية هذه الأمة ومجوسها، يا شيخ ان الله عز وجل كلف تخيراً، ونهى تحذيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلا [ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ] (٢) " (٣).

وحسب عقيدة ورأي ابن خلدون ان مشيئة الله اقتضت ان يتصرف هكذا ، ولا يمكن له ان يتحرر من اسر هذه المشيئة ، ولا مجال للإنسان في الاختيار وحرية الارادة ، وفلسفة هذه الفرقة ان العبد ليس قادراً على فعله بل هو من الله . ويعرف الجبر : بأنه نفي الفعل عن العبد حقيقة و اضافته الى الرب تعالى (٤) وزعمت هذه الفرقة ، ان الانسان لا يخلق افعاله ، وليس له مما ينسب اليه من افعاله شيء فقوم هذا المذهب نفي الفعل عن العبد و اضافته الى الرب تعالى.

شكل الدين عامل مساعد في بناء الدولة حسب نظرية ابن خلدون اي انه لا يمكن من بناء دولة اساسها الدين فقط بل لابد من القوة العصبية التي تمثل عنصر اساس في هذا البناء حسب قوله: " في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم و... أن كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية وفي الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبيا إلا في منعة من قومه وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم أن لا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية ... وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة والله حكيم عليم" (٥).

(١) جبار محمد هاشم الموسوي، الاحتجاج العقائدي بالقرآن الكريم عند أئمة أهل البيت ، ص ١٢٨ .

(٢) سورة ، آية ٢٧ .

(٣) الصدوق ، التوحيد ، ص ٣٨٠ .

(٤) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ٨٥/١ .

(٥) ابن خلدون، العبر، ١٢٦/١ .

الفصل الثالث: تلازمية الدين والأخلاق وائرهما في استراتيجية بناء الدولة

وعد ابن خلدون الشريعة من أهم ركائز الدولة ويشيد ابن خلدون بالنص الذي نقله المسعودي عن الموبذان بان عرض من خلاله المتممات التي تكتمل من خلالها الحكومة والدولة حسب ما جاء في النص: "أيها الملك إن الملك لا يتم عزه إلا بالشريعة والقيام لله بطاعته، والتصرف تحت أمره ونهيه، ولا قوام للشريعة إلا بالملك ولا عز للملك إلا بالرجال، ولا قوام للرجال إلا بالمال، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل، والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وجعل له قيما وهو الملك"^(١)، ويبدو إن الملك أو القيادة لا تستقيم عند ابن خلدون إلا إذا اكتملت السلسلة المنطقية التي ذكرها في النص أعلاه .

وان الساسة الذين لا يستندون إلى الدين فان خذلانهم أمرا لا بد منه، بما فيهم من الترف بمعنى انه اعطي أهمية كبيرة للاجتماع الديني واعتقد انه سبب رئيسي في مضاعفة قوة الدولة^(٢) بقوله: "أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها والسبب في ذلك كما قدمناه أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية وتفرّد الوجهة إلى الحق فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شئ لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه وأهل الدولة التي هم طالبوها وإن كانوا أضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل وتخاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وإن كانوا أكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل"^(٣)، ويضيف ابن خلدون الشاهد التاريخي على ذلك بما " وقع للعرب صدر الاسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعة وثلاثين ألفا في كل معسكر وجموع فارس مائة وعشرين ألفا بالقادسية وجموع هرقل على ما قاله الواقدي أربعمئة ألف فلم يقف للعرب أحد من الجانبين وهزمهم وغلبوهم على ما بأيديهم"^(٤).

واعتقد إن الدين من غير عصبية لا يمكن أن يقوم، والدعوة إليه من غير عصبية لا تتم: " ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم ... وكل امر يحمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصبية اذ المطالبة لا تتم الا بها فالعصبية ضرورية للملة وبوجودها يتم أمر الله منها وفي الصحيح ما بعث الله نبياً إلا في منعةٍ من قومه"^(٥).

(١) ابن خلدون، العبر، ٣٧/١.

(٢) طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، ص ١٠٦.

(٣) ابن خلدون، العبر، ١٢٥/١.

(٤) ابن خلدون، العبر، ١٢٥/١.

(٥) ابن خلدون، العبر، ١٢٦/١.

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق واثرها في استراتيجية بناء الدولة

وحسب نظرية ابن خلدون العصبية هي التي تتحكم بالدين وان العصبية هي التي تنتشر وتعمم مبادئ الدين وهي التي تنتسب بانحساره لانحسارها وتلاشيها ايضا، والدين ليس بإمكانه تغيير الظلم والخروج على الظالمين من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا إذا عاونهم وساندتهم أهل العصبية، والقوة والشكيمة بقوله: " لو بطلت (أي العصبية) لبطلت الشرائع اذ لا يتم قوامها الا بالعصبية "(١).

كما ربط ابن خلدون بين الدولة العظيمة والدين، معتبرا الدين أصلا لقيام الممالك العظيمة، من خلال دعوة الحق أو النبوة بقوله: " في أن الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين اما من نبوة أو دعوة حق وذلك لان الملك إنما يحصل بالتغلب والتغلب إنما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطالبة وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه قال تعالى لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم وسره أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا حصل التنافس وفتنا الخلاف وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاقد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة كما نبين لك بعد إن شاء الله سبحانه وتعالى وبه التوفيق لا رب سواه "(٢).

كما وفضل ابن خلدون ان يكون نظام الحكومة هو الخلافة الشرعية، وهي " حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية، وهي في الحقيقة نيابة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به "(٣) وذلك لأن أحكام الملك حسب قول ابن خلدون " في الغالب جائرة عن الحق، مجحفة بمن تحت يده من الخلق في أحوال دنياهم، لحملة إياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من أغراضه وشهواته "(٤).

وإن دوام الملك وقوة شوكته عنده مرهونان أساساً بطاعة الله عز وجل وامتنثال شريعته. وكان المسألة الأخلاقية القائمة على أوامر الله عز وجل ونواهيها هي أساس الملك، وكل محاولة لتأسيس الملك خارج هذه المعادلة موكلة إلى الفشل والزوال، وإن ظهرت لحين من الدهر في أثواب من القوة والمنعة، إلا أن أسباب الهدم تفعل فعلها الدسيس في أوصالها، ذلك هو التعليل الذي يشفع به ابن

(١) ابن خلدون، العبر، ١/١٦٠.

(٢) ابن خلدون، العبر، ١/١٢٤-١٢٥.

(٣) ابن خلدون، العبر، ١/١٥١.

(٤) ابن خلدون، العبر، ١/١٥١.

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق واثريهما في استراتيجية بناء الدولة

خلدون هذا النص^(١) قائلاً: "ولكن انقطعت منهم عن الدولة أجيال نبذوا الدين فنسوا السياسة ورجعوا إلى قفرهم فتوحشوا كما كانوا وأقاموا في بادية قفارهم لا يعرفون الملك ولا السياسة...وقد يحصل لهم في بعض الأحيان غلب على الدولة المستضعفة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون مآله وغايته إلا تخريب ما يستولون عليه من العمران"^(٢)، أي ان ابن خلدون استخلص بهذا النص المعادلة الآتية وهو: أن نبذ الدين ينتهي إلى نتائج خطيرة على المجتمع والدولة منها ان نبذ الدين يؤدي إلى نسيان السياسة وفقدان الملك، والرجوع إلى الفقر والتوحش، وتخريب العمران.

ان قراءة آراء ابن خلدون السالفة الذكر تدفعنا للقول ان للدين عند ابن خلدون أهمية بالغة في الفلسفة السياسية والاجتماعية كما وذهب الى ذلك جملة من الباحثين^(٣) وخاصة بعد كل هذا التأكيد من قبل ابن خلدون على أهمية ومكانة الدين في بناء الدولة وبيان اثاره ونتائجه المهمة . الا اننا ومن خلال تتبع قراءة نظرية وافكار ابن خلدون نجده ينقلب على آرائه في ضرورة ملازمة الملك للدين وأنحرف بأفكاره بإنحراف الواقع عن الدين ، وان دعوة ابن خلدون الى تلازمة الدين في بناء الدولة لم تستمر وانما نجد لأبن خلدون رأي اخر ناقض فيه ما عرضنا له من آراء في هذا المجال ويمكن حصر هذه التناقضات كالآتي :-

١. النبوة ليس أساس الحكومات : أنكر ابن خلدون نظرية النبوة على حد قول احد الباحثين بشكل يدعو إلى الاستغراب على الرغم من انه يعتبر ان الملك الشرعي (الخلافة) عندما يستند الملك إلى الشريعة، فتتحقق المصالح الدنيوية، والأخروية ، لذا يعد النظام المثالي عند ابن خلدون^(٤). وعارض ابن خلدون نظرية النبوة وينكر على الفلاسفة طريقة الربط بين المدينة والنبوة، ولا توجد عند ابن خلدون ضرورة تبرر ربط قيام المدينة بالنبوة^(٥) بقوله ان الفلاسفة: "يحاولون إثبات النبوة بالدليل العقلي وأنها خاصة طبيعية للإنسان فيقررون هذا البرهان إلى غاية وأنه لا بد للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله يأتي به واحد من البشر وأنه لا بد

(١) جورج لايبكا، السياسة والدين عند ابن خلدون ، ترجمة: موسي وهبي وشوقي دويهي، ص٣٢ ؛ينظر :عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، ص٦٨.

(٢) ابن خلدون، العبر، ١/١١٩.

(٣) عبد القادر جغلول، الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون ، ترجمة: فيصل عباس، ص٢٣-٢٤ ؛ ينظر : عبد المجيد مزيان، التوازن بين الفكر الديني والفكر العلمي عند ابن خلدون ، ص٢٣٠.

(٤) احمد علي عمران ، الفكر السياسي عند مسكويه، دراسة مقارنة مع ابن خلدون ،رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة كربلاء - كلية التربية ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠١١ م ، ص٢٠٨.

(٥) عبد الرزاق المكي، الفكر الفلسفي عند ابن خلدون، ص١٨٢.

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجية بناء الدولة

أن يكون متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير إنكار ولا تزيف"^(١).

ثم ضرب ابن خلدون امثلة لأمم خلت من النبوات وقامت لها حكومات ودول قائلاً: "وهذه القضية للحكام غير برهانية كما تراه إذ الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه أو بالعصبية التي يقتدر بها على قهرهم وحملهم على جادته فأهل الكتاب والمتبعون للأنبياء قليلون بالنسبة إلى المجوس الذين ليس لهم كتاب فإنهم أكثر أهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والآثار فضلا عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الأقاليم المنحرفة في الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع لهم البتة فإنه يتمتع وبهذا يتبين لك غلظهم في وجوب النبوات وأنه ليس بعقلي وإنما مدركه الشرع كما هو مذهب السلف من الأمة والله ولي التوفيق والهداية"^(٢).

وفيما اخذ ناصيف نصار على ابن خلدون بأن رأيه هذا يعتبر تمام الاعتبار الوقائع المباشرة في الحياة، قبل التوغل في غياهب التأمل في المعقولات العليا ومفاهيم السعادة^(٣) وإن ذلك ينطوي على خلل مزدوج، الخلل الأول ان الإنسان ليس ميالا إلى فعل الخير وهذا يتعارض مع النبوة، وان بعث النبي ليس له ضرورة من اجل الحفاظ على المصالح العامة بين الناس والعمل على تنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية^(٤). وايد بعض الباحثين رأي ابن خلدون هذا بقولهم : ان التاريخ يؤيد ما ذهب إليه ابن خلدون، إذ كثير من الشعوب عاشت دون أن تُسن شرائعها على أيدي رسل^(٥)، متجاهلين بذلك كابن خلدون ان اصل كل نظم الارض هي النبوة والدين وما بشر به الانبياء من مبادئ سار عليها البشر .وهذا ما اوضحه الامام علي من خلال وصفه للنبي لأدم (عليه السلام) ابو البشر بقوله: "واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم ، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم ، لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجعلوا حقه ، ... فبعث فيهم رسله ، وواتر إليهم أنبياءه ، ليستأدوهم ميثاق فطرته ، ويذكروهم منسي نعمته ، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ، ويثيروا لهم دقائير العقول، ويروهم آيات المقدره ... رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ، ولا كثرة المكذبين لهم : من سابق سمي له من بعده ، أو غابر عرفه من قبله : على ذلك نسلت القرون ، ومضت الدهور ، وسلفت

(١) ابن خلدون، العبر، ٣٤/١.

(٢) ابن خلدون، العبر، ٣٤/١.

(٣) الفكر الواقعي عند ابن خلدون، ص١٩٩.

(٤) الفكر الواقعي عند ابن خلدون، ص٢٠٣.

(٥) مصطفى النشار ، تطور الفكر السياسي القديم، ص٢٨٤؛ ينظر : احمد علي عمران ، الفكر السياسي عند مسكويه، مسكويه، دراسة مقارنة مع ابن خلدون ،رسالة ماجستير غير منشورة ،ص٢١٠.

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيكية بناء الدولة

الآباء ، وَخَلَقَتِ الأَبْنَاءُ " (١) وان انكار ابن خلدون هذا يسجل مفارقة كبيرة بين فكره وفكر الامام علي كون الأخير اعتقد إن النبوة ضرورية للإنسانية جمعاء وان الارض لم تخل من نبي مرسل وان جميع ما على الارض من نظم وفكرة الحكومة والوازع اصلها الدين وما بشرت به النبوات ،وان اول حكومة بشرية هي حكومة نبي وهو النبي ادم(عليه السلام) والتي نسجت الامم على منوالها النظم والسياسات.

٢. **ضعف فاعلية الدين** : ضعف التمثيل الديني في استراتيكية بناء وتنظيم الدولة ، اي وان دور الدين وفعاليتها خضع الى قانون التدرج التسافلي ،ورأى والسبب في ذلك حسب منطق ابن خلدون يرجع لاعتماد الدين الخوارق والمعجزات والتي ينتهي اثرها بمرور الزمن واكد ذلك بقوله: " لأن أمر الدين والإسلام كان كله بخوارق العادة من تأليف القلوب عليه واستماتة الناس دونه وذلك من أجل الأحوال التي كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لنصرهم وتردد خبر السماء بينهم وتجدد خطار الله في كل حادثة تتلى عليهم فلم يحتج إلى مراعاة العصبية لما شمل الناس من صبغة الانقياد والإذعان وما يستفزه من تتابع المعجزات الخارقة والأحوال الإلهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجموا منها ودهشوا من تتابعها فكان أمر الخلافة والملك والعهد والعصبية وسائر هذه الأنواع مندرجا في ذلك القبيل كما وقع فلما انحصر ذلك المدد بذهاب تلك المعجزات ثم بفناء القرون الذين شاهدوها فاستحالت تلك الصبغة قليلا قليلا وذهبت الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر أمر العصبية ومجاري العوائد " (٢) ، وأشار الى ضعف اثر الدين في نص اخر له ايضا بقوله: " أول الاسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وأمر الوحي وتردد الملائكة لنصرة المسلمين فأغفلوا أمور عوائدهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنازعتها ونسيت ولم يبق إلا العصبية الطبيعية في الحماية والدفاع ينتفع بها في إقامة الدين وجهاد المشركين والدين فيها محكم والعادة معزولة حتى إذا انقطع أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد فعادت العصبية كما كانت ولمن كانت وأصبحت مضر أطوع لبني أمية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل " (٣). وكلام ورأي ابن خلدون هذا يعكس صورة الاسلام كالاتي:-

١. ان الاسلام كان يعتمد الخوارق والمعجزات في التأثير على الناس وايمانهم به لا بما جاء به من مبادئ وقيم انسانية ورحمة وعدالة . وان ايمان الناس كان متعلقاً بالخوارق والمعجزات فمتى

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٣ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ١/١٦٧ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١/٢١٧ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجية بناء الدولة

انقطعت تلك الخوارق وتوفى من شاهدها فان الناس يرجعون الى العصبية وما تعارفوا عليه من العادات ويولوها امر ادارة شؤونهم

٢. ان الاسلام لم يؤسس لقوانين تحكم وتنظم حياة الناس فتركهم في فراغ سياسي واداري تقتضيه طبيعة الحياة الاجتماعية ، فملئت هذا الفراغ العصبية من بعده بما فيها من جريان العادة والعرف والاحتكام اليها

٣. حكم ابن خلدون على انزواء الدين عن حياة الناس وعن عدم قدرة مبادئه على الاستمرار لأنه دين يفتقد المبادئ والقوانين ويعتمد الخوارق والمعجزات التي يكون تأثيرها انياً ووقتياً .

٤. قدم الاسلام على انه قائم على القوة العاطفية التي يشد بها الناس اليه بالخوارق والمعجزات التي تؤثر تأثير مؤقت في النفوس وضعفه من حيث كونه عقيدة قائمة بالمبادئ والتعاليم التي تنظم حياة الناس في الجانب السياسي والاداري وهذا حكم يتنافى مع حقيقه الاسلام بانه دين كتاب ومبادئ وقوانين وهو قادر على الاستمرار الا انه يحتاج الى من يؤمن بمبادئه ويحولها الى قوانين وسلوكيات تحكم وتنظم حياة المجتمع والدولة .

ثالثاً: القوة مبدأ في تطبيق السياسة الدينية

أكد ابن خلدون ان الدين لا يمكن ان تتم بعثته الا بوجود قوة عصبية الى جانبه لقوله: " ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم ... وكل امر يحمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصبية اذ المطالبة لا تتم الا بها فالعصبية ضرورية للملة وبوجودها يتم أمر الله منها وفي الصحيح ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه" ^(١). فالعصبية هي التي تتحكم بالدين حسب نظرية ابن خلدون والواضح منها ان العصبية هي التي تنتشر وتعمم مبادئ الدين وهي التي تتسبب بانحساره لانحساره وتلاشيها ايضاً بقوله: " لو بطلت (أي العصبية) لبطلت الشرائع اذ لا يتم قوامها الا بالعصبية" ^(٢) لكن التناقض في نظرية ابن خلدون واضح وجلي من خلال ما يصرح به ابن خلدون في مقدمته دائماً بان الدين يضعف وتستقوي عليه العصبية وان هذه الحالة ليست من المصادفة ولكنها حالة طبيعية في نظر ابن خلدون بأن عند انحسار الدين تقوى العصبية وهو ما لمسناه من وجود مرحلي منقطع للدين في القوانين الحاكمة لدولة وتحولها الى الملك بالعصبية فالعصبية قوية ومتواجدة الا ان

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٩/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٦٠/١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق واثرها في استراتيجية بناء الدولة

الدين انحسر وهذا يمكن ان نفسره وبحسب موازين نظرية ابن خلدون الواقعية انه يعود الى ان الدين اضعفته العصبية الحاكمة نفسها وتغلبت على امره وجعلته في طي النسيان تتذكره ان كانت بحاجة ترفعه كشعار لتجمع به قوة جديدة للإطاحة بدولة ضعيفة مرة اخرى واخذ مكانها في الحكم والملك . لكن ابن خلدون لا يعترف بهذه الحقيقة وهي اقضاء الدين من الواجهة وتحكم قوة العصبية ببناء الدولة وانما يرجع السبب دائما الى ضعف الدين نفسه لضعف اساسه في نفوس الناس لأنه قائم على الخوارق والمعجزات ذات التأثير الزمني المؤقت .

٤ . فصل الدين عن سياسة الدولة.

في سابقة لابن خلدون في نصيحة سياسية لم ينصح بها احد الملوك قبله ولا بعده وهو ابعاد العلماء عن شورى الحكم ونصيحة ابن خلدون هذه الاولى من نوعها في تاريخ الاسلام ان يفصح عنها جهاراً وتدينها في مؤلفه، ويعلل ابن خلدون عدة اسباب لأبعاد علماء الدين عن السياسة واعمالها منها الاتي:-

١ . جهلهم بمقتضيات السياسة لانهم يعملون بما هو فكري، ويعتمدون باتخاذ قراراتهم على غرار فتاواهم الشرعية بالقياس والشبه، اما السياسة فهي غير ذلك بقوله: " ان العلماء من بين البشر ابعد عن السياسة ومذاهبها والسبب في ذلك انهم معتادون النظر الفكر والغوص على المعاني ... وما اعتادوه من القياس الفكري"^(١).

٢ . احكام علماء الدين تتطلب مطابقتها للواقع الذي يحتكم الى القوة والقهر وبهذا يتقاطع اراءهم واحكامهم مع السياسة التي تتطلب ان تكون مطابقة احكامهم للواقع لان الواقع هو ما ينطبق مع السياسة او هو انعكاس لها، لان احكامهم الشرعية حسب قول ابن خلدون : " أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها والسبب في ذلك أنهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني وانتزاعها من المحسوسات وتجريدها في الذهن أمورا كلية عامة ليحكم عليها بأمر العموم لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا أمة ولا صنف من الناس ويطبقون من بعد ذلك الكلي على الخارجيات وأيضا يقيسون الأمور على أشباهها وأمثالها بما اعتادوه من القياس الفقهي فلا تزال أحكامهم وأنظارتهم كلها في الذهن ولا تصير إلى المطابقة إلا بعد الفراغ من البحث والنظر ولا تصير بالجملة إلى المطابقة وإنما يتفرع ما في الخارج عما في الذهن من ذلك كالأحكام الشرعية فإنها فروع

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٥/١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائرهما في استراتيجية بناء الدولة

عما في المحفوظ من أدلة الكتاب والسنة^(١) فلأن علماء الدين اعتمدوا القياس في استدلالهم فان هذا النوع من التفكير لا يصلح مع سياسة العمران التي هي في تغير مستمر ولا يقاس فيها شي على اخر وان طبق في السياسة فانه يؤدي الى تخبط في اتخاذ القرارات والى هذا يشير ابن خلدون بقوله: " لا يقاس من احوال العمران على الاخر ، كما اشتبهها في أمر واحد فلعلهما اختلفا في أمور فتكون العلماء لأجل ما تعودوه من تعميم الاحكام وقياس الأمور بعضها على بعض إذا نظروا في السياسة افرغوا ذلك في قالب أنظارهم ونوع استدلالاتهم فيقعون في الغلط كثيرا "^(٢) .

٣. يفقدون القوة اللازمة في فرض ارائهم في الشورى " لان الشورى والحل والعقد لا تكون الا لصاحب عصبية يقتدر بها على حل أو عقد أو فعل أو ترك وأما من لا عصبية له ولا يملك من أمر نفسه شيئاً ولا من حمايتها وإنما هو عيال على غيره فأى مدخل له في الشورى أو أي معنى يدعو إلى اعتباره فيها اللهم إلا شوره فيما يعلمه من الأحكام الشرعية فموجودة في الاستفتاء خاصة وأما شوره في السياسة فهو بعيد عنها لفقدانه العصبية والقيام على معرفة احوالها واحكامها "^(٣) فالشورى في دولة العصبية هي لمن يمتلك قوة عصبية كبرى يتمكن من خلالها ان يفرض رأيه .

وينصح ابن خلدون الملوك ان لا يدخلوا هؤلاء العلماء بطانتهم الا من باب التجميل بهم في المجالس أو اخذ الاحكام الشرعية والفتاوى منهم وتجميل مظهر الدولة بهم " ولم يكن ايتارهم في الدولة حينئذ إكراماً لذواتهم وإنما هو لما يتلمج من التجميل بمكانهم في مجالس الملك لتعظيم الرتب الشرعية "^(٤) .

وان ما يؤخذ على هذه نصيحة ابن خلدون في السياسة هي الاولى من نوعها في تاريخ الفقهاء سيما وانه يعد احد هؤلاء الفقهاء الذين نصح الحكام بإقصائهم عن شورى سياسة الدولة وعلى حد قول احد الباحثين متعجباً " كيف احتمل الفقهاء هذا القول من ابن خلدون "^(٥) .

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٥/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٥/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٥/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٥/١ .

(٥) علي الوردي، منطق ابن خلدون ، ص١٧٥

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجفة بناء الدولة

ثالثا. اولوية صيانة الثوابت الاعتقادية عند بناء الدولة

حرص الامام علي (عليه السلام) على الموازنة بين الاغراض السياسية والثوابت العقائدية فانطلقت حركة بناء الدولة بحدود الشرع الاسلامي فلا تلغى الثوابت الشرعية في سبيل الوصول الى السلطة والحكم وبناء دولة بضرب الاصول التشريعية الضابطة لمنهج البناء ، فكان عليه السلام قد رفض الدولة والحكم عندما عرضت عليه بان تكون له القيادة بشرط ان يأخذ في حكومته جزء من الدين ويترك جزء ، لان المعروف في الامام علي حينما خيره عبد الرحمن بن عوف ان يسير على سنة رسول الله وسيرة الشيخين^(١) كشرط لإعطائه قيادة الدولة الا انه (عليه السلام) رفض ذلك بقوله: " قال أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي "^(٢) وزهد في حكومة مفروضة عليه نتائجها التلاعب بالثوابت الاسلامية والخروج على سنة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأثر الحفاظ على الثوابت الاسلامية برفضه تسلم هكذا حكومة أو قيادة لا تحفظ فيها اسس وقوانين التشريع الاسلامي لان الخروج عليها يأتي بنتائج كارثية على بناء الدولة ، وقد رأينا لنتائج الابتعاد عن الثوابت الاسلامية حينما وافق عثمان بن عفان على تسلم هكذا حكومة بهكذا شرط ضارياً للثوابت العقائدية للشرعة الاسلامية فكانت النتائج بالسلب على الحاكم والدولة ودارت عليه وانقلبت سياسته ضده بان خرجت الثورة على عثمان تطالبه بالإصلاح والسياسة السوية والعدل بالرعية حسب الثوابت الاسلامية ، الا ان عثمان فرط بمعاهد الثوابت الاسلامية فحلت معاهد دولته وانهارت بنائها وانتهت حياته بالقتل على يد ثورة شعبية إسلامية اصلاحية اهم مطالبها العمل بالثوابت الاسلامية وهكذا نجد الامام علي لم يبذل ما عنده من ثوابت شرعية ولم يساير المنتهزين .

فكما ان الامام (عليه السلام) اعلن معارضته السلمية عندما لم تكن مقاليد القوة لانحراف بناء الدولة مسارها المخطط له في المشروع الاسلامي فانه عند التمكن وعند تعاضم الخطر المحقق بتطبيق استراتيجية بناء الدولة بضرب الثوابت والاسس فانه (عليه السلام) يتصدى لكل اسباب ضرب الثوابت الاسلامية ويعلن الجهاد للحفاظ عليها حتى تبقى نقية عادلة وارجاع الامور الى اصولها وثوابتها فكانت حربه مع معاوية في صيفين عام (٣٧٠هـ/٦٥٧م) في هذا المسار لمحاربة الانحراف والقضاء عليه لأنه الحامي لأصول الشرعية الاسلامية وهو ينفذ ما اناطه به الرسول الله من مهمة حفظ الشرعية الاسلامية بقوله (عليه السلام) لما نزل قوله تعالى "وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ... " قال

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ٢٧٦/٣.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٧/٣.

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجفة بناء الدولة

رسول الله: " ان منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل فُسئل النبي من هو يا رسول الله فقال خاصف النعل يعني امير المؤمنين عليه السلام ^(١) فقال عمار بن ياسر يصف الهدف من الحرب تقيمه لها من انها حرباً من اجل الحفاظ على دعائم الحق والعدالة للدولة الاسلامية بقوله: " قاتلت بهذه الراية مع رسول اله ^(صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثاً وهذه الرابعة والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر ^(٢) لعلمنا انا على حق وانهم على باطل" ^(٣) .

فلم تكن حربا من اجل مال أو تثبيت سلطان بل من اجل تثبيت منهج العدالة لتأخذ طريقا تطبيقيا دون معوقات تحول دون ذلك تعكس الامام حتى بحربه .وقد استمر هذا التلازم والثبات على المنهج النبوي في بناء الدولة بمحاربة كل من تتسول له نفسه ضرب ثوابت الشريعة الاسلامية والسنة النبوية عند خروجه لحرب معاوية بقوله " ان الله بعث محمد ^(صلى الله عليه وآله وسلم) وليس احد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعي النبوة فاسق الناس ... كما انا صاحبهم اليوم" ^(٤) وهذا النوع من الحروب له من الاثار المهمة على مسار بناء الدولة بشكل سليم في كشف جهة الباطل وتزييف شرعيتها لضمان سير مؤسسات الدولة فمن منهج العدل الاسلامي والحيلولة دون استغلال اسم الدين سلما تصل به هذه الجهات الظالمة القاسطة عن العدل الى مراتب القوة والقدرة واستضعاف الناس والتسلط عليهم .

اما في نظرية ابن خلدون بدليل فان اولوية صيانة الثوابت الاعتقادية عند بناء الدولة لما يجدها في دساتير بناء الدول بل ان الحكام يجرون منها ما تجري مصالحهم نستنتجه من نص ابن خلدون بقوله: " أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب جهدهم فقوانينها إذا مجتمعة من أحكام شرعية وآداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية وأشياء من مراعاة الشوكة والعصبية ضرورية والاقتداء فيها بالشرع أولاً ثم الحكماء في آدابهم والملوك في سيرهم" ^(٥) . أي ان من يقرر الاخذ من هذه النصوص هو الحاكم فالحاكم هو الذي يحدد أي نوع من اصناف هذه القوانين يتبع كتشريع لاستراتيجية بناء الدولة وذلك لان الدولة والملك غاية للعصبية أي (غنيمة للسلطان) وليست وسيلة لبناء دولة للرعية عامة

(١) الكليني ، الكافي، ٨٦/٢ .

(٢) هجر : منطقة في اليمن في الجزيرة العربية .ينظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ٣٢/٢ .

(٣) الكليني ، الكافي ، ١٢/٥ .

(٤) نهج البلاغة ، ص٧٧ .

(٥) ابن خلدون، العبر ، ٢٤١/١-٢٤٢ .

رابعاً. ثبات المرجفة الدفنة (الفكرفة)

حتى يتم بناء الدولة وحتى تستمر قوة هذا البناء فقد ربطها الامام علي (عليه السلام) برباط الحق والرجوع الفة لتكون قوية في انطلاقة البناء وثابته في تنفيذ استراتيجية بدون شك أو ريب فدخل في اسس بناؤها. فعرف الامام علي (عليه السلام) الرعفة بحقانية استراتيجية بناء الدولة وعدالة اسسها وثوابت مرجعيتها لمعرفة كونها الحق ويجب التفاهم حول قيادتها الثابفة العادلة . وبين جبهة الباطل حتى لا تشببه عليهم الامور وينخدعوا بالمظاهر القشرفة، وتضع عليهم معرفة دولة الحق لأتباعها ،ومعرفة دولة الباطل لتجنبها وعدم تأييدها ،فوجد الامام يعمل على إزالة الشبهة وبيان منطق الاحتكام الى الحق في تقييم الامور بقوله (عليه السلام): " ان دين الله لا يعرف بالرجال بل بأفة الحق، اعرف الحق تعرف اهله"^(١) وهي دعوة منه الى تحكيم العقل الى المرجع الدستوري وهو القرآن الكريم، وكذلك الى ترجمان القرآن وهم العترة الطاهرة من آل محمد وعرض الامور عليهم حتى يتبين صوابها من عدمه . وعليهم معرفة مرجعيتهم الحقة ومعيار الحق في ذلك لأن الذي يحدث له تأثير على زعزعة بناء الدولة وفقدان ثقة الشعب بشرعفة قراراتها وعدالتها وهي تحتاج الى مساعدة ومساندة الشعب الى جانبها فعلى الشعب ان يعرف كيف يقرر مصيره ويعلن عن قراره عن وعي ودرافة ومعرفة للحق واتباعه لان النزاع بين قيادة الامام علي ومناوئفه من طلحة والزبير ومعاوية بن ابي سفيان هو نزاع على استراتيجية وتخطيط بناء الدولة فهم يرغبون بان تكون الدولة غنيفة لهم فقط ، وان تدار وتبنى بشكل يخدم مصالحهم بغض النظر عن حقوق المجتمع من عامة الناس .اما الامام فبريدها ان تكون غنيفة للمجتمع "لان اغنم الغنائم دولة الاكارم"^(٢) .

إذا لم يكن النزاع عن مصالح أو ملكفة شخصية بل ان القضية اكبر من ذلك لأنها قضية رأي عام تخص بناء دولة يجب ان يحدد فيها الجميع رأفه من القيادة والمجتمع فالمجتمع له كلمة الفصل في ذلك لانهم بدون معرفتهم للحق ونصرته لا يمكن ان تثبت دعائم الحق كأسس استراتيجية لبناء الدولة .

أما ابن خلدون فانه لم يكشف بصراحه عن معيار الحق الثابت والمحدد لمعرفة منطق الحق وأتباعه بل كان يرى ويعتقد العدالة في جميع الصحابة ففى تقييمه لمواقف الإمام علي بن ابي طالب

(١) المفيد، الامالي، ص٥ ؛ ينظر: الطوسي، الامالي، ص٢٢٦؛ الفتل النيسابوري، محمد، روضة الواعظين، ص

٣١

(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص٤٦٩ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجية بناء الدولة

ومعاوية بانهما اجتهدا فأخطئا كذلك في جميع الصحابة في اعترافه بعدالتهم جميعا بقوله يصف وقوع الحرب بين الامام علي ومعاوية "لما وقع الفتنة بين علي ومعاوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق ... والكل كانوا في مقاصدهم على حق"^(١) وكذلك قوله في حرب الزبير مع مروان بن الحكم فقال: "والكل مجتهدون محمولون على الحق في الظاهر؛ وان وتحريره الحق ... والله تعالى اعلم"^(٢) وان حكم ابن خلدون بعدالة الجميع يرجع لكونه حكم الرجال الى الحق ولم يحكم الحق في الرجال وجعل مرجعيته افعال الرجال واعمالهم وليس الحق وقياس اعمالهم على اساسه ، ورفض انتقاد افعال الصحابة والتعرض لاجتهاداتهم لانهم في اختلافهم حسب اعتقاده رحمة من الله سبحانه لمن بعدهم في اقتدائهم بأي كان بغض النظر عن سلبيات افعاله وهذا ما اكده في قوله: "... اياك أن تعود نفسك أو لسانك التعرض لاحد منهم ولا يشوش قلبك بالريب في شئ مما وقع منهم والتمس لهم مذاهب الحق وطرقه ما استطعت فهم أولى الناس بذلك وما اختلفوا إلا عن بينة وما قاتلوا أو قتلوا إلا في سبيل جهاد أو إظهار حق واعتقد مع ذلك أن اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الأمة ليقندي كل واحد بمن يختاره منهم ويجعله إمامه وهاديه ودليله فافهم ذلك وتبين حكمة الله في خلقه وأكوانه واعلم أنه على كل شئ قدير وإليه الملجأ والمصير والله تعالى أعلم " وحسب فهمنا ان رأي ابن خلدون يؤخذ عليه عدة مأخذ منها ما يأتي :-

اولا: ان طرحه يناقض الطرح القرآني لأنه يجانب الحقيقة القرآنية التي لم تقل بعصمة جميع الصحابة ووصفة بعضهم بمرضى القلوب قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ)^(٣) ، ووصف بعضهم الاخر بالمنافقين قال تعالى: (يَخْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ)^(٤).

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٦٢/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٧١/١ .

(٣) سورة المائدة ، آيات ٥١-٥٢ .

(٤) سورة التوبة ، آيات ٦٤-٦٦ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائرها في استراتيجية بناء الدولة

ثانياً: انه لم يحتكم الى الشريعة الاسلامية ليعلم المصيب من المخطئ بل احتكم الى افعال الرجال وان عدالة معاوية التي قال بها ابن خلدون بانه قصد الحق وأخطاه ، فلم يكن معاوية ممن طلب الحق فإخطاه حسب ما يذهب اليه ابن خلدون بل كان مطالباً بالباطل، وانما من خرجوا لطلب الحق واخطأوا هم بعض الخوارج الذي أوصى الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) القيادة من بعده بعدم حربهم قائلاً: " لَا تُقَاتِلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي ، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ ، كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ " (١) ولم يقل ذلك بحق معاوية بانه اراد الحق واخطاه بل قالها بحق الخوارج فقط لان للخوارج شبهة وكان غرضهم طلب الحق فأخطأوا وبخلاف معاوية وأصحابه طلبوا الباطل معاندين فأصابوه (٢) .

فيأتي ابن خلدون وينقض هذا الكلام مباشرة بتصريحه ان فعل معاوية فرضته واقتضته عليه ضرورات العصبية وليست ضرورات الشريعة الاسلامية ومصالح المسلمين عامة وانما مصلحة عصبية خاصة هي التي دفعته الى خوض الحرب مع الحكومة الشرعية المتمثلة (بالإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)) ومنازعتها على امر قيادة الدولة و اشار الى ذلك ابن خلدون بقوله: " ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستئثار الواحد به ولم يكن لمعاوية أن يدفع عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنو أمية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من اتباعهم فاعصوبوا عليه واستماتوا دونه ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالأمر لوقوع في افتراق الكلمة التي كان جمعها وتأليفها أهم عليه من امر ليس عليه كبير مخالفة " (٣) فتبين من نص ابن خلدون اعلاه ان هدف معاوية خوض الحرب هو لأجل مصالح دنيوية وهي الاستئثار بحكم الدولة والاستبداد به والسير ببناء وادارة الدولة وفق مقتضيات القوة العصبية التي تنظر الدولة على انها غنيمة للحاكم وعصبية وليس وفق مقتضيات وضرورات الشريعة الاسلامية التي تبحث وتتص على استراتيجية بناء وادارة تعنى بالصالح العام لرعية اولا لتؤدي الامانة حينما كلفت بها بلا تقصير واضاعت حق الامة . لان امير المؤمنين لم يقل في معاوية لا تحاربوا معاوية بعدي .

ثالثاً: ان طرح ابن خلدون بتعدد اقطاب المرجعية وان جميع الصحابة عدول له نتائج واثار سلبية عديدة على بناء الدولة وانتظام امرها ومن هذه الاثار ما يأتي:-

(١) نهج البلاغة ، ص ٩٤ .

(٢) المجلسي ، بحار الانوار ، ١٩/٤٤ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٣٣/١ .

الفصل الثالث: تلازمية الدين والأخلاق واثرها في استراتيجية بناء الدولة

١. استمرار النزاع وأبديته حينما ترى كل فرقة بأن العدالة في الرجل الذي تتبعه لأنه يقول انا على الحق ولا تعرف الحق وتحكم قرارات الرجال عليه مما يؤدي الى حرب مجتمعيه داخلية أو ما يسمى (بالحرب الاهلية) بين اهل الوطن الواحد والدولة الواحدة فيندم الاستقرار الداخلي للدولة .
٢. يمنع بناء دولة موحدة وقوية ما دام فيها فئتان تصطرعان وكلاهما ترى الحق في طرفها ، والطرف الاخر ليس من ذلك في شيء .
٣. انهاك المجتمع بحروب داخلية وتضعف جسم وطاقة الدولة الاسلامية وتفككها ،فان معرفة القيادة العادلة تجنب الدولة ويلات واثار الحروب الداخلية .

المبحث الثاني: اثر الاخلاق في بناء دولة .

يمكن دراسة هذا الموضوع في عدة محاور وهي كالآتي:-

اولا : محورية الاخلاق في بناء الدولة

كانت الاخلاق وسيلة وغاية في استراتيجية بناء الدولة عند الامام علي (عليه السلام) وقد نبه الامام الى ضرورة التزام الاخلاق في كل مراحل بناء الحياة ومنها بناء وادارة الدولة وهذا ما جاء في وصيته للقائد من بعده الامام الحسن (عليه السلام) بقوله " رَوَيْدًا يُسْفِرُ الظَّلَامَ ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الْأَطْعَانُ ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ ، أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا ، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَادِعًا ، وَاعْلَمْ يَقِينًا أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ فَحَقُّضْ فِي الطَّلَبِ وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ ، فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ وَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ ، وَأَكْرَمُ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ ، وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْدُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا ، وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ ، وَيُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَّا يَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَاذْعَلْ ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ وَآخِذٌ سَهْمَكَ ، وَإِنَّ الْيُسَيْرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ " (١). في هذا النص اكد الامام (عليه السلام) على الآتي:-

١. ضرورة التزام الاخلاق والابتعاد عن الوسائل الرذيلة في الوصول الى المطالب في الحياة الدنيا و التي تقلل من كرامة الانسان طمعا بالدنيا والثروة .

٢. صور الامام حتمية الموت بان تكون واعظاً للإنسان لورود الوسائل المحللة في طلب المعيشة او المطالب الحياتية الاخرى . فكل إنسان مسافر إلى قبر ساكن مظلم ، والدنيا طريقه اليه ، والليل والنهار مطيئه (٢).

٣. ان لا يكون القائد تبعا لشهواته واطماعه ،لأنه يفقد الانسان اخلاقه الانسانية الكريمة فضرورة نبذ الطمع والرضا بالمتحصل دون خسران العاقبة المحمودة (١).

(١) نهج البلاغة، ص ٤٠٢.

(٢) مغنبة، في ظلال نهج البلاغة ، ٥١٤/٣.

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجية بناء الدولة

٤. اطلب الرزق و أسع اليه على أن تحفظ التوازن الواجب بين آخرتك ودينك^(٢)، كما قال سبحانه :
(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا)^(٣).

٥. إن الغاية لا تبرر الوسيلة او الوسيلة إلا ضمن القانون والنظام (ويسر لا ينال إلا بعسر)
مثلا الغنى يسر ، والفقر عسر ، ولكن لا يزال هذا العسر بما أشد منه عسرا وقبحا كالسرقة والخيانة
، والمذلة والمهانة^(٤).

٧. الاستعانة و التوكل على الله ولزوم اوامره ، فإن المؤمن الحق لا يطلب العون إلا من خالقه ، ولا
يقبل إلا فضله وإحسانه ، ولا ينظر إلى ما في أيدي الناس^(٥) .

ثانيا: اخلاقيات السياسية الادارية

لقد سلك الامام علي (عليه السلام) في منهجه السياسي رغم شدة الظروف التي تسلم فيها الحكم التزام
بأخلاقيات الصدق والوفاء به في السياسة الادارية وعدم المداهنة بالكذب والحيلة وقد اشار الى التزام
الصدق في جملة من خطبه واقواله منها قوله الإمام علي (عليه السلام) : "هيهات ! لولا التقى لكنت أدهى
العرب"^(٦). وعنه (عليه السلام) ايضا: " يا أيها الناس ! لولا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس ، ألا إن
لكل غدره فجرة ، ولكل فجرة كفرة ، ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار"^(٧). وعنه (عليه السلام): " والله
ما معاوية بأدهى مني ، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ، ولكن كل
غدره فجرة ، وكل فجرة كفرة ، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة، والله ما أستغفل بالمكيدة ، ولا
أستعمر بالشديدة"^(٨).

وجاء عنه (عليه السلام) في عهده إلى مالك الأشر: " وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة ، أو ألبسته
منك ذمة ، فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالأمانة ، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت ، فإنه
ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً ، مع تفرق أهوائهم ، وتشنت آرائهم ، من تعظيم
الوفاء بالعهود ، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب الغدر ، فلا

(١) مغنية، في ظلال نهج البلاغة ، ٥١٤/٣ .

(٢) مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٥١٤/٣ .

(٣) سورة الكهف ، آية ٤٦ .

(٤) مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٥١٤/٣ .

(٥) مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ٥١٤/٣ .

(٦) كاشف الغطاء ، مستدرک نهج البلاغة ، ص ٢٠ ؛ ينظر : الكليني ، الكافي ، ٤٩٧/٨ .

(٧) الكليني ، الكافي ، ٣٣٨/٢ .

(٨) نهج البلاغة ، ص ٣١٨ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق واثريهما في استراتيجية بناء الدولة

تغدرنّ بدمتكَ ، ولا تخيسنّ بعهدك ، ولا تخنلنّ عدوك" (١). ومن النصوص اعلاه يؤسس الامام بهذا العرض في النصوص اعلاه الى المنهجية الاخلاقية الواقعية للسياسة الادارية المثالية من خلال نتائج التزام الصدق والوفاء على الرغم من توجيه الانتقادات لسياسة الامام علي في عدم مصانعته لمعاوية واستدراجه بالوعود الكاذبة لكنه يرفض ذلك ويؤكد على السير بسياسة اخلاقيات الاسلام لنتائجها المحمودة وقدرتها على استيعاب متغيرات الواقع ووضع الحلول لها.

اعتمد الامام في سياسة ثوابت اخلاقية دعى اليها الاسلام واكد عليها ومن هذه الاخلاقيات العدالة الادارية نجد الامام علي (عليه السلام) يطبق موازين العدالة مع نفسه ويصالح ويصالح النفس بنحو ينزع الى استقامتها حتى تتوازن في علاقاتها مع الاخرين فلا تأخذ اكثر من حقوقها ولا تفرط بمسؤولياتها وواجباتها من باب قوله لابنه الحسن (عليه السلام): "اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين الناس" (٢) يعني بناء النفس من الداخل على اسس اخلاقية تتقبل العطاء بنفس الروح التي ترغب بالأخذ ، فالعدل في المصالحة مع الذات كما نفهمه من خلال فكر علي ينطوي على كل القيم الخلقية من صدق وامانه واخلاص ووفاء وسيحكمه لان الانسان العادل هو الذي يمكنه ان يوازن بين حق نفسه وبين حقوق الاخرين من حولة وفق معايير اخلاقية ثابتة قوامها الخير للجميع .

تتجلى ابعاد واخلاقيات العمل الاداري بعدة صور اخلاقية يمكن ادراجها بالاتي :-

١. التقوى في العمل الاداري

للإمام علي (عليه السلام) فلسفته الراقية في ربط الحياة الدنيا بالأخرة وانها دار استثمار للعمل الآخروي والتي سيقدر فيها مصير الانسان فربط العمل الاداري بمبدأ تقوى الله والتعامل الانساني وحرص على تأصيل الشعور الدائم للحضور الآخروي في بناء هيكلية المنظومة الادارية فاكد على اختيار موزفي الدولة من اهل والورع والتقوى وهذا ما اوصى به عامله مالك الاشر في عد الولاية " وَالصَّقُّ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدْقِ " (٣).

واكد التزام التقوى في تطبيق جميع الاعمال المناطة بمؤسسات الدولة الادارية لتشكّل حافزاً ورادعاً لموظفي الدولة عن الاخلال بالعمل الوظيفي مما يضمن تأدية الحقوق وتنفيذ الواجبات . فنجد الامام دائماً يفتتح كتبه ومخاطباته مع موظفيه بتقوى الله ونظم امرهم وكذلك وصيته في ولده ومن بينهم القائد من بعده الحسن المجتبي (عليه السلام) بقوله: "أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي

(١) نهج البلاغة، ص ٣٩٧.

(٢) الليثي، غرر الحكم، ص ٣٨١.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٣٣.

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق واثريهما في استراتيجية بناء الدولة

بتقوى الله ونظم أمركم " (١) فتقوى الله هي الحافز الاول والباعث الروحي للإداري في عمله بإخلاص وعلى اكمل وجه وأشار احد الباحثين لأهمية اثر التقوى في العمل الاداري ما نصه: " ولنا بهذا المجال من التركيز على تقوى الله سبحانه وتعالى متأكدين بشكل لا يدع اي اداري للشك من ان التقوى ومخافة الله سبحانه وتعالى وخشيته سر النجاح وتجاوز الفساد في ادارة المنظمات الانسانية سواء كانت عامه او خاصة .. ولذا فان تقوى الله تعد الوظيفة الاولى والاساسية التي ينبغي على الفرد والمجتمع ان يلتزم بها سلوكياً ويعتمدها في التعامل مع الاخرين وفق سياقات هادفه في قديم البناءات القيمية للمجتمع" (٢).

وسار الامام علي (عليه السلام) على مبدأ ترسيخ القيم الانسانية في العمل الاداري مع المجتمع من الرحمة والمودة واللطف بقوله: " واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف لهم ... وقد استكفك امرهم وابتلاك امرهم " (٣) وهذه قيم ادارية مثلى اوضحت الابعاد الاكثر شمولية في التعامل الاداري لمؤسسات الدولة لمجال العمل الاداري والاكثر رحمة وانسانية في ابعاد التعامل مع افراد المجتمع، ويوصي احد عماله في جزئية التعامل بالسوية معهم بدون تفرقة بقوله " الناس صنفان أما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق " (٤) اذ ان التأكيد يتأثر هنا في ابعاد واضحه من خلال التركيز على اهمية شعور الوالي او المسؤول بالرحمة بالرعية والمودة والمحبة لهم الى غيره من الابعاد الانسانية الاخرى التي تدعو لها النظم الادارية الحديثة و" التي ظهرت حديثاً في نظرية (Z) اليابانية اذ شكلت مثلثاً ذا أبعاد ثلاث هي (المودة والثقة والمهارة) اذ يضع نصب عينيه الابعاد الانسانية في التعامل مع العاملين والمنظمات السائدة في اطارها " (٥).

اما فلسفة ابن خلدون الادارية أنها تفتقد الى هذا العامل الروحي المهم لأنها تستند الى مبدأ الغاية تبرر الوسيلة والتقوى تتقاطع مع هكذا افكار فلا نجد ابن خلدون يؤكد عليها كما اكد عليها الامام علي وجعل منها شعاراً للعمل.

٢. التنسيق العام بين مؤسسات الدولة

(١) نهج البلاغة، ص ٤٢١.
 (٢) حمود، السياسة الادارية في فكر الامام علي، ص ١٢.
 (٣) نهج البلاغة، ص ٤٢٧.
 (٤) نهج البلاغة، ص ٤٢٧.
 (٥) حمود، السياسة الادارية، ص ١٦-١٧؛ ينظر: المنيف، ابراهيم عبدالله، إستراتيجية الادارة اليابانية، ص ١٧٦-١٩٣.

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجية بناء الدولة

تدعو اخلاقيات الاخلاص ان يكون العمل متناسقا حتى يكون مثمراً وبعضه يعضد بعض وكذلك يدلل الترابط والتنسيق العام بين المؤسسات الحكومية على قوة وهيبة الدولة ونجاحها في العمل الاداري فأتسمت دولة الامام علي بترابط عالي بين مؤسساتها وانه لا غنى لأي مؤسسة عن الاخرى هذا من جهة وبين انفتاحها وخدمتها للشعب ورعاية مصالحه من جهة اخرى، وهذا ما اشار اليه الامام حين عرضه للعديد من مؤسسات الدولة ومنها العسكرية والامنية والاقتصادية وحتى مؤسسات الرعاية الاجتماعية بقوله (عليه السلام): "واعلم أن الرعية طبقات ... فمنها جنود الله . ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل . ومنها عمال الانصاف والرفق . ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس . ومنها التجار وأهل الصناعات . ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة" (١).

حرص الامام (عليه السلام) على بيان اهمية كل منها و بانها جميعا تحتاج الى الترابط والتناسق لاداء عملها وخدماتها والذي يصب اخيرا في خدمة الصالح العام بقوله: " لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ... وكلا قد سمي الله سهمه ، ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود بإذن الله حصون الرعية ، وزين الولاية ، وعز الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم . ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ،... ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاهد، ويجمعون من المنافع ،... ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مراقبهم، وقيموه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم " (٢) فكلا يعمل ضمن مسؤولياته وحدوده وبالتنسيق بينهم جميعا من الادارية والامنية والاقتصادية بما يحقق انسيابية ونجاح عمل النظام وقوته وتماسكه وبما يسهل تقديم الخدمة للمجتمع الذي هو مادة الدولة واساسها.

اما في دولة القوة والعصبية ابن خلدون فأنها دولة مؤسسات فنوية منغلقة لا تفاعل وانسجام بينها لا يربطها صالح عام وانما يغلب عليها الفئوية والشخصنة والمصالح الذاتية وفي بعض الفترات قد سيطرت عليها بعض العوائل سيطرة كاملة واصبحت مؤسسات الدولة اقطاعات موروثه لبعض الاسر كالوزارة والحجابه والكتابة ويتوارثها الابن عن ابيه وكان اداري هذه المؤسسات في صراع سياسي بارد دائم فيما بينهم ان صحت التسمية لتصادم النفوذ والتنازع عليه وكلا يريد ان ينفرد بما

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٣١ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٤٣١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجية بناء الدولة

في يد الآخر فكان يكيل بعضهم لبعض التهم ويخطط بعضهم ضد الآخر للإطاحة به، حتى وصل بهم الأمر ان يتحكموا بتولية الحاكم فالحاكم الذي يصطدم مع مصالحهم يتم ابعاده والتخلص منه بشتى الاساليب سواء عن طريق ما يسمى اليوم بالانقلابات البيضاء داخل البيت الحاكم او الحزب الحاكم نفسه او الانقلابات السوداء العسكرية بتدخل الجيش مباشرة.

وكما عاشت دول العصبية ضعف المركزية الحاكمة وانشقاق الكثير من الولايات واستقلالهم وانشقاق الولايات كما في الدولة العباسية التي استقال بولايتهم ابراهيم بن عبد الله الاغلب واسس دولة الاغالبية ومنها الدولة السامانية والدولة الصفارية في الشرق والدولة المملوكية والاموية في المغرب، الأمر الذي ادى الى عن الدولة العباسية^(١).

وكذلك طبيعة والية ادارة الدولة ، فالدولة الاموية كانت مؤسساتها فئوية منغلقة تقوم على مصالح حكام بني أمية الخاصة اما الشعب فكان ليس له مكان في طرفي المعادلة بل كان عليه دائماً ان ينتج كي تجبي الدولة الاموال لمليء خزانة الترف السلطوية، فقد سأل عبد الملك احد الرعية الوافد عليه عن الحجاج فرد الوافد "تركته يظلم وحده"^(٢) فكان هم عبدالمك جمع الاموال لا غير، فلم يكثرث لإجابة هذا الوافد التي تنذر بأزمة اقتصادية تلوح بالأفق اذا استمر الأمر على ما هو عليه، وكذلك كان هم بني العباس جمع الاموال فهارون العباسي يخاطب الغيمة الماره " امطري اينما شئت فسوف يأتيني خراجك "^(٣) .

٣. ابعاد الاصاله والتجديد في النظام الاداري

ان التجديد والتغيير مطلوب في حياة الانسان اليومية وان كل يوم جديد له متطلبات جديدة فمواكبة التجديد في سياق الاصاله والثوابت الاسلامية يعد من القوة للنظام الاداري للحكومة لان الاسلام دين الحياة والتجديد.

ويوجه الامام الى ضرورة الابداع والابتكار بتوظيف العقل واعمال الفكر والافادة منهما في ايجاد الحياة الافضل في التعامل مع امور الحياة وسير نظام الدولة ، والابتعاد عن التقليد والمحاكاة بدون وعي وافادة فيقول الامام علي " من اعتدل يوماه فهو مغبون "^(٤) فكيف بمن يعمد الى التقليد المستمر لعقود من الزمن رغم المتغيرات الحاصلة التي تتطلب الجديد وان الاستمرار على منوالها

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٣٤٥/٣ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١١٨/١ .

(٣) الفلقشندي ، اثر الاناقة في معالم الخلافة ، ١٩٤/١ .

(٤) الفيض الكاشاني ، الوافي ، ٢٢٧/١٤ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجفة بناء الدولة

يسبب الانحدار والانهييار للدولة فهذا ما يرفضه الامام ويدعو الى التجديد والابداع ما دام الانسان يمتلك نعمة العقل التي من الواجب تفعيلها والاستفادة منها ونبذ العجز والركون الى التقليد لقوله (عليه السلام): "الكيس من كان يومه خيرا من أمسه"^(١)، وهو استحضار للفكر الاداري في ضرورة مواجهة المستجدات ومراعاة المتغيرات الزمانية والمكانية للماضي والحاضر والمستقبل .

ان القائمين على دولة الملك يسعون الى تقليد من سبقهم تقليد اعمى بغض النظر عن صحته فيقلدوهم لتشبه بهم ومباهاة ومفاخرة وانها من عوائد الملك "ان من طبيعة الملك الترف وذلك ان الامة اذا تغلبت ومكنت ما بأيدي اهل الملك قبلها كثر رياسها وتعمتها فتكثر عوائدهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته الى نوافله ورقته وزينته ويذهبون الى اتباع من قبلهم في عوائدهم وأحوالهم وتصير لتلك النوافل عوائد ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رقة الأحوال في المطاعم والملابس والفرش والآنية ويتفخرون في ذلك ويفخرون فيه غيرهم من الأمم في أكل الطيب ولبس الأنيق وركوب الفارة ويناغي خلفهم في ذلك سلفهم الى آخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفهم فيه إلى أن يبلغوا من ذلك الغاية التي للدولة إلى أن تبلغها بحسب قوتها وعوائد من قبلها سنة الله في خلقه والله تعالى أعلم"^(٢)، والداعي الى كل هذا الترف المتمثل في " كثرة العوائد ومطالبة النفس بها"^(٣).

والملاحظ في تاريخ النظام الاداري لدولة العصبية انه نظام مقتبس تقليد اما؛ كجزء من عادات وتقاليد بداوتها وقبليتها حسب قول ابن خلدون: "إعلم أن الدولة تكون في أولها بدوية كما قلنا فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده فيكون خرجها وإنفاقها فيكون في الجباية حينئذ وفاء بأزيد منها كثير عن حاجاتهم"^(٤) او يكون نظامها تقليد لأنظمة ثقافات الدول السابقة التي حكمة مناطقهم كدولة فارس والرومان وليس من صميم الثقافة الاسلامية، وهذا ما اشار اليه ابن خلدون بقوله: " ثم لا تلبث أن تأخذ بدين الحضارة في الترف وعوائدها وتجري على نهج الدول السابقة قبلها فيكثر لذلك خراج أهل الدولة ويكثر خراج السلطان خصوصا كثرة بالغة بنفقته في خاصته وكثرة عطائه ولا تفي بذلك الجباية فتحتاج الدولة إلى الزيادة في الجباية لما تحتاج إليه الحامية من العطاء والسلطان من

(١) كاشف الغطاء، مستدرک نهج البلاغة، ص ١٧٩.

(٢) ابن خلدون، العبر، ١/١٢٢.

(٣) ابن خلدون، العبر، ١/٩٨.

(٤) ابن خلدون، العبر، ١/٢١٩.

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائرها في استراتيجية بناء الدولة

النفقة فيزيد في مقدار الوظائف والوزائع أولاً كما قلناه ثم يزيد الخراج والحاجات والتدريج في عوائد الترف"^(١).

ونتيجة لتلك عقلية القائمين على بناء دولة ابن خلدون وعدم قدرتهم على تقديم الجديد لأثر العوامل والتقاليد التي يستوجب ان تلتزم بها دولة العصبية نجدها تعتمد التقليد في النظام الاداري حيث ان الغالب يقد المغلوب يقلده في الكثير من مؤسساته وهذا ما يشير اليه ابن خلدون في تقليد الدولة الجديدة للدولة السابقة فيقول: " ان عوائد كل جيل تابعه لعوائد سلطانه كما تعال في الامثلة الحكيمة الناس على دين الملك ، واهل الملك والسلطان اذا استولوا اعلى الدولة والامر ، فلا بد ان ينزعوا الى عوائد من قبلهم ويأخذون الكثير منها"^(٢).

وكذلك تقليد الابناء للأباء في السلالة الحاكمة ويقول في ذلك " وانظر ذلك في الابناء مع آبائهم ، كيف تجدهم متشبهين دائماً وما ذلك الا لاعتقادهم الكمال فيه"^(٣) والتقليد النسبي لا بأس به لكنه يكون مضراً اذا كان تقليداً كاملاً اعمى بدون مراعات متطلبات العصر ومتغيراته، وهذا ما نجده في غالبية الدول المؤسسة على مبدأ القوة والعصبية على اختلاف مسمياتها فكان حكام الدولة الاموية قد ساروا على نفس نمط ونظم من سبقهم من حكام الدولة الرومانية رغم انها انظمة وادارة اوصلت البلاد الى حالة من البؤس والانهيار نتيجة سياسة الناس بالقهر والقوة الا ان الانعطاف التي احدثها عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) بإصلاح الادارة وادخال بعض التغييرات على انظمتها واسلوب تطبيقها ساعد في انقاذ ما يمكن انقاذه وانعاش الدولة من جديد^(٤) الا ان من جاء من بعده من حكام بني امية عاد الى تقليد الانظمة القمعية والاستغلالية التي كانت تسير عليها الدولة الاموية قبل عهد عمر بن عبد العزيز فأوصل البلاد الى الانهيار التام بما كانت تعانيه من ازمتات سياسية متمثلة بثورات الشرق وازمتات اقتصادية اسهمت في تفعيل عوامل الثورة العباسية ونجاحها وسقوط ونهاية الدولة الاموية^(٥).

فيكون النظام القائم مقلداً ليس مبتكراً وهذا يعود الى انسلاخ دولة الملك والعصبية عن روح الاسلام واسسه الإدارية وعكس ايضاً جمود وتكلس الفاعلية العصبية عن انتاج نظام اداري يستوعب حاجات الانسان واصلاحه.

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٢١٩/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٢٢٥/١ .

(٤) استبدل ولاة كل من العراق وخراسان والجزيرة وأرمينيا وأذربيجان واليمن وعين مكانهم ولاة جدد. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٦٦-١٦٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٢١١ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ ، ١٢٠/١ - ١٢٥ ؛ ينظر: الطبري ، تاريخ الامم ، ٣ / ١٩٩-٢٣٠ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٣٥٨ .

٤. الاهتمام بالوقت واحترام قيمته في النظام الإداري

من أهم عوامل النجاح في إدارة مؤسسات الدولة هو الاهتمام بعامل الزمن والوقت بصورة عامة والاستفادة منه استفادة مثلى أولى الامام علي عامل الوقت أهمية كبيره ، وحرص على استثماره وعدم اضاعته ، فانطلاقه الامام في الحفاظ على الوقت واستثماره هو من صميم ثقافة الادارة الاسلامية ، فمن ادبيات الاسلام بخصوص أهمية الوقت ان لكل يوم جديد حجه جديدة على الانسان يستطيع من خلاله ان يحصد اعلى درجات الاستفادة منه من خلال تركيز الامام علي (عليه السلام) على هذه الحقيقة بقوله: " ما من يوم يمر على ابن آدم الا قال له ذلك اليوم انا يوم جديد وانا عليك شهيد فقل خيراً واعمل في خيراً اشهد لك به يوم القيامة فانك لن تراني بعد هذا ابدأ" (١) وهذا نص توعوي مهم في بيان اثر عامل الوقت واهميته الضرورية التي تجعل منه عنصر اساسي في العملية الادارية وعمر الدولة بصورة عامة. والاستفادة من الوقت على المدى البعيد وتستخيره للعمل والتطور .

كان الامام (عليه السلام) يعد العدة والتنظيم للعمل وبناء الدولة ما دام الانسان حياً، بقوله: " اعمل لدينا كأنك تعيش ابدأ واعمل لأخرتك كأنك تموت غداً " (٢) فلم يكن في فلسفة الامام علي ان عمر الدولة لها مدة محددة وتتصوي وتنتهي كما يذهب الى ذلك ابن خلدون ومن قبله اخوان الصفا الذين يقررون في رسائلهم أن لكل دولة أعمارها ومددها لا تتخطاها واعتبروا الدولة كائناً يولد وينمو ويشب ويشيخ " واعلم بأن كل دولة لها وقت منه تبتدي وغاية إليها ترتقي وحد إليه تنتهي، فأن بلغت إلى أقصى غاياتها ومدى نهاياتها تسارع إليها الانحطاط والنقصان وبدا في أهلها الشؤم والخذلان... " (٣).

الا ان في فلسفة الامام علي (عليه السلام) الادارية لا مكان للهرم مادام العمل التنظيمي مستمر بخطة التطوير الى المدى الابدي ونلاحظ سعة محتوى كلمة (تعيش ابدأ) وهي تتعدى العمر المحدد الذي خصه ابن خلدون لدور عمر الدولة بأربعين سنة لكل جيل ومئة وعشرين سنة عمر الدولة ، بل كانت رؤيته تنزع الى التخطيط الابدي مع الاحتفاظ بإمكانيات استيعاب متغيرات عامل الزمن وتقديمه مع ما يترتب عليه من تطورات واهميه مواكبة هذه التطورات واستيعابها وهذا ما اهتم به الامام وكان من ضمن اولوياته وتنبه اليه بقوله " لا تقسروا اولادكم على اخلاقكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم " (٤) وهذا يأتي من باب " تفاؤله العظيم بأن في الحياة جمالاً ، وبأن في الناس قابلية التطور

(١) الكليني ، الكافي ، ٥٢٣/٢ .

(٢) الامام علي ، نهج البلاغة ، ص ٢١٣ .

(٣) رسائل أخوان الصفاء ، ١٨١/١ .

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٠٠/٢٦٨ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق واثرها في استراتيجية بناء الدولة

الى الخير ، لما اطلق هذا القول الذي يوجز علمه بثورية الحياة ويوجز تفاؤله بإمكانات الانسان المتطور مع الحياة^(١) التربية والتعليم المواكبة للتطور اي ان يكون العلم مواكب لاحتياجات العمرانية المتطورة والحديثة .

وهذه قراءة استباقية للإمام بان التطور الزمني يتطلب التطوير في المبتنيات الفعلية للتربية والتعليم لمواكب المتغيرات وتطورات العصر الاجتماعية والاقتصادية من اجل اعطاء حرية للعقل الانساني في التغيير المسابر للتغيير الزمني والمكاني فالإتيان بإنسان ذو عقلية محدودة ووضعه في بيئة منفتحة وجديده وبدون تهيئة ومقدمات بأن تأتي بآبن البدو نقمحه في بيئة الحضر من دون تهيئة عقلية نوعية واجتماعية تتلائم مع المتغيرات المكانية والزمانية الجديدة فإنه سيحول دون استيعابه لدوره وحياته الجديدة والابداع فيها. فسيأتي بعوائده البدوية التي تعتمد التقليد فيقلد ما يراه دون دراسة لما يتبعه ويقلده لمعرفة تبعات نفعه من ضرره .

اما في دولة القوة العصبية، فلا احترام في مجتمع العصبية للوقت واستغلاله وهذا نتيجة انعدام احترام الانسان والانتاج لان الانسان الذي يحترم الوقت ويقدر قيمته انسان منتج يعرف كيف يستفيد منه، لا ان يعتمد على ما انتج في الماضي والاعتماد عليه بدون وعي لقدرته على تلبية متطلبات العصر النفسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن باب اخر يعكس عدم الاهتمام بالوقت ودون استثماره بما هو جديد منتج الى اراد الخمول والكسل التي تتصف بها ارادة القائمين على النظام الاداري فتهدر الطاقات ويقتل عامل الزمن بعدم الاستفادة منه ويكتفي بتقليد انظمة من كان قبله دون تفحص بكونها تتناسب مع متطلبات العصر ام لا.

٥ . الاستفادة من عامل التجارب

ان اخلاقيات الدين تدعو الى الاستفادة من عواقب وتجار الامم السالفة، لذا يدعو الامام نفسه وولاته الى قراءة تجارب الامم بصورة عامة والاعتبار بها وفي تجارب حكم البلاد قبلهم بصورة خاصة بقوله لابنه الحسن (عليه السلام): " أي بني إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم ، وفكرت في أخبارهم ، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم . بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهولة: " لنبذ ما هو ظالم

(١) جرداق، جورج ، روائع نهج البلاغة ، ص٧٨ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجية بناء الدولة

واكمال ما هو خير و ذو فائدة وهذا ما جاء في توجيهه الاداري لمالك الاشر في عهد التولية المشهور " ولا تنقض سنة سالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت به الالفة ، وصلحت عليها الرعية ، ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السن فيكون الامر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها"^(١) وبقوله (عليه السلام): " اعلم يا مالك اني وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل جور ، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنتظر فيه من أمور الولاية قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ،وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده . فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح"^(٢) ويعترف الامام بتراكم التجارب من اجل التعلم منها واخذ الجيد وطرح الرديء ومنه ما أوصى به أصحابه في خطبته المعروفة بالقاصعة، قائلاً: "فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصلواته ، ووقائعه ومثلاته ، واتعظوا بمثاوي خدودهم ، ومصارع جنوبهم ، واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر"^(٣) وهي دعوة من قبله (عليه السلام) بان اذا كان لابد من الاستمرار على نظام اداري في جانب من مؤسسات الدولة فيشترط الامام بان يكون عادلاً لا يشوبه الظلم لان الرعية تنتظر العمل الصالح وتأمل التغيير نحو الافضل فان جرى على سنة ادارية لمن قبله فان تكون سنة سالحة مراعية المصالح العامة للشعب من العدل والرحمة واللفظ ونبذ الجور .

والامام بذلك يدعو الى ما دعى اليه القران الكريم في الاعتبار بعواقب الامم السابقة بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(٤)، وقوله سبحانه: ﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾^(٥).

٦. التحفيز المعنوي والمادي للاداريين في الدولة

تتبع اهمية الحوافز من حاجة الفرد الى الاعتراف بأهمية ما يقوم به من اعمال وانجازات فتقدير الاخرين لذلك الجهد بطريق الحوافز يعد من الامور المهمة التي تسهم في اشباع مجموعة الحاجات الاساسية المتفاعلة لدى الفرد الجانب المادي مهم جداً لكنه ايضاً هناك بواعث اخرى في

(١) الامام علي ، نهج البلاغة ، ص ٤٣١ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٤٢٧ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٢٩٠ .

(٤) سورة يوسف ، اية ١١١ .

(٥) سورة غافر ، اية ٢١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق واثربهما في استراتيجية بناء الدولة

النفس الانسانية لا بد من اشباعها والتي تزيد من الشعور بالرضا في العمل وزيادة الولاء ففي هذا الجانب اي الحوافز المعنوية نرى الامام يمدح عمالها الذين احسنوا السيرة مع الرعية وسانوا الامانة فنراه يثني على عمر بن ابي سليمه المخزومي بقوله: "أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ النُّعْمَانَ بْنِ عَجَلَانَ الرَّزْقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا ذَمٍّ لَكَ وَلَا تَثْرِبٍ عَلَيْكَ ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوَلَايَةَ وَأَدَيْتَ الْأَمَانَةَ ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ وَلَا مَلُومٍ ، وَلَا مُنْهَمٍ وَلَا مَأْنُومٍ ، فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ اسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ"^(١).

وفي الجانب الاخر هناك الحوافز المادية التي لم يغفلها الامام فقد كتب الى عامله مالك بقوله : " ثُمَّ أَسْبَغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ ، وَغِنَى لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّوْا أَمَانَتَكَ "^(٢) ويمكن ان نحيط بالآثار المهمة للحوافز على العمل الاداري منها ما يأتي:-

١. تحافظ على اخلاقيات عمالها وادارييها وتزيد من فاعلية عملهم وتشجيعهم الى بذل المزيد من خلال تغطية الحاجات المادية للنفس واشباعها.

٢. تعمم الشعور بالرضا في العمل وزيادة الولاء له.

٣. يسهم المحافظة على المال العام ولو بنسبة معينة فالتأمين والاستقرار في الجانب المادي لبعض الموظفين يحول دون سرقة المال العام وعليه فان نقص او عدم تأمين الحاجات المادية للإنسان فانه الحاجة تدفع ضعاف الايمان وضعاف النفوس الى ان يستغل منصبه في التعدي على المال العام.

اما في دولة القوه فان الاهتمام بأصحاب المهن والوظائف كان متفاوتا ولا يشمل جميع الطبقات . فلم تكن هناك عدالة في احاطة الجميع بالعبارة والاهتمام وتأمين الحقوق بعد أستحصال الواجبات منهم بل كان تعامل حكومة دولة القوة والشوكة فكان المستضعف من اصحاب المهن تسلط عليه الدولة قوتها واستغلالها " فلأنهم يتلفون على اهل الاعمال من الصنائع والحرف أعمالهم . ولا يرون لها قيمة ولا قسطاً من الاجر والثلث ... وإذا فسدت الاعمال وصارت مجانا ضعفت الآمال في المكاسب وانقضت الايدي عن العمل ؛ وابذعر الساكن ومسند العمران "^(٣) وهذا النص الابن

(١) ابن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٤١٤ .

(٢) ابن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٤٥٣ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٢١٩/١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والاطلاق وائرها في استراتيجية بناء الدولة

خلدوني يؤكد على ان الفوضى تعم المجتمع اذا لم تتم العناية بأصحاب المهن وحماية حقوقهم لانهم يشكلون حياة المجتمع وعمرانه الا ان اهتمام الدولة بهذه الطبقات والشرائح يبرز فقط حينما تكون مصلحة الدولة الحاكمة فأنها تهتم بهم لمصالحها فكما رأينا انها لا تهتم بصغار اصحاب المهن، الا انها تهتم فقط بفرض الجباية عليهم من اجل استحصال الاموال لخزينتها من اجر صرف رواتب جندها وموظفيها و اشار ابن خلدون الى اهمال الدول للاهتمام بهم بقوله " فانهم ليست لهم عناية بالأحكام وزجر الناس عن المفاصد ودفاع بعضهم عن بعض ، وإنما همهم بما يأخذونه من اموال الناس نهياً أو مغرمًا... والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران "(١) وهذا بعكس ما نبهه اليه الامام علي (عليه السلام) من اثر الاهتمام بأصحاب المهن على اختلاف مستوياتهم دون النظر بدونه او تقليل شأن بعض منهم .

ورأى ان قلة رواتبهم ترجع لأسباب منها: سبب اجتماعي لقلّة تأثير عملهم في المجتمع فهم لا يحتاج الى عملهم بكثرة ، و اشار الى ذلك بقوله: " في أن القائمين بأمر الدين من القضاء والفتيا والتدريس والإمامة والخطابة والأذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب والسبب لذلك أن الكسب كما قدمناه قيمة الاعمال وأنها متفاوتة بحسب الحاجة إليها فإذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة البلوى به كانت قيمتها أعظم وكانت الحاجة إليها أشد وأهل هذه الصنائع الدينية لا تضطر إليهم عامة الخلق وإنما يحتاج إلى ما عندهم الخواص ممن أقبل على دينه وإن احتيج إلى الفتيا والقضاء في الخصومات فليس على وجه الاضطرار والعموم فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الأكثر "(٢).

وسبب قانون اداري فرضته حكومة العصبية تقرر بموجبه رواتب هؤلاء على قدر فائدة الحكومة منهم "وإنما يهتم بإقامة مراسمهم صاحب الدولة بما ناله من النظر في المصالح فيقسم لهم حظا من الرزق على نسبة الحاجة إليهم على النحو الذي قررناه لا يساويهم بأهل الشوكة ولا بأهل الصنائع من حيث الدين والمراسم الشرعية لكنه يقسم عموم الحاجة وضرورة أهل العمران فلا يصح في قسمهم إلا القليل "(٣).

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٢١٩/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٩/١ - ٣١٠ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٣١٠/١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجية بناء الدولة

وأثبت ابن خلدون ما نقله استنادا الى جملة وثائق حصل عليها " فوقع بيدي أوراق مخزقة من حسابات الدواوين بدار المأمون تشتمل على كثير من الدخل والخرج وكان فيما طالعت فيه أرزاق القضاة والأئمة والمؤذنين ... وقضينا العجب من أسرار الله في خلقه وحكمته في عوالمه والله الخالق القادر لا رب سواه"^(١) وكالعادة يتعجب ابن خلدون لحكمة الله تعالى في شؤون عباده ،وكأن الله سبحانه هو من اشار على حكام دولة العصبية ان يزهدوا في رواتب اصحاب هذه الوظائف الحساسة والمهمة في المجتمع حتى يبعد اللوم عن سلاطين القوة والشوكة عن نتائج مثل هكذا مقررات نظم ادارية ركيكة.

٧. اخلاقيات العدالة السياسية

بقدر سعي الامام علي (عليه السلام) لبناء دولة فانه يسعى كذلك لبنائها بالأخلاق والقيم النبيلة اخلاقيات العدالة واتباع الحق من الثوابت الاساسية في منهجية ادارة الدولة ،لان رسالة الاسلام رسالة اخلاقية بكل معاييرها وفي ادق تفاصيلها وكانت مهمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التي بعث بها هي تنمة صالح الاخلاق بقوله "انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق"^(٢) فكان الدين الاسلامي دين الاخلاق الحسنة وكان ولاية الامام علي (عليه السلام) هي تنمة الدين والدين هو الاخلاق فاذا الإمام علي (عليه السلام) هو مثال الاخلاق الاسلامية كاملة وعمل (عليه السلام) على تفعيل وجود الاخلاق في منهج بناء الدولة وجعلها من الاسس الاستراتيجية التي يعتمد عليها، فمثل الحضور الاخلاقي حضوراً جوهرياً في كل مفاصل ادارة الدولة فكراً ومنهجاً . وقد حرص الإمام (عليه السلام) كل الحرص على تطبيق القوانين الاخلاقية.

ان دولة الاخلاق دولة تبني استراتيجياً على القيم الاخلاقية في فلسفة الإمام علي (عليه السلام) تعد من الغنائم الكبرى و اشار الى ذلك بقوله "اعود الغنائم دولة الاكارم"^(٣) لانها اساس متين لاستراتيجية بناء دولة واحد سبل النجاح الدائم بقوله (عليه السلام): " لو كنا لا نرجو جنة ولا نخشى ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً لكان ينبغي لنا ان نطلب مكارم الاخلاق لأنها مما تدل على سبيل النجاح"^(٤) وفي رواية " انها تدل

(١) ابن خلدون ،العير ، ٣١٠/١ .

(٢) الطبرسي ، مكارم الأخلاق ، ص ٨.

(٣) الليثي ، غرر الحكم ، ص ٣٨١ .

(٤) المحمودي ، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، ٣٦١/٧ ؛ ينظر في مصادر اخرى : ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ٣٥٨/١ ؛ البيهقي ، احمد بن الحسن ، شعب الايمان ، ٢٤١/٦ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والخلق وائرها في استراتيجية بناء الدولة

عل سبيل النجاة" (١) فالإمام يعقد نجاح بناء الدولة واستمرارها بتحلي القائمين عليها والقائمين فيها بمكارم الاخلاق.

وإذا انحدرت الاخلاق وفقدت العدالة والحق والمساواة انهارت الدولة وسقطت لامحالة ، لان الاخلاق بمثابة الروح التي تهب استمرارية الحياة في جسم الدولة مؤسساتياً ومجتمعياً.

ومن اخلاقيات السياسة مبدأ الحق وضمان الحقوق للجميع وتلازمة الحق مع السياسة يجعل من ميدان السياسية السعة والتبادل العملي وهو ما يرمي اليه الإمام علي (عليه السلام) بقوله: "الحق اوسع الاشياء في التواصف واضيقها في التناصف" (٢) فكان للحق مساحه واسعة في سياسة وادارة الامام علي (عليه السلام) فهو لايري ان الحق كلام نظري فقط بل يجب ان يطبق على ارض الواقع رغم ثقله على بعض النفوس لان " الحق ثقيل وبيء والباطل خفيف مريء" (٣).

فالإمام (عليه السلام) رغم ثقل الحق على النفس الا انه كان يطبقه عملياً في سياسته فكان يقول: "لا يجري لاحد الا جرى عليه ، ولا يجري عليه الا يجري له" (٤) اي انه الحق يطبق على الجميع فكما تريد ان يطبق الحق لك كذلك العدالة تقتضي ان يطبق الحق عليك ، وهذا المستوى من التطبيق ان يشمل جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية لأنه دستور للحياة وعين للمساواة بين الخلق فكما لهم حقوق تكون عليهم واجبات وهي حقوق الغير عليهم بقوله (عليه السلام): " لو كان لاحد ان يجري له ولا يجري عليه - اي تطبيق الحق - لكان ذلك خالصاً لله سبحانه وتعالى دون خلفه بقدرته على عباده ولعدله في كل ماجرت عليه صروف قضائه" (٥).

فالحق ليس كلمات جوفاء فقط بل هو سياسة عمليه وتطبيق مضموناً لذلك فهو لا يعرف بالرجال كما يرى بعضهم من خلال منطقتهم او ما ينقل التاريخ من سيرهم ولكن الرجال يُعرفون بالحق اثناء مباشرتهم له وفهمهم ابعاده ونزولهم عند حدوده بأيمان وصدق.

ونص الامام علي رأس الهرم في الحكومة المنظمة لأمر الدولة بقوله (عليه السلام): "من نصب نفسه اماماً للناس فعليه ان يبدأ بتأديب نفسه قبل تأديب غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه" (٦)

(١) ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، ٢٣٣/٧، ينظر :ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ١٧٣/٢.

(٢) نهج البلاغة ، ص ٣٣٣.

(٣) نهج البلاغة ، ص ٥٤٢.

(٤) نهج البلاغة ، ص ٣٣٣.

(٥) نهج البلاغة ، ص ٣٣٣.

(٦) ابن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٤٨٠.

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجية بناء الدولة

ان يؤدب نفسه بالأخلاق قبل ان يؤدب غيره حتى يكون قدوة لغيره في الاستقامة الخلقية لان العمل والسلوك التطبيقي للأخلاق ومعايشة الاخرين بالأخلاق الفاضلة له نتائج اجتماعية ايجابية اكثر فاعلية من الاقتصار على الجانب النظري فقط والا يكون توجيهه الاخلاقي بلا ثمر اي " بمنزلة من رام استقامة ظل العود قبل ان يستقيم ذلك العود"^(١).

فالقيادة في فكر الامام (عليه السلام) تتحرك من منطلق اخلاقها ان كانت خير فسياستها خير وان كانت شر فشر سياستها لقوله (عليه السلام): " إذا قوي الوالي في عمله حركته ولايته على حسب ما هو مركز في طبعه من الخير والشر "^(٢) فحافظ الامام على سيادة العدالة في العمل الاداري من خلال محاسبة المقصرين والثناء على المجد في عمله من بقوله لمالك : " وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيْدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ ، وَتَدْرِيْبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ ، وَالزَّمَّ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلَزَمَ نَفْسَهُ "^(٣).

ثالثا: مرحلة الاخلاق عند ابن خلدون

يبين ابن خلدون بان السياسة وفق مبادئ وقيم الخير هي التي تناسب الحكم " والملك والسياسة انما كانا له من حيث هو انسان لانهما للإنسان خاصة لا للحيوان . فاذا خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك اذ الحيز هو المناسب للسياسة"^(٤) وان السياسة تنطلق من الدين في نهجها وذلك لان "السياسة والملك هي كفالة للخلق وخلافة لله في العباد لتنفيذ احكامه فيهم و احكام الله في خلقه وعباده انما هي بالحيز ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع واحكام البشر "^(٥)، والعصبية الغالبة على الحكم انما غلبت بفضل تناقسها في قيم الخير والتزام الشريعة بقوله " فاذا نظرنا في اهل العصبية ومن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والأمم فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر والقرى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدم والصبر على المكاره والوفاء بالعهد وبذل الأموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة وإجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عند ما يحدونه لهم من فعل أو ترك وحسن الظن بهم واعتقاد أهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الأكابر والمشايخ وتوقيرهم وإجلالهم والانقياد إلى

(١) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٠٠/٢٦٩ .

(٢) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٠٠/٢٦٩ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٤٣١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١١٣/١ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ١١٣/١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائرهما في استراتيجية بناء الدولة

الحق مع الداعي إليه وإنصاف المستضعفين من أنفسهم والتبذل في أحوالهم والانقياد للحق والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى أسبابها والتجافي عن الغدر والمكر والخديعة ونقض العهد وأمثال ذلك علمنا أن هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم أو على العموم وأنه خير ساقه الله تعالى إليهم مناسب لعصبيتهم وغلبهم وليس ذلك سدى فيهم ولا وجد عبثا منهم والملك أنسب المراتب والخيرات لعصبيتهم^(١) فمن خلال النص تظهر مميزات هذه السياسة بانها.

١. تتنافس لسياسة الخير والعفو عن الاساءة والزلات .
٢. الالتزام والوفاء بالعهد السياسي وعدم الغدر فهذه من احكام ومبادئ الشريعة الاسلامية الذي يوصي بالوفاء بالعهد وعدم نقضه .
٣. تقدر علماء الدين واشراكمهم في الشورى واحترام ارائهم .
٤. تطبيق الشريعة الاسلامية في العبادات والمعاملات .
٥. ايجاد سياسة الانصاف للمستضعفين والتواضع للمساكين واستماع شكاوي ذو المشاكل.

ورأى ابن خلدون بان هذه السياسة هي توفيق من الله ساقه اليهم . ولكن تبقى هذه مجرد خلال تتبعها حكومة العصبية لضرورة بقائها في الملك والسلطة لا لأجل الدين والالتزام قيمه في السياسة. وبالعكس من ذلك فاذا اراد الله سلب الملك منهم فانه يحملهم على فعل المذمومات والمحرمات التي تهلكتهم وملكتهم " إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعيًا عليهم في سلب ما كان الله قد أتاهم من الملك وجعل في أيديهم من الخير وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واستقرئ ذلك وتتبعه في الأمم السابقة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار"^(٢).

ونلاحظ كذلك ان فاعلية الاخلاق مرحلية هي الاخرى وتتزوي كما انزوى الدين من نظم وسياسات دولة العصبية لا تستمر في طول خط سياسة الدولة بل نجدها في مقتبل ايام الحكم ثم تختفي منقطعة تتبع مصالح الحاكم فمتى ما كان الالتزام الخلقى او التزام عدة خلال يصب في

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١١٣/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١١٣/١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق واثريهما في استراتيجية بناء الدولة

مصلحته نجده ينتحل هذه خلال فهو انتحال وليس واقع حال لسياسة قائمة وثابته وهذا ما شار إليه ابن خلدون بقوله : " ورئيسهم محتاج إليهم غالبا للعصبية التي بها المدافعة فكان مضطرا إلى إحسان ملكتهم وترك مراغمتهم لئلا يختل عليه شأن عصبية فيكون فيها هلاكه وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعا بالقهر وإلا لم تستقم سياسته "(١).

ورغم العمر المرحلي للأخلاق يشير ابن خلدون إلى أهمية انتحال الاخلاق في تحصيل الحكم بقوله: " واعلم أن من خلال الكمال التي يتنافس فيها القبائل ألو العصبية وتكون شاهدة لهم بالملك إكرام العلماء والصالحين والاشراف وأهل الاحساب وأصناف التجار والغرباء وإنزال الناس منازلهم وذلك أن إكرام القبائل وأهل العصبية والعشائر لمن يناهضهم في الشرف ويجاذبهم حبل العشير والعصبية ويشاركهم في اتساع الجاه أمر طبيعي يحمل عليه في الأكثر الرغبة في الجاه أو المخافة من قوم المكرم أو التماس مثلها منه وأما أمثال هؤلاء ممن ليس لهم عصبية تنقى ولا جاه يرتجى فيندفع الشك في شأن كرامتهم ويتمحض القصد فيهم أنه للمجد وانتحال الكمال في خلال والاقبال على السياسة بالكلية لان إكرام أقتاله وأمثاله ضروري في السياسة الخاصة بين قبيله ونظرائه وإكرام الطارئ من أهل الفضائل والخصوصيات كمال في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للجائي إليهم في إقامة مراسم الشريعة والتجار للترغيب حتى تعم المنفعة بما في أيديهم والغرباء من مكارم الاخلاق وإنزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيعلم بوجود ذلك من أهل عصبية انتمائهم للسياسة العامة"(٢).

ان اثر الاخلاق في سياسة بناء الدولة عند ابن خلدون هي مرحلية منقطعة غير مستمرة وثابته فرغم ايمان ابن خلدون بان السياسية بمنطق القيم والاخلاق والحكمة هي السياسة التي تحافظ على مصالح النوع البشري وضمان بقائه ، اذ يقول "السياسة المدنية هي تدبير المنزل او المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ، ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقائه" (٣) ، الا ان الاخلاق تكون وقتية لفترة التأسيس للحاجة اليها للفوز بالملك وهي هبة الله لطالب الملك اي انها اخلاق حاكم للوصول الى الملك وليست اخلاق تأسيسه و تعاملية في استراتيجية بناء الدولة.

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١١٩/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٤٤/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٢٩/١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائرهما في استراتيجية بناء الدولة

وان السياسة التي تلتزم اخلاقيات الرفق في التعامل مع الرعية هي السياسة الصالحة لان هدف السياسة هو ايجاد مصالح الشعب والحفاظ عليها باطر العدالة والحق والرحمة ، وكلما كانت مبتنيات سياسة الحاكم صالحة وتبحث في مصالح الرعية والرفق بهم واسعادهم فقد نمت الفائدة من السياسة ،فيقول ابن خلدون في هذا المجال "اعلم أن مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو ملاحه وجهه أو عظم جثمانه أو اتساع علمه أو جودة خطه أو تقوب ذهنه وإنما مصلحتهم فيه من حيث إضافته إليهم فإن الملك والسلطان من الأمور الإضافية وهي نسبة بين منتسبين فحقيقة السلطان أنه المالك للرعية القائم في أمورهم عليهم فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان والصفة التي له من حيث إضافته إليهم هي التي تسمى الملكة وهي كونه يملكهم فإذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الجودة بمكان حصل المقصود من السلطان على أتم الوجوه فإنها إن كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وإن كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضررا عليهم" (١) اي ان سياسة مبدأ الرفق والرحمة بالرعية هي سياسة مثمرة فيستمر عمران وصلاح البلاد ، اما سياسة القهر والظلم فان نتائجها مهلكة للشعب لأنها مبدأها التعسف والظلم واخذ الناس بالقوة.

وان من نتائج سياسة مبدأ الرفق بالرعية يجمعها ابن خلدون في النص التالي " واما توابع حسن الملكة فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك وأما النعمة عليهم والاحسان لهم من جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي أصل كبير من التحبب إلى الرعية" (٢) ويمكن استخلاص نتائج سياسة الرفق عند ابن خلدون بما يأتي :-

١ . الانعام على الرعية والدفاع عنهم .

٢ . تطوير سبل عيشهم

٣ . تقوية أوأصر العلاقة بين الحاكم والمحكومين ومن باب المحافظة على استمرار سياسة الرفق بالرعية.

وحذر ابن خلدون من السياسة اللاأخلاقية وسلوكياتها في الامة وان اتباع هذا النوع من المنهج السياسي الفاقد لقيم الاخلاق ومبادئ الرحمة الانسانية يكون احد عوامل ظلم الشعوب وخلق الازمات الاجتماعية و الادارية التي تؤدي الى انهيار الدولة شيء فشيء والى هذا يشير ابن خلدون

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١١٣/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١١٣/١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجية بناء الدولة

بقوله "إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعيًا عليهم في سلب ما كان الله قد أتاهم من الملك وجعل في أيديهم من الخير وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً" (١) يكون منهج السياسة بعيداً عن الأخلاق والرفق ومستخدمًا وسائل القوة والبطش في إدارة شؤون الدولة ، ونتيجة انعدام الثقة بين الحاكم والرعية فإنه يزرع العيون لتتبعهم واحصاء تصرفاتهم ويعرض ابن خلدون منهاج هذه السياسة كالاتي " فان الملك اذا كان قاهراً ، باطشاً بالعقوبات منقباً عن عورات الناس وتعدد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا بها وفسدت بصائرهم وأخلاقهم وربما خذلوه في مواطن الحروب والمدافعات ففسدت الحماية بفساد النيات وربما أجمعوا على قتله لذلك فتفسد الدولة ويخرب السياج وإن دام أمره عليهم وقهره فسدت العصبية لما قلناه أولاً وفسد السياج من أصله بالعجز عن الحماية" (٢).

وان دعوة ابن خلدون الى تلازمة السياسة والأخلاق لا تستمر وليس ثابتة ، فنلاحظ ان ابن خلدون يهز ثباتها عندما يشير الى ان التزام السياسة الأخلاقي هو التزام تبادل مؤقت متغير وليس التزام تعامل ثابت مستمر ،التزام مؤقت ومرحلي تدعو اليه اعتبارات مصلحة سياسية اي التزام نفعي او كوسيلة للوصول الى السلطة والحكم .فهم يستحقون بها "ان يكونوا ساسة لمن تحت ايديهم" (٣) اي ان التزام السياسة بالأخلاق الحميدة هو لمعطيات نفعية لهذه الالتزام وهو الوصول الى السلطة والحكم . ورد كيد بعض المبغضين ضد الحكومة. او لان الحكومة تنتظر ان تعامل بالمثل اي بأسلوب أخلاقي ايضاً فهي لا تعد الالتزام الأخلاقي هو ملكة تعامل سياسية بل تبادل أخلاقي وقتي، اي تريد من المقابل ان يبادلها نفس الأسلوب والا اتبعت معه أسلوب لا أخلاقي (٤).

ان دولة العمران حسب ما يراها ابن خلدون ليس لها سياسة ثابتة بل لكل مرحله سياسية من مراحل عمر الدولة في دورتها الحضارية لها أخلاقيات خاصة تلازم هذه المرحلة وتنتج عنها وتتسم هذه السياسة بأخلاقيات منها :-

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١١٣/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٤٩/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٤٣/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٤٣/١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجفة بنااء الدولة

١. سياسة الرفق : يتبع الحاكم سياسة الرفق والانصاف في المرحلة الاولية لبناء الدولة لأنه في هذه المرحلة يكون بحاجة الى ابناء عصبية الى جانبه حتى يقوى ملكه ويطرسخ سلطانه وهو في طور القوة والعنفوان فيتبع سياسة اشراك جميع قومه في الحكم واعطائهم المناصب السياسية حفاظاً على كسبهم الى جانبه لما يشكلون من قوة للحاكم ، فيكون مشارك لهم في السراء والضراء ، فيقول ابن خلدون في ذلك فيكون صاحب الدولة في هذا الطور حسب قول ابن خلدون : " اسوة قومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا ينفرد دونهم بشيء لان ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تنزل بعد بحالها " (١).

٢. السياسة الاستبدادية : فاذا انغمس الساسة في النعيم والترف فان ذلك شهادة فناء ملكهم . فتكون سياستهم تتجه الى الانفراد بالمجد والسلطة لتركيز حالة الطمع من نفوسهم فهذا الخلق يحدد سياستهم في كسر شوكة انصارهم من ابناء عصبتهن وممن ينافسهم .

وهذه الاخلاق المذمومة هي نتيجة طبيعة العمران البشري الذي وصلت له تطورات الدولة . وهي معادلة لا تقبل الاصلاح او التغيير حسب ما يذهب اليه ابن خلدون وهذه القاعدة هي "إنه اذا استحكم طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة أقبلت الدولة على الهرم" (٢).

فيكون ارتقاء وترف في كل المظاهر المادية من ملابس ومأكل ومشرب وتلبي كل الاحتياجات المادية للجسد والنفس وتقصد به هنا الطبقة الحاكمة وهو مؤشر ودليل في الوقت نفسه على انحدار المستوى الروحي والاخلاقي، وهكذا يظهر الترف بافرزه الاخلاقي الهابط في كامل الخطاب الخلدوني مؤشر ارتقاء في حضارة الجسد ، وفي الوقت نفسه مؤشر تدهور في قيم الروح واقتراب من النهاية الفاشلة ،وتفقد الحضارة التي تكسب الانسان رفاهية مادية كل قيمتها ، اذا كان محكوماً عليها سلفاً وبشكل آلي ان تتسبب في تدهور القيم والاخلاق (٣).

٣. انحلال اخلاق الجهاز السياسي الحاكم :فتظهر وتكثر ظاهرة النفاق السياسي والايقاع بالآخرين بسبب المنافسة والطمع الذي يدفع الى مذام الاخلاق ، مما يؤدي الى نكبات سياسية واخرى اقتصادية على صعيد بعض القائمين على مؤسسات الدولة وتتم تصفيتهم والتخلص منهم من قبل الحاكم " تغشو السعاية فيهم عن بعض للمنافسة والحقد ، فتعمهم النكبات والمصادرات واحداً واحداً الى ان

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٣٨/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٣٨/١ .

(٣) ناجية الوريبي ، حفريات في الخطاب الخلدوني ، ص١٦٨ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق وائترهما في استراتيجفة بناء الدولة

تذهب ثروتهم وتتلاشى احوالهم" (١) كما حدث في نكبة البرامكة فحينما وصلت الدولة حد الترف ووصل نميم الاخلاق حد التطرف وحسدهم على مكائتهم من الخليفة ممن كاد لهم للخلاص منهم (٢).

٤. **طغيان سياسة الانانية وحب الذات:** نتيجة لأخلاق الانانية وحب الذات والطمع بالسلطة وحب الانفراد بها نجده يستند الى سياسة الاستبداد والانفراد بالسلطة . فلا يسمع لمشورة احد ويتخلص من منافسة رجال الدولة الاوائل من ابناء عصبية الذين بهم قامت الدولة ووصل الى الحكم ويشير ابن خلدون الى هذه السياسة بالطور الثاني من عمر الدولة " طور لاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عند التناول للمساهمة والمشاركة" (٣) ومن دواعي هذه السياسة ان الحاكم يتخلص من طبقه سياسية منافسه له بالحكم لأنها قدمت خدمات استحققت لأجلها هذه المناصب السيادية ، ويستبدلهم بخلق قوة جديدة يصطنعها من الموالى والصنائع الذين يتم شراءهم كخاصة الملك والسلطان ، فيقضي ابناء عصبية ويقرب هؤلاء ويلقي عليهم الالقاب ويعطيهم الصلاحيات فيكون هو صاحب الفضل عليهم في الوصول الى هذه المناصب بشراء ضمائرهم بإعلان الولاء له مقابل الاموال والقطائع و " يكون صاحب الدولة في هذا الطور معيناً باصطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنائع والاستكثار من ذلك لجدع أنوف أهل عصبية وعشيرته المقاسمين له في نسبة الضاربين في الملك بمثل سهمه فهو يدافعهم عن الامر ويصددهم عن موارده ويردهم على أعقابهم أن يخلصوا إليه حتى يقر الامر في نصابه ويفرد أهل بيته بما يبني من مجده فيعاني من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الأولون في طلب الامر أو أشد لان الأولين دافعوا الأجانب فكان ظهراؤهم على مدافعتهم أهل العصبية بأجمعهم وهذا يدافع الأقارب لا يظاھره على مدافعتهم إلا الأقل من الأبعاد فيركب صعبا من الامر" (٤).

ليكونوا انصاره ورجاله في مرحلة الاستبداد الجديدة فيكرس كل قوته للانفراد بالملك لأسرته فقط ، فحينها ينتقل الملك الى ابناؤه وتتجه سياستهم لتحصيل المنافع والعيش بثمرات الملك ، من جباية الاموال وبناء القصور الكبيرة والظهور بأبهى زينه يوسعون بالعطاء والنفقات على جنودهم ، ويكون هذا هو اخر اطوار الاستبداد من اصحاب الدولة . ويصف ابن خلدون سياسة مرحلة الطور

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٢٣٢/١ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١٠٨/٤ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٣٨/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٣٨/١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والأخلاق واثريهما في استراتيجية بناء الدولة

الثالث " طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدخل والخرج وإحصاء النفقات والقصد فيها وتشديد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتسعة والهياكل المرتفعة وإجازة الوفود من أشرف الأمم ووجوه القبائل وبث المعروف في اهله"^(١) ويتجه الى "التوسعة على صنائعه وحاشيته في أحوالهم بالمال والجاه واعتراض جنوده وإدرار أرزاقهم وإنصافهم في أعطياتهم لكل هلال حتى يظهر أثر ذلك عليهم في ملابسهم وشكبهم وشاراتهم يوم الزينة فيباهي بهم الدول المسالمة ويرهب الدول المحاربة وهذا الطور آخر اطوار الاستبداد من اصحاب الدولة"^(٢).

٥. سياسة الركود والخمول: وفي مرحلة الطور الرابع وهو طور القنوع والمسالمة تتجه السياسة الى الركود ولا تأتي بشيء جديد بل يعتمد على تقليد سياسة من سبقوه ، ويكون الحاكم في هذه المرحلة "قانعاً بما بنى أولوه ، سلماً لأنظاره من الملوك وأقتاله مقلداً للماضين من سلفه فيتبع آثارهم حذو النعل بالنعل ويقتفي طرقهم بأحسن مناهج الاقتداء ويرى أن في الخروج عن تقليدهم فساد أمره وأنهم أبصر بما بنوا من مجده"^(٣).

٦. سياسة الاسراف والتبذير: اما مرحلة الطور الخامس فأنها تكون سياسة تتبع شهواتها واهوائها وملذاتها بالاسراف وتبذير الاموال بدون برنامج مدروس وانما تفتح باب التبذير على مصراعيه ، وهذه السياسة تؤدي الى الوهن والتفكك في بناء الدولة و انهيارها ، فيصف ابن خلدون سياسة هذه المرحلة بقوله: " طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفاً لما جمع أولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي مجالسه واصطناع أخذان السوء وخضراء الدمن وتقليدهم عظيمات الأمور التي لا يستقلون بحملها ولا يعرفون ما يأتون ويذرون منها مستفسد الكبار الأولياء من قومه وصنائع سلفه حتى يضطغوا عليه ويتخاذلوا عن نصرته مضيعا من جنده بما أنفق من أعطياتهم في شهواته وحجب عنهم وجه مباشرته وتفقدته فيكون مخربا لما كان سلفه يؤسسون وهادما لما كانوا يبنون وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معه برة إلى أن تنقرض كما نبينه في الأحوال التي نسردها والله خير الوارثين "^(٤).

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٣٩/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٣٩/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٣٩/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٣٩/١ .

الفصل الثالث: تلازمة الدين والاطلاق واثربها في استراتيجية بناء الدولة

وأن ما يؤخذ على ابن خلدون على افكاره اعلاه بأن الانحراف في اخلاقيات سياسة الدولة هو نتيجة طبيعية لحكومة الملك التي تطغى وتتحرّف نتيجة لابتعادها عن ضوابط الشرع والحكم حسب اهوائها ومصالحها الشخصية.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

المبحث الاول : هيكلية النظام الاداري واثره في استراتيجية بناء الدولة

ان النظم الادارية للدولة هي المجال الذي يترجم فلسفة حكم الدولة وتطبيقها، فالإدارة كيفما تكون هي وسيلة الحكومات لتنظيم برامجها في مختلف المجالات والنشاطات ، وكلما ازداد اتساع الدولة وتطورها كلما زادت الحاجة الى جهاز اداري اقوى واوسع . وتقوم الاجهزة الادارية في الدولة بوظائف عديدة فهي الاساس لبناء هيكلية الدولة وتنفيذ جميع برامجها السياسية والاقتصادية والامنية ، وتحدد المشاكل وتطرح البدائل والحلول لمعالجتها، وتقوم بوضع وتعديل كثير من الاجراءات الادارية بما يلائم طبيعة العمل واحتياجاته^(١) لذا فمن المهم جداً معرفة مصادر النظم الادارية وممن تستمد شرعية قوانينها ومبادئها، وهذا ما سنسلط الضوء عليه في المبحث.

اولاً: مصادر تشريع القوانين الادارية

لكل إدارة نظام من دون ذلك النظام تصبح الإدارة فوضى، وقد أولى أمير المؤمنين (عليه السلام) اهتمامه لتنظيم الأمور فقد أوصى بوصاياه وكتبه في النظام وملازمة التقوى معاً : " أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم " ^(٢) ولعل فكرة النظم والنظام لم تك وليدة الحاجة لأنها وجدت في كلمات الإمام (عليه السلام) قبل أن يأتيه الحكم ومنا قدم نصحه وارشاده في استشارة عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس فأوصاه الإمام (عليه السلام) بأن يلتزم النظام وذلك بقوله: " ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فإن انقطع النظام تفرق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بحدأفيرة أبداً " ^(٣) فأساسيات التخطيط والتدبير الاداري تحتم على القائد ان لا يخرج وهكذا مهام وان يكلف غيره لأنه تحتاجه الدولة لمهام اكبر لأنه يمثل القطب الجامع لنظام امر الدولة فإذا فقد عمت الفوضى الدولة .

واتخذ الإمام (عليه السلام) القرآن الكريم دستوراً لتنظيم برامج بناء الدولة وتسيير ادارتها وبين فضله في خطبة له جاء فيها : " ذلك القرآن فاستنطقوه ، ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه، إلا إن فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم ونظم ما بينكم " ^(٤) فيشير الامام الى اهمية القرآن الكريم بكونه مصدراً من مصادر نظم امر الدولة وادارة شؤونها لما فيه من علوم استيعابية لتنظيم الحاضر والمستقبل اي قادر على مواجهة المتغيرات المستجدة في الحياة كيفما تكون.

(١) حسن محمد الشيخ ، ملامح من الفكر الاداري عند الامام ، ص٣٨ .

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٢١ .

(٣) نهج البلاغة، ص ٢٠٣ .

(٤) نهج البلاغة، ص ٢٢٣ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

وكان هدف الامام علي (عليه السلام) كحاكم إسلامي ان يطبق الصيغة الاسلامية الصحيحة لحياة انسانية كريمة في كل المجتمعات، لذا كان عليه ان يوظف الفكر الاسلامي في بناء هيكلية ادارية تستمد قوتها وفعاليتها واستمرارها من اصالتها الاسلامية ، فلم يكن الامام علي (عليه السلام) مخترعاً لإدارة الدولة الاسلامية لان الادارة العامة الاسلامية هي مبادئ وقيم وقوانين جاء بها الاسلام ، لكن الامام كان حريصاً على تطبيقها عملياً في ادارة شؤون الدولة في اثناء فترة حكمه وقبلها وما بعدها ، لأنه من دون النظام لا يمكن ان تقوم لأي دولة قائمة بل ستكون النتيجة التخبط والتمزق والانفراط ، فقدم الامام علي نظريته في النظام الاداري من خلال العديد من نصوص خطبه ورسائله الى ولاية الامصار وكلماته ومواعظه التي ضمتها العديد من المصادر وفي مقدمتها نهج البلاغة، والتي سار عليها في تجربته في اثناء حكم الدولة الاسلامية واستند في تحديد معاييرها الاسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

إنّ لفظة الإدارة لم ترد في كلام الإمام علي (عليه السلام) لأنها حديثة الاستعمال، وقد أشار الإمام (عليه السلام) إلى مفهوم الإدارة بالفعل (ولي) بقوله: "ينبغي لمن ولي أمر قوم أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيته، والإيمان بمنزلة من رام استقامة ظل العود قبل أن يستقيم ذلك العود" (١) ، وفي موضع آخر يقول: "الولايات مضامير الرجال" (٢) ، و " في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال" (٣) ، فيما قال إلى محمد بن أبي بكر عندما عزله عن ولاية مصر "ولو نزعنا ما تحت يدك من سلطانتك ، لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونة وأعجب إليك ولاية" (٤) .

وايضا وردت الادارة بلفظ التدبير وهو التفكير في دبر الأمور (٥) ، وعرفه ابو هلال العسكري: " وهو تقديم الأمر على ما يكون فيه صلاح عاقبته وفلان يتدبر أمره" (٦) ، أي تأمل به ، و " التدبير ما يفعله الإداري في عمله إذ يخطط له ، ويتحسب إلى نتائجه قبل البدء به، ومن ثم يضع الأمور في مكانها الصحيح، وجاء على لسانه (عليه السلام) في خطبة له ذكر فيها المضمون من حسن التدبير واثاره " التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم، ومن استقبل وجوه الآراء عرف مواقف الخطأ ... ولا عقل كالتدبير ... " (٧) ، وله جملة اقوال في حسن الادارة والتدبير منها: قوله عنه (عليه السلام): " أدل شئ على

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٧١/٢٠.

(٢) الإمام علي، نهج البلاغة، ص ٥٥٤.

(٣) الإمام علي، نهج البلاغة، ص ٥٠٧.

(٤) الإمام علي، نهج البلاغة، ص ٤٠٧.

(٥) الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ١٧١.

(٦) الفروق اللغوية، ص ٢١٦.

(٧) نهج البلاغة، ص ٤٨٨.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

غزارة العقل حسن التدبير^(١)، وقوله "سبب التدمير سوء التدبير"^(٢)، و"قوام العيش حسن التقدير وملاكه حسن التدبير"^(٣)، و"حسن التدبير وتجنب التبذير من حسن السياسة"^(٤)، و"لا فقر مع حسن التدبير"^(٥)، و"حسن التدبير ينمي قليل المال وسوء التدبير يفني كثيرة"^(٦).

ويبين الامام علي كيف ان حسن التدبير يُسهم في عملية بناء الدولة بناءً صحيحاً من خلال الاستثمار والادارة الصحيحة، والتدبير عند الامام(عليه السلام) هو صورة لما يُعرف اليوم بالاستراتيجية في إدارة وتوجيه وتنظيم الموارد المتاحة من اجل فعالية استثمارها بالصورة الصحيحة وفق عدة برامج واجراءات ومبادئ مهمة وفي جميع المجالات لتكون ادارة شاملة وكاملة لمنظومة بناء الدولة ويرى الامام انها تكمن في عدة مستويات منها التدبير وما يعني فيه اليوم التخطيط والتنظيم والتنسيق والمراقبة.

ونبه الامام الى سوء الاستراتيجية ورداءة التخطيط وانعكاساتها على بناء الدولة بناءً ضعيفاً هشاً في عدة اقوال وحكم له منها قوله (عليه السلام): "سوء التدبير سبب التدمير"^(٧)، و"من ساء تدبيره تعجل تدميره"^(٨)، و"من ساء تدبيره كان هلاكه في تدبيره"^(٩)، و"من تأخر تدبيره تقدم تدميره"^(١٠)، و"سوء التدبير مفتاح الفقر"^(١١).

اما عند ابن خلدون ايضا فانه يرى لا بد من اعتماد الدولة وال عمران الاجتماعي على النظم في ادارة شؤونها بقوله: "في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم ..."^(١٢) ولا بد ان يكون على هرم الادارة الحاكم الاعلى الذي يدير امر الدولة.

ولم يكن ابن خلدون يمتلك نظرية خاصة في النظام الاداري بقدر ما كانت الادارة عنده تاريخية استمدها من الواقع التاريخي فقد كان واصفاً وناقلاً للنظم الادارية كما عرفها في التاريخ، وكذلك ما اطلع عليه من نظم الدول التي عاصرها فنجد انه يفصل تصريف الامور الادارية بين خطط

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ١١٧.

(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٨١.

(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٣٧٠.

(٤) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٢٩؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٠٠/٢٦١.

(٥) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٢٧.

(٦) الأمدى، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٧٠.

(٧) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٨١.

(٨) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٤٣٨.

(٩) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٤٣٢.

(١٠) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٤٣٢.

(١١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٣٤.

(١٢) ابن خلدون، العبر، ٢٣٨/١.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

دينية اخلاقية قبل تحول الخلافة الى ملك وخطط ملوكية سلطانية^(١) دعت الى استحداثها وايجادها ضرورات الملك كما يرى ذلك ابن خلدون وحدد وظيفة كل خطة في اطارها الزمني من حركة الحضارة الاسلامية منذ صدر الاسلام حتى تاريخ كتابة مؤلفه (العبر) اي مدة ثمانية قرون تقريباً^(٢) وبناء على ذلك يكون النظام الاداري قد قسم الى ثلاثة اقسام نتيجة التطور التاريخي الذي يتبع دراسة ابن خلدون وهذه الاقسام هي :

١. وظائف ادارية شرعية (الخطط الدينية الخلاقية)^(٣).

٢. وظائف ادارية سلطانية وتشمل (الخطط الملوكية والسلطانية)^(٤).

٣. وظائف ادارية خاصة بالسلطان (شارات الملك والسلطان الخاصة به)^(٥).

والملاحظ ان هذه الخطط التي تؤلف النظام الاداري انها موزعة حسب تطور الدولة وانه كلما دعت الحاجة الى استحداث وظيفة جديدة تم ذلك الوظائف الادارية الخلاقية وهي الخطط الدينية الشرعية تشمل " الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة وكلها مندرجة تحت الامامة الكبرى التي هي الخلافة"^(٦) ويفصل ابن خلدون في مهامها.

وهذه الوظائف استحدثت "بمقتضى طبيعة العمران ووجود البشر"^(٧) وتشمل الوزارة والحجابه وديوان الاعمال والجبايات وديوان الرسائل والكتابة والشرطة وقيادة الاساطيل^(٨).

وهذه الوظائف الجديدة بالإضافة الى الوظائف الخلاقية ، استحدثتها الحاجة السلطانية في تدبير شؤون الملك والحكم ، فنلاحظ التوسع في الوظائف لاستيعاب المهام الجديدة التي تتطلبها تطورات الدولة في العمران الحضري وخاصة في تحول الخلافة الى ملك .

فابن خلدون بذلك يجمع بين مصادر متعددة تكون لبناء النظام الاداري ونسبة الاعتماد عليها وفقاً لمصالح الحاكم ونسبة لتطور عمران الدولة، ويعتمد النظام الاداري في حكومة العصبية على عدة مصادر غير مستقرة الثوابت بل متغيرة حسب التطور الاجتماعي لعمران الدولة بقوله : " وأنه لا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا إلى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه وتارة إلى سياسة عقلية

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٤/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٤/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٧١/١-١٧٧ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٤/١ - ٢٠٠ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ٢٠١/١ - ٢١٠ .

(٦) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٢/١ .

(٧) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٥/١ .

(٨) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٥/١-١٩٧ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

يوجب انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم فالأولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة ولمراعاته نجاة العباد في الآخرة والثانية إنما يحصل نفعها في الدنيا فقط وما تسمعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب^(١).

ومتى تعارض احد المصادر مع تحقيق رغباته فانه يزهد به ولا يعتمد عليه ويبحث عن مصدر اخر ،لانه نظام وصولي يستخدم كل الطرق المفتوحة امامه للوصول الى اهدافه .وهذا ما تطبقه دولة القوة بان تعتمد الدين والعصبية القبلية في بداية نشأتها كمصدر للحكم والادارة ثم تدخل طور الحضارة فتعتمد سياسة وادارة الملك لانها تتناسب مع متطلبات العصبية التي تشد الملك والترف .

اذن فالحديث عن الادارة والنظام الاداري عند ابن خلدون هو حديث عن علاقات الفكر بالتحويلات الاجتماعية (البدوية والحضارية) حيث بدأت بسيطة نظم خلافية كما يسميها ابن خلدون ثم تحولت نتيجة انقلاب الحكم الى نظم ملك سلطانية؛ اي انه نظام اداري يفنقد التخطيط لإدارة الحياة والجانب الاداري في الدولة ويترك التحويلات الزمنية والاجتماعية بما تحمله من معطيات وعادات وتقاليده وما يطرأ عليها من تطورات وتغيرات اقتصادية وسياسية تتحكم به بطريقة سلبية.

ثانيا: اهداف النظام الاداري

لكل نظام اداري اهداف خاصة تعبر عن فلسفته في الحكم الامام علي (عليه السلام) حصر اهداف النظام الاداري بأربعة مرتكزات هامة اوردها في وصيته لمالك الاشر في عهد توليته لمصر فقال: " هذا ما امر به عبدالله علي امير المؤمنين مالك بن الحارث الاشر في عهده اليه حين ولاء مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها "^(٢) فتميزت اهداف النظام الاداري للدولة بصورة عامة بالدقة والشمول والحرص وهي كما يأتي:

١.تنظيم مالية الدولة

٢.توفير الامن العام

٣.استصلاح المجتمع

٤.عمارة البلاد

ويرى احد الباحثين المختصين في ادارة الاعمال ان هذه الاهداف الاربعة التي أثبتتها الامام (عليه السلام) لحكومة مالك الاشر في مصر تعد من مرتكزات الحكومات قديماً وحديثاً وبصورة اكثر دقة

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٢٣٨/١ .

(٢) نهج البلاغة ، ص٤٢٧ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

واشمل تأكيداً وأنها تستند اليوم الى ما يسمى (قاعدة نطاق الاشراف) الذي كلما كان صغيراً حقق ابعاداً اكثر للسيطرة والمراقبة وتحقيق الاهداف العامة ونطاق الاشراف يعني تحديد عدد المرؤوسين الذي يستطيع الرئيس السيطرة عليهم في نطاق يتراوح من ٣-٩ أفراد ، وقد اشار الامام (عليه السلام) الى أربع افراد والتي تمثل اربعة وزارات في العصر الحديث وهي وزارة المالية وما تضمنته من مديريات عامة في تحصيل الاموال والضرائب والرسوم .. الخ ، وزارة الدفاع والداخلية من الجيش وقوى الامن الداخلي ، وزارة الشؤون الاجتماعية وما تضمنه من وزارة الصحة والتجارة والزراعة والري ثم ووزارة الاسكان والاعمار وما يرتبط به من مديريات عامة لبناء وتطوير العمران والبنى التحتية للبلاد . لذا فان منطلق قاعدة الاشراف او نطاقه ذو بعد اساسي في تمكن الحاكم من ادارة شؤون البلاد بصورة قادرة على استشرف ابعاد العمل الهادف في البناء والتطوير واعداد البلاد وتحقيق اهدافها الاقتصادية والاجتماعية والحضارية^(١).

اما اهداف النظام السلطاني عند ابن خلدون في هذا المجال فهي :

١. توفير الامن الداخلي والخارجي " كف العدوان عليهم في اموالهم بإصلاح سابلتهم والى حملهم على مصالحهم"^(٢) .
 ٢. ضبط النظام الاقتصادي ومنها السوق والسكة النقدية^(٣).
 ٣. تحقيق انقياد الشعب للدولة وقبول السلطة الحاكمة وسياستها القائمة في حكم الدولة رغم دكتاتوريتها " انفراده بالمجد دونهم"^(٤) .
- فالملاحظ ان الفارق واضح بين اهداف النظامين فنظام الدولة العصبية تطغى عليه القوة ورغبة الاستحواذ ، اما النظام الاداري للإمام علي (عليه السلام) فانه يسخره لخدمة المجتمع وتأمين حقوقه وهذا يعد من الرقي الاداري الذي يتقدم ابن خلدون بالزمن الا انه لا يصل الى مضمون اهدافه.

ثالثاً: المؤسسات الادارية

ولكي يتم تحقيق اهداف النظم الادارية لابد من مؤسسات تقوم بتنفيذها والاشراف على تحقيقها وهذه المؤسسات وجدناها على النمط التالي عند الامام علي (عليه السلام) وابن خلدون ، ونأتي على بيان هيكلية كل مؤسسة ومهامها واثر ذلك في بناء النظام الاداري وكما يأتي:-

(١) خضير كاظم حمود ، السياسة الادارية في فكر الامام علي بين الاصل والمعاصرة ، ص ١٠-١١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١/١٨٤ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١/١٨٤ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١/١٨٤ .

١. الولايات

كانت الدولة الإسلامية من السعة في المساحة الجغرافية حيث قسمت الى ولايات واقاليم لإدارتها، ولقد تباين أسلوب ادارتها حسب قدرات وكفاءة الاشخاص الذين ولاهم بين استراتيجية الإدارة المركزية والإدارة اللامركزية وسنوضحها كالآتي:-

اولا : استراتيجية الإدارة اللامركزية

هذه الاستراتيجية في ادارة الولايات تقوم على منح الصلاحيات الواسعة للوالي في ادارة ما تحت يده من ولاية بدون اشراف مباشر من قبل الحكومة المركزية في عاصمة الدولة ،وهذه الاستراتيجية اعتمدها في تولية مالك الأشر النخعي على مصر وبما عهده^(١) إليه فيها من عهد ،لكونه احد ثقات الامام ويؤمن بقدراته بحسن الاداره فمالك عند الإمام علي (عليه السلام) مثل الإمام علي (عليه السلام) للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فالإمام (عليه السلام) قال بحق مالك: " لقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)"^(٢) ، فالإمام (عليه السلام) وضع ثقته المطلقة بمالك الاشر، فلا ضرورة ولا حاجة للإشراف على سلوكه وأعماله في الولاية ومن صلاحياته ما يأتي :-

١. حق تعيين السياسات الاقتصادية وادارة الولايات .

٢. تعيين عمال بيت المال وكبار الموظفين .

٣. تعيين المستشارين وتشكيل مجلس شورى الدولة، وأشار الإمام إلى ذلك قائلاً : " وأكثر مدارس العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر وإقامة ما استقام به الناس من قبلك"^(٣) ، وهذا المجلس الاستشاري أشبه ما يكون بالمجالس المحلية التي تقام في الدولة التي يقوم نظامها على اللامركزية في الوقت الحاضر^(٤).

٤. وضع الخطوط العريضة لكل ما يهم البلاد من إصلاح الأوضاع ، سواء كان ذلك في مصرف بيت المال أو تعيين موظفين إداريين ، أو تقديم الخدمات لأبناء المجتمع من الصانع أو التجار أو الفلاحين ، وهذا المجلس الاستشاري أشبه ما يكون بالمجالس المحلية التي تقام في الدولة التي يقوم

(١) انظر الملحق رقم (١) تضمن عهد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام بولاية مصر لمالك الاشر تضمن اهم التوصيات لادارة الولاية ادراة لامركزية.

(٢) الحلي ، خلاصة الأقوال، ص ٢٧٧.

(٣) نهج البلاغة ، ص ٤٣١.

(٤) الموسوي ، الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي (عليه السلام) ، ص ١٦٠ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

نظامها على اللامركزية^(١).

٥. إنشاء الجيش وتعيين قادة الجيش وتجهيزه والإنفاق عليه من بيت مال المسلمين في الولاية ، وهذا ما يتضح من قول الامام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر: " وليكن أثر رؤوس جنودك عندك من واساهم في معونته ، وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم همأً واحداً في جهاد العدو . فأن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك. وأن أفضل قرّة عين الولاية استقامة العدل في البلاد..."^(٢) .

٦. التخطيط للسياسة الخارجية في مجال الحرب والسلام^(٣) ، وهذا ما جاء في قول الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر قائلاً: " ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك والله فيه رضى ، فأن في الصلح دعاً لجنودك وراحة من همومك وامنا لبلادك . ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه ، فان العدو ربما قارب ليتغفل ، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن"^(٤) .

٧. يقوم بعقد الصلح وابرام العهود والمواثيق السياسية مع الدول المجاورة . بوصيته لمالك مثبثاً فيها: " وان عقدت بينك وبين عدوك عُقْدَةً أو ألبسته منك ذِمّة فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمّتك بالأمانة... فلا تغدرنّ بذمّتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلنّ عدوك ، فانه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي . وقد جعل الله عهده وذمته امناً أفضاه بين العباد برحمته وحرماً يسكنون إلى منعه ويستقيضون إلى جواره . ولا تعقد عقداً يجوز فيه العلل ، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكد والتوثقة " ^(٥).

ثانياً : استراتيجية الإدارة المركزية

تتمثل فيها ادارة الولايات بتقييد الصلاحيات الادارية الممنوحة لولايتها وانه يرتبطون بالقائد الاعلى للدولة أي بحكومة عاصمة الدولة مباشرة ، فقد أتبع أسلوب الإدارة المركزية مع عبد الله بن عباس، وعثمان بن حنيف^(١)، فمنحهم صلاحيات قليلة، وأخضع أعمالهم وسلوكياتهم للإشراف

(١) الموسوي ، الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي (عليه السلام) ، ص ١٦٠ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٤٣٣ .

(٣) الموسوي ، الإدارة والنظام الإداري في عهد الإمام علي ، ص ٢٦٥ .

(٤) نهج البلاغة ، ص ٤٤٢ .

(٥) نهج البلاغة ، ص ٤٤٣ .

(١) عثمان بن حنيف الأنصاري ، شهد بدر وأحد ، كان قد بعثه الخليفة عمر بن الخطاب على مساحة الأرض . بعد أن أن فتحت الكوفة أستعمله الإمام علي عليه السلام على البصرة ، وقيل أنه سكن الكوفة ، ومات في خلافة معاوية . ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي ، تقريب التهذيب ، ٣ / ٢٢٤ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

والسيطرة . وأمره أيضاً أن يولي زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال ، ولم يكتف بهذا الأمر بل أمر ابن عباس أن يسمع منه ويطيع ^(١).

اما نظام ادارة الولايات في دولة العصبية فإنّ ابن خلدون لم يفرّد له موضعاً خاصاً كما كان الامام علي يوليه الاهمية في توجيهاته ونصائحه الادارية فقد تلمسنا ذلك من متابعة ما كتبه ابن خلدون في كتابه العبر ^(٢) ففي دولة العصبية ايضا كانت ادارة الولايات فيها يتفاوت بين المركزية واللامركزية فالدولة الاموية اتبعت المركزية واللامركزية اما الدولة العباسية فأنها اتبعت الادارة المركزية حفاظاً على انجازات ثورتها ضد الامويين ، لكن فيما بعد ضعفت سيطرة العباسيين مما اضطرهم لإعطاء حق السلطة المركزية لبعض من استقل بولايات البلدان في بعض المناطق ومنهم الطاهريين والسامانيين ، اما الدول التي قامت في المغرب على اساس العصبية والشوكة ايضا من الموحيين والمرابطين والمماليك فهم ايضا اتبعوا المركزية للاطلاع التام على سير الامور في ولاياتهم ^(٣).

واهتم الامام علي (عليه السلام) اهتماماً كبيراً بعد توليه الحكم بإعادة ترتيب وضع الولايات، فبدأ بعزل الولاة والعمال غير الصالحين الذين يصطدمون مع سياسة الامام علي (عليه السلام) الاصلاحية في ادارة الدولة واستبدلهم بولاة يتميزون بالثقة والاخلاص والامانة وتطبيق لسياسة الامام الجديدة .وقد ثبت الامام عدة شروط لاختيار الولاة وفق اسس وضوابط يجب توفرها في شخصية الوالي لتحقيق الاهداف العادلة من ولايتهم وضمان مصالح الرعية .وهذه الضوابط اجملها الامام (عليه السلام) في وصيته لمالك الاشر في عهده بولاية مصر مثبثاً فيه نقاطاً دستورية مهمة لاختيار الولاة بقوله: " ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم اختاراً ولا تولهم محاباة فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة ، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إشرافاً ، وأبلغ في عواقب الامور نظراً " ^(٤) فيكشف النص عن رؤية استراتيجية في بناء نظام اداري كفوء ورصين ، ويثبت الامام نقاط دستورية مهمة لاختيار الولاة وعمال الولايات يمكن اجمالها بما يأتي:-

١. ان تكون القدرة والكفاءة اساساً في تسلم مهام المنصب وليس عن محسوبية وميول صلة العصبية

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٩١/٢ .

(٢) العبر ، ٣٧٨/٣ و ٤٠٩/٣ و ٣٣١/٥ .

(٣) فوزي ، تاريخ النظم الاسلامية ، ص ٢١٠-٢٢٧ .

(٤) الامام علي ، نهج البلاغة ، ص ٤٣٣ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

والقربانية . فان هذا له تأثير كبير في تكوّن عمل الولايات لافتقاد الكفاءة المطلوبة لتنفيذ اعماله، وقد يستغل منصبه لقربه ممن ولاه في تحقيق مصالحه الشخصية من دون مصالح الرعية مما يجعله يلاقي عدم القبول والمعارضة من الرعية وهذا ما حدث سابقاً مع ولاية الحاكم السابق عثمان بن عفان الذين ولاهم محاباة و أثرّة فاستغلوا مناصبهم بسبب ما يوفره لهم الحاكم من غطاء شرعي وسياسي لسياساتهم المضرة بمصالح بالرعية مما تسبب بثورة عارمة اسقطت نظام الحكم بمقتل الحاكم وانهاء حكمه وهذا كله راجع الى سوء اختيار الولاة وعدم وجود ضوابط حكيمة وعادلة لاختيارهم .

٢. ان يكون من اصحاب الخبرة والتجربة والحياء في هذا المجال . من بيوتات صالحة وذات قدم في الاسلام لكرم اخلاقهم وصحة اعراضهم لذهاب الطمع من نفوسهم وان لهم بعد نظر في ادارة الامور وسياستها ،فينطوي هذا الموقف على صورة صادقة في عمليات الاختيار لذوي الخبرة والتجربة وممن يتسم بتراكم المعرفة وضالع بالتجارب الواسعة ، وان اصحاب الحياء في تحمل المسؤولية يتسمون بالالتزام الاخلاقي الواسع مقارنة بأقرانهم الاقل حياءً مما له اثر موضوعي كبير في تحقيق نجاح وفاعلية العمل الاداري اي كان حجمه او نوعه ودرجة مسؤوليته^(١).

اما ابن خلدون فانه وجد دولة العصبية لا تبحث عن البيوتات الصالحة لترشيح الوالي او العامل منها ايا كانت قبيلته او عصبيته ما دام ذا صلاح وحياء، بل تبحث عن بيوتات ذات عصبية وقوة وشوكة متمكنة من قهر الجميع ليُسلم لها مهمة ادارة البلاد ؛ وذلك لقيام الدولة عامة على عامل القوة والقهر في تطبيق ادارتها وسياستها لذا فأنها تُفضل ان يكون الوالي ذا عصبية كبيرة وقوية ولانها لعصبية الدولة الحاكمة كتعيين الحجاج بن يوسف الثقفي الذي تم تعيينه على اساس هذه الضابطة وقد اشار ابن خلدون الى ذلك بقوله : " تعرف رتبته الحجاج بين العرب ... بماله من العصبية الحائلة دون ذلك ولذلك اختصه عبدالملك بهذه الرتبة ثقة بغنائها فيها بعصبيته وصرامته"^(٢) وينتسب الحجاج الى ثقيف وهي قبيلة عربية كبيرة من هوزان وهي بطن من بني مبنه ابن بكر يرجعون لهوازن وكثير من قومه كانوا ولاية بالعراق والشام واليمن ومكة لعصبيتهم وطاعتهم لحكام بني امية^(٣).

لأنه يجد في ابناء عصبيته وانصاره ما يكفيه فمسألة تعيين الولاة على الاقاليم والولايات في دولة العصبية هي ملك عام للحاكم وقبيلته او حزبه ويتم تعيين الولاة من داخل دائرة القبيلة او

(١) خضير، السياسة الادارية في فكر الامام علي (عليه السلام) ، ص ٥٩ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٢٠٩/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٩/٢ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

الحزب الحاكم لا غير " ان كل دولة لها حصة من الممالك والعمالات لا تزيد عليها ... ذلك بتوزيع عصابة الدولة على حماية اقطارها وجهاتها "(١) لأنه يؤمن ان "قوة وسعة الدولة وطول امدها الى نسبة القائمين بها في القلة والكثرة "(٢) وقوله : "الملك انما يكون بالعصبية واهل العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة واقطارها"(٣) .

٣. ان يكون "ابلق في عواقب الامور نظراً" اي ان يتصف بالخبرة وبعد النظر والفراسة والحدس في وضع المناهج الهادفة للنجاح كوضع الخطط الاستراتيجية والمرحلية واعتماد القرارات الصائبة التي تتطوي على حصافه الرأي وسداده وخصوصاً في واقع الظروف الطارئة التي تستدعي التشخيص و الدقيق و التروي عند اتخاذ القرارات الصائبة ازاء القرارات غير المحتسبة(٤) الا ان هيكلية بناء النظام الاداري لدولة العصبية لا تعتمد الكفاءة والنوعية اذ تخضع قضية تعيين الولاة الى المنسوية حسب الروابط الشخصية القبلية وليس حسب ضوابط القدرة والكفاءة العلمية. فأقرباء الحاكم وذووه من ابناؤه واخوته هم لهم النصيب الاوفر في هذه المناصب الادارية لانهم يعدون الدولة هي ملك لهم ولأسرهم فيقتسمون الاقاليم فيما بينهم و تصبح ادارة الولايات لأبناء العصبية الحاكمة وحزبهم حصراً .

وكذلك يُرشح لهذه المناصب اصحاب الولاء المطلق لسياسة الحاكم والدولة من دون اي اعتراض حتى يكون اداة طيعة في يد الحاكم لتطبيق سياسته وادارته من دون اعتراض او رفض وذلك لان من اهداف النظام الاداري هو ضرورة انقياد الشعب وقبوله بإدارة وسياسة الدولة كيفما تكون وفي هذا قال ابن خلدون : " والى سياستهم - اي الرعية - بما يريد منهم من الانقياد له- اي الحاكم - والرضا بمقاصده وانفراده بالمجد دونهم" (٥) وقد ولى الحكام الثلاثة الاوائل الولاة من قریش عصبية حاكم الدولة وقبيلته على الولايات الجديدة المفتوحة فمنهم يزيد بن ابي سفيان على الشام(٦) وسعد بن ابي وقاص على الاردن(٧) .

اما بنو امية فانهم ركزوا كذلك السلطان وحكم الولايات بيد بني امية وحلفائهم السياسيين ممن قدموا الولاء السياسي لهم وقد اعتمدوا تطبيق مبدأ اللامركزية في الحكم الاداري وقد حرص بنو امية على ان يسندوا منصب الوالي على ثلاث فئات هم ابناء البيت الاموي وابناء القبائل العربية التي

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٢٨/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٢٩/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٢٩/١ .

(٤) خضير ، السياسة الادارية في فكر الامام علي (عليه السلام) ، ص ٦٠ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٤/١ .

(٦) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٢٠٠ .

(٧) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٢٠٠ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

قدمت فروض الطاعة السياسية فتولى اقليم العراق زياد بن ابيه ^(١) (٤٥-٥٣ هـ / ٦٦٥-٦٧٢ م) ^(٢) فكان واحداً من البيت الاموي وابنه عبيد الله (٥٥-٦٤ هـ / ٦٧٤-٦٨٣ م)، وبشر بن مروان (٦٧٤-٥٧ هـ / ٦٩٣-٦٩٤ م) ^(٣).

وكذلك بنو العباس فانهم قسموا الولايات على البيت العباسي فتولى عبدالله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الملقب بالمنصور الجزيرة للفترة من (١٣٢-١٣٦ هـ / ٧٤٩-٧٧٤ م) ^(٤). وقد يقف هذا المنصب في دولة القوة والعصبية للمتفوق مادياً طمعاً بأمواله من اجل مصادرتها فيما بعد لصالح السلطة الحاكمة بتهمة ما تلفق ضد الوالي المنصب " ذلك ان الحضري اذ اعظم لتموله وكثر للعقار والضياع تأتله واصبح اغنى اهل مصر ورمقته العيون بذلك وانفسحت احواله في الترف والعوائد زاحم عليها الامراء والمملوك وغصوا به ولما في طباع البشير من العدوان تمتد اعينهم الى تملك في يده وبنافسونه فيه ويتحيلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلوه في ربعة حكم سلطاني وسبب من المؤاخذة ظاهر ينزع به ماله او اكثر الاحكام السلطانية جائرة في الغالب" ^(٥) وقد يقف لقدرة على ادارة الازمات لقوته المادية والعسكرية كما حدث ان ولى الحاكم العباسي الراضي (٣٢١-٣٢٩ هـ) ولاية بغداد لابن رائق بمنصب (امير الامراء ٣٢٤-٣٤٤ هـ / ٩٣٦-٩٤٦ م) ^(٦)، وجمع له كل من الدواوين والوزارة من اجل ان ينقذ العاصمة بغداد من الانهيار السياسي السياسي ويحافظ على بقاء الحاكم في منصبه ^(٧).

إلا أن هذه الآلية في التعيين لم تكن تضمن الولاء المطلق للدولة بل كانت اي حالة ضعف تمر بها الدولة تؤدي الى استقلال هؤلاء الولاة بولاياتهم وتأسيس دولة منشقة عن جسد الدولة وذلك لعدم قناعتهم بنظام حكم الدولة لان اهوائهم ومصالحهم لم تكن واحدة لذا يتحينون الفرص في

(١) زياد بن ابيه : من أهالي الطائف ، وكان عاملاً للإمام علي (عليه السلام) على البصرة من واليه عبد الله بن عباس ، ثم ولاه علي (عليه السلام) على فارس ، وأراد معاوية بن أبي سفيان استمالته أكثر من مرة لكنه لم يستطع في زمن الإمام علي (عليه السلام) ، لكن بعد استشهاد الإمام (عليه السلام) استماله معاوية بانتسابه إليه فألحقه بأبيه ابي سفيان بن حرب في سنة ٤٤ هـ، ينظر :ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٧ / ٩٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٦ / ٣٥٦ .

(٢) الثقيفي ، ابراهيم بن محمد ، الغارات ، ٢ / ٩٢٤-٩٢٥ .

(٣) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٢٠٠ .

(٤) ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، ٣١ / ٣٢ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ١ / ٢٩٠ .

(٦) هو نظام منصب جديد ظهر بمؤسسات الدولة العباسية ، نتيجة اوضاع الضعف الاقتصادية التي تمر بها الدولة والتي جعلت حكام بني العباس عاجزين عن سد العجز في خزينة الدولة وسد نفقات الدولة من مرتبات الجند وغيرها ففوضت الخلافة المهام والاختصاصات المدنية والعسكرية الى شخص مقتدر يتعهد بدفع نفقات الدولة فاستحدثت هذا المنصب في عهد الحاكم العباسي أبو العباس أحمد بن المقتدر الملقب (الراضي بالله) (٣٢٢-٣٢٩ هـ / ٩٣٤-٩٤٠ م) (ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٢٢-٣٢٣ ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ٢ / ٢١٢ ؛ حسن ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، ص ٥٨-٥٩ .

(٧) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٣٢٢-٣٢٣ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

الانشقاق وتكوين دول مستقلة ويخرج عن طاعة الدولة العامة والى هذا يشير ابن خلدون في "ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة والسبب في ذلك اختلاف الاراء والاهواء ... في نفسها منعة وقوة"^(١) وهذا يضعف الدولة وينحدر بها الى الانهيار ، وقد كان قسماً من هؤلاء قد استقلوا عن الدولة وبعضهم ظلوا تابعين أسمى فقط ، ومنها الدولة الطاهرية والحضرية والدولة السامانية.

٤. ان يتصف بالأمانة والثقة : ان يشعر الولاة بان الحكم أمانة لديهم وتكليف الهي لهم ، وليس منحة او ملكا شخصيا لهم وقد بين ذلك (عليه السلام) في كثير من رسائله ومنها لعامله الأشعث بن قيس على أذربيجان موضحا له: " ان عمك ليس لك بطعمة ولكنه أمانة في عنقك وانه مسترع لمن فوقك"^(٢) فالتزام الامانة من قبل الوالي او العامل فانه يحفظ الحقوق ويحول دون هضمها عن طريق الفساد الاداري بسبب انعدام الامانة وضعف الشعور بالمسؤولية ، فالأمانة امر متطلب مع الخبرة حتى يزيد من نشاط العمل الاداري و كفاءته . اما ابن خلدون فهو يرى بأن الثقة والامانة امر ثانوي ويفضل ان يكون الاداري صاحب خبرة لانها عامل مهم في الادارة فيقول أن : "السلطان لا يد له من اتخاذ الخدمة في سائر ابواب الامارة والملك الذي بسبيله من الجندي والشرطي والكاتب ، ويستكفي في كل باب بمن يعلم غناؤه فيه ويتكفل بأرزاقهم من بيت ماله"^(٣) ميز ابن خلدون بين أربعة أنواع من المرشحين لخدمة الحاكم وهم :

أولاً : المضطلع الموثوق : يشير به الى الموظف صاحب الجاه الذي يتمتع بالأخلاق الفاضلة والكفاءة الكبيرة

ثانياً : غير الموثوق وغير المضطلع : فيقصد به ابن خلدون الموظف الذي يفتقر الى الجاه والكفاءة والاخلاق .

ثالثاً : الموثوق غير المضطلع : يتصف الموظف بالخلق الرفيع ولكن ليس لديه الخبرة والدراية بمتطلبات خدمة الدولة

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١/١٣٠ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٣٦٦ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١/٣٠٣ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

رابعاً : المصطلح غير الموثوق: ^(١) يتسم بالكفاءة في شؤون العمل ولكن من دون أن يهتم بأخلاقيات العمل.

أوصى ابن خلدون بعدم توظيف الانواع الثلاثة الاولى و اشار بتوظيف الصنف الرابع ،وبرر عدم جدوى توظيف " المصطلح الموثوق " وذلك لان الكفاءة والجاه والمكانة والاخلاق الرفيعة تحد من قدرته على اداء العمل بسبب أن تلك السمات تجعل منه "غني عن أهل الرتب" و " محتقر لمنال الاجر من الخدمة " بعبارة أخرى ، تقود الكفاءة والثقة والجاه الى الاستقلالية المفرطة في العمل مما يعني " ذهاب الامال "^(٢) أي عدم وجود الدوافع المحفزة لدى الموظف لاتباع نظام الدولة . ويغلب على هذا النوع من الموظفين الاهتمام بقضايا الحكم وشؤونه نظرا لما لديهم من طموحات سياسية بسبب ما لديهم من كفاءة وجاه وقد المح الى ذلك ابن خلدون عندما ذكر أن هذا الصنف من الموظفين : " لا يستعمله الا الامراء أهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه"^(٣) تلجأ السلطة السياسية الى توظيفهم لقاء ما يقدمونه للدولة من جاه يسهم في بسط سلطتها على المجموعات التي ينتمي اليها أولئك الموظفين . في مقابل ذلك قد يؤدي توظيفهم من قبل السلطة السياسية الضعيفة الى استغلال ما لديهم من جاه ونفوذ لخدمة مصالحهم الشخصية.

وكشف ابن خلدون ايضاً ان غير المصطلح وغير الموثوق : " لا ينبغي لعاقل استعماله " بسبب تضييعه وعدم كفاءته وخياناته المالية^(٤)، ويتجلى في تصرفات هذا النوع من الموظفين الفساد التنظيمي في انقى صورة بسبب افتقارهم للكفاءة وحسن الخلق . أما فيما يتعلق بالصنفين الباقيين أي الموثوق غير المصطلح والمصطلح وغير الموثوق فيرى ابن خلدون وتوظيف الثاني دون من الاول على الرغم من إقراره بأن "للناس في الترحيح بينهما مذهبان ولكل من الترحيحين وجه "^(٥) برر ابن خلدون تفصيل المصطلح غير الموثوق على الموثوق غير المصطلح قائلاً ان الاول " يؤمن من تضييعه " ويمكن " التحرز من خيانتته " بقدر الامكان بينما ضرر المضيع ولو كان مأمون الجانب أكبر من نفعه . أي أن عدم الكفاءة في العمل الاداري تؤدي حسب رأيه الى ضرر أكبر من الضرر

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٣/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٣/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٣/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٣/١ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٣/١ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

الذي يحدث بسبب تدني المستوى الاخلاقي للموظف . تبرز تقسيمات ابن خلدون السابقة ما يأتي :-

أولاً: تعد الكفاءة في العمل المعيار الرئيس لتعيين الموظفين حيث ان ذلك يحد من فسادهم اي ما أسماه ابن خلدون بـ"التضييع" .

ثانياً : تؤدي الثقة بجميع الموظفين الى انتشار الفساد وهي تدل على عجز في القيادة . يرى ابن خلدون أن " الثقة بكل أحد عجز "(١) لذا يجب أخذ التحذر والحيطه خاصة ممن لا يؤمن جانبه.

ثالثاً: يسهم توظيف ذوي الجاه أي الاشخاص الذين يتمتعون بنفوذ اجتماعي كبير الى زيادة الفساد بسبب أنفنتهم من خدمة الدولة واهتمامهم بمصالحهم الشخصية .

رابعاً : يفوق ضرر الفساد الذي ينتج بسبب عدم كفاءة الموظف ضرر الفساد الذي يحدث بسبب ضعف أخلاقياته . لا يعني ذلك أن ابن خلدون يولي أهمية متدنية للجانب الاخلاقي في الحد من الفساد ولكنه يرى أن بإمكان المسؤول أخذ الحيطه والحذر منهم وهي رؤية يصعب الأخذ بها لصعوبة مراقبة الموظفين ذوي الأخلاق السيئة كما يسهل على الموظفين ذوي الاخلاق الرفيعة الذين ليس لديهم الكفاءة اللازمة الحصول عليها مع مرور الوقت وقد ألمح ابن خلدون الى منطقيه هذا الرأي بقوله أن هناك وجهتي نظر حول هذا الموضوع.

و لأجل الحفاظ على استمرارية سياسة يرى ابن خلدون ضرورة ابعاد الازكياء من التحكم بالرعية وتسليم الحكم الى الوالي الذي يسميه ابن خلدون (الغفل او المتغفل) فهو يكون ارفق من الفطن شديد الذكاء من الرفق بالرعية بقوله " واعلم انه قلما تكون ملكة الرفق فيمن يكون يقظاً شديد الذكاء من الناس وأكثر ما يوجد الرفق في الغفل والمتغفل وأقل ما يكون في اليقظ لأنه يكلف الرعية فوق طاقتهم لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم واطلاعه على عواقب الأمور في مبادئها بالمعية فيهلكون "(٢) حذر ابن خلدون من سياسة الازكياء ؛ لأنه يعتقد انها مرهقة للرعية ، وربما تحذيره يرد هنا لانعدام اخلاق الذكي فلو كان الوالي الذكي الفطن ذو اخلاق تتسق عمله وتحده عن انتهاك الرعية بخطئه غير الاستيعابية من قبل الشعب وايضاً الاخلاق تهذب سلوكه وتحدد منهجه السياسي، ويعزز ابن خلدون رأيه مستنداً في ذلك على حديث لرسول محمد (ﷺ) نصه "سيروا على سيرا

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٣/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٤٩/١ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

ضعفكم" (١) اي انه الوالي ان يراعي القوي والضعيف في سياسته وان يداري بها الاضعف من الرعية ولا يضر بمصالحه.

ومن باب اخر قد يكون تحذير ابن خلدون من الحاكم الذكي هو انه لا يعتزازه بذكائه ينفرد باتخاذ القرارات فلا يسمع لصوت غيره ، وقد تكون قراراته مرهقه ومهلكة لأنه يحمل الرعية فوق طاقتها .

ولكن نجد ابن خلدون يرفض الوالي او الحاكم الذكي رفضاً قاطعاً ولا يرحب به في الحكم وادارة البلاد، الا انه الذكي اذا كان ذو اخلاق او انه تتم ادارته من خلال تنفيذه لمقررات برنامج دستوري يستفاد من ذكائه ويحد من طغيانه ويوجه ذكائه نحو الاستفادة للرعية ، ويبدو ان ابن خلدون لم يلتفت او يرجح هذه الرؤية لأنه يفسر السياسة العمرانية من ناحية الواقع الفعلي ولا يجتهد في ايجاد الحلول البديلة احياناً ، او ان حكومة دولة العصبية تعتمد القرابة والمحسوبية في تولية ولايتها ولا يهتمها خُلقتة او أخلاقه ، وربما تجنب ابن خلدون قول ما اوردناه هو لعلم ابن خلدون ان حكومة دولة القوة العصبية تفتقد الى دستوراً منظم يُحتكم اليه في رسم السياسة الاستراتيجية للبلاد ، لذا تجنب الولاة الانكباء منذ البدء يكون افضل للرعية.

ورأى ابن خلدون ان الوسطية هي الانجح في السياسة فلا افراط في حدة الذكاء ، ولا افراط في جمود التعامل للحاكم لانعدام الرحمة والانسانية فيهما بل يدعو الى الوسطية وعدم التطرف بقوله: "وتقرر من هذا ان الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة ، لأنه افراط في الفكر كما ان البلادة إفراط في الجمود والطرفان مذمومان من كل صفة إنسانية والمحمود هو التوسط كما في الكرم مع التبذير والبخل وكما في الشجاعة مع الهوج والجبين وغير ذلك من الصفات الانسانية ولهذا يوصف الشديد الكيس بصفات الشيطان فيقال شيطان ومتشيطان وأمثال ذلك والله يخلق ما يشاء وهو العليم القدير" (٢).

ونلاحظ الاختلاف في فهم فلسفة الوسطية عند الامام علي وابن خلدون الذي يراها في قلة ذكاء الولاة والاداريين والتي تؤثر بالتالي على تلكا العمل وتأخره .في حين شجع الامام فطنة وذكاء الولاة

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٤٩/١-١٥٠ .

(٢) ابن خلدون ، العبر . ١٤٩/١-١٥٠ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

لأنها من الصفات الادارية الجيدة كما لاحظنا ، وفي نفس الوقت دعى الى عدم التطرف بالادارة وان يكون في مستوى المبدأ الاسلامي والخلق الانساني .

٢. الوزارة

الوزير في اللغة اشتقاقه من الوَزَرَ ، والوَزْرُ الجبلُ الذي يعتصم به لِيُنْجَى من الهلاك^(١) ، وكذلك وَزِيرُ الخليفة معناه الذي يعتمد على رأيه في أموره ويلتجئ إليه ، وقيل : قيل لوزير السلطان وَزِيرٌ لأنه يَزُرُّ عن السلطان أثقال ما أسند إليه من تدبير المملكة أي يحمل ذلك . والوزارة احدى مؤسسات الدولة والوزير في فكر الامام علي(عليه السلام) لم تكن اشارة الامام اليه كمؤسسة لها ضوابطها وانما كان يشير الى مستشارين بكلمة الوزير وحدد الامام جملة صلاحياتهم بقوله : " وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ ، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ ، وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ ، وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّهَ بِالْجَوْرِ ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ عَرَائِزُ شَتَّى ، يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيْرًا ، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْإِثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً ، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَنْمَةِ وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ ، مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوَنْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ ، أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَثْوًى وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً ، وَأَحْسَنُ عَلَيْكَ عَطْفًا وَأَقْلُّ لِعَيْرِكَ إِفْأًا ، فَاتَّخِذْ أَوْلِيَاكَ خَاصَّةً لِخَلْوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمِرِّ الْحَقِّ لَكَ ، وَأَقْلَهُمْ مُسَاعِدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ " (٢) ، ويستدل من النص جملة من صلاحياتهم :

١. المشاركة العادلة مع القيادة العليا او مع ولاية المناطق في ادارة الدولة

٢. تقديم الاستشارة المخلصة لصالح المجتمع والدولة

٣. الاطلاع على اسرار الدولة وصيانتها

٤. مراقبة قرارات القيادة العليا في الدولة ونقدها وتعديلها

ووردت لفظة الوزير في مواضع عدة ومواقف من حياة الامام وكانت حصر صلاحيتها بالاستشارة من ذلك قوله للناس لما ارادوا مبايعته على الحكم بعد مقتل عثمان: "أنا لكم وزير خير لكم مني امير"^(٣) اي معاوناً ومستشاراً لكم بالأراء التي تصلح لكم امر الدين والدنيا. وقد نصب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الامام علي (عليه السلام) للنيابة العامة بمنصب الوزير بقوله (عليه السلام) للإمام علي (عليه السلام):

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٨٣ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٤٣٠ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٢٣٠ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

أنك تسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ، ولكنك لوزير" (١) ، وحدد الامام (عليه السلام) شروطاً عدة تتوفر في الوزير في عهده لمالك الاشتهر: "إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِأَشْرَارِ قَبْلِكَ وَزَيْرًا ، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْإِثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً ، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ ، مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَقَادِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ ، أَوْلَيْكَ أَخْفُ عَلَيْكَ مَثُونَةٌ وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةٌ ، وَأَحْسَى عَلَيْكَ عَطْفًا وَأَقْلُ لِعَيْرِكَ إِنْفَاءً ، فَاتَّخِذْ أَوْلِيكَ خَاصَّةً لِخَلْوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ ، ثُمَّ لِيَكُنْ أَثْرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمَرِّ الْحَقِّ لَكَ ، وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَأَقِعَا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ وَالصَّقَ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ ، وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ" (٢) ويمكن تشخيص صفاتهم من النص بما يأتي:-

١. ان لا يكون عوناً للحكومات الظالمة السابقة: "لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا اثماً على إثمه" (٣) اما ابن خلدون فانه اكد ايضا على خبرة المرشح للوزارة ان يكونوا من اصحاب الخبرة وممن عمل في هذا المنصب اي تتم تعيين أهل "لاصطناع القديم للدولة" (٤) لكنه لم يشترط عدم ظلمه بشكل واضح.

٢. ان يكون من اهل الورع والصدق "والصق باهل الورع والصدق" (٥) وهنا يشترط الامام الدين والاخلاق معيارا اخر لاختياره. الا ان في دولة القوة والشوكة يفضل عادة بان تكون الاستعانة بمن هم من الاقارب واهل بيت الحاكم او من هم على شاكلته: "الاستعانة اذا كانت بأولى القربى من اهل النسب و التربية" (٦) والملاحظ انه لم يشترط الدين والنزاهة الخلقية.

ثم يحدد اطار استشارة الوزير بان يكون الوزراء المقربون له ممن يأمرونه ويشيرون عليه بالحق وممن ينفرونه مما كره الله: "ثم ليكن اثرهم عندك اقولهم بمر الحق لك واقلمهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع" (٧) ويرى الامام ان افضل الوزراء هم الذين الذين لا يزينون الباطل والظلم للوالي ولا يمدحونه لظلم الرعية: "ثم رضهم على ان لا يطروك ولا يجحدك بباطل تفعله ، فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة" (٨) وقد حرص الامير على

(١) نهج البلاغة ، ص ٣٠١ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٤٣٠ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٣٤٠ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١/ ١٨٤ .

(٥) نهج البلاغة ، ص ٤٣٠ .

(٦) ابن خلدون ، العبر ، ١/ ١٨٤ .

(٧) نهج البلاغة ، ص ٤٣٠ .

(٨) نهج البلاغة ، ص ٤٣٠ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

تحديد صلاحيات الوزير من دون اتخاذ القرارات المصيرية حتى لا يؤثر ذلك في مركزية اتخاذ القرار او استبداد الوزير فيما يُعطى من صلاحيات ، وهذ ما تلمسناه من خطورة تأثير اعطاء الصلاحيات الواسعة للوزير التي انتهت الى الاستبداد بالقرارات والحكم و الحجر على الحاكم.

بحسب الترتيب الذي وضعه ابن خلدون للوظائف السلطانية فان الوزارة تقع ضمن القسم الثاني من الوظائف الادارية الرئيسية او العامة للدولة ويعد وجود هذه الوظيفة نتيجة التغيير الذي طرأ على الدولة وهيكلتها وهي الارتفاع شأناً بعد مرتبة الخلافة والملك ، لان اسمها يدل على مطلق الاعانة فان الوزارة مأخوذة من المؤازرة وهي المعاونة ، او من الوزر وهو الثقل كأنه يحمل مع مفاعله اوزاره واثقاله وهو راجع الى المعاونة المطلقة^(١).

ويرى ابن خلدون ضرورة استعانة السلطان بالوزير لتقل مسؤولياته وسعتها: "إعلم أن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمراً ثقيلاً فلا بد له من الاستعانة بأبناء جنسه وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنة فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه الله من خلقه وعباده وهو محتاج إلى حماية الكافة من عدوهم بالمدافعة عنهم وإلى كف عدوان بعضهم على بعض في أنفسهم بإمضاء الأحكام الوازنة فيهم و كف عدوان عليهم في أموالهم بإصلاح سابلتهم وإلى حملهم على مصالحهم و ما تعممهم به البلوى في معاشهم و معاملاتهم من تفقد المعايش و المكاييل و الموازين حذراً من التطفيف و إلى النظر في السكة بحفظ النقود التي يتعاملون بها من الغش و إلى سياستهم بما يريده منهم من الانقياد له و الرضى بمقاصده منهم و انفراده بالمجد"^(٢) ويعلل ابن خلدون سبب اختيار هذه المواصفات لانهم يكونوا على شاكلة اخلاق الحكام فيتم التوافق والاستعانة بهم من دون خلاف بقول ابن خلدون: "كانت أكمل لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقهم فنتم المشاكلة في الاستعانة قال تعالى: "واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزرى وأشركه في أمري"^(٣) وهو هنا يشبههم بوزارة النبي هارون (عليه السلام) للنبي موسى (عليه السلام) مع فارق الصفات فهارون (عليه السلام) كان على مقام من التقوى ومخافة الله سبحانه.

ووضح ابن خلدون ان على الوزير ان يكون على شاكلة الملك وأخلاقه لتجانس اعمالهم وحتى لا يقع الخلاف بينهما وان يقبل الوزير تصرفات السلطان وقراراته على علاتها من دون نصح او نقد . ويفهم عليه ولا يعترضه وهو يحتج بقوله تعالى في سؤال النبي موسى لله تعالى : "وزيراً من

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٥/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٨٥/١ .

(٣) سورة طه ، آية ٣١-٣٢ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

اهلي" لذا ضرورة ان يكون وزيره من اهل نسبه الا ان الامر هنا يختلف لان اعتماد السلطان بعصبيته واهله للحفاظ على ملكه، لا حب في الله ومن اجل رعيته كما هو وارد.

٣. الكتابة

والكتاب في نظر الإمام هم أركان الجهاز الإداري للدولة، وعليهم تتوزع بقية السلطات ويعدون رأس العنقود فيما يخص الإدارة، وهم الأيدي المتحركة للحاكم في إدارة البلاد، ويمثلون أعمدة السلطة والحاشية الأولى^(١).

عدّ الإمام (عليه السلام) الكتاب ضمن المؤسسات التي تنظم أمور الدولة فلذلك أوصى أن يكون الكاتب ذا صفات تؤهله لذلك وقد ضمنها في قوله: "ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم ، ... ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك استنامتك وحسن الظن منك، فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء، ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثرا ، وأعرفهم بالأمانة وجهها، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره ..."^(٢) فحدد الامام معايير اختيار الكتاب بما يأتي :

١. من ناحية السلوك الاخلاقي أن يعمد لأحسنهم وأفضلهم ومن له سيرة حسنة مع العامة من الناس، فأمر (عليه السلام) أن يتخير الصالح منهم، ومن يوثق على الإطلاع على الأسرار والمكايد والحيل و التدبيرات^(٣) لانه سيكتب اسرار شؤون الدولة. وكذلك اكد ابن خلدون على السلوك والاخلاق الحسنة التي يجب ان يتصف بها الكاتب في موضعا من مقدمته بما ينقله عن عبد الحميد الكاتب قوله: " فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره الى ان يكون حليما في موضع الحلم فقيهاً في موضع اللين وشديداً في موضع الشدة مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف كتوماً لأسراره وفيأ عند الشدائد عالماً بما يأتي ويذر ويضع الامور في مواضعها..."^(٤) الا ان ابن خلدون في موضع اخر من المقدمة يناقض هذا الرأي ويرى ان الوثاقاة في امثال هكذا وظيفة ليس مهمة ويكفي بذلك الخبرة العلمية

(١) نعمة دهش فرحان، نهج البلاغة في ضوء علم اللغة الاجتماعي ، أطروحة دكتوراه غير منشوره، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٩٢.

(٢) نهج البلاغة ، ص٤٣٧.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ٥٦/١٧.

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٢٨١/١ ، ينظر : رسالة عبد الحميد الكاتب في صفات الكاتب في ملحق رقم ٢.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

٢. ومن لا يبطره الإكرام والتقريب، فيطمع فيجتري على مخالفته في ملأ من الناس والرد عليه، ففي ذلك من الوهن للأمر وسوء الأدب الذي انكشف الكاتب عنه مالا خفاء به^(١). وهذا الأمر كان شائعاً في دولة العصبية من رواج إكرام الكتاب ثم تبطرهم على أمرائهم وتحكمهم بأمر الدولة. وهذا مما نبه عليه الإمام علي (عليه السلام) وحذر منه.

٣. وإن لا يكون غافلاً حتى لا يكون مقصراً عن إيراد الرسائل التي ترد إليه من المكاتبات التي تصدر من العمال أو الولاة الآخرين.

٤. الخبرة والثقافة العلمية حرص الإمام (عليه السلام) أن لا يكون الاختيار بحسن الظن والفراسة كون بعض الرجال يتقربون من الحكام، ويتصنعون أمامهم ويخدموهم لأجل أن يرتقي إلى المناصب العليا في الدولة^(٢) بل عليه تقديم ذوي الخبرة والكفاءة.

وأشار ابن خلدون أيضاً إلى ضرورة توفر الثقافة العلمية والمعرفية التي ينبغي أن يستحصلها الكاتب: "... فنافسوا - معشر الكتاب - في صنوف العلم والأدب وتفقهوا في الدين وايدوا بعلم كتاب الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والفرائض ثم العربية فأنها ثقافة السنتكم واجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم واحاديثها وسيرها فإن ذلك معين لكم على ما تسون إليه بهممكم ولا يضعفن نظركم في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج منكم..."^(٣)

فيما حث الإمام (عليه السلام) على نقطة مهمة في أداء وظيفة الكاتب وهي "الوكالة في حال غياب الوالي أو الحاكم" وذلك في حال لم يكن الوالي موجوداً فإن إجابة الكاتب في الموارد التي تتطلب منه الجواب فإنه يجب أن يجيب وكأنه موجوداً^(٤) وإصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطي منك، ولا يضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك^(٥) ثم يقول (عليه السلام) بأمر في غاية الأهمية حيث إن الكاتب يجب عليه أن لا يتجاهل قدره، ويتجاوز حدوده، وأنه إذا لم يكن كذلك لم يعرف قدر الآخرين وذلك: "ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل"^(٦) ثم أمره أن يقسم فنون الكتابة وضروبها بينهم على نحو أن يكون أحدهم للرسائل إلى الأطراف، والأعداء، والآخر لأجوبة عمال السواد، والآخر بحضرة الأمير خاصته وداره، وحاشيته، وثقاته.

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٦/١٧.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٨/١٧.

(٣) ابن خلدون، العبر، ٢٨٢/١.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٦/١٧.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٦/١٧.

(٦) نهج البلاغة، ص ٤٣٧.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

وبينه الإمام (عليه السلام) بأن يتنبه الكتاب الى ما غفل عنه أو صدر منه خطأ، ثم قال (عليه السلام): "صدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطي منك . ولا يضعف عقدا اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل"^(١) أي وليكن كاتبك غير مقصر عن عرض مكتوبات عمالك عليك والإجابة عنها حسن الوكالة والنيابة عنك فيما يحتج به لك عليهم من مكتوباتهم، وما يصدره عنك إليهم من الأجوبة، فإن عقد لك عقداً أقواه وأحكمه وإن عقد عليك عقداً اجتهد في نقضه وحله ، قال: وإن يكون عارفاً بنفسه فمن لم يعرف قدر نفسه لا يعرف قدر غيره^(٢) .

اما ابن خلدون فانه يرى وجود الكتابة لكثرة الاعمال الادارية على الوزير اذ لا يستطيع القيام بها رجل واحد لذلك اصبح من الضروري تعيين موظفين يعاونون الوزير للإشراف على الدواوين فينقل ابن خلدون عن الكاتب عبد الحميد قوله: "... بكم ينتظم الملك وتستقيم للملوك امورهم وبتدبيركم وسياستكم يصلح الله سلطانهم ويجتمع فيهم وتعمر بلادهم يحتاج اليكم الملك في عظم ملكه والوالي في القدر السني والدني من ولايته لا يستغني عنكم منهم احد"^(٣).

ومما لاشك فيه أن تدوين السجلات وتحضير الرسائل والمخاطبات تحتاج الى موظفين ذوي كفاية وكتاب مهرة لذلك أنشأت الدولة . منذ الصدر الاول ديواناً لهذا الغرض أطلق عليه ؛(ديوان الرسائل والكتابة) وقد أكد ابن خلدون حاجة الدولة الى الكتابة من اجل التنظيم الاداري فصنف الوظائف العامة الضرورية لنظام الدولة الى اربعة أصناف من بينها (الكتابة) التي " تكون في امور مخاطباته لمن بعد عنه (اي بعد عن الحاكم) في المكان أو في الزمان وتنفيذه الاوامر فيمن هو محجوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب "^(٤) .

والظاهر ان اهمية الكتابة في النظام الاداري هي التي دفعت ابن خلدون للاستشهاد برسالة (عبد الحميد الكاتب) الموجهة الى (الكاتب) والتي مدى اهمية (الكاتب) وكان صاحب الدولة يختارهم ممن يأمنه من اهله وقبيلته يقول ابن خلدون "اعلم ان صاحب هذه الخطة لابد من ان يتخير ارفع طبقات الناس واهل المرؤة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة"^(٥)، وبعبارة اخرى ان ابن خلدون أظهر الكتاب بوصفهم طبقة (شريحة) متميزة في اختصاصاتها وكفاياتها لحاجة الدولة .

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣٧/١٧ .

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٨/١٧ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٢٧٨/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٢٧٠/١ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ٢٨٠/١ .

المبحث الثاني: هيكلية النظام الاقتصادي واثره في استراتيجية بناء الدولة

للاقتصاد اهمية كبيرة واثره الواضح في بناء الدولة وان الدارس للتاريخ يجد ان الاقتصاد والسياسة يكمل احدهما الاخر ، ويؤثر احدهما في الاخر الى حد كبير وان اي خلل او ضعف في نشاط احدهما واستقراره يؤثر في نشاط الاخر واستقراره ايضاً. فكان للعامل الاقتصادي دور مباشر او غير مباشر في اسقاط العديد من الحكومات على مر التاريخ فشكل الاعتداء على حقوق المسلمين الاقتصادية في حكومة عثمان بن عفان سبباً كافياً لقيام الثورة ضده من قبل اهالي الامصار ومحاصرة مقر العاصمة وبالتالي قتله وانهاء حكومته والمبايعة للحاكم الجديد المتمثل بالامام علي (عليه السلام) فكان الامام من اوائل الذين تنبهوا لآثر الاقتصاد في استراتيجية بناء الدولة واهميته في النشاط والتطور السياسي والاجتماعي والتاريخي للدول.

الاقتصاد لغة: " هو القصد في الشيء أي خلاف الإفراط وهو أيضا ما بين الإسراف والتقتير، أما القصد في المعيشة وهو عدم الإسراف والتقتير ، والقصد في الأمور هو المعتدل الذي لا يميل إلى أحد في التفريط والإفراط " (١)

ومن استقراء نصوص نهج البلاغة نجد أن الإمام علياً (عليه السلام) قد تناول الجوانب الاقتصادية في مواقف كثيرة وبصورة مباشرة فأوصى بها زياد بن أبيه خليفة عامله على البصرة عبد الله بن

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ٩ / ١٤٨

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

العباس في إحدى رسائله قائلاً: "فَدَعَ الإسْرَافَ مُقْتَصِداً ..."^(١) وهو أيضاً التوسط والاعتدال وعدم الإسراف حسب اتفاق أكثر شارحو النهج^(٢).

وأما معنى الإسراف، فالسرف في اللغة هو مجاوزة القصد^(٣)، ويقال: تجاوز الحد في كل ما يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر^(٤) والإسراف والتبذير فهو ما أنفق في غير طاعة الله تعالى وهو رذيلة الإفراط^(٥).

ومادام الإمام (عليه السلام) قد ذكر الإسراف وذكر الاقتصاد معاً فكأنه ذكر رذيلة وفضيلة فالأمر بترك الإسراف مستلزم للأمر بالفضيلة وهي الاقتصاد لأن الأمر بالشيء على حالة أمر بتلك الحالة أيضاً وهو أن يمسك من المال على سبيل المثال بقدر ضرورته وهو تفسير للاقتصاد في تناول الدنيا وحفظها^(٦).

أولاً: معايير الانفاق الحكومي

وهي مجموعة الإجراءات التي تحكم سياسة الانفاق والتي تقوم بها الدولة لتحقيق العدالة الإسلامية في المجتمع ولتوفير السيولة المطلوبة بما يحقق الاستقرار الاقتصادي الذي ينعكس على قوة الدولة وتطورها وتتجلى هذه السياسة في المعايير التالية:

المعيار الأول :- اعتماد استراتيجية مبدأ التساوي في نفقة العطاء .

العطاء هو أحد نفقات بيت المال وله أهمية كبيرة في الحياة الاقتصادية ومعيشة الناس، وهي الأموال التي تمنح للمستحقين والمشمولين بالعطاء في طليعتهم الجند المقاتلون وأهلهم مقابل تفرغهم للقتال فضلاً عن الفئات الأخرى المستحقة، فيشمل العطاء بعض الفئات الاجتماعية من ذوي الحاجة الذين لا يملكون مصدراً للعيش والإعالة أو القدرة على العمل كالأيتام والأرامل ومن لا حيلة لهم من الفقراء، والعجزة من المسنين والى غير ذلك^(٧).

(١) نهج البلاغة، ص ٤٧٨ .

(٢) قطب الدين الراوندي، منهاج البراعة، ٥١/٣؛ ينظر، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣٩/١٥؛ الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤٦/٣؛ مغنیه، في ظلال نهج البلاغة، ٤٣٥/٣، الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١٩٣/٤، ١٩٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١٤٨/٩ - ١٤٩.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ١٤٨/٩ - ١٤٩.

(٥) قطب الدين الراوندي، منهاج البراعة، ٥١/٣؛ ينظر، البحراني، شرح الكبير، ٤/٤٠٠، الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤٦٧/٣، أنصاريان، شرح نهج البلاغة، ٥٧/٣.

(٦) البحراني، شرح الكبير، ٤/٤٠١.

(٧) علاء العيسوي، النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي (عليه السلام)، ص ٣٠٠ - ٣٠٤.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

وقد أعلن الامام علي (عليه السلام) عن برنامجه الاقتصادي في اليوم الاول من توليه مهام قيادة الدولة الاسلامية الذي من ضمنه سياسة توزيع العطاء بالتسوية بين الجميع من خطبة له القاها امام الناس بعد مبايعته بالحكم جاء فيها: "ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته فإن له الفضل النير غدا عند الله وثوابه وأجره على الله . وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده . فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لاحد على أحد وللمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجرا ولا ثوابا وما عند الله خير للأبرار . وإذا كان غدا إن شاء الله فاعدوا علينا فإن عندنا ما لا نقسمه فيكم ولا يتخلفن أحد منكم عربي ولا عجمي كان من أهل العطاء أو لم يكن إلا حضر إذا كان مسلما حرا أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم" (١). وقد تضمنت الخطبة رؤية الامام لأثار استراتيجيته الاقتصادية وانعكاساتها المستقبلية على بناء الدولة منها :-

١. اعتمد الامام توزيع العطاء بالتساوي بين جميع المسلمين لا فرق بينهم لأصل او لجنس او لتقوى او جهاد وجاءت استراتيجيته هذه عملا وتطبيقا لأصالة التعاليم الاسلامية التي تدعو الى التسوية لأن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) كان يساوي بين المسلمين في توزيع غنائم الحرب (٢) ، لأن التسوية بين البشر في المفهوم الإسلامي تعني التسوية بينهم في الحقوق المادية للكيان الإنساني ، الذي يتساوى فيه كل الناس . فالناس كلهم من نفس واحدة ، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٣).

٢. ان تطبيق مبدأ التسوية في العطاء هي حق من حقوق المسلمين اقرته الشريعة الاسلامية يجب عدم التلاعب به و الايفاء بتطبيقه وهو ما اكده الامام في خطب واقوال كثيرة اضافة للخطبة اعلاه منها قوله (عليه السلام): "أحاج الناس يوم القيامة بسبع : إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والقسم بالسوية ، والعدل في الرعية ، وإقام الحدود" (٤).

(١) الخصيبي ، الهداية الكبرى ، ص ٢٧١ ينظر: الطوسي ، الامالي ، ص ٢٧٩ .

(٢) البحراني ، شرح الكبير ، ١٣١/٣ ؛ ينظر ، شرح الوسيط ، ٢٨٣/١ ، الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٦٦/٢ ، حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ، ١٨٤/٨ ، مغنیه ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢٤٢/٢ ، الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٥٥/٢ .

(٣) سورة النساء ، اية ١ .

(٤) المجلسي ، بحار الانوار ، ١٠٥/٤١ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

٣. الإنسان المؤمن المتقي في استراتيجية الامام الاقتصادية اكبر من ان تقدر جهوده لخدمة الاسلام في مقدار معين من المال وان المعايير الدنيوية المادية لا تفي بحق هؤلاء واعتمد مبدأ ومعيار الشريعة الاسلامية بالجزء الاوفى الآخروي لهم لأنه المعيار الوحيد القادر على مكافأة هذه النماذج المجاهدة و المتقية في الاسلام.

٤. اعتماد معيار التفاضل المعنوي الذي اسس له الاسلام للتفاضل بين الناس وهو (اساس التقوى) قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

٥. الغاء سياسة توزيع الاقطاعات واعادة اراضي وقطائع الدولة واموالها التي وهبها الحكام السابقين بدون وجه حق لبعض الاشخاص والتعامل معها بانها من الاملاك العامة للدولة لتعم فائدتها لجميع المسلمين بقوله (عليه السلام): " وكل قطعة أقطعها عثمان أو مال أعطاه من مال الله فهو رد على المسلمين في بيت مالهم ، فإن الحق لا يذهبه الباطل ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لو وجدته قد تزوج به النساء وتفرق في البلدان لرددته على أهله ، فإن في الحق والعدل لكم سعة ، ومن ضاق به العدل فالجور به أضيق" (٢) .

٦. الغاء العمل بضوابط النظام المالي للحكومات السابقة على اساس التفضيل بالعطاء بين الرعية لما ادى تطبيقه و العمل به الى فروق طبقية شاسعة بين افراد المجتمع وارجاع العمل بضوابط سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الجانب التي مثلت التسوية في العطاء بين الجميع . إنما اتبع الإمام (عليه السلام) سنة الله ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فمبدأ بين الناس يقضي على الطبقية في المجتمع ويحول دون تكديس الأموال في أيدي قليلة وحرمان فئات كثيرة منها وبذلك يقضي على الفقر في المجتمع ، عكس مبدأ التفضيل الذي اتبعه بعض الحكام والذي بدوره كون طبقة من المترفين وأصحاب المصالح الذين رفضوا مبدأ المساواة فيما بعد (٣) .

فكانت للإمام علي(عليه السلام) سياسة واستراتيجية مغايرة تماما لما كان عليه الامر سابقا . خاصة وان الفترة السابقة لعهد امير المؤمنين (عليه السلام) قد شهدت انعدام التخطيط الاستراتيجي في بناء المنظومة الاقتصادية وفق اسس الشريعة الاسلامية. ففي عهد عمر بن الخطاب تغيرت سياسة

(١) سورة الحجرات ، اية ١٣ .

(٢) نهج البلاغة ، ٣٩٦/١ .

(٣) البحراني ، شرح الكبير ، ١٣١/٣ ؛ ينظر: الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٦٦/٢ ، حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ، ١٨٤/٨ ، مغنیه ، في ظلال نهج البلاغة ، ٢٤٢/٢ ، الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣٥٥/٢ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

توزيع العطاء وصنف نسبة عطاء الناس حسب قربتهم من رسول الله ،فبدأوا ببني هاشم ، واتبعوهم ابا بكر وقومه ثم عمر بن الخطاب وقومه ، فلما استوى الناس في القرابة قدموا اصل السابقة من المهاجرين، ثم الانصار ثم سائر العرب^(١).

المعيار الثاني: تقنين الانفاق بين التقدير والتبذير

دعت حكومة الامام (عليه السلام) الى الانفاق الا انها حرصت اداريا ان يكون الانفاق معتدلاً وفق خطة محكمة وتقنيته بين التقدير والتبذير الى الانفاق المثالي في الصالح العام للبناء والتعمير قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾^(٢) وقال الإمام علي (عليه السلام): "إن منع المقتصد أحسن من عطاء المبذر ، إن إمساك الحافظ أجمل من بذل المضيع"^(٣)، وقوله (عليه السلام): "كن سمحاً ولا تكن مبذراً وكن مقدراً ولا تكن مقتراً"^(٤)، وعنه (عليه السلام): "حسن التدبير مع الكفاف أكفى من الكثير مع الإسراف"^(٥)، وكتب عليه السلام إلى عماله: "أدقوا أقلامكم، وقاربوا بين سطورك، واحذفوا عني فضولكم ، واقتصدوا قصد المعاني، وإياكم والأكثر، فإن أموال المسلمين لا تحتل الأضرار"^(٦) فالإنفاق يجب أن يكون بقدر الضرورة والحاجة لا يتجاوزها قال أمير المؤمنين (عليه السلام) الى زياد ابن ابيه : " فدع الاسراف مقتصداً واذكر في اليوم غداً وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك ، أترجو ان يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين وتطمع وانت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والارملة ان يوجب لك ثواب المتصدقين"^(٧) فهذه النصوص تعبر عن صور للتخطيط الاستراتيجي في التعامل المالي مع اقتصاديات الدولة وكالاتي :- وهو يدعو ولاته الى تجنب الاسراف وان يحفظ فضل المال للضرورة فهذا من التدبير الاقتصادي.

وهذه الاستراتيجية لها اثار اقتصادية ايجابية مهمة ومنها الاتي:-

١. ضبط الانفاق في الضروريات لتأمين الحياة الكريمة .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢٩٥/٣ ؛ ينظر: البلاذري ، فتوح البلدان، ١/ ٣٦٧.

(٢) سورة الفرقان ، آية ٦٧.

(٣) اللبثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ١٤٩ .

(٤) نهج البلاغة، ص ٤٧٤.

(٥) المجلسي ، بحار الأنوار ، ١٩٢/٧٢ .

(٦) المجلسي ، بحار الأنوار ، ١٠٥/٤١ .

(٧) نهج البلاغة، ص ٣٧٧.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

٢. حفظ المال العام وعدم هدره فيما هو غير ضروري .

٣. تجنب الدولة الازمات الاقتصادية الحادة عند الاكتفاء على النفقات الضرورية والابتعاد وتحريم الية الاسراف والتزرف في الانفاق.

٤. ضمان وجود احتياطي مالي ترجع اليه ادارة الدولة عند الحاجة .

اما استراتيجية دولة العصبية في التعامل مع المال العام لاقتصاد الدولة فأنها تفتقد التخطيط للتقنين في النفقات لعدم اعتمادها معايير ثابتة في الانفاق بل هو مرتبط بالتحولات الاجتماعية والعمرائية وهذا ما ذهب اليه ابن خلدون ضمن موضوع " أطوار الدولة واختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الأطوار"^(١) بقوله : " إعلم أن الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقا من أحوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الاخر لان الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه "^(٢) ففي فترة البداوة تكون قليلة الانفاق والوزائع اما في فترة الملك وال عمران الحضري فتزداد نسبة الانفاق الى الاسراف والتبذير لان حياة الملك تتطلب ذلك حسب ما يذهب اليه ابن خلدون وهو نوع من التخبط الاداري المنعدم للتدبير والتخطيط بسبب انعدام المرجعية في الانفاق وتركه للمتغيرات الطبيعية التي تمر بها الدولة من بداوة وعمران و اشار ابن خلدون الى ذلك بقوله : " إعلم أن الدولة تكون في أولها بدوية كما قلنا فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده فيكون خرجها وإنفاقها فيكون في الجباية حينئذ وفاء بأزيد منها كثير عن حاجاتهم ثم لا تلبث أن تأخذ بدين الحضارة في الترف وعوائدها وتجري على نهج الدول السابقة قبلها "^(٣) .

وكذلك فان الاسراف والتبذير في الانفاق الى حد الترف والتخمة في حكومات دولة الملك والعصبية هو جزء من نشاط ادارتها وعوائد حكومتها المتجه منذ البدء نحو الاسراف في الانفاق الذي تعيش فيه ملذات الملك وشهواته ،فهي سياسة متفق عليها منذ البدء ولا بد منها حتى لو كان فيها خراب الدولة وانهارها لان اساسيات حكومة الملك تتطلب ذلك ولا يمكن الاستغناء عنه لانه يعبر عن وجه القوة للدولة امام رعيته واعدائها.

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٥/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٥/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٢٨٠/١ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

وهذا مما يزيد من خطورة تعرض الدولة الى الازمات الاقتصادية المبكرة نتيجة لهذه السياسة الانفاقية فنتيجة الاسراف بالإنفاق يصل الحاكم الى مرحلة يستأثر بها هو وخدمه بالمال العام من دون حاشيته ورعيته، فعندما تشتد حاجة الحاكم او صاحب الدولة الى الاموال يستولي على اموال بطانته وحاشيته التي يكون انفاقها المال ليس في محله حيث: "تنفق ابناء البطانة والحاشية ما تأتله من الاموال في غير سبيلها ... ويرى صاحب الدولة أنه أحق بتلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلفه... فيصطلحها وينزعها منهم لنفسه شيئاً فشيئاً واحداً بعد واحد على نسبه رتبهم ... ويعود وبال ذلك على الدولة بقاء حاشيتها ورجالها..."^(١) وسبب فقدان التدبير الاقتصادي في دولة العصبية وعندما تجد الدولة نفسها في ضائقة مالية نتيجة الترف وكثرة المصروفات وقلة الدخل تتجه الى مصادرة في أيدي ولاتها من اموال وذلك " بمقاسمة العمال (حكام الولايات) والجباة وامتكاك عظامهم لما يرون انهم قد حصلوا على شيء طائل من اموال الجباية لا يظهره الحسابان"^(٢).

وتؤدي سياسة الترف الى نتائج عدة منها؛ على الصعيد الاقتصادي فللترف اثار كثيرة يمكن اجمالها بما ياتي: -

١. احتكار التجارة من الدولة (الحاكم) وهو ما يوضحه ابن خلدون في مقدمته في فصلاً بعنوان: " أن التجارة من السلطان مضره بالرعايا ومفسدة للجباية". وتفسير هذا الفصل مفاده: أستغلال النفوذ السياسي في أعمال التجارة الزراعة والمهن الاخرى وقد وصف ابن خلدون هذا السلوك بأنه وسيلة معيشية غير طبيعية و(غلط عظيم) لانه يدخل "الضرر على الرعايا من وجوه متعددة فاولاً مضايقة الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسير أسباب ذلك"^(٣) فيؤدي ابتزاز الحاكم وبعض المسؤولين لاموال الدولة (الضرائب) ذلك من خلال الاستيلاء على كمية كبيرة من الانتاج الزراعي او الصناعي او التجاري وغير ذلك اما عن طريق القوة او شرائها (بأبخس ثمن) هذا التدخل في الاسواق يجعل الاخرين في حذر من المنافسة الحاكم في المزايدة او مناقصة وبهذا يتمكن من اجبارهم على بيع بضائعهم له بأسعار منخفضة وقد يجبر التجار والفلاحين على شراء البضائع منه مباشرة (بأرفع الاثمان) وتلك البضائع التي اشتروها من الحاكم يضطروا الى بيعها بأثمان بخسة

(١) العبيدي ، الدولة في فكر ابن خلدون ، ص ١٨٦.

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٣١٥/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٣١٥/١ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

لاسيما في اوقات كساد الاسواق مما يدفع هذا الامر بذهاب : "رأس ماله -التاجر او الفلاح - فيقعد عن سوقه". كما ان هذا "العنت والمضايقة وفساد الارياح ما يقبض امالهم" (١).

٢. يؤدي الى فرار مسؤولي الحكم بأموالهم من ذوي المناصب العالية " مما حصل في ايديهم من مال الدولة الى قطر آخر ويرون انه اهنأ لهم واسلم في انفاقه وحصول ثمرته" (٢) و " هذه الوسيلة من الانماط الفاحشة لان المال هنا لم يأت عن قيم اعمالهم ... ولقد حاول السلطان أبو يحيى زكريا بن أحمد اللحياني تاسع أو عاشر ملوك الحفصيين بإفريقية الخروج عن عهدة الملك واللحاق بمصر فرارا من طلب صاحب الثغور الغربية لما استجمع لغزو تونس فاستعمل اللحياني الرحلة إلى ثغر طرابلس يوري بتمهيده وركب السفين من هنالك وخلص إلى الإسكندرية بعد أن حمل جميع ما وجده ببيت المال من الصامت والذخيرة وباع كل ما كان بخزائنها من المتاع والعقار والجوهر حتى الكتب واحتمل ذلك كله إلى مصر ونزل على الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة سبع عشرة من المائة الثامنة فأكرم نزله ورفع مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيرته شيئا فشيئا بالتعريض إلى أن حصل عليها ولم يبق معاش ابن اللحياني إلا في جرابته التي فرض له إلى أن هلك سنة ثمان وعشرين" (٣) .

٣. ارغام الناس على العمل بغير أجر (٤) وذلك من خلال "تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق ... لان الرزق والكسب انما قيم اعمال وهذه الوسيلة في رأي ابن خلدون من أشد الظلمات وأعظمها في افساد العمران" (٥).

٤. الاستيلاء على اموال واملاك الناس بالباطل : وذلك بـ "أخذ المال او الملك من يد مالكة من غير عوض ولا سبب" (٦) وهذا السلوك غير شرعي ولا يمكن تسويغه على أي وجه حق اذ "حظر الشرع ذلك كله وشرع المكاسب في البيع والشراء وحظر أكل اموال الناس بالباطل" (٧) وأي عمل ينفذ بالباطل من الدولة او الحكومة ومسؤوليها وبالقوة هو ظلم وطغيان وغير مقبول دينياً كما انه يبتعد عن متطلبات الحكمة السياسية.

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١/٣٧٦ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١/٣١٨ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١/٢٢٢-٢٢٣ .

(٤) مصطفى الشكعة ، الاسس الاسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته ، ص ١٨٩ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ١/٣٢٢ .

(٦) ابن خلدون ، العبر ، ١/٣٢١ .

(٧) ابن خلدون ، العبر ، ١/٣٢٣ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

٥. ضعف نفقات الدولة بعد الاسراف والترف يعد سبباً للمفاسد الاقتصادية والاضرار بمصالح العباد لتدخل الدولة المستمر في شؤونهم " لان الدولة هي السوق الاعظم بل هي ام الاسواق كلها واصلها ومادتها في الدخل والخرج فان كسدت وقلت مصارفها فأجدر بما بعدها من الاسواق أن يلحظها مثل ذلك واشد منه وايضاً فالمال انما هو متردد بين الرعية والسلطان ، منهم اليه، فاذا أحبسه السلطان عنهم فقدته الرعية"^(١).

المعيار الثالث: اتباع سياسة الأولوية في الانفاق

اتبع أمير المؤمنين (عليه السلام) استراتيجية سياسة الأولوية في الانفاق في حياته الاجتماعية و الادارية وثبت ذلك في كثير من توجيهاته الاقتصادية الشمولية على مستويين هما:-

المستوى الاول :- اولوية نفقات الدولة العامة : وتنقسم الى :-

اولا :نفقات المشاريع الاقتصادية الاستثمارية : لقد كان أهم ما يعني به الإمام هو اولوية الإنفاق على تطوير الحياة الاقتصادية، وإنشاء المشاريع الزراعية، والعمل على زيادة الإنتاج الزراعي الذي كان من أصول الاقتصاد العام في عهد دولته .وقد أكد الإمام(عليه السلام) ذلك في عهده لمالك الأشر على لزوم الإنفاق على تطوير الاقتصاد العام، حتى يقضي على الفقر والحرمان في البلاد برعايته إصلاح الأرض قبل أخذ الخراج منها.فيقول(عليه السلام) : " وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً "^(٢) وذلك بانفاق ما يلزم لإصلاح الزراعة من شق الانهار والترع للري وتعديل الطرق ومعالجات الامام في هذا الجانب مثلاً كتب إلى قرظة بن كعب الأنصاري : " أما بعد ، فإن رجالا من أهل الذمة من عملك ذكروا نهرا في أرضهم قد عفا وادفن ، وفيه لهم عمارة على المسلمين ، فانظر أنت وهم ، ثم أعمار وأصلح النهر ، فلعمري لان يعمرها أحب إلينا من أن يخرجوا ، وأن يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام "^(٣) ، وكتب إلى كعب بن مالك : " أما بعد ، فاستخلف على عملك ، واخرج في طائفة من أصحابك حتى

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٣٢٠/١ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٤٣٦ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢٠٣/٢ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالي وتتنظر في سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب ، ثم ارجع إلى البهقباذات فتول معونتها ، واعمل بطاعة الله فيما ولاك منها^(١).

ثانيا : توزيع الحقوق المالية على مستحقيها

أكد الامام علي على ضرورة تبيان وتحديد اصحاب هذه الحقوق على مستوى الدولة والحكومة أوصى عماله بالوصايا التي تؤكد على هذا الأمر ومنها وصيته لخليفة عامله على البصرة زياد بن أبيه وجاء فيها: "... أَنْتَرَجُو أَنْ يُعْطِيكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ ! وَتَطْمَعُ . وَأَنْتَ مُنْمَرِّعٌ فِي النَّعِيمِ ، تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَ . أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ ؟! ... " ^(٢) فيوجهه (عليه السلام) استفهاماً على سبيل الإنكار لأحد عماله على الصدقات والذي يريد من الله أن يؤتية ثواب المتواضعين وهو من المتكبرين الذين لا يطيعون أمر الله ، وبحول دون إيصال الحقوق لمستحقيها^(٣) وهذا الكلام هو مقدمة لما يهمننا في هذا المقام وهو استفهام الإمام (عليه السلام) بكيفية طمع المرء بأن يعطيه الله ثواب المتصدقين ، والمتصدق هو الذي يعطي الصدقة ، بينما هو يتقلب في النعيم ويعيش البطر والإسترخاء فهو يتمتع بهذه الأموال ويمنعها عن الضعيف والأرملة^(٤) .

وكرر الإمام (عليه السلام) المعنى السابق في كتاب آخر إلى أحد عماله وعد الأموال التي يمنعها الوالي عن أصحابها ويتصرف بها من أجل مصلحته الشخصية ، هي أموال محرمة عليه إذ قال : "... كَيْفَ تُسَيِّغُ شَرَاباً وَطَعَاماً ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً ، وَتَشْرَبُ حَرَاماً ، وَتَبْتَاغُ الْإِمَاءَ وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ ، الَّذِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ ! " ^(٥) .

المستوى الثاني:- اولويات تامين الحقوق المالية لافراد المجتمع: في جانب الانفاق الحكومي لم يقتصر اهتمام دولة الامام على توزيع العطاء بل كانت هناك نفقات اخرى خصصت ثابتة واخرى مؤقتة لشرائح اجتماعية معينة من المرضى والمقعدين والاطفال وغيرهم وهي كالاتي :-

١- النفقات الثابتة

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢٠٤/٢ .

(٢) نهج البلاغة ، ٣٧٧ .

(٣) البحراني ، شرح الكبير ، ٤٠١/٤ ؛ ينظر ، الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤٦٦/٣ ، حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ، ٣٤٣/١٨ ، الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ١٩٤/٤ .

(٤) قطب الدين الراوندي ، منهاج البراعة ، ٥١/٣ ؛ ينظر : البحراني ، شرح الكبير ، ٤٠١/٤ ، الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٤٦٦/٣ ، حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ، ٣٤٣/١٨ .

(٥) نهج البلاغة ، ص ٤١٣ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

هناك نفقات ثابتة تفرضها الحالة الاجتماعية لبعض الافراد وهم الطبقات الفقيرة التي تحتاج الى دعم مستمر فأوصى الامام عامله على مصر بالطبقة السفلى بقوله: "ثُمَّ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ ، مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا ، وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ ، وَقِسْمًا مِنْ غَلَّتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ ، فَإِنَّ لِلْأَفْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى" (١) ووصيته له ايضا في الايتام والمسنين " وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيَتِيمِ وَدَوِيَّ الرَّقَّةِ فِي السَّنِّ ، مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ وَلَا يُنْصَبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ تَقِيْلًا" (٢) يعني تخصص جزء من ربح ارض الصوافي وجزء من واردات بيت المال لهذه الطبقة ، وقد امر الامام عليه السلام عامله ان يتخذ شبه اللجنة لرعاية هذه الطبقة فقال " فَفَرَّغْ لِأَوْلَادِكَ تَقَاتِكَ مِنْ أَهْلِ الْحَشِيَّةِ وَالتَّوَضُّعِ ، فَلْيُرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْدَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ" (٣).

٢- المعونات (النفقات المؤقتة)

استخدم الإمام (عليه السلام) نظام المعونات لرفد الطبقات الخاصة وهذا ما اكده في عهده لمالك الاشر " ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يخص رفقهم ومعونتهم وكتب الى قثم بن العباس عامله على مكة ما نصه : " وَأَنْظُرْ إِلَيَّ مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ ، فَاصْرِفْهُ إِلَيَّ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ دَوِيِّ الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ ، مُصِيبًا بِهِ مَوَاضِعَ الْفَاقَةِ وَالْحَلَاتِ ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيْمَنْ قَبْلَنَا" (٤).

وفي نص اخر يوضح الامام الى من تصرف هذه الاموال يوصف انساني رائع اذ يقول : السيد لهم في الامارة نصيب ولا في العمارة حظ ولا في التجارة مال ولا في الاجازة معرفة وقد فرض وقد فرض الله في اموال الاغنياء ما بقوتهم ويقوم لهم" (٥).

اما اجراء حكومة دولة العصبية يأتي بعكس تدابير حكومة الامام علي (عليه السلام) فهي تقدم اولوية الانفاق لنفسها وحاشيتها وتؤمن مصارف الترف التي اعتادتها باستئثار الحاكم وحاشيته بمصادر المال العام والتحكم بها لمصلحته فيستولي الحاكم وحاشيته على الاموال من خلال فرض الضرائب

(١) نهج البلاغة، ص ١٣٤.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٤٩.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٤٩.

(٤) نهج البلاغة، ص ٤٥٨.

(٥) المجلسي، بحار الانوار، ٤٨/٩٠.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

وتخصيصها وانفاقها على مصالح الحاكم وحاشيته الخاصة، دون النظر في حاجة الرعية وصالح الدولة العام، فيقول ابن خلدون: "فاذا استفحلت طبيعة الملك وحصل لصاحب الدولة الاستبداد على قومه قبض ايديهم عن الجبايات الا ما يطير لهم بين الناس في سهمانهم ... وصار الموالي والصنائع ساهمين لهم في القيام بالدولة حينئذ بالجباية أو معظمها ويحتوي على الاموال ويحتجبها للنفقات في مهمات الاحوال فتكثر ثروته وتملئ خزائنه ويتسع نطاق جاهه ويتغير على سائر قومه فيعظم حال حاشيته و نوبه... ويتسع جاهم ويقتنون الاموال ... " (١) .

ولم تكن لدولة العصبية رؤية مدروسة للإنفاق فكانت تتبع اهواء الحكام وشهواتهم في الانفاق البعيد عن الاولويات " مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن في أحواله فبلغوا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف في الأحوال واستجادة المطاعم والمشارب والملابس والمباني والأسلحة والفرش والآنية وسائر الماعون والخرثي وكذلك أحوالهم في أيام المباشرة والولائم وليالي الأعراس فأتوا من ذلك وراء الغاية وانظر ما نقله المسعودي والطبري وغيرهما في أعراس المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل وما بذل أبوها لحاشية المأمون حين وافاه في خطبتها إلى داره بقم الصلح وركب إليها في السفين وما أنفق في أملاكها وما نحلها المأمون وأنفق في عرسها تقف من ذلك على العجب... وعلى قدر عظم الدولة يكون شأنها في الحضارة إذا أمور الحضارة من توابع الترف والترف من توابع الثروة والنعمة والثروة والنعمة من توابع الملك ومقدار ما يستولي عليه أهل الدولة فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله فاعتبره وتفهمه وتأمله تجده صحيحا في العمران والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين" (٢) .

فالإنفاق بالمال يُحدث السيولة في المجتمع لكن هذه السيولة اذا زادت فأنها تضر أكثر مما تنفع من هنا جاءت دعوة الامام (عليه السلام) الى انتهاج سياسة دقيقة للحيلولة دون وقوع الاضرار الناشئة عن السيولة المتدفقة . فالإسراف محرم لأنه ضياع للمال أولاً و لأنه يتسبب في التضخم الناشئة عن زيادة السيولة مع قلة العرض فترتفع الاسعار .

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٣١٧/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٤/١ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

ثانيا : استراتيجية تنظيم الموارد المالية للدولة

رسم الامام علي (عليه السلام) استراتيجية واضحة لإيجاد وتثبيت موارد مالية دائمية ثابتة وهي تشمل مجموعة من الضرائب الشرعية التي أقرها الإسلام ومثل بعض منها مورداً منقطعاً واخر مستمرا، كما أن مقادير تلك الضرائب لم تكن محددة أو ثابتة ، وفقاً لإعتبارات عديدة سنأتي على توضيحها تباعا وكما يأتي:-

١. الحد من التجاوزات المادية في فرض الحقوق المالية حيث ان الاسلام قدر فرض الجزية على اهل الذمة ولم يتجاوزها الى غير ذلك منعا للاستغلال الناس قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١) .

رفع الامام (عليه السلام) التجاوزات المادية التي فرضت على اهل الذمة من قبل الحكومات التي سبقته فكانوا بالإضافة الى دفعهم اموال الجزية كان العمال يفرضون عليهم ضرائب خارج نطاق الجزية، فعمل الامام علي رفع هذا الضيق، عندما مر بمنطقة الانبار وتفاجأ بانهم قد خرجوا اليه بدوابهم وصنعوا طعام للجيش فلما سألهم الامام عن السبب قالوا هذا امر تعودنا عليه مع المسلمين الذين يمرون علينا ، فرفض الامام هذا الاجراء الذي يتناقض مع ضوابط اتفاقية فرض الجزية ، واستنكر هذا الترف وخاطبهم قائلاً "وانكم لتشقون به على انفسكم وابدانكم ، فلا تعودوا له ... وتركهم وسار" (٢) فليس الهدف من اخذ الجزية اذلال الانسان حتى لو كان غير مسلم مادام جزء من دولة المسلمين فهو منهم من حيث تساويه معهم من حيث حقوق المواطنة الصالحة لذلك يجب ان يشعر بقربه من الدولة التي ينتمي اليها من خلال الحفاظ على كرامته وما يمتلكه ، والمسلمون ليسوا سيوفا مسلطة على هؤلاء يترصبون بهم الدوائر بل العكس فيجب حفظ حقوق حرية الدين وان الانسان حر فيما يعتقد وقد كفل الاسلام هذه الحرية (٣) وحذر الامام المسلمين والعمال من ظلم اهل الذمة والتعدي على حقوقهم وكرامتهم في العيش في ظل دولتهم التي هي دولة المسلمين ايضاً فقال "الا من ظلم معاهداً او نقصه او كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فانا حججه يوم القيامة" (٤).

(١) سورة التوبة ، اية ٢٩ .

(٢) المنقري ، وقعة صفين ، ص ١٤٤ ؛ ينظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٠٣/٣ .

(٣) الشرهاني ، التغيير في السياسة المالية ، ص ١٣٩ .

(٤) ابي داود ، سنن ، ٤٥/٢ ؛ ينظر : البيهقي ، السنن الكبرى ، ٢٠٥/٩ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

وفي كتاب له الى زياد ابن ابيه وقد استخلفه لعبد الله بن عباس على فارس واعمالها نهاه فيه عن زيادة الخراج قائلاً: "استعمل العدل واحذر العسف والحيث فان العسف يعود بالجلاء (اي التفرق) والحيث يدعو الى السيف"^(١) وهذه قراءة مبكرة وواعية من قبل الامام في تلمس الاثر الاقتصادي ومتغيراته على المناخ السياسي والاجتماعي لأثر الجور والظلم الاقتصادي على الرعية الذي ينتهي الى الثورة وحمل السيف ضد الدولة ، وقال في وصيته لعامل صدقات اخر: "ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله"^(٢).

٢. فرض مقادير الضريبة الخراجية بما يتلائم مع حالة الزرع والسوق عن مصعب بن يزيد أبي زيد الأنصاري ، عن أبيه قال : "بعثني علي بن أبي طالب على ما سقى الفرات . فذكر رساتي وقرى . فسمى نهر الملك ، وكوثي ، وبهرسير ، والرومقان ، ونهر جوبر ، ونهر درقيط ، والبهقادات ، وأمرني أن أضع على كل جريب زرع غليظ من البر درهما ونصفا وصاعا من طعام ، وعلى كل جريب وسط درهما ، وعلى كل جريب من البر رقيق الزرع ثلثي درهم ، وعلى الشعير نصف ذلك . وأمرني أن أضع على البساتين التي تجمع النخل والشجر على كل جريب عشرة دراهم ، وعلى جريب الكرم إذا أنت عليه ثلاث سنين ودخل في الرابعة وأطعم عشرة دراهم ، وأن ألغى كل نخل شاذ عن القرى يأكله من مر به ، وأن لا أضع على الخضراوات شيئا : المقاشي والحبوب والسامس والقطن"^(٣)

٣. ضبط النظام الضرائبي من حيث زيادة معدلات النسبة الضريبية او استحداث جديد في هذا المجال ، اوصى الامام الاداريين على نظام الضرائب الى مراعات مقاييس فرضها من حيث النسبة والانواع باستحداث الجديد منها اذا تطلب الامر ومن القواعد الضريبية الرائدة في هذا المجال التي ادرجها الامام في النظام المالي هي ضرورة مراعاة صلاح دافعي الضرائب اولا بقوله (الْبَلَاغَةُ) وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله"^(٤)، وقوله : "وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة . ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلا"^(٥) فانه كلما كانت مقادير الخراج المفروضة من قبل الدولة على المكلفين الزراعيين معتدلة في نسبة معينة من انتاج محاصيلهم فان هذا يصب في

(١) نهج البلاغة ، ص ٥٥٩ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٣٨٠ .

(٣) البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر ، فتوح البلدان ، ٢/٣٣٢-٣٣٣ .

(٤) نهج البلاغة ، ص ٤٣٦ .

(٥) نهج البلاغة ، ص ٤٣٦ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

مصلحة الجميع من المنتجين والدولة لأنه؛ لا يضر بأرباح المنتجين التي ستعود بالمزيد من الإيرادات عليهم، وتسهم في عدالة واستقرار النسب الضريبية في مضاعفة مجهود الانتاج لزيادة الأرباح^(١) بالنسبة للفلاحين من جهة، واستقرار مصادر الموارد المالية لاقتصاد الدولة من جهة أخرى.

من هذا تبين ان اصلاح اهل الخراج (المنتجين الزراعيين) يعتمد على اصلاح مقادير الخراج المفروضة على المكلفين اهل الخراج وان اصلاح بقية المجتمع (لمن سواهم) يعتمد على صلاح اهل الخراج لأنه كما يقول الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام): الناس كلهم عيال على الخراج واهله.

كما حذر الامام علي (عليه السلام) من رفع نسبة الضرائب لسد او تعويض العجز المالي لنفقات الدولة على حساب ارهاق المنتجين وتكليفهم ما هو فوق طاقة انتاجهم وحذر الامام من ارتفاع نسبة الضرائب او زيادتها بما يضر بالمكلفين بها عندما يتم تعيين نسبة قيمة الخراج ولكن ليس بما يصلح اهله وانما بما يهبط عزيمة اهله (المنتجين الزراعيين) اي يتم رفع النسبة بشكل يستحوذ على نسبة كبيرة من انتاج المزارعين او من إيراداتهم الكلية وتصبح مقادير الخراج هي عبارة عن تكاليف اضافية الى جانب تكاليف عناصر الانتاج فإن زيادة مقادير الخراج يؤدي الى زيادة التكاليف اضافية الذي يؤدي الى زيادة التكاليف الكلية الذي يقود الى انخفاض ارباح المنتجين الزراعيين.

فإن اي زيادة في مقادير الخراج بنسب غير مدروسة وعادلة تؤثر في الصالح العام اي عندما يكون هدف الدولة هو زيادة إيراداتها من الخراج فقط من دون الاهتمام بمصلحة اهل الخراج (المنتجين من الزراعيين وغيرهم) فأنها في المدى القصير تحقق ذلك الا ان ذلك يكون على حساب تراجع ما تحققه طبقة اهل الخراج من عوائد وارياح مما يؤدي الى تقليل الحافز لهم على التمسك بالأرض وزيادة زراعتها لان انتاجهم وجهودهم تتحول وبشكل غير عادل الى الدولة كخراج .

كما ان تفقد امر الخراج لا يصب في مصلحة اهل الخراج انما يحقق مصالح جبات الخراج والدولة فان ذلك يؤدي الى عدم تحقيق الصلاح لمن سواهم من بقية طبقات المجتمع الاخرى لان المجتمع بكاملة كما يقول الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام): " كلهم عيال على الخراج واهله " (٢) ، فانه ذلك سيأتي بنتائج وخيمة عديدة منها ما يأتي:-

(١) ابو حمد ، رضا صاحب ، الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وسياسته في الخراج لمعالجة السكن والاعمار، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد العاشر ، ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٣٦.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

١. حالة السخط والتذمر او الثورة على سياسات الحكومة ؛ فعندما يصل اهل الخراج الى حالة لا يستطيعون من خلالها الحصول على مستوى من الارياح التي تحقق لهم مستوى من الرفاهية المقبولة او العيش المحترم ولا يشعرون انهم موضع رعاية واهتمام من قبل السلطة الحاكمة وان الخراج الموجود عليهم لا يسمح لهم من تحقيق طموحاتهم المقبولة وانهم يعلمون أن ايرادات الخراج هذه قد لا تذهب لخدمة المجتمع الذين هم جزء منه اما بصورة مباشرة كمدفوعات نقدية او بصورة خدمات عامة وبالتالي هم ايضاً من المنتفعين بها بل تذهب لتتعم السلطة الحاكمة بالترف والملذات التي اعتادت عليها حتى لو على حساب تحقيق ابسط حقوق الرعية وهي العيش الكريم .

وهذا ما حذر منه الامام علي (عليه السلام) مسبقا وكان يتجنب اسباب حدوثه في كتاب له الى زياد بن ابيه وقد استخلفه لعبد الله بن عباس على فارس واعمالها نهاه فيه عن زيادة الخراج : " استعمل العدل واحذر العسف والحيف فان العسف يعود بالجلاء (اي التفرق) والحيف يدعو الى السيف"^(١) ، وهذه قراءة مبكرة وواعية من قبل الامام في تلمس الاثر الاقتصادي ومتغيراته على المناخ السياسي والاجتماعي ، لأثر الجور والظلم الاقتصادي على الرعية والذي ينتهي الى الثورة وحمل السيف ضد الدولة .

٢. انخفاض معدلات الضرائب فإن عملية زيادة ايرادات الخراج او الضرائب عامة دون التفكير في عمارة الارض فان هذه السياسة من الممكن ان تحقق هدفها على المدى القصير لكنها سرعان ما تتراجع معدلات ايرادات الخراج بفعل انخفاض معدلات الانتاج في القطاع الزراعي ثم القطاعات الاخرى الذي يؤدي الى تراجع في عمارة الارض ومن ثم خراب البلاد هو اهلاك العباد وهنا الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) يستشرف المستقبل لهذا السياسات التي تؤكد على الخراج من دون الاعمار يقول (عليه السلام) : ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم امره الا قليلاً . اي يكون انتعاش مؤقت ثم يعود الى الانكماش الاقتصادي الذي يؤدي استمراره الى ضعف الدولة وانهارها.

٣. كساد القطاع الزراعي سبب البحث عن مجالات اخرى للعمل في غير القطاع الزراعي او في مناطق او بلدان اخرى اكثر احتراماً وتقديراً لحقوق المنتجين الزراعيين وهذا يؤدي الى انخفاض الانتاج الزراعي ثم ارتفاع الاسعار وزيادة معدلات البطالة وانخفاض الدخل.

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥٩.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

٤. انتشار ظاهرة الرشوة والفساد المالي بين موظفي الدولة والمنتجين الزراعيين لتخفيف الضغط الحاصل عليهم.

٥. انخفاض الحافز والرغبة لدى المنتجين في القطاعات الأخرى المرتبطة بالقطاع الزراعي الذي سيترتب عليه انخفاض جهودهم وانتاجهم والذي بدوره يؤثر في الانتاج العام للدولة.

اما في دولة العصبية فإن النظام الضريبي يكون فيها فاقداً للتخطيط ؛ لانه يكون تحت رحمة نسبة انفاق حكومتها، حيث ان ارتفاع نسبة الانفاق يؤدي الى زيادة نسبة الضرائب؛ فوقع الضرائب تحت مطرقة ملاً خزينة الدولة يجعلها المسؤولة دائماً عن توفير المورد المالي الكافي لسد العجز المالي فيها نتيجة الاسراف في نفقات حكومة دولة العصبية . فاذا نقصت او فرغت خزينة الدولة يبدأ الضغط بالضرائب على الرعية اما بزيادة نسبتها او استحداث انواع جديدة منها من دون مقاييس ادارية او مالية مدروسة بل قرارات ارتجالية كردة فعل لإنقاذ وانعاش خزينة الحاكم.

اي ان نسبة الضرائب في دولة العصبية تكون تبعا لنسبة الانفاق فإذا كان الانفاق في بداية نشوء الدولة قليلا فإن هذا ينعكس على نسبة الضرائب فتكون قليلة وهذا ما عرضه ابن خلدون في فصل بعنوان (في الجباية وسبب قلتها وكثرتها) ^(١) بقوله: "إعلم أن الجباية أول الدولة تكون قليلة الزوائع كثيرة الجملة وآخر الدولة تكون كثيرة الزوائع قليلة الجملة" ^(٢) فتأتي قلة نسبة الضرائب ليس من باب ان الدولة واعية لمضرة كثرة الضرائب بل لأسباب اخرى :

السبب الاول منها: لان الدولة ما زالت تلتزم سنن الدين على ما ذهب اليه ابن خلدون: " أن الدولة إن كانت على سنن الدين فليست تقتضي إلا المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهي قليلة الزوائع لان مقدار الزكاة من المال قليل كما علمت وكذا زكاة الحبوب والماشية وكذا الجزية والخراج وجميع المغارم الشرعية وهي حدود لا تتعدى" ^(٣).

والسبب الثاني: يرتبط بدورة اطوار عمر دولة العصبية وهو (طور البداوة) فإذا كانت الدولة في هذا الطور فأنها تكون حسب نظام هذا الطور قليلة الانفاق فلا تحتاج لرفع نسبة الضرائب ونظرا لما تقتضيه تقاليد البداوة السماح والكرم وعدم الاعتداء على اموال الآخرين ، وأشار الى ذلك بقوله : " وإن كانت على سنن التغلب والعصبية فلا بد من البداوة في أولها كما تقدم والبداوة تقتضي المسامحة

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١/ ٢٧٩ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١/ ٢٧٩ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١/ ٢٧٩ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

والمكارمة وخفض الجناح والتجافي عن أموال الناس والغفلة عن تحصيل ذلك إلا في النادر فيقل لذلك مقدار الوظيفة الواحدة والوزيعة التي تجمع الأموال من مجموعها ^(١).

وقلة الضرائب واعتدالها نتيجة مهمة يسجلها ابن خلدون بان ينتج عنها انتعاش اقتصادي بالنظر الى كثير المتحصل منها لهذا الانتعاش أن قلة الضرائب تدفع عجلة التطور الى الامام وتنعش العمران وتضاعف دخل الدولة وثروة المجتمع ويؤدي بالنتيجة الى تقويتها وتقدمها بالحفاظ على عمران الارض وجميع الاعمال المنتجة الاخرى فيكثر العمران الحضري ويتسع وهذا ما أشار اليه ابن خلدون " وإذا قلت الازناعات والوظائف على الرعايا نشطوا للعمل ورجبوا فيه فيكثر الاعتماد ويتزايد لحصول الاغتباط بقلة المغمم ^(٢)

وبعد انتهاء طور التأسيس و يأتي طور الترف و الإنفراد بالملك والاستبداد به تزيد نفقات الدولة نتيجة الترف ومتطلبات حكومة الملك التي تتطلب انفاق الكثير من الاموال للحفاظ على مصالحها وبقائها في سدة الحكم: " فإذا استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها واحدا بعد واحد واتصفوا بالكيس وذهب سر البداوة والسذاجة وخلقها من الاغضاء والتجافي وجاء الملك العضوض والحضارة الداعية إلى الكيس وتخلق أهل الدولة حينئذ بخلق التحذلق وتكثرت عوائدهم وحوائجهم بسبب ما انغمسوا فيه من النعيم والترف" ، و قوله ايضا: " لا تلبث أن تأخذ [أي دولة العصبية] بدين الحضارة في الترف وعوائدها وتجري على نهج الدول السابقة قبلها فيكثر لذلك خراج أهل الدولة ويكثر خراج السلطان خصوصا كثرة بالغة بنفقته في خاصته وكثرة عطائه ولا نقي بذلك الجباية فتحتاج الدولة إلى الزيادة في الجباية والسلطان من النفقة فيزيد في مقدار الوظائف والازناعات أولا كما قلناه ثم يزيد الخراج والحاجات والتدريج في عوائد الترف وفي العطاء للحامية ^(٣).

ومن خلال النص يتبين سبب زيادة النفقات كالآتي:-

١. وصول حكومة الملك الى طور الترف
٢. ايجاد واصطناع عصبية جديدة مناصرة للملك بالأموال لذا يحتاج الى تأمين اموال كثير لشراء ولائهم.

وبسبب زيادة الانفاق ترفع الحكومة من نسبة الضرائب وتكثر انواعها حتى تتمكن الدولة من سد نفقاتها بذلك وتعوض ما تنفقه، الا ان هذه الامر يعود عليها بالضرر على ما يوضحه ابن

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١ / ٢٧٩ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١ / ٢٧٩ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١ / ٢٧٩ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

خلدون بقوله: " فيكثرون الوظائف والوزائع حينئذ على الرعايا والأكرة والفلاحين وسائر أهل المغارم ويزيدون في كل وظيفة ووزيعة مقداراً عظيماً لتكثر لهم الجباية ويضعون المكوس على المبيعات وفي الأبواب كما نذكر بعد ثم تتدرج الزيادات فيها بمقدار بعد مقدار لتدرج عوائد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والانفاق بسببه حتى تثقل المغارم على الرعايا وتهضمهم وتصير عادة مفروضة لأن تلك الزيادة تدرجت قليلاً قليلاً ولم يشعر أحد بمن زادها على التعيين ولا من هو واضعها"^(١).

ويرى ابن خلدون أن كثرة الضرائب وزيادة نسبتها تؤثر في صافي الإنتاج وتقلل الربح بقوله: " إنما ثبت على الرعايا في الاعتمار لذهاب الأمل من نفوسهم بقلة النفع إذا قابل بين نفعه ومغارمه وبين ثمرته وفائدته فتتقبض كثير من الأيدي عن الاعتمار جملة الجباية حينئذ بنقصان تلك الوزائع منها وربما يزيدون في مقدار الوظائف إذا رأوا ذلك النقص في الجباية ويحسبونه جبراً لما نقص حتى تنتهي كل وظيفة ووزيعة إلى غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة لكثرة الانفاق حينئذ في الاعتمار وكثرة المغارم وعدم وفاء الفائدة المرجوة به فلا تزال الجملة في نقص ومقدار الوزائع والوظائف في زيادة لما يعتقدونه من جبر الجملة بها إلى أن ينتقص العمران بذهاب الآمال من الاعتمار ويعود ويال ذلك على الدولة"^(٢).

أي حينما يكون الصرف على الإنتاج أكثر من نسبة الأرباح بسبب الزيادة في نسبة الضرائب فهذا يؤدي إلى تدمير المنتجين من زراعيين وصناعيين ويتركون أعمالهم لأنهم لا يستفيدون شيء بسبب نسبة الضريبة العالية فتقل لذلك الأعمال وتكسد وتقل الجباية وتكثر البطالة وينكمش اقتصاد الدولة الذي يؤثر بالتالي على القطاعات الأخرى المرتبطة به مما يتسبب بخراب البلاد وهلاك العباد و" وقد كان وقع منه بأمصاير المشرق في أخريات الدولة العباسية والعبيدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم وأسقط صلاح الدين أيوب تلك الرسوم جملة وأعضاها بآثار الخير وكذلك وقع بالأندلس لعهد الطوائف حتى ما رسمه يوسف بن تاشفين أمير المرابطين وكذلك وقع بأمصاير الجريد بإفريقية لهذا العهد حين استبد بها رؤساؤها"^(٣).

واخذت الدولة الأموية من قبل الجزية والخراج من المغلوبين حتى بعد إسلامهم كما فعل الحجاج مع الموالي في العراق^(٤). وهذا ما أثار العامة ضد هذه السياسة فكان يزيد بن المهلب " لما ولاه سليمان العراق على الحرب والصلاة والخراج استكره أن يحيف على الناس في الخراج فتلقه

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٢٧٩/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٢٧٩/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٢٧٩/١ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ٣٢٠/٧ ؛ ينظر: ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٤٠٣/٣ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

المذمة كما لحقت الحجاج ويخرب العراق وان قصر عن ذلك لم يقبل منه فرغب من سليمان أن يعفيه من الخراج وأشار عليه بصالح بن عبد الرحمن مولى تميم فولاه سليمان الخراج^(١).

وبذلك يعد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الرائد الاول في كشفه عن اهمية الضرائب واثرها العام في اقتصاديات الدول من زيادة نسبة قيمتها او نقصانها، وقد سبق الامام في هذا المجال كل من؛ ابن خلدون (ت ٨٨١ هـ) بثمانية قرون و لافر المستشار الاقتصادي في حكومة ريغان الامريكية عام (١٩٨١-١٩٨٩ م) بعشرين قرن تقريبا، ولافر صاحب (مبدأ الضريبة تقتل الضريبة او ما يعرف بمنحني لافر) والذي يؤكد " بأن كل زيادة في الضغط الضريبي تؤدي الى زيادة الحصيلة الضريبية للدولة ، ولكن الى نقطة تسمى نقطة العتبة والتي بعدها تؤدي أي زيادة في الضغط الضريبي الى انخفاض الحصيلة الضريبية"^(٢) وهذا هو ما اكد عليه الامام علي(عليه السلام) ايضا وحذر من تبعاته .

٣. الية جمع الحقوق المالية

حرص الامام علي (عليه السلام) على اتباع الاسلوب الانساني في الجباية بجمع الحقوق المالية لقد شمل الاصلاح المالي في حكومة الامام علي (عليه السلام) ايضا طريقة جباية الضرائب المالية وضبط التعامل في استيفاء الضرائب، لهذا عمدت حكومة الامام على الى مراقبة عمال الضرائب وعدم اعطائهم تفويضا مطلقاً في هذا المجال ، بل كان الامام(عليه السلام) مراقباً على كرامة الرعية والمعاملة العادلة حسب ما توصي به ضوابط الادارة الاسلامية بالرفق والرحمة، فكان (عليه السلام) يوصي عماله الابتعاد عن اهانة الناس والتكبر عليهم يوصي احد عماله: " إياك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج او تبيع دابة عمل في درهم ، فإنما أمرنا ان نأخذ منهم العفو"^(٣) ، حتى لو ادى هذا الامر الى عدم جباية اي أموال ، لأنه كان يرى أن بناء المجتمع واحترام الانسان اهم من الاموال^(٤)، واوصى عامله على برزج سابور قائلاً: " لا تضرب رجلا سوطا في جباية درهم ولا تبعن لهم رزقا ، ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ولا دابة يعتملون عليها ، ولا تقيمن رجلا قائما في طلب درهم . قال : قلت : يا أمير المؤمنين ! إذا رجع إليك كما ذهبت من عندك . قال : وإن رجعت كما ذهبت ، ويحك ، أنا أمرنا أن نأخذ منهم العفو"^(٥)

(١) ابن خلدون ، العبر، ٦٩/٣ .

(٢) المرسي ، سيد حجازي ، النظم الضريبية ، ص ١٢٨-١٢٩ .

(٣) الكليني ، الكافي ، ٥٤٠/٣ ؛ ينظر : المفيد ، المقنعة ، ص ٢٥٧ .

(٤) الشرهاني ، التغير في السياسة المالية ، ص ١٣٧ .

(٥) ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٢٣/٤-٢٤ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

وعند الحالات الصعبة والعوز اوصى (عليه السلام) عامله مالك الاشر الى التخفيف من غلواء الضريبة بقوله: " فان شكوا ثقلاً او علة او انقطاع شرب او بالة او احالة ارض اغتمرت غرق او أجحف بها عطش خفت عنهم بما ترجو أن يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شيء خفت به المؤنة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك"^(١)، ويشمل هذه القاعدة حتى أهل الكتاب يقول الامام (عليه السلام) في ذلك ولا تمس مال أحد من الناس مصل ولا معاهد"^(٢).

اما في دولة العصبية فيرى ابن خلدون انها كانت تعدي على اموال الناس العامة من اجل تامين احتياجات انفاقها المفرط فتحمل المواطن الانفاق على الحكومة: " فطبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس ... وليس عندهم في أخذ أموال الناس حد ينتهون إليه بل كلما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه فإذا ثم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطلت السياسة في حفظ أموال الناس وخرب العمران وأيضاً فلأنهم يكلفون على أهل الاعمال من الصنائع والحرف أعمالهم لا يرون لها قيمة ولا قسطاً من الاجر والثلث والاعمال كما سنذكره هي أصل المكاسب وحقيقتها"^(٣).

نلاحظ التزام حكومة الامام علي (عليه السلام) بمبادئ الاسلام والقيم الانسانية في عملية جمع الحقوق المالية واما حكومة العصبية فأنها لا تتورع عن استخدام كل الاساليب معتدية بذلك على حقوق وكرامة الانسان . وهذا يعكس ظلم حكومتها وانعدام العدالة فيها.

ثالثاً: استراتيجية تنظيم الصناعة والتجارة واثار ذلك في بناء الدولة .

وهي الاجراءات التخطيطية التي تقوم بها الدولة لدعم مسيرة الانتاج وتنظيم وتطوير اقتصاد الدولة ، في كل من قطاع الصناعة والتجارة وسنتابع ذلك عند كل من الامام علي وابن خلدون ،وتقوم هذه الاستراتيجية على عدة أنشطة في هذين القطاعين سنقف عليها .

١. بناء الصناعة وتطويرها

لبناء الصناعة هناك عدة خطوات مهمة تسهم في بناء اسس صناعة مهمة وذات جودة ومنتجة وبالتالي تطوير الصناعة ومنها الاتي:-

(١) نهج البلاغة، ص٤٣٦.

(٢) نهج البلاغة، ص٤٣٦.

(٣) ابن خلدون، العبر، ١/٢٧٩.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

اولا :- تشجيع العمل والانتاج .

جاء تأكيد الامام (عليه السلام) على الانتاج وأهميته بقوله: " لا يدرك الحق الا بالجد " (١) ويقول

ايضاً: " الحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور " (٢)، ويقول ايضاً " لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان " (٣) وكان (عليه السلام) يحث المجتمع على العمل ويحفزه على ذلك ، فقد مر ابراهيم النخعي على امرأة وهي جالسة على باب دارها بكرة وكان يقال لها أم بكر ، وفي يدها مغزل تغزل به ، فقال : يا أم بكر اما كبرت ألم بأن لك ان تضعي هذا المغزل فقالت : وكيف أضعه وسمعت علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام يقول : هو من طيبات الكسب " (٤).

وقد قسم الامام المجتمع حسب اعمالهم ومهنتهم وانهم على حد سواء لا غنى لبعضهم عن بعض ، ولا يصلح حال بعضهم بدون بعض بقوله (عليه السلام): " واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله . ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل . ومنها عمال الانصاف والرفق . ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلا قد سمي الله سهم، ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه " (٥).

وهذا التقسيم يعد تقسيم حيوي مهم لما يعطيه من اهمية للعمال والمهنة واصحاب الصناعات لما لهم من دور في تحقيق اشباع حاجات الرعية وحاجات بعضهم بعض، لذا فان مرافق البلاد المختلفة تعتمد عليهم فعلى الدولة ان تتفقد شؤونهم وترعى احوالهم ويوفروا لهم كل المتطلبات الكفيلة بتحقيق سبل ادائهم لأعمالهم بالشكل الملائم والسليم ويسدد خطى هؤلاء العاملين في الحقول التجارية والصناعية بما يعزز دورهم نحو الصلاح وتقديم الخدمات وتسهيلها (٦) والى هذا اشار الامام بقوله " فالجنود بإذن الله حصون الرعية ، وزين الولاية ، وعز الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم . ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من وراء حاجتهم. ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف

(١) نهج البلاغة، ص ٧٣.

(٢) الليثي الواسطي، علي بن محمد ، عيون الحكم والمواعظ ، ص ٥٩.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٩٩ .

(٤) العياشي ، محمد ابن مسعود ، تفسير العياشي ، ١/ ١٥٠.

(٥) نهج البلاغة ، ص ٤٣١-٤٣٢ .

(٦) حمود ، السياسة الادارية، ص ٧٣-٧٤.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاهد ، ويجمعون من المنافع ، ويؤمنون عليه من خواص الأمور وعوامها . ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ، ويقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم" (١).

وكذلك اهتم ابن خلدون بموضوع العمل اهتماماً خاصاً بان جعل من العمل نظرية قائمة بذاتها لا تقل اهمية عن نظرية المعرفة لما لها من شأن في بناء الانسان والمجتمعات والدول ولفهم فكرة العمل لا بد من التطرق الى مفهومين أساسيين هما :

١-الرزق : إذ يرى ابن خلدون انه يمثل حلقة الوصل بين ما ينتجه الانسان بعمله وسعيه أو كسبه وبين ما تنتجه الطبيعة التي سخرها الله في خدمة الانسان ويقول في ذلك "أن الله خلق جميع ما في العالم للإنسان وامتن عليه ... فأيدي البشر منتشرة وهي مشتركة في ذلك ولكن لا يحصل لهم شيء منه بغير سعي أما المطر المصلح للزراعة وأمثاله فانما يكون معيماً فقط ولا بد من سعي الانسان" (٢) فالرزق هو عطاء من الله والارزاق ترتبط بالعوامل او الموارد الطبيعية من جهة والعمل والسعي او الكسب من جهة ثابتة فيقول ابن خلدون " فلا بد من الرزق من سعي وعمل" (٣).

٢-أما الكسب : هو مجموع المكاسب والاموال المتحصلة على اساس العمل التي يتم انفاقها والانتفاع بها . فهو يرتبط اولاً بمفهوم الجهد والعمل لهذا يقال الكسب هو "الطلب والسعي في طلب الرزق والمعيشة" (٤) وكذلك يعرف بان خلدون الكسب بأنه " الاقتناء والقصد الى التحصيل" (٥) فالكسب مفهوم يرتبط بالعمل المجرد قبل التوزيع فالعمل اذن أساس الكسب لانه "لو قدر احد عطل من العمل جملة لكان فاقد الكسب بالكلية وعلى قدر عمله وشرفه بين الاعمال وحاجه الناس اليه قدر قيمته وعلى نسبه ذلك فهو كسبه ونقصانه" (٦).

واولى الامام كل الاعمال اهتماما كبير ومنها الزراعة لانها احد وجوه عمارة الارض لما لها من ايرادات اقتصادية كبيرة على البلاد ، اذ يقول (عليه السلام) في هذا المجال " تفقد امر الخراج بما يصلح اهله فان في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم . وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٣٢ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٠/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٠/١ .

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ٧١٦/١ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٠/١ .

(٦) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٠/١-٣٠١ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

من نظرك في استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ،ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد ، ولم يستقم أمره إلا قليلاً^(١) وهذه دعوة من الامام علي (عليه السلام) الى الاهتمام بهذا القطاع الاقتصادي المهم الا وهو الزراعة التي يعمل بها شريحة مهمة من ابناء المجتمع ، والتي تعد مورداً مالياً كبيراً لاعتماد الدولة .

اما عند ابن خلدون فإنه الزراعة هي مهنة وضيعة وينظر اليها بالاستحقاق نتيجة العقلية العصبية بقوله: " أن الفلاحة من معاش المتضعين وأهل العافية من البدو وذلك لأنه أصيل في الطبيعة وبسيط في مناهه ولذلك لا تجده ينتحله أحد من أهل الحضرة في الغالب ولا من المترفين ويختص منتحله بالمذلة"^(٢) ويؤكد ذلك بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) " وقد رأى السكة ببعض دور الأنصار ما دخلت هذه دار قوم إلا دخله الذل وحمله البخاري على الاستكثار منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بألة الزرع أو تجاوز الحد الذي أمر به والسبب فيه والله أعلم ما يتبعها من المغرم المفضي إلى التحكم واليد العالية فيكون الغارم ذليلاً بائساً بما تتناوله أيدي القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرماً إشارة إلى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في المتمولات واعتبار الحقوق كلها مغرم للملوك والدول"^(٣) فلا يفرق ابن خلدون بين الحقوق المترتبة على اصحاب الزراعة والفلاحة اقرتها عدالة الاسلام واوجبتها، وبين استبداد الحكام الظلمة الذين استغلوا الامر بفرض ضرائب ثقيلة نتيجتها الذل والهوان للفلاح واخذ يتعامل معها الفلاح على انها مغارم مذلة وليس حقوق مالية عليه يتوجب عليه دفعها للدولة.

وقد ركز الامام في جزء من عهده (عليه السلام) على ان يكون اهتمام عمال الخراج بتوفير متطلبات ضمان التامين الزراعي اكثر من اهتمامهم بجمع الخراج من المزارعين لان لو انخفضت معدلات انتاج القطاع الزراعي يؤدي بلا شك الى تراجع معدلات الانتاج في القطاعات الاخرى يؤدي الى تراجع عمارة الارض ومن ثم خراب البلاد وهلاك العباد وهذا جزء من الادارة الاستراتيجية لقيادة الإمام (عليه السلام) للحفاظ على استمرار انتاج هذا القطاع الاقتصادي وحمايته لأنه يمثل مورد مالي مهم للدولة ، وهذا التركيز على القطاع الزراعي يعطي قدم سبق للإمام علي (عليه السلام) في كشفه وادراكه

(١) نهج البلاغة ،ص٤٣٦ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٠/١-٣٠١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٠/١-٣٠١ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

لأهمية القطاع الزراعي الاقتصادية على سائر القطاعات الانتاجية كلها، وان ضعفها او تعطيلها يشل الحياة الاقتصادية عامة. وهذا ما تؤكد اليوم التجربة الاقتصادية الحديثة والمعاصرة بانه لولا الزراعة لما قامت الصناعة والقطاعات الانتاجية الاخرى ، فالزراعة اليوم تعد عماد الاقتصاد في الدول الصناعية المتطورة .وهي المصدر الاول في قائمة توفير المواد الغذائية بعكس ابن خلدون الذي حكم على الزراعة بانها مهنة الضعيف وتجلب الذل لصاحبها. والتي اهملها ابن خلدون ونظر اليها بامتهان.

ثانيا: - رصانة العمل والانتاج.

ربط الامام علي العلم بالعمل بأنه العمل وجه العلم ومرآته واذا كان العمل عن علم المرء به فانه يتقنه ، ولا يمكن للفرد ان يقوم بعمل ويتقنه الا بعد اجالة الفكر به وتعلمه وهذا الاتقان يعطي الفوارق في العمل ويزيد من جودة انتاج المنتج او العمل فكلما كان متقناً لعلم صنعتته كان متقناً في انتاجه. لقد اجاز الامام علي (عليه السلام) وافاد الايجاز بقوله "من علم عمل"^(١) وهو يدفع بذلك الى ضرورة اقتران العمل بالعلم، وهو مقدمه تحصيليه للعمل بقوله (عليه السلام): "ايها الناس: اعلموا ، ان كمال الدين : طلب العلم ، والعمل به ، ألا وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال"^(٢).

وكذلك عند ابن خلدون فإن عمل الانسان هو في الواقع حركة مزدوجة يؤدي فيها كل من الفكر واليد دوراً يكمل به الدور الذي يؤديه الاخر فيكون العمل بذلك أمراً عملياً فكرياً فبكونه عملياً هو جسماني محسوس وبكونه فكرياً هو ملكة راسخة تحصل على استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته واذا كان ما يمر من العقل الى اليد لابد من تعليم فان أحسن طريقة للتعليم في العمل كما علمتنا الطبيعة هي طريقه المعاينة "التي هي أوعب وأتم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عن المعاينة أكمل وارسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في حصول الملكة الصناعية"^(٣) ومعنى هذا أن التقدم في العمل والارتقاء به الى اعلى المستويات كمستوى الصناعة على سبيل المثال يتطلب الى جانب دور المعلم ممثلاً بالتجربة التعليم بالمعاينة أو المباشرة والتدريب الدائم المتواصل اذ إن "نقل المعاينة أوعب وأتم من

(١) اللبثي الواسطي ، عيون الحكم والمواعظ ، ص ٤٢٨ .

(٢) ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ، ص ٩٩ ينظر : محمودي ، محمد باقر ، نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة ، ١٠/٧ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٤٣٦/١ .

نقل الخبر^(١) .

ثالثاً: - العمل خالق لقيمة الانسان.

العمل ينمي الذات الانسانية ويبرز قيمة كل فرد على قدر اهتمامه واثقانه عمله وهذا ما اشار اليه الامام (عليه السلام) بقوله: "قيمة كل امرى ما يحسنه"^(٢)، وفي نظر الامام فالعمل يدل على عقلانية الفرد والمجتمع العامل ايضاً بقوله (عليه السلام): "العاقل يعتمد على عمله والجاهل يعتمد على امله"^(٣) وقوله: "ان العمل شعار المؤمن"^(٤) وعلى هذا تكون ايضاً هوية وشعار المجتمع الانساني وخاصة المسلم ان يكون شعاره العمل وهذا عامل للإصلاح والتطور والتقدم "طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته"^(٥).

اوضح ابن خلدون أن الانسان لا قيمة له ما لم يكن لديه عمل لهذا نجده يسقط الخدمة من قائمة المعاش الطبيعي . إذ يقول: "وأما ما دون ذلك من الخدمة فسببها أكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته ويكون عاجزاً عنها لما ربي عليه من خلق التنعيم والترف فيتخذ من يتولى ذلك يقطعه عليه اجراً من ماله وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولية الطبيعية للإنسان اذ الثقة بكل أحد عجز ولأنها تزيد في الوظائف والخرج وتدل على العجز والخنث اللذين ينبغي في مذاهب الرجولية التنزه عنهما"^(٦) أن استخدام شخص اخر لقضاء المصالح الخاصة ليست امرا مشرفا حسب ما يذهب اليه ابن خلدون بقوله: " ليس مشرفاً من جهة الرجولية الطبيعية لأن الاعتماد على الغير ضعف"^(٧) ولأن الخدمة لا تدخل ضمن العمل المنتج و لأنها تقلل من كرامة الانسان وتقلل من قيمته.

رابعاً: - توفير فرص العمل

انتقد الامام علي (عليه السلام) العصور السالفة في عهود الجاهلية والظلم ، وما فيها من صعوبة الوضع الاقتصادي وشحة العمل بقوله: " تأملوا امرهم في حاله تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة ارسابا لهم يحتازونهم عن ريف الافاق الآفاق، وبحر العراق وخضرة الدنيا إلى منابت

(١) صلاح رسلان ، ابن خلدون في دراسات عصرية ، ص ١٧١ .
(٢) صلاح رسلان ، ابن خلدون في دراسات عصرية ، ص ١٧١ .
(٣) صلاح رسلان ، ابن خلدون في دراسات عصرية ، ص ١٧١ .
(٤) صلاح رسلان ، ابن خلدون في دراسات عصرية ، ص ١٧١ .
(٥) صلاح رسلان ، ابن خلدون في دراسات عصرية ، ص ١٧١ .
(٦) صلاح رسلان ، ابن خلدون في دراسات عصرية ، ص ١٧١ .
(٧) صلاح رسلان ، ابن خلدون في دراسات عصرية ، ص ١٧١ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

الشيخ ، ومهافي الريح ، ونكد المعاش ، فتركوهم عالة مساكين إخوان دبر ووبر ، أذل الأمم دارا ، وأجدهم قرارا ، لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها، ولا إلى ظل ألفة يعتمدون على عزها . فالأحوال مضطربة ، والأأيدي مختلفة ، والكثرة متفرقة . في بلاء أزل، وإطباق جهل^(١)، فتوفير فرص للعمل يفتح بابا للتنمية الصناعية فالعمل ينمي مجتمعاً صناعياً منتجاً. اما ابن خلدون فإنه لم يشير الى توفير فرص العمل بصورة مباشرة بل جاء ذلك في معرض اعتراضه على الحكومة حين رفعا نسبة الضرائب لأنها تعطل الاقتصاد وتقلل فرص العمل وتهلك العباد.

خامسا:- التخصص في العمل وجودته.

أكد الامام (عليه السلام) على فائدة التخصص في العمل وهي من احد اسس الجودة اذ يقول (عليه السلام) ومن أوماً الى متفاوت خذلته الحيل^(٢) فلا يتمكن الفرد من اتقان الامور المتفادين او المتفاوتية التي يتعذر الجمع منها في العرف والعادة^(٣) ويفضل قليل من العمل واتقانه والاستمرار عليه "قليل تدوم عليه ارجى من كثير مملول منه"^(٤) وحث على اتقان العمل وضبطه وجودته بقوله "لا تطلب سرعة العمل، واطلب تجويده فان الناس لا يسألون في كم فرغ من العمل انما يسألون عن جودة صنعته"^(٥) فان المشتري عندما يرى المعروض لايسأل عن الفترة الزمنية التي قضاها اعداد هذه السلعة وانما يسأل عن جودتها وتقنية صنعتها فهو (عليه السلام) وشجع المجتمع ان يقدم افضل مالدية من جودة انتاج السلع وضبط الجودة ويسجل للامام علي (عليه السلام) قدم السبق في دعوته الى اتباع الجودة في الانتاج الاقتصادي والذي هو مطلب المستهلكين اليوم وموضع تنافس المنتجين.

وقد شجع الامام الانتاج من خلال حق احترام العمل والعمال فكان (عليه السلام) يحترم ويقدر هذه الشريحة الاجتماعية الواسعة فكان ينصحهم ويبشرهم قائلاً "تعرضوا لما عند الله عز وجل فان فيه غنى عما في ايدي الناس ، الله يحب المحترف"^(٦)، وكان الامام علي يجتمع بهم ويجالسهم ويسمع منهم فيذكر انه كان يخطب يوم الجمعة على المنبر فجاء الاشعث بن قيس وهو زعيم قبيلة عنده ، فدخل يتخطى رقاب الناس ، وقال يا امير المؤمنين الخملاء بيني وبين وجهك فأجابه الامام " أأطرد

(١) ابن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٢٩٧ .

(٢) ابن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٥٤٧ .

(٣) ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ٤٣٩/٥ .

(٤) ابن ابي طالب ، نهج البلاغة ، ص ٥٢٥ .

(٥) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٣٦٧/٢ .

(٦) ابن شعبه الحراني ، تحف العقول عن آل الرسول (ص) ، ص ١١٢ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

قوماً اول النهار يطلبون رزق الله واخر النهار ذكروا الله فأطردهم فأكون كالظالمين" (١) هذا ربما واحد من عدة مواقف اظهر فيها الامام حقيقة هذه الطبقة العاملة واهميتها في المجتمع فقلب موازين القبلية البائسة.

ولا يكتفي الامام بدعوة الناس بل يدعو ولاته الى انتهاج هذا الطريق فيقول لواليه على مصر مالك الاشتر: " وليكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج" (٢) فالأولوية يجب أن تعطى للإنتاج وعلى الدولة الاسلامية أن تؤمن مواردها من الانتاج قبل الضرائب التي تضعها على المنتجين لانه من طلب الخراج بغير عمارة خرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره الا قليلاً .

سادسا:- دعم العمل والإنتاج وحمايته.

ان تقوم الدولة بتنظيم ومساعدة المنتجين ويتم من خلال ما يأتي:

١. تنظيم وحماية عمل المنتجين من قبل الدولة، فالمزارع منتج والصناعي منتج والتاجر منتج وهؤلاء جميعاً بحاجة الى مؤازرة من قبل الدولة لانهم يتعرضون الى مشاكل مالية كما يتعرضون الى مشاكل نفسية ايضاً فلا بد من رعاية شؤونهم وتفقد أحوالهم باستمرار حتى تظل حركة الانتاج مستمرة دون انقطاع وهذا ما ورد في وصية الامام الى مالك الاشتر عندما اوصاه برعاية شؤون أهل الخراج والتجار وذوي الصناعات ولا مجال للذكر لكثرة تكرار النص . وركز الامام على كل انواع الاعمال والمهن المنتجة والمثمرة وشجع افراد المجتمع على مزاولتها وحث الولاة على الاهتمام باصحاب العمل والمهن وتقديم المساعدة لهم والاهتمام بهم

٢. احترام العامل المنتج ويكن الامام (عليه السلام) للعامل المنتج احتراماً بقوله: " ان الله يحب المحترف الامين" (٣)، مبيناً البعد الاقتصادي في نشاط الفرد والمجتمع وطرد الكسل وترك الاتكال بقوله: " اطلبوا الرزق فانه مضمون لطالبه" (٤) ويبين الامام ان الانسان المؤمن يكون شاخصاً وقتة في ثلاث "مرمة لمعاش وخطوة لمعاد ولذة في غير محرم" (٥) والعمل يمثل قوة اقتصاد الفرد والمجتمع "حرفة المرء

(١) العياشي ، تفسير ، ٣٦١/١ .

(٢) نهج البلاغة ، ص٤٣٦ .

(٣) الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ٢٣/١٧ .

(٤) المفيد ، الارشاد ، ٣٠٣/١ .

(٥) الامام علي ، نهج البلاغة ، ٩٣/٤ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

كنزه^(١). وهذا ما دعى اليه ابن خلدون ايضا من اظهار احترام للعامل او الصانع وحفظ حقوقه وعدم الاعتداء عليه بتسخيره للعمل بغير اجر من قبل الحكومات الجائرة المتمثلة بدولة العصبية وذلك من خلال " تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق ... فإذا كلفوا العمل في غير شأنهم واتخذوا سخريا في معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو متمولهم فدخل عليهم الضرر وذهب لهم حظ كبير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وإن تكرر ذلك عليهم أفسد آمالهم في العمارة وقعدوا عن السعي فيها جملة فأدى ذلك إلى انتفاض العمران وتخريبه "^(٢) فان تسخيرهم من دون اجر يقلل من رغبتهم بالعمل وبالتالي الكساد والبطالة وخراب العمران نتيجة الظلم اللاحق بهم.

٢. بناء التجارة وتطويرها

عرف ابن خلدون التجارة بأنها: " محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيام كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر النامي يسمى ربحا فالمحاول لذلك الربح إما أن يختزن السلعة ويتحين بها حوالة الأسواق من الرخص إلى الغلاء فيعظم ربحه وإما بأن ينقله إلى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطلب الكشف عن حقيقة التجارة أنا أعلمها لك في كلمتين اشتراء الرخيص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة إشارة منه بذلك إلى المعنى الذي قررناه والله سبحانه "^(٣).

اسس امير المؤمنين وابن خلدون الى تطوير الاقتصاد بالاهتمام بالتجارة والتجار ،وحفظ حقوقهم، وتهيأت الظروف اللازم لعرض بضاعتهم دون الخلل بالنظام الاقتصادي وبمستوى العرض والطلب بالسوق دعما للمصالح الاقتصادي العام للدولة ،ومنعاً لاستبداد التجار واحتكارهم فاوصى الامام علي(عليه السلام) في هذا الجانب من خلال توصياته الاقتصادية في عهده الى مالك الاشر بقله:" ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيرا : المقيم منهم، والمضطرب بماله، والمترفق ببذنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلابها من المبادئ والمطارح، في برك وبحرك ،وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بانقتة، وصلاح لا تخشى غائلته واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا، واحتكارا للمنافع ، وتحكما

(١) الامدي ، غرر الحكم ،ص ٤٠٧ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٣٢٢/١ ،

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٣١٧/١ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

في البياعات، وذلك باب مضرّة للعامة وعيب على الولاية فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه، وليكن البيع بيعا سمحا، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع. فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقب في غير إسراف^(١).

واوصى ابن خلدون بتنوع بضاعة التجارة التي تخدم السوق والعامة وحتى لا تكسد عند التاجر أي جلب ما يحتاجه السوق بقوله: "التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع إلا ما تعم الحاجة إليه من الغني والفقير والسلطان والسوق إذ في ذلك نفاق سلعته وأما إذا اختص نقله بما يحتاج إليه البعض فقط فقد يتعذر نفاق سلعته حينئذ بإعواز الشراء من ذلك البعض لعارض من العوارض فتكسد سوقه وتفسد أرباحه وكذلك إذا نقل السلعة المحتاج إليها فإنما ينقل الوسط من صنفها فإن العالي من كل صنف من السلع إنما يختص به أهل الثروة وحاشية الدولة وهم الأقل وإنما يكون الناس أسوة في الحاجة إلى الوسط من كل صنف فليتحذر ذلك جهده ففيه نفاق سلعة أو كسادها"^(٢)

وحذر ابن خلدون من مشاركة السلطان للرعية في التجارة لان هذا يتسبب بهيمنة السلطان على السوق بقوله: (أن التجارة من السلطان مضرّة بالرعايا ومفسدة للجباية) وتفسير هذا الفصل مفاده: إستغلال النفوذ السياسي في أعمال التجارة الزراعة والمهن الأخرى وقد وصف ابن خلدون هذا السلوك بأنه وسيلة معيشية غير طبيعية و(غلط عظيم) لأنه يدخل "الضرر على الرعايا من وجوه متعددة فأولاً مضايقة الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسير أسباب ذلك"^(٣).

وبذلك نجد ان الامام علي وابن خلدون يؤسسان لتجارة ناجحة ورائجة لخدمة السوق وضبط حالة العرض والطلب ، والحفاظ على حقوق التجار من العمل بالتجارة ومشاركة الناس في ارزاقهم فان هذا مضر بالاقتصاد العام لأنه يحتكر تجارة السوق دون الآخرين وبالتالي تنكس الاموال بيد رابحا واحد مما يؤدي الى الغنى الفاحش ومضايقة الناس ويتحكم بالسوق والاقتصاد بما يصب بمصلحته الشخصية ضاربا بمصلحة العامة من الناس والدولة.

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٣٨ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٣١٢/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٣١٥/١ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

المبحث الثالث: استراتيجية الرقابة الحكومية واثرها في بناء الدولة

أكد الامام علي (عليه السلام) على اهمية الرقابة والمحاسبة للجهاز الاداري، واثرها الكبير في استقامة مخرجات وتطور العمل الاداري، وتطبيق العدالة، والحيلولة دون استغلال بعض الافراد لمناصبهم ومسئولياتهم لمصالحهم الخاصة. ولا يتحقق هذا الهدف الا من خلال تشكيل جهاز مراقبة واشراف لعمال الوظائف في النظام الاداري. على ان يتصف هذا الجهاز الرقابي بالصدق والامانة ليرفع التقارير الموثوقة بشأن الولاة والعمال وموظفي النظام الاداري كافة. وهي مسؤولية الدولة والجهاز الحاكم في تشكيل الهيئة الرقابية وتفعيلها لتمارس مهام المراقبة والاشراف^(١) والهيئة الرقابية تنقسم الى قسمين وهما: رقابة ذاتية، ورقابة عامة وسنأتي على بيان كل منهما وكالاتي:-

١. الرقابة الذاتية

عرفت الرقابة الذاتية بأنها عملية استشعار المسلم رقابة الله تعالى على نفسه وما يصدر عنها من الاقوال والافعال لقول الامام علي: "اجعل من نفسك على نفسك رقيباً"^(٢) فمراقبة المرء نفسه هي جزء من المحاسبة الذاتية بان يراقب الانسان اقواله وافعاله وتصرفاته ونوازه حتى يعيش اليقظة الدائمة. والحق ان في كتاب امير المؤمنين الى مالك الاشر تتجلى اهمية الرقابة الذاتية وتركيز الامام عليها فقد اوصاه " أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَيَرْعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ"^(٣) ، وفي مقطع اخر " فَلْيُكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، فَأَمْلِكْ هَوَاكَ وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَجِلُّ لَكَ"^(٤).

ويؤسس الامام بذلك للوعي والرقابة الذاتية لدى الانسان مما يدفعه لإتقان عمله ومهامه الادارية^(٥) وأشار الامام الى هذا بقوله: " من كان له من نفسه يقظة ، كان عليه من الله حفاظة"^(٦) فجنده يؤكد على ولاته وقادة جنده ان يستشعروا تقوى الله دائماً في تطبيق مهامهم وتنفيذ مسؤولياتهم ومراقبة انفسهم فمن وصيته لمعقل بن قيس الرياحي حيث انفذه الى الشام قائلاً: " اتق الله الذي لا يد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه، ولا تقاثلن الا من قاتلك..."^(٧)، وكذلك وصيته لزياد بن النضر حين جعله على مقدمته في صفين: " اتق الله في كل ممسى ومصبح وخف على نفسك الضرو ولا

(١) اللنكراني ، الدولة الاسلامية ، ص ١٣٠.

(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ ، ص ٨٥.

(٣) نهج البلاغة ، ص ٤٢٧.

(٤) نهج البلاغة ، ص ٤٢٧.

(٥) الربيعي ، جميل ، دراسات اخلاقية في ضوء الكتاب والسنة ، ص ٣٢-٣٤.

(٦) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ ، ص ٤٣٨.

(٧) نهج البلاغة ، ص ٣٧٢.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

تأمنها على حال من البلاء ... فكن لنفسك مانعا وازعاً عن الظلم والغي والبغي والعدوان"^(١) لقول رسول الله (ﷺ): "عودوا قلوبكم الترقب واكثروا التفكير والاعتبار"^(٢)، وقول الامام موسى بن جعفر الكاظم (ﷺ): "ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم فان عمل حسناً استزاد الله وان عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب اليه"^(٣) فالمحاسبة ونقد النفس الذاتي هي من ثقافة وادبيات التربية الاسلامية تشكل ادوات تصحيح للأفكار والسلوك فاذا الهدف من المراقبة الذاتية يؤدي الى ما ياتي:-

١. عملية تصحيح مستمرة للنفس وتعديل اعوجاجها والاستقامة في عملها.
 ٢. ان محاسبة الانسان نفسه على تقصيره وخطئه يُجنبه سخط الله تعالى وعدم الوقوع في قفص الاتهام القانوني والاجتماعي وحينها لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً.
- ورغم تأكيد الامام (ﷺ) بتفعيل الرقابة الذاتية بصورة عامة ولل فرد الاداري بصورة خاصة ، الا ان الامام لم يغفل ان النفس امارة بالسوء الا ما رحم الله ، لذا عمد الى تفعيل جهاز الرقابة الحكومي للدولة حتى تكون الدولة العيون الساهرة بما تتملكه من قوة لحفظ الامن والنظام والازدهار الذي سنتأتي عليه ضمن القناة الثانية .

٢. الرقابة العامة

وتنقسم الى: رقابة الجهاز الحكومي و الرقابة الشعبية ،وسنأتي على توضيحها تباعاً:

اولاً: رقابة الجهاز الحكومي .

فرض الامام علي (ﷺ) الرقابة الحكومية على العاملين في المؤسسات الادارية كافة ولم يستثن أحداً ضمن الهرم الاداري فكانت رقابة الامام للموظفين على رأس سياسته الادارية ، لانه يرى نفسه مسؤولاً عليهم امام الله والشعب . اي أنّ الحصانة الدبلوماسية والادارية لا مفهوم لها عند الامام علي (ﷺ) اذا خرج الموظف ايّاً كان موقعه الاداري عن اطار ومعايير وضوابط عمله او اخل بها ،وهذا ما يؤكد جملته مخاطباته وكتبه الى ولاته وعماله على الاقاليم من بلوغ أخبارهم إليه مع بعد المسافة بين البلاد ، حيث إنّ وسائل الإعلام والاخبار الموجودة في عصرنا لم تكن كما هي عليه اليوم في تلك الفترة ، ومع ذلك كان يبلغه (ﷺ) كل جزئيات أعمال العمّال حتّى مثل شركة بعضهم في مجلس ضيافة ، فيظهر بذلك شدة عنايته بذلك وبعثه عيوناً ترصد أعمالهم وتخبره بها وهذا ما نفهمه

(١) المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ١١٧/٢ .

(٢) السيوطي، الجامع الصغير، ص٣٧٢ .

(٣) الكليني ، الكافي ، ٤٥٣/٢ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

من كتابه إلى عثمان بن حنيف^(١) عامله على البصرة: "أما بعد يا بن حنيف ، فد بلغني أنّ رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مآدبة فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان وتنتقل إليك الجفان، وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ وغنيهم مدعو" (٢) ، وإذا تأملنا هذا النص نجد أن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقرّع عامله، ويؤنّبه بشدة ، ليس على ما أضرع من أموال المسلمين، بل لأنه قبل دعوة رجل ثري لوليمة كان الفقير فيها غائبا، والغني حاضرا ، فما أراد لعامله أن يكون حاضرا بين الأثرياء كي لا تهتّر صورته بين الرعية التي جُلّها من البسطاء الضعفاء، وكان أمير المؤمنين يسعى من ذلك إلى أن يكون الوالي قدوة يقتدي بها الناس، لا أن يكون ممثلا للنخبة (٣) ، وهذا ما أكدّه كتاب أمير المؤمنين بقوله: "ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدى به ويستضيئ بنور علمه" (٤).

وفي كتابه إلى ابن عباس: "أما بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك وعصيت إمامك وأخزيت أمانتك ، بلغني أنّك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك وأكلت ما تحت يديك فارفع إلى حسابك" (٥) وفي كتابه إلى زياد بن أبيه لما كتب إليه معاوية يريد استلحاقه: "وقد عرفت أنّ معاوية كتب إليك يستزلّ لبك ويستقلّ غربك ، فاحذره" (٦) ، ولما استدرّك على ابن هرمة خيانة ، وكان على سوق الأهواز ، فكتب إلى رفاعة : إذا قرأت كتابي فنحّ ابن هرمة عن السوق ، وأوقفه للناس ، واسجنه وناد عليه ، واكتب إلى أهل عملك تعلمهم رأيي فيه ، ولا تأخذك فيه غفلة ولا تقريط ، فتهلك عند الله ، وأعزلك أخبث عزلة ، وأعيذك بالله من ذلك" (٧).

والزم الامام الولاة على تفعيل الرقابة من خلال نصوصه التي يوجه بها ولاته وعماله ومنها قوله لاحد ولاته: "ثم انظر في امور عمالك ثم تعقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لأموهم عدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان ، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته

(١) هو عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي، ولاة الإمام على البصرة فلم يزل حتى قدم عليه طلحة والزبير، توفي في أيام معاوية. ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط ، ٣٢٠/٢-٣٢٣.

(٢) نهج البلاغة، ص٤١٦.

(٣) صباح: رحيم علي و الشمري: عبد الحميد حمودي، الفكر الرقابي عند الإمام علي (عليه السلام) بحث منشور في مجلة جامعة بابل ، العلوم الانسانية المجلد ٢٢، العدد ١: ٢٠١٤.

(٤) نهج البلاغة، ص٤١٧.

(٥) نهج البلاغة، ص٤١٢.

(٦) نهج البلاغة، ص٤١٥.

(٧) المغربي ، دعائم الاسلام ، ٥٣٢/٢.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

بالخيانة ، وقلدته عار التهمة " (١) .

ثانيا : الرقابة الشعبية.

قامت دولة الامام علي (عليه السلام) من اجل الشعب وتحقيق مصالحه وحرص (عليه السلام) على فعالية مشاركة الجماهير في بناء الدولة والمحافظة عليها ما دامت تحافظ على حقوقهم وترعى مصالحهم، فمن باب اولى ان يؤدي اليها الشعب ايضاً ما عليه من واجبات ويركز الامام علي مدى قدرة المجتمع ان يكون عوناً وسنداً للقيادة والحكومة في سعيها لإقامة الحق والعدل بقوله (عليه السلام) : "واعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الوالي على الرعية ... وحسن التعاون عليه" (٢)، ومنها خطابه (عليه السلام) مع رعيته : " ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادية . ولا تخالطوني بالمصانعة . ولا تظنوا بي استنقالا في حق قيل لي ولا التماس إعظام نفسي . فإنه من استنقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه . فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل ، فإنني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ، ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني. فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره" (٣) ، وقوله (عليه السلام): " من له حاجة فليرفقاها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة" (٤). ويمكن تلخيص دور الرقابة الشعبية فيما يأتي:-

١. ركز الامام على الشرائح الواعية في المجتمع لأداء دورها الفعال في الاصلاح العام واشراكها في الرقابة الادارية من خلال توجيهاته المباشرة والمتكررة الى الرعية بان يراقبوا كل موظفي الدولة ويرفعون اليه بظلاماتهم ان صدر منهم اي تقصير بحقهم .
٢. حرص من الامام علي (عليه السلام) لنشر ثقافة الرقابة الشعبية تجاه مؤسسات الدولة .
٣. تساعد في تشخيص الخلل فيها ونقله الى الجهات المختصة لعمل الاجراء والعلاج اللازم .
٤. ان اشراك الجماهير في العملية الرقابية يدلل على انعدام الحواجز السلطوية التي تحجز وتحجب الجماهير عن قيادتها .والتي تحول دون وصول المعلومة الاستخبارية لجهات الدولة المختصة .
٥. ان الشعب هم الميدان التطبيقي لكل الاعمال الادارية وان تطبيقاتها تمس حياتهم بصورة مباشرة فهم يعدون صورة نقل ونقد حية ومباشرة لكل موظفي الدولة وخصوصا ان الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) شجع الناس وعلمهم على أن لا يسكتوا عن حقوقهم، ولا أدلّ على ذلك من قول معاوية

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٣٦ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٣٣٣ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٣٣٥ .

(٤) الدينوري ، المعارف ، ص ٥٥٨ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

بن أبي سفيان لسودة بنت عمارة الهمدانية حين طالبتة بردَ حقّها وحقّ قومها إليها فرد عليها بما نصه : " لقد لمّظكم^(١) ابن أبي طالب الجرأة على السلطان"^(٢)، أي علّمكم الجرأة في طلب الحقوق.

وفي ضوء جميع ما تقدم نجد ان حينما يقوم المجتمع الواعي بدوره الشرعي والاخلاقي فإنّه سيشكل سندا وعامل قوة للدولة في تحقيق استراتيجيتها المستقبلية واهدافها العامة.

وكان الامام (عليه السلام) ينظر في الشكاوى والتقارير التي يرفعها المواطنون ضدّ الولاة والحكام إذا انحرفوا عن طريق الحقّ وجاروا على الرعية .وبالعلاج الامر من دون تلكأ ومنه ما روت سودة بنت عمارة الهمدانية ما نصه: "لقد جنّته في رجل كان قد ولاه صدقاتنا فجار علينا فصادفته قائما يريد صلاة فلما رأني انفتل، ثم أقبل علي بوجه طلق ورحمة ورفق، وقال: ألك حاجة؟ فقلت: نعم، وأخبرته بالأمر، فبكى ثم قال: اللهم أنت الشاهد أني لم أمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك، ثم اخرج من جيبه قطعة جلد، وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) ، وإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملك حتى يقدم عليك من يقبضه، والسلام، ثم دفع إلي الرقعة، فجنّت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولا " ^(٤).

ادرك الإمام (عليه السلام) اهمية الشرائح الاجتماعية الواعية واسهامها في بناء الدولة واقامة العدل فيها ومحاربة الظلم فوجودهم سيكون عامل قوة للدولة ويزيد من فاعليتها.

وكان نجاح عمل الجهاز الرقابي يرتكز على اساسين مهمين وهما : مصداقية المعلومة الاستخبارية ودقتها .فمصداقيتها ودقتها هي نتيجة لمصداقية المخبرين وكفاءة المبلغين وامانتهم ،فالملاحظ ان عيون الامام علي (عليه السلام) المراقبة المنتشرة في مفاصل الدولة ومؤسساتها كانت تتميز معلوماتها المنقولة بدقة لا متناهية في طبيعة المعلومة الاستخبارية التي تصل الامام علي (عليه السلام) فلم تكن مجرد اشارة او خبر يحمل صفة العموم فيتحمل الصواب او الخطأ في الوقت ذاته ، بل نجد ان المعلومة تكون بتفاصيل واشارات دقيقة وهذا يرتكز الى المراقبة والمتابعة المركزة والمكثفة لكل حركات الولاة والعاملين وتصرفاتهم في الجهاز الاداري من قبل العيون الرقابية ، فنقلت الصورة

(١) لَمْظَ : تتنّع بلسانه بقية الطعام بعد الأكل ينظر: الخليل الفراهيدي ، العين ، ١٦٤/٨ ؛ الجوهري ، الصحاح ، ١١٧٩/٣ .

(٢) ابن طيفور ، بلاغات النساء، ص ٣٧ .

(٣) سورة الأعراف ، اية ٨٥ .

(٤) ابن الصباغ ، علي بن محمد بن احمد المالكي، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ص ١٨٤- ١٨٥ ؛ ينظر: ابن طيفور، بلاغات النساء ، ص ٣٧ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

والمعلومة بكل دقة وامانة وحرص شديد في الكتمان حتى تصل المعلومة الى الجهات المختصة ومعالجتها فالعيون التي بثها أمير المؤمنين (عليه السلام) لمراقبة العمال، ونقل أخبارهم كانت تقوم بعملها بشكل دقيق، ومنضبط بحيث لا تغيب عنه (عليه السلام) دقائق الأمور، فقد بلغه (عليه السلام) أن عامله على البصرة قد دُعي لوليمة، فكتب إليه: "أما بعدُ يا ابنَ حُنيْفٍ فقدَ بلغني أَنَّ رجُلًا منَ فِئتي أَهلِ البصرةِ دَعَاكَ إِلَى مَادِبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسَنِّطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ... (١)".

ولكي نفهم طبيعة المعلومة الاستخباراتية ودقتها لابد من الوقوف على بعض المفردات التي وردت في هذا النص الدالة على ذلك وبعدها يتبين لنا العلة التي من اجلها استعمل الامام (عليه السلام) هذه المفردات، منها مفردة: (بلغني) و وردت مفردة بلغني في المعاجم اللغوية بعدد من المعاني منها: " بلاغ وتبليغ ، اي كفاية" (١) و " شيء بالغ : أي جيد " (٢) والمبالغة: " أن تبلغ من العمل جهدك " (٤) وتقول " بلغت المكان ، اذا وصلت اليه " (٥) .

ولعل معنى البلاغة اصطلاحاً لا يختلف عن هذه التعريفات ويحمل المعاني ذاتها ، قال الشريف الجرجاني (١) : "البلاغة في المتكلم :ملكة يقتدر بها الى تأليف كلام بليغ و فعلم أن كل بليغ بليغ كلاماً كان او متكلماً فصيح ، لان الفصاحة مأخوذة في تعريف البلاغة ، وليس كل فصيح بليغاً" (٧) وفي الكلام :مطابقته لمقتضى الحال، والمراد بالحال : الامر الداعي الى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته ، اي فصاحة الكلام (٨) وقيل البلاغة: " تنبئ عن الوصول او الانتهاء، يوصف بها الكلام والمتكلم فقط دون المفرد" (٩) .

ومن خلال بيان الدلالات التي حملتها وتضمنتها مفردة (بلغني) هو ان اختيار هذه المفردة من قبل امير المؤمنين (عليه السلام) من دون غيرها من المفردات انما يحمل فلسفة عميقة تتناسب والاستراتيجية الرقابية التي انتهجها (عليه السلام)، وهذا ما يمكن الاستدلال عليه وبيانه من وجوه عدة نبينها بالشكل

(١) نهج البلاغة ،ص ٤١٦ .

(٢) الفراهيدي ، العين ، ص ٨٨ ؛ ينظر: ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ص ١٣٧ .

(٣) الفراهيدي ، العين ، ص ٨٨ ؛ ينظر: الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص ٧١٩-٧٢٠ .

(٤) الفراهيدي ، العين ، ص ٨٨ .

(٥) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ص ١٣ ؛ ينظر: الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص ٧١٩-٧٢٠ .

(٦) التعريفات ، ص ٣٧-٣٨ .

(٧) الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص ٣٧-٣٨ .

(٨) الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص ٣٧-٣٨ .

(٩) الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص ٣٧-٣٨ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

الآتي^(١) :

- ١ . دلت هذه المفردة على الجهد المبذول في سبيل الاحاطة بالآخبار واستقصائها بدقة وصدق .
- ٢ . ان جميع هذه المعاني تدل على الكمال في الشيء وتمامه ووصوله الى اعلى مراحلها مهما كان هذا الشيء مادياً او نفسياً او كلامياً ، وهذا ما يدفعنا الى الاعتقاد بأن عملية اختيار هذه المفردة دون غيرها انما ينطلق من قاعدة رصينة تهدف الى بيان قوة الدولة وفاعلية جهازها الرقابي .
- ٣ . ان استعمال هذه المفردة يشير الى ان عملية المراقبة وتتبع الحدث (الخلل او الخرق او الفساد) الاداري ، قد مر بمراحل عديدة يمكن توصيفها بمرحلة التشخيص ثم مرحلة الغرلة ثم مرحلة التدقيق ثم مرحلة التمحيص ، حتى وصلت الى مرحلة التكامل والاستواء والتيقن ، لتأخذ بعد ذلك إطارها نحو طريق الاجراء (العقوبة) الاداري المناسب .
- ٤ . ان مجموع هذه المعاني يدل على ان الدولة (الجهاز الحاكم) قد اوجد جهازاً رقابياً دقيقاً بلغ منتهى الدقة يمكن الاعتماد عليه في تطبيق هذه الاستراتيجية الرقابية.
- ٥ . ان المعاني التي تدل على ان الجهاز الاداري كان على درجة عالية من الحكمة والحلم والرشد ، وابتعد ما يكون عن التسرع او اتباع الاهواء والرغبات ، اذ كان بالامكان من الامام (عليه السلام) ان يستعمل مفردات اخرى مثل : (اخبرني ، وصلني ، سمعت ، قيل لي ، طرق سمعي ، نقل لي ، حدثني ...) فلها من المعاني ما يوصل المعنى الى المتلقي ، ولكن هذه المفردات تحتل وتحمل وتتحمّل اكثر من معنى ودلالة في وقت واحد ، فهي تجمع بين الصدق والكذب ، والحق والباطل ، والشك واليقين ، وهذا مالا يتفق مع جوهر شخصية امير المؤمنين (عليه السلام) الذي عرف عنه الصبر والتأني والتعقل والقدرة على حسم الامور بمستوى عال من الحرفية السياسية والادارية.

لم يلتفت ابن خلدون الى اهمية هذا الجهاز الاداري ولم يفرد له موضوعاً كما فعل في غيره من المواضيع وذلك لضعف اهتمام الحكومات العصبية بهكذا امور تفتح عليها مواضيع تهدد امنها ونظامها، فكانت تريد ان تسيطر الامور وفق مصالحها غير مكترثة برعيّتها، وفعلت الجانب الرقابي لمتابعة مصالح السلطة الحاكمة فقط ، والتحرك للمعالجة ان وجد فانه ليس من اجل الرعية وانما

(١) شكري ناصر عبد الحسن ، استراتيجية المراقبة وفاعلية النظام الرقابي عند الامام علي (عليه السلام) دراسة في كتابه لواليه على البصرة عثمان بن حنيف ، بحث مقبول للنشر في مجلة تراث البصرة ، مركز تراث البصرة ، ص ١٦ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

مصالح السلطة تتطلب هذا التحرك ، وان عدم وجود الجهاز الرقابي الفعال لصد الظالم عن ظلمه وحفظ حقوق الرعية يرجع الى اسباب عدة منها :-

١. انعدام ثقافة النقد ومحاربتها في دولة القوة العصبية وتكميم الافواه وتعميم وسيادة ثقافة الخنوع وعدم الاعتراض على الجور والظلم من خلال الترويج لذلك بنشر بعض الاحاديث النبوية التي تدعو الى الصبر على جور الولاة والحكام وعدم الاعتراض عليهم التي يبثها وعاظ وفقهاء السلاطين على المنابر وهي كثير منها: قوله (ﷺ): " يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال: تسمع وتطيع للأمير ، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع " (١) ، وعنه (ﷺ) قال: " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم . قيل: يا رسول الله ،أفلا نناذبهم بالسيف ؟ فقال: لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة . وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة " (٢).

٢. ان مبدأ بناء هذه الدول هو عامل القوة والغلبة الذي لا يهتم لحقوق الاخرين اياً كانوا والذي لا يرى سوى مصالح سلطانها وتأمين ملذاتها على حساب حقوق الرعية ومصالحها .

٣. الاهمال الممنهج وعدم رغبة الحكومة لسماع شكوى الرعية وهذا ما يدل عليه قول معاوية بن أبي سفيان لسودة بنت عمارة الهمدانية حين طالبتة برد حقها وحق قومها إليها: " لقد لمّظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان فبطياً ما تقطمون " (٣) وهو رفض واضح لمعاوية لجرأة الناس على قول الحق وبت معاناتهم والمطالبة بحقوقهم من حكامهم ومحاولته القضاء على الحق الطبيعي للشعب وسلبهم اياه بكل وسيلة.

٤. حصانة الجهاز الاداري لدولة القوة والغلبة عن القود والاقتصاص عند اعتدائه على حقوق الرعية، وهذا ماصرح به معاوية بن ابي سفيان عندما جاءه وفد بني ضبة يشكون من عبد الله بن عمرو بن غيلان واليه على البصرة عندما خطب على منبر البصرة فحصبه رجل من بني ضبة فأنته بنو ضبة فقالوا إن صاحبنا جنى ما جنى على نفسه وقد بلغ الأمير في عقوبته ونحن لا نأمن

(١) مسلم ، صحيح ، ٤٣٦/٣ .

(٢) مسلم ، صحيح ، ٤٣٨/٣ .

(٣) ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص ٣٧ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

أن يبلغ خبره أمير المؤمنين (اي معاوية بن ابي سفيان) فيأتي من قبله عقوبة تخص أو تعم فان رأى الأمير أن يكتب لنا كتابا يخرج به أحدنا إلى أمير المؤمنين يخبره أنه قطعه على شبهة وأمر لم يضح فكتب لهم بعد ذلك إلى معاوية ، ووافاه الضبيون فقالوا يا أمير المؤمنين إنه قطع صاحبنا ظلما وهذا كتابه إليك وقرأ الكتاب فقال : أما القود من عمالي فلا يصح ولا سبيل إليه ولكن إن شئتم وديت صاحبكم قالوا : فده فوداه من بيت المال وعزل عبد الله ^(١) .

فان ضعف او انعدام ثقافة الرقابة الادارية سواء كان من قبل الجهات الرسمية الحكومية أم الرصد والمراقبة المجتمعية الاداري الدولة يعكس استبدال الجهاز الاداري بالعسف بحقوق الرعية وان هذا الضعف او الانعدام الرقابي الذي يكون فعالاً الا عندما يهدد مصلحة السلطة الحاكمة اما عندما تكون مصالح الحاكم واسرته مؤمنة الجانب من اثره فحينها نجد السكوت المطبق وكأن شيئاً لم يكن.

وكذلك نجد ابن خلدون يتكرر للرقابة ويوجه جهوده نحو الاستغلال من المناصب الادارية بالتملق لها. والتملق من الملق و" المَلَقُ: الزِّيَادَةُ فِي التَّوَدُّدِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي " ^(٢)، وذلك لا يجوز لغير الله عزَّ وجلَّ، " والإملاق يعني الإفساد، والملق الذي يَعِدُكَ وَيُخْلِفُكَ.. ويتزين بما ليس عنده" ^(٣) ، "ورجل مَلِقٌ: يعطي بلسانه ما ليس في قلبه" ^(٤)، وللتَمَلُّقِ اساليب، منها: الخضوع والتذلل والمداهنة، والثناء الكاذب، والغيبة والنميمة...، يستعين بها المَمَلَّقُ، للفت انتباه المَمَلَّقِ له وكسب رضاه، كوسيلة للتسلق للوصول الى المناصب السياسية او الادارية المهمة في الدولة او للتسلق الاجتماعي، وتحقيق المآرب الشخصية، متجاوزاً بذلك القيم والمبادئ الاسلامية والثوابت الخلقية فابن خلدون يدعو الى التملق اي المجاملة على حساب اظهار الحقيقة فهذا هو يدعو الى تبني مرض خطير من الامراض الاجتماعية والتعامل به بين الناس لان سلم وطريق قصير للوصول الى الغايات فهو يُعَلِّمُ التَمَلَّقُ والمداهنة! إذ يقول: "إن التعاون بين الناس لا يحصل إلا بإكراه البعض على التَمَلَّقِ، ممن يمتنعون، من ذوي الأنفة والاستعلاء الفطري، لجهل حكمة الله في هذا التعاون لبقاء النوع البشري!" ويستشهد بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ

(١) الطبري ، تاريخ ، ٢٢٣/٤ ؛ ينظر: ابن مسكوية ، تجارب الامم ، ٢٠٩/٢ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ٢٧٨/٥ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٣٤/٤ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٣٤/٤ .

(٤) القرطبي ، الجامع لاحكام القران ، ١٣٢/٧ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴿١﴾ (٢)، فذيل ابن خلدون مقولته بهذه الآية الكريمة، لإعطاء التَّمَلُّق صبغة الشرعية الدينية، الا انه حمل الآية على غير وجهتها فالآية موجهة لكفار قريش، الْمُتَمَلِّقِينَ المداهنين الصادين عن الفطرة، لاعتراضهم على نبوة الرسول محمد (ﷺ) إذ ارتأوا أن النبوة يجب أن تكون في رجل ذي مال، فالمال عندهم هو الشرف والمكانة! والله يقول لهم في هذه الآية: أما تستحون! وقد قسمنا بينكم ما تأكلون وتشربون وتسكنون ثم، تعترضون على الله في اختياره من هو أهل لنبوته ورسالته؟! (٣).

ولم يكتف ابن خلدون بشرعة التملق بل دعا الى " إكراه البعض " (٤) على التَّمَلُّق لأهميته في جلب السعادة حسب وجهة نظره بقوله: " أن الجاه متفرع وأن السعادة والخير مقترنان بحصوله علمت أن بذله وإفادته من أعظم النعم وأجلها وأن باذله من أجل المنعمين وإنما يبذله لمن تحت يديه فيكون بذله بيد عالية عزة فيحتاج طالبه ومبتغيه إلى خضوع وتملق كما يسأل أهل العز والملوك وإلا فيتعذر حصوله فذلك قلنا إنَّ الخُضُوعَ والتَّمَلُّقَ من أسباب حصول الجاه المحصّل للسعادة والكسب، وإن أكثر أهل الثروة والسعادة بهذا الخُلُق. ولهذا نجد الكثير ممن يتخلّق بالترَفُّعِ والشَّمَمِ، لا يحصل لهم غرض من الجاه، فيقتصرون في التَّكسُّبِ على أعمالهم، ويصيرون إلى الفَقْرِ والخصاصة! " (٥).

ميّز ابن خلدون هنا بين فئتين: فئة تبرع في الخضوع والتَّمَلُّق، فتحصّل الجاه والكسب، لا بل والسعادة أيضاً! والفئة المقابلة، البارعة في الأنفة والطباع الحميدة، ستصير إلى الفَقْرِ، وبذم الفئة المحافظة على قيمها وإخلاقتها لاعتمادهم على أعمالهم في كسبهم وتحصيل رزقهم والذي يعده مخالفة لحكمة الله في خلقه؟! حسب قوله: " أن هذا الكِبَرُ والترَفُّعُ - عن التَّمَلُّقِ والمداهنة - من الأخلاق المذمومة إنما يحصل من توهم الكمال وأن الناس يحتاجون إلى بضاعته من علم أو صناعة كالعالم المتبحر في علمه والكاتب المجيد في كتابته أو الشاعر البليغ في شعره وكل محسن في صناعته يتوهم أن الناس محتاجون لما بيده فيحدث له ترفع عليهم بذلك! " (٦) فالتَّمَلُّق، في رأي ابن خلدون، هو الشخص الناجح والمكتسب والسعيد والمحقق لعمارة الأرض وحكمة الله في الخلق! بالإطراء الكاذب، والكلام المنمق للوصول إلى الغاية والهدف المادي الذي يخسر الانسان انسانيته

(١) سورة الزخرف ، اية ٣٢.

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠٧/١.

(٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٨٣/٢٥.

(٤) ابن خلدون ، العبر، ٣٠٧/١.

(٥) ابن خلدون ، العبر، ٣٠٧/١.

(٦) ابن خلدون ، العبر، ٣٠٧/١.

الفصل الرابع : استراتيجيات بناء المنظومة الإدارية للدولة

في قبال تحصيله .

يظهر هنا التوجه المادي لفكر ابن خلدون بصورة واضحة والذي يطغي على القيم الاسلامية والأخلاق الحميدة والفترة الحسنة. من أجل كسب المال والنفوذ غير مكترث بالآثار الاجتماعية لهذا الخلق الفتاك الذي يروج له في مقدمته وبالعاوين العريضة ليصبح ثقافة مجتمع يمارسها الأفراد والجماعات، برغبة وربما بالإكراه كما يذهب هو الى ذلك، لينشر بذلك الزمن آفة اجتماعية خطيرة، تكون سبباً من أسباب تردي أوضاع المجتمع والتي حاربها الاسلام ودعا للقضاء عليها.

ثالثا : الرقابة الاقتصادية .

تتم الرقابة الاقتصادية من خلال تفعيل الدور الرقابي للدولة في متابعة الاسواق وحالة العرض والطلب وتنظيمها وضبط الاسعار من خلال ما ياتي:-

اولا: منع الاحتكار^(١) يعد الاحتكار من الخطورة الاقتصادية نظراً لما يطرحه حرية المنتج والبائع من عبء كبير يظلم ويستغل كاهل المستهلك النهائي، ويسرف جهده وعمله وقدراته ودخله ، ويرفع المستوى العام للأسعار ويخفض من مستوى القدرة الشرائية للنقود^(٢) وقد وجه الامام علي الدولة والجهات المختصة الى مراقبة نظام العرض والطلب في الاسواق لضمان التوازن الاقتصادي بين المنتج والمستهلك ، ووضع (الاحتكار) استراتيجية منع الاحتكار والحفاظ على توازن السوق وعرض هذا من خلال توصياته الاقتصادية في عهده الى مالك الاشر بقله (الاحتكار) " ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيرا : المقيم منهم، والمضطرب بماله، والمترفق ببذنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلابها من المبادئ والمطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بانفته، وصلح لا تخشى غائلته واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا، واحتكارا للمنافع ، وتحكما في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه، وليكن البيع بيعا سمحا، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع. فمن قارف

(١) الاحتكار : حكره - حكرا : ظلمه وتنقصه أساء معاشرته فهو حكر اما اصطلاحا فهو حبس السلعة والامتناع عن بيعها بقصد إغلاء السعر .ينظر : إعداد مركز المعجم الفقهي ،المصطلحات،ص٨٤؛ سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي،ص٩٥ .

(٢) المحنك ، علم الاقتصاد في نهج البلاغة ، ص٩٨ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

حكرة بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقب في غير إسراف" (١).

وكان عليه السلام يمارس بنفسه دور المراقب على الاسواق وقد وردت نصوص بذلك منها :
انه كان بالكوفة يغتدي كل يوم بكرة من القصر يطوف في أسواق الكوفة سوقا سوقا ، ومعه الدرة
على عاتقه ، فيقف على أهل كل سوق فينادي: " يا معشر التجار ! اتقوا الله عز وجل ! " فإذا سمعوا
صوته ألقوا ما في أيديهم وأرعوا إليه بقلوبهم وتسمعوا بأذانهم ، فيقول: " قدموا الاستخارة ، وتبركوا
بالسهولة ، واقربوا من المبتاعين ، وتزينوا بالحلم ، وجانبوا الكذب ، وتجاؤا عن الظلم، وأنصفوا
المظلومين ، ولا تقربوا الربا ، وأوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض
مفسدين " (٢) .

وكذلك عرض ابن خلدون للاحتكار من ناحية رفضه احتكار التجارة في السوق من قبل الحاكم
وتسلطه على النشاط الاقتصادي، فيوضح ابن خلدون في مقدمته فصلاً بعنوان " في أن التجارة من
السلطان مضرّة بالرعايا ومفسدة للجباية " (٣) وتفسير هذا الفصل مفاده استغلال النفوذ السياسي في
أعمال التجارة والزراعة والمهن الأخرى وقد وصف ابن خلدون هذا السلوك بأنه وسيلة معيشية غير
طبيعية وغلط عظيم لأنه يدخل " الضرر على الرعايا من وجوه متعددة فأولاً مضايقة الفلاحين
والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسير أسباب ذلك " (٤) لأثر رأس مال الدولة في السوق وخوف
الناس من بطشها وظلمها فيكون عرضه للسلع كبيراً وقوياً فيرغم الآخرين على شراء سلع الدولة
بالقوة فيلحق الضرر بالفلاح والتاجر " فان الرعايا متكافئون في اليسار متقاربون ومزاحمة بعضهم
بعضاً تنتهي إلى غاية موجودهم أو تقرب وإذا رافقهم السلطان في ذلك وماله أعظم كثيراً منهم فلا
يكاد أحد منهم يحصل على عرضه في شيء من حاجاته ويدخل على النفوس من ذلك غم ونكد "
(٥)

وكذلك عند شراء السلع من قبل الحكومة فإنها تبتاعها بالقوة وتفرض على البائع الشراء منه
بالسعر الذي يناسبها غير مكرثة بالأضرار التي تسببها له وعدم اعتراض الأخير خوفاً من السلطان
" ثم إن السلطان قد ينتزع الكثير من ذلك إذا تعرض له غضا أو بأيسر ثمن أو لا يجد من يناقشه

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٣٨ .

(٢) الطوسي ، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، ص ٣٧١

(٣) ابن خلدون ، العبر، ٣١٧/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر، ٣١٥/١ .

(٥) ابن خلدون ، العبر، ٣١٥/١ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

في شرائه فيبخس ثمنه على بائعه ثم إذا حصل فوائد الفلاحة ومغلها كله من زرع أو حرير أو عسل أو سكر أو غير ذلك من أنواع الغلات وحصلت بضائع التجارة من سائر الأنواع فلا ينتظرون به حوالة الأسواق ولا نفاق البياعات لما يدعوهم إليه تكاليف الدولة فيكلفون أهل تلك الأصناف من تاجر أو فلاح بشراء تلك البضائع ولا يرضون في أثمانها إلا القيم وأزيد فيستوعبون في ذلك ناض أموالهم^(١) .

وأشار أيضاً ابن خلدون إلى ابتزاز الحاكم وبعض المسؤولين لأموال الدولة (الضرائب) ذلك من خلال الاستيلاء على كمية كبيرة من الانتاج الزراعي أو الصناعي أو التجاري واحتكارها إما عن طريق القوة أو شرائها بأبخس ثمن والتحكم بأسعار بيعها وهذا يمثل سيطرة الحكومة على الأسواق يجعل الآخرين في حذر من منافسة الحاكم في المزايدة أو مناقصة وبهذا يتمكن من اجبارهم على بيع بضائعهم له بأسعار منخفضة وقد يجبر التجار والفلاحين على شراء البضائع منه مباشرة (بأرفع الأثمان) وتلك البضائع التي اشتروها من الحاكم يضطروا إلى بيعها بأثمان بخسة لاسيما في اوقات كساد الأسواق^(٢) مما يدفع هذا الأمر بذهاب : "رأس ماله -التاجر أو الفلاح - فيقعد عن سوقه"^(٣) كما ان هذا "العنت والمضايقة وفساد الارباح ما يقبض امالهم"^(٤) وهي اعمال في رأي ابن خلدون اي غير شرعية .

ويقدم الامام بهذا النص خطة اقتصادية لمعالجة حالات الاحتكار وما يترتب عليه من مستوى بناء البيئة والمناخ الاقتصادي الصالح للتنمية الاقتصادية واحتواء انعكاساتها الانية والمستقبلية بلا خسارة في القوى الاقتصادية ومنه ما ينجر على وبتهيئة المناخ والبيئة الاقتصادية الصحية يمكن السيطرة على الاحتكار وأسبابه من خلال :

١. مداراة التجار لأهميتهم الاقتصادية في جلب السلع التي يحتاجها السوق من خارج حدود الدولة "وأوص بهم خيراً : المقيم منهم والمضطرب بماله والمتفرق ببذنه"^(٥) ، وخوفاً من تهديدات هروب الاموال المستثمرة والمدخرة او تجميد ذوي العلاقة لأموالهم والاضرار بالاقتصاد الاسلامي بقوله : "فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطرح في برك وبحرك وسهلك وجبلك

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٣١٥/١ .

(٢) العبيدي ، الدولة في فكر ابن خلدون ، ص١٨٦ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٣٢٢/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٣٢٢/١ .

(٥) نهج البلاغة ، ص٤٣٨ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

وحيث لا يلتزم الناس لمواضعها ولا يجترؤون عليها فانهم سلم لا تخاف بانقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك" (١) .

٢. مراقبة التجار وضبط نشاطهم لأن ان في كثير منهم "ضيقة فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في المبيعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة" (٢) وهذه الثقافة التنظيمية والاجتماعية والاقتصادية الواسعة المضامين ان تكون الرافد بالوعي للشخص القيادي للطلاع على احوالهم فان نتيجة الاحتكار باب مضرة للعامة وعيب على الولاة لانه يعكس ضعف الولاة في القضاء على هذه الظاهرة ومنعها وتأمين الاستقرار الاقتصادي .

٣. تعميم ثقافة منع الاحتكار ورفضه أين ما كان في الحلقات المتأثرة بالاحتكار ليكون المنع العادل لكل الاطراف لأن ذلك من الاسس السليمة لبناء اقتصاد اسلامي قوي وعادل وقد نهى الرسول منه والدليل ما يتضمنه قوله (ﷺ): "فامنع من الاحتكار فان رسول الله (ﷺ) منع منه" (٣)، وهو التشريع الداعم للاستقامة المانع من انحراف المحتوى الفكري والنفسي والسلوكي.

٣. الحرص على التوازن العادل والاخلاقي والانساني والكيفية التي يقوم عليها العرض في السوق؛ بقوله (ﷺ): "وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع" (٤) ، وبهذه المنظومة الاقتصادية التجارية يتوقف الاحتكار.

٤. توفير حماية الامن الاجتماعي الاقتصادي المبني على الوعي والثقافة التنظيمية وموازن نظام عقوبة المحتكر " فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقبه في غير اسراف" (٥) وحتى العقوبة لها أبعادها الانسانية التأديبية المنتجة سبيل عدم الاسراف في العقوبة والابتعاد عن العقوبة الانتقامية التي قد تسبب الاضرار الجامح من ردود الافعال وما ينجم عن العزة في الاثم أو الخطأ أو الانحراف في السلوك الاقتصادي وتعكير المناخ الاقتصادي وانسيابية حلقات دورته والاضرار في المناخ الساسي واداء مهام الدولة.

(١) نهج البلاغة، ص ٤٣٨.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٣٨.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٣٨.

(٤) نهج البلاغة، ص ٤٣٨.

(٥) نهج البلاغة، ص ٤٣٨.

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

ولم نجد في مقدمة ابن خلدون برنامجاً حكومياً أو طرحاً ابن خلدوني كمؤشر لوجود جهاز رقابي للقضاء على الاحتكار ، ونلاحظ ان ابن خلدون يكتفي بالاستتكار فقط .

المبحث الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الامنية واثرها في بناء الدولة

ان تحقيق الامن العام (الداخلي والخارجي) من المتطلبات الحيوية لنجاح بناء الدولة وتقدمها عند الإمام عليّ (عليه السلام) وذلك بقوله: "شر البلاد بلد لا أمن فيه ، ولا خصب"^(١)، فقدم الامام الضرورة الامنية التي هي سبب لتقدم وتطور الدولة في المجالات الاخرى منها الاقتصادية، فكانت فلسفة الامام عليّ (عليه السلام) تقوم على بناء المنظومة الامنية بناءً يسهم في توطيد الامن العام لتحفظ هوية الدولة وتؤمن حدودها. وكانت للإمام استراتيجية خاصة لتحقيق ذلك من خلال وضع اسس ومرتكزات بناء سليمة وقوية تقوم عليها هذه المؤسسة الحساسة والمهمة واهم هذه المرتكزات ما يأتي :-

اولا: المرتكز البشري

ان الاساس الاول في استراتيجية بناء المنظومة الامنية عند الامام عليّ (عليه السلام) هو اعداد التنظيم البشري مادة القوات الامنية واساس تركيبتها والذي تتكون حسب مبدأ الامام (عليه السلام) من مكونات مجتمع الدولة (الرعية) ذاته ويراعي فيها التوازن والتماثل دون اقصاء او تمييز وذلك في نص كتاب له (عليه السلام): " اعلم ان الرعية طبقات فمنهم جنود الله..."^(٢) فلم يحدد فئة او قبيلة خاصة بل قال الرعية بصورة عامة ، فكانت تركيبة جيش دولة الامام عليّ (عليه السلام) من عامة المجتمع من الصحابة والتابعين وكذلك تمثيل العنصر القبلي^(٣)، الا انه (عليه السلام) لم يجعله تعميماً مفتوحاً فقرن هذا التعميم في تشكيلة الجند ان يكونوا من جملة المؤمنين المناصرين لدين الله بقوله حصاراً (جنود الله)، اي يكون ولائهم وجهادهم لأجل الحكم والحاكم العادل الامر بحكم الله سبحانه وعدله . وهذا يؤكد لنا امتلاك الامام عليّ (عليه السلام) وجهة نظر اجتماعية عميقة في استراتيجية بناء القوات الامنية يكشف عنها بتأكيدهِ على ان الشعب مادة ومحور المنظومة الامنية .

ومن جملة الصحابة الذين كانوا في تركيبة جيش الامام كان في مقدمتهم ائمة اهل البيت (عليهم السلام) ومنهم الحسن والحسين (عليهما السلام)^(٤) ، ومن غير اهل البيت عمار بن ياسر وعدي بن حاتم ، وقد ذكرت المصادر اعداد كبيرة من الصحابة كانت في جيش الامام عليّ (عليه السلام) فذكر ان عددهم اربعمائة من

(١) الليثي الواسطي ، عيون الحكم ، ص ٢٩٤ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٤٣١ .

(٣) شكري ناصر عبد الحسن ، الامام عليّ (عليه السلام) دراسة في فكره العسكري ، ص ١٥٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥١٢/٣ .

المهاجرين والانصار منهم سبعون بديراً^(١) وقد كان جملة من شهد صفين من الصحابة ممن شهد بيعة الشجرة ومن سائر المهاجرين والانصار كذلك ثمانون رجلاً^(٢) .

اما فيما يتعلق بالتابعين فكان من جملتهم زيد بن صوحان وكان صاحب موقف ثابت مع الامام علي (عليه السلام) استشهد في موقعة الجمل^(٣) ، ومنهم ايضاً اويس القرني وهو خير التابعين بشهادة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٤) .

واستعان (عليه السلام) الامام بالعنصر القبلي ضمن مادة الجيش وتشكيلته . وانه من الامور الطبيعية ان يكون للقبائل نسبة كبيرة في جيش الامام علي (عليه السلام) وذلك لطبيعة الظروف السياسية والعسكرية التي تفرض الاستعانة بهذه القبائل وخاصة قبائل الكوفة التي طالما عرفت بولائها له^(٥)، وهذا ما ندرکه من كتاب له يخاطبهم فيه قائلاً: " فاني اخترتكم والنزول بين اظهركم لما اعرف من مودتكم وحبكم لله عز وجل ولرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن جاءني ونصرني فقد اجاب الحق وقضي الذي عليه"^(٦) وكذلك لطبيعة نظام المجتمع الذي كانت القبلية شبه مستحكمة فيه ولا نبالغ ان قلنا هي الطابع السائد والذي تعامل معها الامام بذكاء وحكمة في امتصاص عصبيتها وتهذيبها وتوجيهها نحو العدو لإدراك الإمام (عليه السلام) لأثار التنافس القبلي الذي يشق صف الجند ووحدته ، وكانت له معالجاته الخاصة بما تميز به من فكر عسكري رائد للحد من اثارها وازالتها في جملة معالجات تنوعت حسب متطلبات الظروف ومنها الاتي:-

المعالجة الاولى : مواجهة التنافس القبلي والتقليل من حدة الصراع من خلال ما تميز به الامام من ذكاء وسرعة بديهية وحكمة في معالجة هكذا مواقف. ومن جملة معالجات الامام (عليه السلام) لهذه الصراعات القبلية منها ما ظهر من تنافس من اجل القيادة بين زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هاني الحارثي ،الذين ارسلهما الامام امامه الى صفين ،فامر الامام (عليه السلام) زياد بن النضر عليهم، مما اثار منافسة شريح له فارسل للإمام (عليه السلام) كتاب عبر فيه عن انزعاجه من أمرة زياد عليهم ، وجاء فيه " تتكر و ستكبر ، ومال به العجب والخيلاء والزهو الى مالا يرضاه الرب تبارك وتعالى من القول والفعل ، فان رأى امير المؤمنين ان يعزله عنا ويثبت مكانه من يحب و فأنا له كارهون "^(٧) فكتب اليه الامام علي (عليه السلام):"اني وليت

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ١٧٧/٢؛ ينظر : ابن عساکر ، تاريخ مدينة دمشق ، ٦/٦ .

(٢) مروج الذهب ، ٣٦٧/٢ ؛ ينظر : ابن الاثير ، البداية والنهاية ، ٢٥٥/٧ .

(٣) ابن عساکر ، تاريخ مدينة دمشق ، ١٦/٦ .

(٤) المفيد ، الاختصاص ، ص ٣١ .

(٥) شكري ناصر عبد الحسن ، الامام علي (عليه السلام) دراسة في فكره العسكري ، ص ١٥٠ .

(٦) الطبري ، تاريخ ، ٤٧٧/٤ .

(٧) المنقري ، صفين ، ص ٢٩٠ .

مقدمتي زياد بن النضر وامرته على الناس ، وشريح بن هاني على طائفة منها امير.... وليناها امرها" (١) . وهذا الحل من الإمام (عليه السلام) لا بد منه في هكذا موقف لان الجيش مقبل على مواجهة حتمية مع العدو ويتطلب توحيد القيادة ، لان تعدد القيادات يشتمل التوجيهات ويعددها وبالتالي تشتت جهود وقوة الجند (٢) .

ومن ابرز التنافسات القبلية هو ما حدث بين همدان وربيعه ، فبعد ان صدت همدان غارات جيش معاوية وهجماته من الشام ، اصبحت لها مكانة عند الامام علي (عليه السلام) فتعصب بعض من رجال ربيعة لربيعة فقال احدهم : " الست الزاعم لئن لم تنته ربيعة ربيعة ، وهمدان همدان فما اغنت عنك همدان البارحة فنظر اليه علي نظر منكر" (٣) فكانت نظرة الامام علي (عليه السلام) دون الرد عليه هي علاج سريع ومتناسب مع عقلية المتكلم وموقفه الشخصي من القبيلة الاخرى (٤) .

المعالجة الثاني : ايجاد حالة من التوازن في مواقفه تجاه القبائل من حيث المدح والاشادة بالمواقف وذكر بطولاتهم ونصرتهم لدولة الحق ،منها مدحه لربيعة بقوله (عليه السلام) يصف راياتها : " هي رايات الله" (٥) ، ويصف همدان بالثناء والمدح بقوله : " يا معشر همدان انتم درعي ومجني (٦) يا همدان ما نصرتم الا الله ولا احببتم غيره" (٧) .

اما تركيبة القوات الامنية عند ابن خلدون ولكون العصبية اساس نظريته في بناء الدولة فانه اعتمد في بناء تركيبة هذا المرتكز البشري على العصبية اعتماد اساسي؛ لان العصبية القبلية هي الطابع العام لنظام المجتمع والذي لا يمكن تغييره حسب اعتقاد ابن خلدون، وكذلك لا يمكن بناء اي قوة الا بالعصبية بما تشكله من قوة للحماية والمدافعة لقوله: " أن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه" (٨) ، وقوله ايضا: " أن المطالبات كلها والمدافعات لا تتم إلا بالعصبية" (٩) ويؤكد على العصبية لما تتميز به من خصائص النصر و الحز على القتال، ولما يتوفر فيها من العدة والاعداد الكبيرة بقوله: " أن الملك والدولة العامة انما يحصلان بالقبيل والعصبية و أن المغالبة والممانعة إنما تكون بالعصبية لما

(١) ابن ابي الحديد الشرح ، ١٩٢/٣ .

(٢) شكري ناصر ، الامام علي (عليه السلام) دراسة في فكره العسكري ، ص ١٦٥ .

(٣) نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ، ص ٣٣١ .

(٤) شكري ناصر ، الامام علي (عليه السلام) دراسة في فكره العسكري ، ص ١٦٥ .

(٥) نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ، ص ٢٨٨ .

(٦) مجني: الترس او الدرع . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٤٢/٣ .

(٧) ابن ابي الحديد ، الشرح ، ٧٨/٨ .

(٨) ابن خلدون ، العبر ، ١١٠/١ .

(٩) ابن خلدون ، العبر ، ١٤٨/١ .

فيها من النعرة و التذامر^(١) واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه " وان النصره طبيعیه في العصبية الواحدة الواحدة لرابطة النسب (القرابة) بينهم ،وكذلك الولاء بالرق والحلف الذي يكون قبل الملك فانه ينزل منزلة النسب مما يخلق فيهم التعصب لنصرة بعضهم بعض فيشكلون بذلك قوة للمطالبة والمدافعة." أن المقصود في العصبية من المدافعة والمغالبة إنما يتم بالنسب لأجل التناصر في ذوي الأرحام والقربى والتخاذل في الأجانب والبعداء كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق أو بالحلف تنتزل منزلة ذلك لان أمر النسب وإن كان طبيعياً فإنما هو وهمي والمعنى الذي كان به الالتحام^(٢).

والملاحظ ان المادة البشرية لتركيبه القوات الامنية لدولة العصبية في تغير مستمر وذلك لأسباب منها ما يأتي :-

السبب الاول:- نتيجة الحكم الاستبدادي : ان مقتضيات مصلحة الحاكم الاعلى بما ان تأسيس وبناء القوات الامنية هو نصره للملك بالدرجة الاولى فلاحظ التغير في مادة الجند فعندما تدخل الدولة طور الملك فان مقتضيات مصلحة الحاكم الاعلى تقتضي الاستبداد بالملك والانفراد به حسب ما يراه ابن خلدون ؛ لذا فان تركيبة الجيش تختلف حينها ويعتمد على عصبية جديدة يسميهم ابن خلدون بالمصطنعين اي تكوين عصبية جديدة مصطنعة لإقصاء عصبية النسب او العصبية المناصرة الاولى؛ بسبب استبداد الملك بالحكم والسلطنة فيتم اقصائهم عن المشاركة في مؤسسات الدولة بما فيها الجيش فيعيد تركيبته بعصبية مصطنعة من المرتزقة الذين يشتري ولائهم بالأموال.

السبب الثاني:- نتيجة ضعف قوة العصبية المكونة للجيش: كذلك يتم تغيير مادة عصبية الجيش عندما تضعف عزيمة الجند نتيجة عيشهم بالترف عندما تدخل الدولة طور الحضرة والترفة الذي يسلب الجند بأسهم وشجاعتهم التي الفوها وهم في طور البداوة وهذا ما نفهمه من قول ابن خلدون: " أن طبيعة الملك تقتضي الدعة كما ذكرناه وإذا اتخذوا الدعة والراحة مألفاً وخلقا صار لهم ذلك طبيعة وجبله شأن العوائد كلها وإيلافها فتربى أجيالهم الحادثة في غضارة العيش ومهاد الترف والدعة وينقلب خلق التوحش وينسون عوائد البداوة التي كان بها الملك من شدة البأس وتعود الافتراس وركوب البيداء ... فتضعف حمايتهم ويذهب بأسهم وتتخضع شوكتهم ويعود وبال ذلك على الدولة"^(٣) فيستلزم لذلك ان تكون حمايتهم من قبل قوات جديده اخرى " وهم في ذلك يبعدون عن البداوة والخشونة وينسلخون عنها شيئاً فشيئاً وينسون خلق

(١) التذامر : الحز على القتال الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ٣٦/٢ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٤٥/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٣١/١-١٣٢ .

البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالا على حامية أخرى" (١) ؛ لذا تستبدلهم الدولة بجندٍ جُدد وهذا ما يراه ابن خلدون بقوله: "وربما يحدث في الدولة إذا طرقها هذا الهرم بالترف والراحة أن يتخير صاحب الدولة أنصارا وشيعة من غير جلدتهم ممن تعود الخشونة فيتخذهم جندا يكون أصبر على الحرب وأقدر على معاناة الشدائد من الجوع والشظف ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه أن يطرقها حتى يأذن الله فيها بأمره" (٢) ، ويذكر ابن خلدون ان هذا وقع في دولة الترك فغيروا جيشهم بعناصر جدد بقوله: " وهذا كما وقع في دولة الترك بالمشرق فإن غالب جندها الموالي من الترك فتتخير ملوكهم من أولئك المماليك المجلوبين إليهم فرسانا وجندا فيكونون أجرا على الحرب وأصبر على الشظف من أبناء المماليك الذين كانوا قبلهم وربوا في ماء النعيم والسلطان وظله" (٣) ، وكذلك ذكر ابن خلدون ان هذا حدث " في دولة الموحيين بأفريقية فإن صاحبها كثيرا ما يتخذ أجناده من زنانة والعرب ويستكثر منهم ويترك أهل الدولة المتعودين للترف فتستجد الدولة بذلك عمرا آخر سالما من الهرم والله" (٤).

ثانيا: المرتكز العقائدي

اهتم الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ببناء جيش عقائدي تربط اواصر افراده مبدأ العقيدة من الايمان بالله ورسوله والتضحية في سبيل نشر رسالة الرحمة الانسانية والدفاع عنها وهذه العقيدة تخلق الروح الرسالية وهي التي يعول عليها الامام في تماسك الجند وقوتهم فهي تسمو على الاواصر المادية التي تجمع جيش العصبية والتي يمكن هزها والقضاء عليها نتيجة الحمية او شراء ذمم بعضهم بالمال. فأكد الامام على ان يكون انتساب الافراد للقوات الامنية ممن يخلص الله تعالى ورسوله بعقيدته بقوله: " فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ ، أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَإِلِمَامِكَ " (٥) ، فحرص (عليه السلام) على تعبئة الجنود بنفس الروحية التي كان عليها جيش الاسلام في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واكد دائما على زرع تلك المعنوية العالية في نفوسهم بتذكيرهم بالخطب الهامة في هذا المجال قائلاً: " أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، و قرأوا القرآن فأحكموه ، وهيجوا إلى القتال فولهوا وله اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أعمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً، بعض هلك وبعض نجا، لا يُبشرون بالأحياء ولا يعزون بالموتى، مُره العيون من البكاء، خُصص البطون من الصيام، ذُبل الشفاه من الدعاء، صُفر الألوان من السهر ، على

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٣١/١-١٣٢.

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٣١/١-١٣٢.

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٣١/١-١٣٢.

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٣١/١-١٣٢.

(٥) نهج البلاغة ، ص ٤٣٢.

وجوهم غيرة الخاشعين ، أولئك إخواني الداهيون، فحُق لنا أن نظماً إليهم ونعض الأيادي على فراقهم^(١)، وقد اثبت قوة البناء العقائدي في القوات الامنية منها تشارط الامام مع قواته الخاصة (شرطة الخميس) على ثبات الموقف والعقيدة اذ ان الامام علي (عليه السلام) قال لهذه الطائفة: " تشرطوا فإنما أشارتكم على الجنة، ولست أشارتكم على ذهب ولا فضة ، ان نبيا من الأنبياء . فيما مضى، قال لأصحابه تشرطوا فإنني لست أشارتكم الا على الجنة"^(٢)، وقال الأصمعي: "ومنه سُمي الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يُعرفون بهاو الشرط سموا شرطا، لأن شرطة كل شيء خياره ، وهم نخبة السلطان من جنده"^(٣) ، و" الخميس الجيش ، وسمي به لأنهم خمس طوائف : المقدمة ، والساقة ، والميمنة ، والميسرة ، والقلب والشرط الأقوياء الذين يتقدمون الجيش، فهم أخص من المقدمة ، كأنهم شرطوا أن لا يرجعوا حتى يفتحوا أو يقتلوا"^(٤). وتدلل النصوص اعلاه بصورة عامة وخاصة على البناء العقائدي للجيش وبيان اثار هذا البناء كما يأتي:-

١. بناء عقيدة عن وعي فكري وديني وقناعة لا عن اكراه لإعداد جند مؤمنة برسالتها الامنية وقادرة على تحقيقها.

٢. البناء العلمي والفكري بالاطلاع على الاحكام والقوانين والمبادئ الاسلامية للالتزام بها وتطبيقها لأنه جيش الرسالة الاسلامية وناقل مبادئها الى الخارج والمحافظ عليها في الداخل.في حين نجد ابن خلدون يعفي المنضمين لهذه المؤسسة من العلم بقوله:" فإما رتبة السيف فتستغني عن معاناة العلم"^(٥) لان المطلوب القوة في الرجال فقط لا شيء اخر.

٣. خلق الروحانية العالية والاستعدادات الكبيرة لدى المقاتل كي يخوض المعركة باستبسال وتضحية بدون مقابل.

٤. الحفاظ على الشعائر الدينية من صلاة وصيام لما تخلقه من حالة الاتصال الدائم بالله سبحانه وتعالى وتعطي الجيش دعم روحي ومعنوي لان الانتصار في محراب الصلاة التي هي وقوف لحرب الشيطان هو مقدمة كبرى لحصول الانتصار الاصغر في ساحة الجهاد.

(١) نهج البلاغة ، ص ١٧٨.

(٢) ابن النديم ، محمد بن اسحاق ، الفهرست ، ص ٢٢٣.

(٣) الجواهري ، الصحاح، ١/١١٣٢.

(٤) المجلسي ، ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار ، ١٠/٣٢٤٠.

(٥) العبر، ١/١٩٣.

٥. استواء فلسفة الموت والحياة عندهم لخلق الثبات القوي عند المواجهة ليقيهم وعمق ايمانهم .

اما جيش دولة القوة والشوكة العصبية فمعطيات بناء هيكلية تؤكد بأنه لا يعتمد مبدأً او عقيدة ثابتة في تأسيسه ويرجع سبب ذلك لكون صيرورة قوته موجهة دائماً وفي جميع المراحل لخدمة الفئة الحاكمة المسيطرة لتحقيق رغبتها في القوة والنفوذ والتمكك والإستحواذ ، لذا فإنه وفق فلسفة دولة القوة يُشكل بأي وسيلة كانت لتحقيق الغاية المطلوبة منه . فتباينت مبادئ تأسيسه من اسس العقيدة في طور التأسيس وبين الروابط المعنوية (العصبية القبلية) طورا من عمر الدولة وبين الروابط المادية والمصالح المشتركة في طورٍ اخر ، وهي مبادئ هشه وضعيفة قابلة للتمزق السريع قبالة أي رياح تغيير قادمة ، او فتنة وفوضى عارمة ، فلا يمكن لها ان تثبت وتستمر طويلاً .

حيث اعتمدت في طور التأسيس على العقيدة في جمع الافراد وشد العصبية الى بعضهم وازالة الفوارق بينهم وروح الانفة في عدم انصياع بعض القبائل العصبية للبعض الاخر وهذا الاجتماع لا يحصل الا بفضل عقيدة الدين بقوله: " في أن الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين اما من نبوة أو دعوة حق وذلك لان الملك إنما يحصل بالتغلب والتغلب إنما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطالبة وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه قال تعالى لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم وسره أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا حصل التنافس وفتنا الخلاف وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاقد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة كما نبين لك بعد إن شاء الله سبحانه وتعالى وبه التوفيق لا رب سواه " (١).

أي ان ابن خلدون يرى بأن دولة العصبية تعتمد الرابطة العصبية في بناء الجيش؛ في اول بناء الدولة بقوله: " أنه إذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغني عن العصبية والسبب في ذلك أن الدول العامة في أولها يصعب على النفوس الانقياد لها إلا بقوة قوية من الغلب للغرابة وأن الناس لم يألفوا ملكها ولا اعتادوه " (٢) وكذلك لان اساس بناء الدولة هو العصبية القبلية ذات الشوكة الغالبة لذا تكون القبيلة واحلافها هم مادة جيشها لقول ابن خلدون سابقاً: " أن المُلْك والدولة العامة انما يحصلان بالقبيل والعصبية ... وأن المُغالبة والممانعة إنما تكون بالعصبية لما فيها من النعرة والتذامر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه " (٣).

(١) ابن خلدون، العبر، ١٢٤/١-١٢٥.

(٢) ابن خلدون، العبر، ١٥٢/١.

(٣) ابن خلدون، العبر، ١٥٢/١.

وأما الروابط المادية فيتكئ عليها عما يتكرر الحاكم لعصبيته مادة قوته الاولى فيؤسس له قوات جديدة بمادة جيش يشتري رجاله بالأموال من خارج حدود الدولة او من خارج عصبيته الاولى ويكون ولاءه لحاكم الدولة خاصة وهم ما يسمون بالأجراء المرتزقة من الموالي والصنائع ، وهذا ما ذكره ابن خلدون بأنه عندما تتلاشى العصبية بعوائد الترف او الاستغناء عنهم من قبل حاكم الدولة " ولم ير إلا سلطانا مستبدا بالملك عن عشائره فقد استحكمت له صبغة الاستبداد منذ عهد الدولة وبقية العصبية فهو لذلك لا ينازع فيه ويستعين على أمره بالأجراء من المرتزقة " (١) حتى يتمكن من معادلة القوة لصالحه دائماً.

وذكر ابن خلدون شواهد تاريخية عديدة تثبت قرأته للتغيير الشكلي لهيكلية القوات الامنية لدولة القوة والشوكة ومنها قوله: " ما وقع لبني العباس فإن عصبية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك إنما كان بالموالي من العجم والترك والديلم والسلجوقية وغيرهم ثم تغلب العجم الأولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة فلم تكن تعدو أعمال بغداد حتى زحف إليها الديلم وملكوها وصار الخلائق في حكمهم ثم انقرض أمرهم وملك السلجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم ثم انقرض أمرهم وزحف آخر التتار فقتلوا الخليفة ومحو رسم الدولة " (٢) .

ومن نتائج هذ الروابط انها غير مضمونة الولاء بل يتحول ولائها مع تحول وتبدل موازين القوى فهي تابعة لمن يبذل المال الكثير، فعجزت دولة العصبية عن غرس العقيدة في روحية جيشها لذا كان دائم التعرض للانشقاقات والانقلابات نتيجة لولائه المتقلب.

ثالثاً: - المرتكز الاخلاقي

ركز الامام علي (عليه السلام) على ان يكون عنصر القوات الامنية من ذوي الاخلاق الاجتماعية الحسنة بقوله: " قَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ ، ... أَنْفَاهُمْ جَبِيًّا وَأَفْضَلَهُمْ جِلْمًا ، مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُدْرِ ، وَيَرْأْفُ بِالضُّعْفَاءِ وَيَبْنُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ ، وَمِمَّنْ لَا يُبَيِّرُهُ الْعُنْفُ وَلَا يَفْعُدُّ بِهِ الضَّعْفُ ، ثُمَّ الصَّقُ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَّاحَةِ ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ " (٣) ، وجماع هذه الاخلاق هي خلاصة الاخلاقيات الراقية المطلوبة في التعامل الاجتماعي وهي التفاته واعية من الامام ان يتخلق عناصره الامنية بهذه الاخلاقيات لإحتكاكهم الدائم مع افراد المجتمع في الداخل فيتطلب منهم رقي في التعامل الانساني، وكذلك انهم رسل

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٦/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٥٥/١ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٤٣٢-٤٣٣ .

الدولة والمجتمع الاسلامي الى بقية المجتمعات حينما يؤدوا واجبه الامني وخاصة في صد العدوان الخارجي، بأن يرأفوا بالضعيف ولا تغرهم قوتهم، وان لا يكون اندفاعهم عن غضب وانما عن حلم وتروي.

اما البناء الاخلاقي الذي تبناه ابن خلدون فهي اخلاقيات عصبية العمران البدوي من التوحش والانفة والتي هي اصل الاخلاق حسب منطقها ولها اثر في تركيبية وقوة الجيش ، بقوله: " إن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال لان الجيل الأول لم يزلوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شطف العيش والبسالة والافتراس والاشترار في المجد فلا تزال سورة العصبية محفوظة فيهم فحدهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون" ، ويمكن ادراج اخلاقيات اقوات الامنية لدولة العصبية حسب طور التأسيس بما يأتي:-

١. **خلق التوحش**: احدى الصفات التي اعتمد عليها في جيش دولة العصبية واشاد ابن خلدون به بقوله: " فمن كان من هذه الاجيال أعرق في البداوة واكثر توحشاً كان اقرب الى التغلب على سواه اذا تقاربا في العدد وتكافأ في القوة والعصبية" ^(١) ، وقوله ايضا: "اهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي ، وبعدهم عن الحامية ، وانتباذهم عن الاسوار والابواب قائمون بالمدافعة عن انفسهم ... وينفردون في الفقر والبيداء ، مدلين ببأسهم واثقين بأنفسهم قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع أو أستتفرهم صارخ" ^(٢) وانه ركز على عنصر التوحش لما فيه فهو جرد المقاتل هنا من كل اخلاقيات الدين الاسلامي وقيم الانسانية وركز على خلق التوحش الذي يعيشه البدوي ويستغله للوصول الى اهدافه وغاياته ، لأنه بالتوحش يكون اكثر فتكاً بعدوه واعنف فيتمكن من التغلب عليه حتى لو تكافأ في العدد العنصري للجيش " لقدرتهم على محاربة الامم سواهم لانهم ينزلون من الاهلين منزلة المفترس من الحيوانات العجم" ^(٣).

وقد ساهمت اخلاق التوحش والقسوة والتنافس وروح المناصرة بين ابناء العصبية ظالماً او مظلوماً كل هذا ساهم في بناء قوة استغلها رئيس القبيلة حتى يتمكن من تحقيق مطامعه للوصول الى الحكم التي هي مطلب النفس ومطمعها ، ففتح الحرب على العصبية الضعيفة وتوسيع نطاق سيطرته وهذا كله

^(١) ابن خلدون ، العبر ، ١١٠/١ .

^(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٩٩/١ - ١٠٠ .

^(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١١٤/١ .

بفضل صفه وخلق التوحش البدوي وفي ذلك بقول ابن خلدون " ان الامم الوحشية اقدر على التغلب ممن سواها ... فهم اقدر على التغلب وانتزاع ما في ايدي سواهم من الامم "(١) .

وهذا العنصر الخلقي للبدوي يعول عليه ابن خلدون كثيراً في بناء قاعدة قويه للدولة العصبية ، والذي يتحول فيما بعد الى عنصر ضعف عندما تدخل الدولة طور العمران الحضري "فكلما نزلوا الارياض وتفتقوا النعم وأفوا عوائد الخصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم ويداوتهم"(٢) .

٢. **خلق الطمع** : تندفع افراد العصبية لغرض الحروب ضد الاخرين من اجل الوصول الى الملك لأنه ملك وسلطة ومنصب دنيوي كبير ويفصح ابن خلدون عن ذلك بقوله " ان الغاية التي تجري اليها العصبية هي الملك "(٣) فيعد الطمع العامل المهم الذي يدفع قبائل العصبية في خوض الحروب وهزيمة العصبيات الاخرى .

٣. **خلق النعرة** : هي روح المناصرة ووصرخة استماتة بعضهم عن الاخر سواء ظالم او مظلوم لا لشيء سوى لقربا الدم والعصبية التي تربطهم . وهي صفه تدل على خلق الكبر والانفة والجهل تعتمدها عليها حكومة دولة العصبية على وجودها في العنصر المقاتل حتى يتمكن بما يمتلك من اندفاع بفضلها ان ينتصر على غيره، فيشكل بذلك منعة للدولة وتحقيق التغلب الذي ينشده في الحرب ، فيتم التركيز على اخلاق العصبية وتفعيلها والمحافظة على استمرارها في النفوس لتتمكن الحكومة من توسعة الدولة بهؤلاء " ان المغالبة والممانعة انما تكون بالعصبية لما فيها من النعرة والتدامر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه " (٤) وهذه الاخلاقيات التي اعتمدها الدولة الخلدونية اخلاقيات بعيدة كل البعد عن اخلاق الاسلام والانسانية .

وان هذه الاخلاقيات لا تبقى على نا هي عليه في هذا الجيل بل تتقلب اخلاقياتهم رأساً على عقب عند دخولهم عصر او طور الترف في العمران الحضري: " تحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقيين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة فتتكسر سورة العصبية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٠٩/١ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ١٠٩/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١١٠/١ .

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٢٢/٥ .

والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل الأول وياشروا أحوالهم وشاهدوا اعتزازهم وسعيهم إلى المجد ومراميمهم في المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وإن ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول أو على ظن من وجودها فيهم وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما تبنقوه من النعيم وغضارة العيش فيصيرون عيالا على الدولة^(١).

وأيضا اشار ابن خلدون الى هذا الاختلال والتحول بالأخلاقيات بنص اخر قال فيه: "الجيل الواحد تختلف أحواله في ذلك باختلاف الاعصار فكلما نزلوا الأرياف وتفنقوا النعيم وألفوا عوائد الخصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبدوتهم واعتبر ذلك في الحيوانات العجم بدواجن الظباء والبقرة الوحشية والحرمر إذا زال توحشها بمخالطة الأدميين وأخصب عيشها كيف يختلف حالها في الانتهاض والشدة حتى في مشيتها وحسن أديمها وكذلك الأدمي المتوحش إذا أنس وألف وسببه أن تكون السجايا والطبائع إنما هو عن المألوفات والعوائد"^(١).

ونتيجة لهذه النصوص لمنطق الاخلاق عند ابن خلدون يمكن ان ترسم بعض الصور او المضامين

للقيم الاخلاقية للقوات العصبية وكالاتي:-

١. ان صورة الشجاعة تتمثل في التوحش وقدرة الهجوم على الاخر والتغلب عليه في حين ان صورة الشجاعة عند الامام علي هي قوة الصبر على المباديء والتضحية في سبيلها . وان الشجاعة عند ابن خلدون وقيته مرحلية في فترة التأسيس فقط لأنها يفقد قوته وطاقته التي كان يتمتع بها في البدو، عندما يدخل مرحلة الحضرة .

٢. اخلاق مادية بحتة لا تنهض بنفس الفرد وروحيته فهي لا تولد قوة وطاقه يسيطر فيها الفرد على جماح شهواته ونفسه الامارة بالسوء ،بل تتجه به هذه الاخلاقيات الى السيطرة على الاخرين والتحكم بهم لكنها عاجزة من ان تجعل الفرد يتحكم بنفسه الامارة بالسوء ويتمكن من لجمها والسيطرة عليها.

٣. انها صورة مادية بحتة لأنها تصب جميعاً في خلق القوة المادية التغلب بها على الاخر

٤. انها اخلاق غير بائية للفرد لا تظهر فاعليتها الا عند الاجتماع بالعصبيات الاخرى.

٥. انها تفتقد التكاملية في صياغة الفرد او الجماعة العصبية لأن صورتها الايجابية مرحلية منقطعة تبدأ او تظهر في مرحلة العمران البدوي وتضمحل عند الوصول الى مرحلة العمران الحضري وهو ما يسميه ابن خلدون بالإفساد اي فساد الاخلاقيات البدوية عند دخولها الاجواء الحضرية في المدن.

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٣٨/١ .

٦. تتعدم فيها طاقة الرقي الروحي والنفسي فان مثالية الاخلاق ان ترفع الانسان لما هو افضل لا ان تنزل به وتدفع به نحو الانحلال فالرقي الروحي منعدم فيها بل هو تحول وتبدل خلقي اقتضته الطبيعة العمرانية لان صورة الحضرة التي يصورها ابن خلدون انه يتوجب الترف والانحلال
٥. ان تأسيسها ومعاييرها مادية بحته تتمثل بنمط مادي لحياة عمران البداوة والحضر.
٦. ان الصورة الايجابية لهذه الاخلاق حسب فلسفة ابن خلدون المادية غير قادرة على الاستمرار لعدم تحولها الى ملكات^(١) ترسخ في نفوس افراد العصبية المكونين للقوات الامنية الدولة بل اقصى ما يمكن ان تمتد فاعليتها انها توصل الفرد الى العمران الحضري وينتهي اثرها وهو وصول مادي ومن ثم تتحل وينتهي دورها عند الرقي الاقتصادي من الترف والاسراف في ظروف ونظام العمران الحضري لأنها لا يمكن ان تصمد اما المتغيرات الزمانية والمكانية وذلك لأنها بالأساس اعتمد تأسيسها على اساس هذه المتغيرات فهي لم تكن موجودة قبل البدو بل وجدت بعده وهي لم تكن موجودة قبل الحضرة بل وجدت بوجوده ومنها اتخذها ابن خلدون كصور اخلاقية حكمت طبيعة الانسان في مراحل عمر الدولة والتي اثرت على صورة قوة جيش دولة العصبية.
٧. ان ايجابية هذه الخلال او القيم تكمن في خلقها " وجود اجتماعي رفعت الى مستوى القوة والنجاحة والقدرة على التحكم في الاخرين عن جدارة"^(٢) اما قيمها السلبية فتكمن في كونها " مؤشر على سير سريع الى الفساد والانذار"^(٣).

رابعاً: المرتكز المالي

عد الامام علي (عليه السلام) المرتكز المالي اهم الاسس التي تقوم عليها استراتيجية بناء القوات الامنية والذي لا قوام لهذه المنظومة إلا به لضرورته الحيوية في تأمين العدة الكافية لتقوية الجند وضمان مؤنتهم ومؤنة أسرهم حتى يتفرغوا لتأدية واجبهم في مواجهة العدو وحفظ الامن بقوله (عليه السلام): "قَالَ جُنُودُ بِيَدِنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وَرِزْنُ الْوَلَاةِ ... ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ ، إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ ، الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ ، وَيَكُونُ مِنْ وَّرَاءِ حَاجَتِهِمْ ، ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَدْيِنِ الصَّنْفِينِ إِلَّا بِالصَّنْفِ"

(١) الملكة : "هي صفة راسخة في النفس ، وتحقيقه انه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الافعال ، ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية ، وتسمى حالة ما دامت سريعة الزوال ، فإذا تكررت وما رستها النفس حتى ترسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكة " ينظر : الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص ١٩٣ .

(٢) ناجيه الوريثي بو عجيله ، حفريات في الخطاب الخلدوني ، ص ١٣٦ .

(٣) ناجيه الوريثي بو عجيله ، حفريات في الخطاب الخلدوني ، ص ١٣٦ .

الفصل الرابع: استراتيجية بناء المنظومة الإدارية للدولة

الثَّالِثِ ، مِنْ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكَتَّابِ ، لِمَا يُحْكَمُونَ^(١) وهنا أكد الامام على نزاهة اموال عطاء الجند بأن تكون من الحقوق المالية التي فرضها الله ولا غصب في تحصيلها. وهذه التفاته فلسفية مميزة من الامام (عليه السلام) بان تكون رواتب الجند ومادة تجهيز عدتهم من المال الحلال الذي لا شبهة للحرام فيه حتى لا يؤثر في روحيتهم ومعنوياتهم وبالتالي يؤثر في همتهم وجهادهم نصراً للحق^(٢).

وحرص الامام علي (عليه السلام) على اوصول العطاء المالي الى الجند ، وكذلك التوسعة لهم فيه بما يسد حوائجهم ومن هم في رعايتهم ، و تأكيده هذا في وصيته لمالك الاشر بما نصه : " وَلَيْكُنْ آثَرُ رُعُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ ، بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ " ^(٣) حتى يتفرغوا الجند ولا ينشغلوا بسوى الجهاد " لان ثبات المستوى المعاشي للجند من الامور التي توجب الاهتمام بها لأنها الاساس الذي يحفظ تماسك الجيش واستقرارهم النفسي والمعنوي ^(٤) وكذلك لصفاء اذهانهم لتأدية مهامهم الامنية فقط ، مما يوجب نجاح الدولة وهيبته في أعين الاعداء^(٥).

فكان الامام علي يوزع العطاء بين الجند بالتسوية لا يفرق في اعطيائهم على الرغم من اقتراح بعض قادته ومنهم الأشر عندما رأى تخاذل أصحابه وفرار بعضهم إلى معاوية بأن يميز في عطاء بعض زعماء القبائل حتى يضمن ولائهم وقوفهم الى جانبه الامر الذي يضاعف قوته بوجه اعدائه، الا انه عليه السلام رفض ذلك المقترح لكونه يخالف مبادئ الشريعة الاسلامية برده على الاشر قائلاً: "أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل ، فإن الله عز وجل قال : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ^(٦) وأنا من أن أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف وأما ما ذكرت من إن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك ، فقد علم الله إنهم لم يفارقونا من جور ، ولا لجأوا إذ فارقونا إلى عدل ولم يلتمسوا إلا دنياً زائلة عنهم كان قد فارقوها ، وليسألن يوم القيامة ، ألدنيا أردوا أم الله عملوا ؟. وأما ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال ، فإنه لا يسعنا أن نؤتى امرأة من الفئ أكثر من حقه ، وقد قال الله سبحانه وتعالى وقوله الحق : (كَمْ مِّن فِئَةٍ

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٣٢ .

(٢) لان اكل الحرام يقسي القلب ويحيطه بالظلمة ، ولا يؤثر فيه أي تحذير او وعظ و حينها لا يتورع أكل الحرام او المال المغصوب من ارتكاب الجنابة والموبقات ، وهذا ظاهر جلي في قول الامام الحسين (عليه السلام) ضمن خطبته لحبيش ابن سعد يوم الطف : " فقد ملئت بطونكم من الحرام وطبع على قلوبكم ، ويلكم الا تنصتون ؟ الا تسمعون ؟ " . ينظر : المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٥ / ٨ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٤٣٣ .

(٤) شكري ناصر ، الامام علي (عليه السلام) دراسة في فكره العسكري ، ص ١١٤ .

(٥) محمد الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٤ / ١٦٤ .

(٦) سورة فصلت ، آية ٤٦ .

قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (١) وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وحده فكثرت بعد القلة وأعز فتنته بعد الذلة وإن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذلل لنا صعبه ويسهل لنا حزنه ، وأنا قابل من رأيك ما كان الله عز وجل رضا ، وأنت من آمن الناس عندي ، وأنصحهم لي وأوثقهم في نفسي إن شاء الله (٢).

خامساً: - مرتكز محور مهام المنظومة الامنية

يمتلك الامام علي(عليه السلام) وجهة نظر اجتماعية عميقة يكشف عنها بتأكيدِه على ان الشعب مادة ومحور المنظومة الامنية وان المهمة الاولى للجيش كونه الحصن الحامي للشعب لا للحكومة من جهة وربط مصير وجود الجيش وبقائه وقوته بصلاح المجتمع ورفاهيته بقوله(عليه السلام): " فالجنود بإذن الله حصون الرعية ، وزين الولاية ، وعز الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم . ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من وراء حاجتهم" (٣) أي بان الجيش يجب ان يُكرس لخدمة الشعب وراحته بتوفير الامن والامان اللازم للاستقرار لبناء الدولة اجتماعيا وسياسيا و اقتصاديا وتطورها فينعكس هذا الامر على قوة الجيش وبقاءه لأنه يسهم في توفير ما يلزم الجيش من عطاء وعدة عسكرية.

اما في دولة العصبية فان الجيش يكون حصن للمجتمع في طور تأسيس الدولة وهذا ما اكده ابن خلدون بقوله : "وأما أحياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشائخهم وكبرائهم بما وفر في نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة وأما حللهم فإنما يذود عنها من خارج حامية الحي من أنجادهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وزيادهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد لأنهم بذلك تشتت شوكتهم ويخشى جانبهم" (٤).

اما في طور الاستبداد فان الجيش يصبح حصن وعضد للحكومة او ما يسميه ابن خلدون بـ(الملك) ويوضح هذا بقوله: "العالم بستان سياجه الدولة ،الدولة سلطان تحيا به السنة ،السنة سياسة يسوسها الملك ،الملك نظام يعضده الجند، الجند أعوان يكفلهم المال، المال رزق تجمععه الرعية، الرعية عبيد يكنفهم العدل، العدل مألوف وبه قوام العالم ،العالم بستان ثم ترجع إلى أول الكلام . فهذه ثمان كلمات حكمية

(١) سورة البقرة ، اية ٢٤٩ .

(٢) الثقفي ، ابراهيم بن محمد، الغارات، ٧١/١-٧٣؛ ينظر: ابن ابي الحديد، الشرح، ١٩٧/٢-١٩٨ .

(٣) نهج البلاغة ، ص ٤٣٢ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٩٩/١-١٠٠ .

سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت أعجازها إلى صدورها واتصلت في دائرة لا يتعين طرفها فخر بعثوره عليها وعظم من فوائدها^(١) اما الشعب فهم عبيد للملك وعليهم تقع مهمة توفير عطاء الجند وارتزاقهم اما الجيش فإنه جيش الحكومة وعليه ان يكون في خدمتها واعوانها. ويدلل ما ذهبنا اليه هو التبديل المستمر في مادة الجيش البشرية من رجال العصبية الى المرتزقة الذين يتم شراؤهم بالأموال حتى يتم توجيههم لخدمة الحاكم وتنفيذ مصالحه، وحتى يكون هذا الجيش الغريب عن الشعب والمجتمع قادر على ضرب الشعب حين ثورتها على الحاكم باي وقت دون تردد .

(١) ابن خلدون ، العبر ، ٣٠/١-٣١.

المبحث الخامس: استراتيجية بناء المؤسسة القضائية واثرها في بناء الدولة

يعد القضاء من المؤسسات الحيوية المهمة في بناء الدولة لما له من أهمية في ترسيخ تنفيذ القوانين العادلة، لذلك فقد أولى الإمام (عليه السلام) القضاء عناية خاصة، لإدراكه أهمية القضاء في تقوية بناء الدولة بقوله بحق القضاة: "لما يحكمون من المعاهد ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها"^(١).

أما ابن خلدون فركز هو الآخر على أهمية القضاء مبيناً دور القضاء ورتبته بقوله: "وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع"^(٢).

١. معايير اختيار القضاة

لتولي منصب القضاء معايير عدة عند الإمام علي (عليه السلام)، أما ابن خلدون فإنه اكتفى فقط بالتذكير بالمصادر التي ذكرت هذه المعايير وهو بهذا ناقل لما ورد في هذا المجال ولم يأت بشيء جديد.

وقد عرض هذه المعايير في كتب وخطب عديدة له كان يوجه بها وولاته على الأقاليم لتنظيم أمر إدارة البلاد فيها وهي كما يأتي :-

أولاً : الكفاءة العلمية

أكد الإمام (عليه السلام) على أن يكون المتولي لمنصب القضاء على مستوى عال من الكفاءة العلمية من الإحاطة بعلم الشريعة والاطلاع على مواد القوانين فيها، ويتبين هذا من خلال ذمّه (عليه السلام) للذين يتسمنون مناصب القضاء وليسوا لها بأهل، فيتحولون بهذا المنصب إلى أداة للشر والافساد بقوله عليه السلام: "وأخر قد تسمى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهال، وأضاليل من ضلال، ونصب للناس شركاً من حبال غرور وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحق على أهوائه، يؤمن من العظائم ويهون كبير الجرائم، يقول: أقف عند الشبهات وفيها وقع. ويقول: وأعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان"^(٣). وقال (عليه السلام): "ورجل قمش جهلاً، موضع في جهال الأمة

(١) نهج البلاغة، ص ٤٣٢.

(٢) ابن خلدون، العبر، ١٧٣/١.

(٣) نهج البلاغة، ص ١١٩.

، عاد في أغباش الفتنة ، عم بما في عقد الهدنة ، قد سماه أشباه الناس عالما وليس به ، فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر ، حتى إذا ارتوى من ماء آجن ، واكتنز من غير طائل ، جلس بين الناس قاضيا ضامنا تخلص ما التبس على غيره ، فان نزلت به إحدى المبهمات هيا حشوا رثا من رأيه ثم قطع به ، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت ، لا يدري أصاب أم أخطأ ؟ فإن أصاب خاف ان يكون قد أخطأ ، وان أخطأ رجا ان يكون قد أصاب ، جاهل خباط جهالات ، عاش ركاب عشوات ، لم يعرض على العلم بضرر قاطع^(١).

ولأجل تقادي هذا المصير السيء لسلطة القضاء ، وضع (عليه السلام) نظاما يجب أن يتبع في اختيار هذه الفئة ، يضمن أن تكون على مستوى عال من الكفاءة للمهمات المناطة بها . صفات أخرى فصلها الامام وعهد بها في انتخاب طبقة القضاة بتوفرها ، ان فاقد هذه الصفات ليس جديرا بهذا المنصب الحساس . بقوله عليه السلام : "ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعبتك في نفسك : ممن لا تضيق به الأمور ، ولا تمحكه الخصوم ، ولا يتمادى في الزلة ، ولا يحصر من الفئ إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه ، وأوقفهم في الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصوم ، وأصبرهم على تكشف الأمور ، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ، ممن لا يزدهيه إطرء ، ولا يستميله إغراء"^(٢) ،ويمكن تلخيص هذه الصفات بما يأتي :-

١. يجب أن يكون القاضي واسع الصدر كريم الخلق ، لان منصبه يقتضيه أن يخالط صنوفا من الناس ، وألوانا من الخلق ، ولا يستقيم له أن يؤدي مهمته على وجهها إلا إذا كان على مستوى أخلاقي عال يمسكه عن التورط فيما لا تحمد عقباه .

٢. يجب أن يكون من الورع ، وثبات الدين ، وتأصل العقيدة ، والوعي لخطورة مهمته وقيمة كلمته ، بحيث يرجع عن الباطل إذا تبين له انه حاد عن شريعة العدل في حكمه ، ولم يصبها اجتهاده ولم يؤده إليها نظره ، فلا يمضي حكما تبين له خطأه خشية قاله الناس .

٣. يجب أن يكون من شرف النفس ، ونقاء الجيب ، وطهر الضمير ، بحيث " لا تشرف نفسه على طمع " في حظوة أو كرامة أو مال، وذلك لان القاضي يجب أن يجلس للحكم ضميرا نقيا ، وروحا طاهرا ، وعقلا

(١) نهج البلاغة ، ص ٦٠ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٤٣٤ .

صافيا ، ونفسا متعالية عن مساف الأغراض ، وألا يشغل نفسه بعرض من أعراض الدنيا ، لان ذلك ربما انحرف به من حيث لا يدري فأدان من له الحق ، وبرأ من عليه الحق^(١).

٤. يجب أن يكون من الوعي لمهمته بحيث لا يعجل في الحكم ، ولا يسرع في إبرامه ، وإنما عليه أن يمضي في دراسة القضية ويقتلها بحثا ويستعرض وجوها المختلفة ، فإن ذلك أحرى أن يهديه إلى وجهة الحق وسنة الصواب ، فإذا ما استغلق الامر واشتبه عليه فلا يجوز له أن يلفق للقضية حكما من عند نفسه ، وإنما عليه أن يقف حتى ينكشف له ما غمض عنه ، وينجلي له ما اشتبه عليه^(٢).

وبهذه الصفات يضمن الحاكم ألا يشغل منصب القضاء إلا الأكفاء في عملهم ، ودينهم ، وبصرهم بالأمور الذي يسهم في ضبط تطبيق القوانين المعبرة عن قوة بناء الدولة.

٢. استقلالية السلطة القضائية

سنبحث في هذا المجال اثر اهمية فصل السلطة القضائية عن السلطات الاخرى وانعكاس ذلك في بناء الدولة ، وكذلك نحاول تسليط الضوء على اثار انعكاس تدخل الحكومة في السلطة القضائية في بناء الدولة .

ان الناظر في تاريخ القضاء يجد ان القضاء استمر بعمله جنبا الى جنب مع السلطة الحاكمة ولم يتمكن ان يستقل عنها و" ان الامام اقر مبدأ فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية واعطى للقضاء شخصية مستقلة ومنفصلة عن شخصية الحاكم السياسي أو الحاكم الاداري ، وهذه خطوة متقدمة في تنظيم الدولة والاجتماع السياسي في الاسلام^(٣) ، وهي تحصين للسلطة القضائية ضد ضغوط السلطة السياسية حينما بين بأنه " لا ينبغي للإمام ان يعطل الحدود"^(٤)، و" لا شفاعة ولا كفالة ولا يمين في حد"^(٥) ويسمو الامام (عليه السلام) بحكم السلطة القضائية اذ يروي (عليه السلام) عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: " ذاك سلطان سوء الذي يعفو عن الحدود"^(٦) ان يتعاهد الحاكم قضاء قاضيه ، وينظر فيما يصدره من الاحكام فان ذلك: " كفيل ان يمسك القاضي عن الانحراف ويستقيم به على السنن الواضحة لأنه حينئذ يعلم ان المراقبة ستكشف امر

(١) محمد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة ، ص ٦٣.

(٢) شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة ، ص ٦٤.

(٣) شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، ص ٦٤.

(٤) المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٥٤٨/٥.

(٥) الحر العاملي ، الفصول المهمة في معرفة الائمة ، ٥١٣/٢.

(٦) المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٥٤٨/٥.

الحكم الجائر ووراء ذلك ما وراءه من عار الدنيا وعذاب الآخرة" (١)، ومن الواضح ان الامام انشأ عملية توازن بين السلطة السياسية والسلطة القضائية من جهة فبين اهمية ان يخضع جميع ابناء الامة للسلطة القضائية بما فيهم الحاكم نفسه ، كما فعل الامام (عليه السلام) ذلك عملياً عندما وقف امام القضاء وهو الخليفة مع شخص من اهل الذمة غير مسلم ولكنه مواطن حول ملكية درع ومن ثم كان الحكم لغير صالحه بسبب انعدام البيئته (٢) وهذا دعوة إلى المساواة القضائية بين الخصوم بغض النظر عن منصبهم السياسي وقدم الامام (عليه السلام) المثال العملي لذلك وكان (عليه السلام) يقول: " من افضل الاختيار واحسن الاستظهار ، ان تعدل في القضاء وتجريه في الخاصة والعامة على السواء" (٣) .

وأبرز مصداق لفصل القضاء عن السلطات الاخرى ، نرى الإمام علياً (عليه السلام) وهو رئيس السلطة التنفيذية وقائد الدولة الإسلامية، يمثل أمام القضاء وبكل تواضع، كأحد افراد الرعية !! و أشاع ذلك الوقوف للقائد من أمن وأمان بين الرعية وهم يرون إمامهم وقائد دولتهم يقف موقف المتهم المدافع عن نفسه أمام المؤسسة القضائية!

فأمير المؤمنين (عليه السلام) قرن النظرية بالتطبيق، وإلا فما قيمة النظرية من دون تطبيق في الواقع؟! والقرآن الكريم ينادي: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) (٤) هذا مع العلم انّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قد قال: " عليّ أفضاكم" (٥)، ومع هذا وقف الإمام (عليه السلام) كأبي فرد من أفراد المجتمع، فاكنتسب القضاء في زمن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قداسةً واحتراماً ومصداقية؛ لأنّ الناس وثقوا بهذه المؤسسة بعدما رأوا أنّ رئيس هذه الدولة يقف أمامها ويمتثل أوامرها ويقبل بما تصدره من أحكام.

واما القضاء عند ابن خلدون " فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعا للتنازع إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الخلافة وماندرجا في عمومها وكان الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه بأنفسهم ولا يجعلون القضاء إلى من سواهم وأول من دفعه إلى غيره وفوضه فيه عمر رضي الله عنه فولى أبا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى أبا موسى الأشعري بالكوفة" (٦).

(١) كاظم مدير، الحكم من كلام امير المؤمنين (عليه السلام)، ص ٨٠.

(٢) محمد طي، الامام علي ونظام الحكم، ص ٦٧.

(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٤٧١.

(٤) سورة الصف، آية ٢.

(٥) الكليني، الكافي، ٤٢٩/٧.

(٦) ابن خلدون، العير، ١٧٤/١.

لم يشر ابن خلدون ادارياً الى فصل واستقلال القضاء في عهد الحكام الثلاثة الاوائل أبو بكر وعمر وعثمان بن عفان ، فان عمر كان يتولى القضاء بنفسه ، وكذلك هناك قاضٍ في المدينة (١) ، وكان ما يتعسر عليه من القضايا يلتجأ فيها الى الامام علي (عليه السلام) " وقد تكرر قول عمر بن الخطاب : لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن ، وقوله : لولا علي لهلك عمر" (٢) وهذا يؤشر عدم استقلالية القضاء عن السلطات الحاكمة التنفيذية ، فكان الحكام تارة هم من يقاضون الناس وتارة يتركون الامر لقضاتهم كما فعل عمر بن الخطاب ولى قاضي المدينة ابي ادريس الخولاني وولى المأمون العباسي يحيى بن اكرم (٣) . هذا ولم يسلم القضاء من تدخلات القضاء من قبل الحكام بل كانت تعطى بعض القضايا ليبيت بها صاحب الشرطة بقول ابن خلدون: " صاحب الشرطة وهي وظيفة ... دينية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول توسع النظر فيها عن أحكام القضاء قليلا فيجعل للتهمة في الحكم مجالا ويفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم" (٤). وهذا تدخل واضح في اعمال القضاء من قبل من هم في رتبة دون رتبة القضاء ادارياً.

وجاءت في فترة من الفترات الزمنية فصل للقضاء عن اعمال الحكام لا لأجل استقلالية القضاء ولكن لإنشغال حاكم الدولة بعدة اعمالٍ أخرى، وحتى يتفرغ لمسؤوليات اخرى من سياسة الدولة وتنظيم امر الامن وسد الثغور وغيره ، وهذا ما اشار اليه ابن خلدون بقوله: " وإنما كانوا يقلدون القضاء لغيرهم وإن كان مما يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة أشغالها من الجهاد والفتوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم لعظم العناية فاستحقوا القضاء في الوقعات بين الناس واستخلفوا فيه من يقوم به تخفيفا على أنفسهم" (٥) ، و " لان الامر لما كان خلافة دينية وهذه الخطة من مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها إلا من أهل عصبيتهم من العرب ومواليهم بالحلف أو بالرق أو بالاصطناع ممن يوثق بكفايته أو غنائه فيما يدفع إليه ، ولا انقرض شأن الخلافة وطورها وصار الامر كله ملكا أو سلطانا صارت هذه الخطط الدينية بعيدة عنه بعض الشيء لأنها ليست من ألقاب الملك ولا مراسمه" (٦).

ولم يكن القضاء قبل عهد الامام علي (عليه السلام) قد حصل على استقلاله التام كما في فترة حكم الامام علي فكان الولاية يمارسون القضاء والولاية معاً في معظم الاحيان ، وبقي الامر كذلك فترة حكم ابي بكر

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٤/١ .

(٢) الطبري ، المسترشد، ص ٢٢ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٤/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ١٩٦/١ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٤/١ .

(٦) ابن خلدون ، العبر ، ١٧٣/١ .

وفي مطلع حكم عمر بن خطاب ولم يوجد فصل بين القضاء والولاية في الغالب ، لكن التغيير والتطور الجديد في الدولة واتساع اعمال ومسؤوليات الولايات الكبيرة كان باعثاً لحاكم المسلمين عمر بن خطاب ان يعمد الى توزيع الاعمال ، فاصدر امراً بفصل انواع الولايات بعضها عن بعض وخص كل ولاية بشخص يتولى شؤونها ، فاصبح للقضاة ولاية خاصة ، وسلطة مستقلة تقريباً في بعض المدن والبلدان ، واصر امره بفصل اعمال القضاة عن اعمال الولاة ، وعين ابا الدرداء في المدينة وشريح بن الحارث قضاء الكوفة وعبادة بن الصامت قضاء فلسطين والشام^(١)، اي ان دواعي الفصل لم يكن لاستقلال القضاء وانما لكثرة مسؤوليات الولاة وتزاحم اعمالهم ولي القضاء لغيرهم .

ولضمان تحقيق العدالة اعطى الامام علي (عليه السلام) القضاء استقلالية خاصة عن جميع مؤسسات الدولة بما فيها السلطة الحاكمة لضمان نزاهة القضاء وحياديته تجاه الخصوم لحماية عدالة احكام القضاء وذلك من خلال ما يأتي:-

١. توفير الامن الوظيفي: القاضي إنسان يخاف على ماله أن ينهب ، ويخاف على مكانته أن تذهب ، ويخاف على كرامته أن تتال ، ويخاف على حياته أن يعتدي عليها بعض من حكم عليهم من الأقوياء ، فإذا لم تكن لديه ضمانات تؤمنه من كل ذلك اضطره الخوف إلى أن يصانع القوي لقوته ، والشريبر لشره ، وحينئذ يطبق القانون من جهة واحدة . يطبق على الفقراء والضعفاء الذين يؤمن جانبيهم . هذا الخوف ينشأ من عدم تأمين مركز القضاء وصيانته ضد الشفاعات ، وينشأ من زجه في المساومات السياسية وغيرها ، وحينئذ تكفي كلمة من قوي أو غني ليسلب القاضي مركزه ومكانته^(٢). وهذا ينعكس بالضعف على الدولة وعدم قدرتها على توفير الثقة والامان لمعاملات افرادها وحقوقهم العامة.

و هذه الحالة وعاهها الإمام (عليه السلام) وأعد لها علاجها بأن القاضي لكي يأمن ذلك كله ، يجب ان يتمتع من الحاكم بمكانة لا يطمع فيها أحد غيره ، اي ان تكون للقاضي منزلة رفيعة عند السلطة التنفيذية حتى لا يستطيع احد اعاقه عمله وحتى يامن من الوشاة، ومن غدر القتل من بعض الخصوم^(٣). وهذا ما اشار اليه الامام في وصيته لمالك يوصيه بالقضاة " واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغاً "^(٤) .

(١) الكندي ، القضاء في الاسلام ، ص ٧٩ .

(٢) شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة ، ص ٦٤ .

(٣) شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة ، ص ٦٤ .

(٤) نهج البلاغة ، ص ٤٣٥ .

٢. التأمين المعيشي للقاضي: حتى لا يضطر القاضي الى الانحراف نتيجة العوز الاقتصادي فينتج به حاجته أو بطمع الى الناس فيزيل بعدالة الاحكام ، لذلك الزم الامام علي (عليه السلام) السلطة العليا في البلاد بان توسع على القاضي حتى لا يطمع برشوة او منفعة تحرفه عن الحق: " وافصح له في البذل ما يزيل علته ونقل معه حاجته الى الناس "(١). مما يمنع اخذ الرشوة من قبل القضاة وتنجح الدولة بذلك في بناء مؤسسة قضائية غير مخترقة من قبل ضعاف النفوس وتضمن عدالة احكام قضاء الدولة ونزاهته .

اما ابن خلدون فلم يهتم لأهمية القضاء واثره الكبير في استقرار أوضاع الدولة وتقييم العدالة فيحجم من تأثيرها ولا يعدها من الوظائف الضرورية وانه لا يحتاج الى القضاء " الا في حالات خاصة وقليله وليس حاجتهم اليه من الضرورات العامة الا الى الفتى والقضاء في الخصومات ، فليس على وجه الاضطرار والعموم فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الاكثر " (٢) ولا تحتاج الى خدماتهم سوى الدولة فتخصص لهم مرتبات ويشير ابن خلدون الى انه على نسبة الحاجة اليهم تكون مرتباتهم ويكون اصحاب العصبية والقوة اعلى منهم في التخصيصات المالية التي تقرها الدولة بقوله " أن الكسب كما قدمناه قيمة الاعمال وأنها متفاوتة بحسب الحاجة إليها فإذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة البلوى به كانت قيمتها أعظم وكانت الحاجة إليها أشد وأهل هذه الصنائع الدينية لا تضطر إليهم عامة الخلق وإنما يحتاج إلى ما عندهم الخواص ممن أقبل على دينه وإن احتيج إلى الفتيا والقضاء في الخصومات فليس على وجه الاضطرار والعموم فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الأكثر وإنما يهتم بإقامة مراسمهم صاحب الدولة بما ناله من النظر في المصالح فيقسم لهم حظا من الرزق على نسبة الحاجة إليهم على النحو الذي قررناه لا يساويهم بأهل الشوكة ولا بأهل الصنائع من حيث الدين والمراسم الشرعية لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة أهل العمران فلا يصح في قسمهم إلا القليل"(٣).

فحسب النص اعلاه فإن لابن خلدون وجهة نظر تختلف عن الامام علي(عليه السلام) في اثر القضاء في استراتيجية بناء الدولة وانه ليس بالأثر الكبير لذلك لا يكثر حكام دولة العصبية بالقضاء كثيرا ويقول ابن خلدون هذا القليل من المرتبات تكفيهم ولا تؤثر بعملهم لما نصه: " وهم ايضا لشرف بضاعتهم أعزة على الخلق وعند نفوسهم ؛ فلا يخضعون لأهل الجاه.. "(٤)، وهذا قراءة خاطئة لابن خلدون فهو إما ان اغفل او تغافل عن العديد من قضايا القضاء الذين نقلت لنا التجربة التاريخية اخبارهم انهم سقطوا في وحل

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٣٥ .

(٢) ابن خلدون ، العبر ، ٣١٠/١ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٣١٠/١ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ٣١٠/١ .

الجاه والمناصب وباعوا امانة وظيفتهم لما قدم لهم العطايا المجزية والهدايا المادية في بيع ذمهم وتسليمها لأصحاب الجاه والسلطة مقابل عطيات مالية او مادية وهناك الكثير من هذه الشواهد التاريخية على ذلك واحد منهم شريح القاضي ^(١) الذي انساق وراء اطماعه ، فكان ابرز بطائن السلطة في بواكيرها ؛ اذ شهد على الاتهامات التي لفقها الوالي زياد بن أبيه (٤٥-٥٣هـ) بحق حجر بن عدي واصحابه ، وانهم هم من اشعل نار الفتنة وحرص على السلطان ، في اللائحة الاتهامية التي رفعها زياد والي الكوفة الى معاوية في الشام ^(٢) والتي تسببت بقتل الصحابي حجر واصحابه.

وهذه الشواهد التاريخية تكشف عن غفلة ابن خلدون لأهمية مؤسسة القضاء ودورها في الحد من استئثار الظلم وسفك دماء الابرياء، فهذا اما انه تزييف للحقائق التاريخية من ابن خلدون او انه ضعيف الخبرة في امور القضاء وخبر اعمالهم وتأثيرهم وهذا مستبعد لان ابن خلدون كان شخصاً قاضياً في عاصمة دولة المماليك في مصر قد تولى منصب القضاء لسلطين الملوكية في مصر ثلاث او اربع مرات ^(٣).

الا ان ما يفسر ما ذهب اليه ابن خلدون هو انه كان ناقلاً لما هو كائن من الوقائع وهذا ما كان يتعامل به الحكام والسلطين ، فقد يكونوا انهم يتركون مرتباتهم ليست من الكثرة لسد احتياجاتهم وعدم تسولهم للرشوة ، بل هو ربما قصد من قبلهم حتى يجعلون بحاجة اليهم دائماً حتى يرضخوا لارادة واساليب الحكام الظلمة والانتهازيين وهذا يؤدي الى تعميم الظلم من قمة هرم الدولة .

٣. مراقبة القضاء من خلال السلطة العليا الحاكمة في البلاد : بأن يتعاهد الحاكم قضاء قاضيه ، وينظر فيما أصدره من الاحكام ، فان ذلك كفيل بأن يمسك القاضي عن الانحراف ، ويستقيم به على السنن الواضح لأنه حينئذ يعلم أن المراقبة ستكشف أمر الحكم الجائر ، ووراء ذلك ما وراءه من عار الدنيا وعذاب الآخرة ^(٤) بقوله (عليه السلام) موصيا مالك الاشر لمراقبة القضاء : "... ثم أكثر تعاهد قضائه" ^(٥) بعدم استثناء جهة او شخص معين من تطبيق عدالة الاحكام وهذا يشد من روابط الثقة بين الحاكم والشعب من جهة وايمان الشعب بعدالة القضاء وثقته به من جهة اخرى " ولا شئ ادعى إلى ثقة الناس بالقضاء من نفوذ

(١) هو الفقيه ابو أمية ، شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي ، قاضي الكوفة ، اسلم في حياة النبي (ص) اختلف في صحبته ، ولي القضاء زمن عمر بن الخطاب ، كان عالماً بالفقه والقضاء ، واستمر بذلك طوال عهد بن اميه حتى وفاته في عهد الحجاج سنة ٨٧هـ . ينظر: الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٣ / ٤٣٥-٤٣٧.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥ / ٢٧٠.

(٣) ابن خلدون ، رحلة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي ، ص ٢٩٩-٣٠٠ .

(٤) شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، ص ٦٤ .

(٥) نهج البلاغة ، ص ٤٣٥ .

حكم القاضي على جميع الناس ، حتى على من تربطهم بالحاكم الاعلى قرابة قريبة أو صداقة حميمة ، فان ذلك خليف بأن يطمئن الرجل العادي ، ويدخل في روعه انه حينما يدخل مجلس القضاء لا يواجه بنظرة احتقار . وان الحاكم الاعلى لأحرى الناس بالمحافظة على ذلك والحرص عليه ، فإذا ما اعتدى بعض خاصته على بعض الناس وجب عليه أن يرده إلى الحق حين يروغ عنه ، ويرده إلى الجادة حين يؤثر العصيان "واشار الى ذلك (عليه السلام) بقوله : " وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد ، وكن في ذلك صابرا محتسبا ، واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع ، وابتغ عاقبة ذلك بما ينقل عليك منه ، فإن مغبة ذلك محمودة "(١).

وقد كان من نتائج المراقبة ان عزل الامام بعض القضاة الذين تخلفوا عن الآداب القضائية فقد ولي الامام علي (عليه السلام) ابو الأسود الدؤلي القضاء ، ثم عزله فقال له : " لم عزلتني وما جنيت وما خنت ؟ فقال (عليه السلام) : إنني رأيت كلامك يعلو على كلام الخصم "(٢) .

و نظراً " لان موقع القضاء يتميز بحساسية بالغة . فقيام هذه المؤسسة بعملها يتطلب قدراً كبيراً من الاستقلال والحصانة لأعضائها "(٣) فاستقلال القاضي يجعله يتمتع بالحرية التامة في اصدار الاحكام في المسائل المعروفة استناداً الى الواقع وبموجب القانون بعيداً عن أي تدخل أو مضايقة أو تأثير من جانب حكومي أو أي جهة اخرى أي تحصين السلطة القضائية من التدخل في احكامها .

ان طبيعة القضاء قائمة على تحقيق اساس العدالة في الدولة وحماية حقوق الافراد وحياتهم واحترام القوانين فان أي تدخل يحول دون أن يؤدي القضاء ممارسة مهامه يؤدي الى حدوث الاضطراب في المجتمع وزعزعة الثقة لقانون وقضاء الدولة مما ينعكس بالأثر السلبي على ضعف بناء الدولة.

ان استقلالية القضاء تعزز ثقة المواطن بقانون الدولة لكون القضاء الحيادي يمثل وسيلة للمواطن للجوء اليه في عرض ظلامته والمطالبة في حقوقه لذا فان استقلاله يعزز الحيادية فيه ويولد شعور الطمأنينة لدى افراد المجتمع تجاه قضاء الدولة لوجود جهة مستقلة قادرة وضامنة لحمايتهم وهي تعكس صورة عن قوة الدولة في حفظ حقوق الافراد وممتلكاتهم من الاعتداء .

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٤١ .

(٢) ابن أبي جمهور الأحسائي ، عوالي اللئالي ، ٢/٣٤٣ .

(٣) شريف يونس ، استقلال القضاء ، ص ٢٤ .

واستعدى رجلا على الامام علي (عليه السلام) وطلبه للقضاء في عهد حكم عمر بن الخطاب ، فالتفت عمر الى الامام وقال له : " يا أبا الحسن ، قم فاجلس مع خصمك ، فقام فجلس مع خصمه فتناظرا ، وانصرف الرجل ، فرجع عليّ إلى مجلسه ، فتبين عمر التغيير في وجهه ، فقال : يا أبا الحسن ، ما لي أراك متغيّراً ؟ أكرهت ما كان ؟ قال : نعم . قال : وما ذاك ؟ قال : كنتي بحضرة خصمي ، فألا قلت لي : يا عليّ ، قم فاجلس مع خصمك ؟ فأخذ عمر برأس عليّ فقبل بين عينيه ، ثمّ قال : بأبي أنتم ، بكم هدانا الله ، وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور" (١) .

وايضا جلس (عليه السلام) مع خصمه النصراني اما القاضي ولم يفضل نفسه في الجلوس لكونه حاكم الدولة ، فقال النصراني : "ما الدرع إلا درعي ، وما أمير المؤمنين (عليه السلام) عندي بكاذب . فالتفت شريح إلى عليّ (عليه السلام) فقال : يا أمير المؤمنين ، هل من بيّنة ؟ قال : لا . ف قضى بها للنصراني ، فمشى هنيئة ثمّ أقبل فقال : أمّا أنا فأشهد أنّ هذه أحكام النبيّين ، أمير المؤمنين يمشي بي إلى قاضيه ، وقاضيه يقضي عليه ! أشهد أنّ لا إله إلاّ الله ، وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين ؛ انبعث الجيش وأنت منطلق إلى صفين ، فخرت من بعيرك الأورق ، فقال : أمّا إذا أسلمت فهي لك ، وحمله على فرس" (٢) .

أولاً: ان وقوف القائد الاعلى للدولة كمدعٍ ضد مواطن عادي سرق منه حاجة، امام القاضي، يعدّ أعظم مصداق من مصاديق لبناء دولة القانون والعدالة. ذلك لان الحاكم لو استغل الامتيازات الكبيرة لسلطته الحاكمة ، لما احتاج الى القضاء في حلّ الخصومات. بل إن سطوته وسلطته تجعله ينتزع أي حق يريد، ظلماً كان او عدلاً. ولكن دولة الامام (عليه السلام) أثبت الا ان تسلك طريق الحق والعدالة والتحضر .

ثانياً: ادرك النصراني عدالة قوانين الاسلام فدخل الاسلام عن قناعة عقلية وفكرية بما استوعبه من شفافية ونزاهة الاحكام الاسلامية.

ان القضاء الذي من مهمته ضبط قضايا النزاع والتخاصم بين الافراد، يخضع لضوابط عليا ايضاً. أي ان القاضي يستعمل القانون لتثبيت الحق، ولكن اذا تجاوز حدّه فان هناك قانوناً اعلى منه يحدد له تصرفاته ايضاً. وقد تمثّل ذلك بعزل ابي الاسود الدولي عن القضاء لأنه كان يرفع صوته على صوت الخصم.

(١) الزمخشري ، ربيع الابرار ، ٥٩٥/٣ .

(٢) التقي، الغارات ، ١٢٤/١ ؛ ينظر :ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠/٤ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ٢٩٠/١٠١ .

وان من نتائج استقلال القضاء تساوى الناس جميعاً أمام القانون . ثمَّ إنّ الجهاز القضائي بدرجة من الاستقلال ، ويحظى بمنزلة خاصّة تمكّنه من إجراء القانون على أفراد المجتمع بصيغة متساوية . فالمجتمع بجميع طبقاته سواسية أمام القاضي والجهاز القضائي، يستوي في ذلك حتى الإمام والقائد الذي نصب القاضي في موقعه وخوّله ممارسة القضاء (١).

لقد كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) خاضعاً للجهاز القضائي في حكومته برغم كلّ ما يحظى به من مكانة مرموقة على الصعيد العلمي والعملية والسياسي، وقد حضر إلى المحكمة للإجابة عن أسئلة القاضي الذي نصبه بنفسه . وبهذا السلوك كان الإمام يدلّل عملياً على الموقع الذي يحظى به القضاء ، ويدافع عن حقوق الناس (٢).

٣. مراقبة القضاء

وجه الإمام عليّ (عليه السلام) ولاته بضرورة مراقبة احكام القضاء ومتابعتها ومن ما عهد به إلى مالك الأشر : "... ثمّ حملة الأخبار لأطرافك قضاة تجتهد فيهم نفسه ، لا يختلفون ولا يتدابرون في حكم الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؛ فإنّ الاختلاف في الحكم إضاعة للعدل وغرّة في الدين وسبب من الفرقة . وقد بين الله ما يأتون وما ينفقون ، وأمر بردّ ما لا يعلمون إلى من استودعه الله علم كتابه ، و استحفظه الحكم فيه ، فإنّما اختلاف القضاة في دخول البغي بينهم واكتفاء كلّ امرئ منهم برأيه دون من فرض الله ولايته ، ليس يصلح الدين ولا أهل الدين على ذلك . ولكن على الحاكم أن يحكم بما عنده من الأثر والسنة ، فإذا أعياه ذلك ردّ الحكم إلى أهله ، فإن غاب أهله عنه ناظر غيره من فقهاء المسلمين ليس له ترك ذلك إلى غيره . وليس لقاضيين من أهل الملة أن يقيما على اختلاف في الحكم دون ما رُفِع ذلك إلى وليّ الأمر فيكم فيكون هو الحاكم بما علّمه الله ، ثمّ يجتمعان على حكمه فيما وافقهما أو خالفهما ، فانظر في ذلك نظراً بليغاً ؛ فإنّ هذا الدين قد كان أسيراً بأيدي الأشرار ، يُعمل فيه بالهوى ، وتطلب به الدنيا . واكتب إلى قضاة بلدانك فليرفعوا إليك كلّ حكم اختلفوا فيه على حقوقه . ثمّ تصفّح تلك الأحكام ؛ فما وافق كتاب الله وسنة نبيّه والأثر من إمامك فأمضه واحملهم عليه . وما اشتبه عليك فاجمع له الفقهاء بحضرتك فناظرهم فيه ، ثمّ أمض ما يجتمع عليه أقاويل الفقهاء بحضرتك من المسلمين ؛ فإنّ كل أمر

(١) محمد الريشهري ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، ٣٩/٤ .

(٢) محمد الريشهري ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، ٣٩/٤ .

اختلف فيه الرعية مردود إلى حكم الإمام ، وعلى الإمام الاستعانة بالله ، والاجتهاد في إقامة الحدود ، وجبر الرعية على أمره ، ولا قوة إلا بالله " (١).

وكان الامام (عليه السلام) حريصاً على نزاهة القضاء وتعفف القضاة، واهم ما ذكره في هذا الصدد استدعاء للاستجواب عندما شريح بن الحارث القاضي في دولة الامام علي (عليه السلام) اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً، فبلغ ذلك الامام فاستدعى شريحاً وقال له: بَلَّغْنِي أَنْكَ ابْتَعْتَ دَاراً بثمانين ديناراً، وكتبت لها كتاباً، واشهدت فيه شهوداً. فقال له شريح: قد كان ذلك يا امير المؤمنين. قال: فنظر اليه نظرَ الْمُغْضَبِ ثم قال له: "يا شريح، أما انه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسألك عن بيتك، حتى يُخْرِجَكَ منها شاخصاً، ويُسَلِّمَكَ الى قبرك خالصاً. فانظر يا شريح لا تكون ابعت هذه الدار من غير مالك، أو نقت الثمن من غير حلالك! فإذا أنت خسرت دار الدنيا ودار الآخرة! اما إنك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتاباً على هذه النسخة. فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوق" (٢) وهذا النص يدل على ان امير المؤمنين (عليه السلام) كان يرى ان القضاء، من مسؤولية الدولة ، وان عليها مراقبة القضاة حتى لا يتميزوا عن عامة الناس فرغم التوصية من قبله الى ولاته بالتوسعة على القضاة الا انه كان مراقبا لهم " ولذلك فانه ادان شريحاً على شرائه تلك الدار الغالية الثمن، واعطاه (عليه السلام) درساً في اخلاقية تعفف القضاة وزهدهم في الدنيا وعدم اهتمامهم بزخارفها (٣). وحتى لا تذهب به نفسه المذاهب بالطمع الى الدنيا والركون اليها والميل عن الحق .

رفع الاختلاف في احكام القضاة لانها مفرقة عنه (عليه السلام) في ذم اختلاف العلماء في الفتيا: " ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم ، فيصوب آراءهم جميعاً وإلهم واحد ! ونبيهم واحد ! وكتابهم واحد ! فأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه ! أم نهاهم عنه فعصوه ! أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه ! أم كانوا شركاء له ، فلم أن يقولوا ، وعليه أن يرضى ! أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن تبليغه وأدائه ، والله سبحانه يقول : (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (٤) وفيه تبيان لكل شيء ، وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً ، وأنه لا اختلاف فيه

(١) ابن شعبة الحراني ، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم ، ص ١٣٦-١٣٧ ؛ ينظر : المجلسي ، بحار الانوار ، ٢٥٠/٧٤ ؛ المحمودي ، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، ٨١/٥-٨٢ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٣٦٥ .

(٣) زهير الاعرجي ، الامام علي بن ابي طالب الصديق الاكبر ، ٨٥٦/٢ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ٣٨ .

، فقال سبحانه: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) ^(١) وإنَّ القرآنَ ظاهره أُنِيقٌ وباطنه عميقٌ ، لا تفنى عجائبه ، ولا تتقضي غرائبُه ، ولا تُكشِفُ الظلمات إلا فيه ^(٢) ان هذا الاختلاف يضعف تطبيق القوانين واقامة الحدود وبالتالي الاخلال بعمل احدى مؤسسات الدولة المهمة والتي تؤثر على هيكلية واستراتيجية هذا البناء واضعافه لأنه يذهب بعيداً لما خطط له من بناء استراتيجية دولة العدالة ويمكن تلخيص هذه الاثار بما يأتي:-

١. ضرورة وحدة الاحكام القضائية في الواقعة الواحدة في كافة انحاء الدولة التي تعكس قوة مصادر التشريع الاسلامي في بناء مؤسسات الدولة لان الاختلاف يدعو الى التناقض في الاحكام على الرغم من وحدة ثبات المصدر المتمثل بالقران الكريم والسنة النبوية وان هذا الاختلاف يعكس سفاهاً وضعفاً او قصوراً في مصادر القضاء ^(٣) وهذا نوع من الاساءة لمصادر الحكم في الدولة الاسلامية وبالتالي ضعف بنائها.

٢. ان الاختلاف يعكس نقصان مصادر التشريع الاسلامي وهذا يعني " إما أن يكون دين الاسلام ناقصاً أو تاماً ، فإن كان الأول ، كان الله سبحانه قد استعان بالمكلفين على إتمام شريعة ناقصة أرسل بها رسوله ، إما استعانة على سبيل النيابة عنه ، أو على سبيل المشاركة له ، وكلاهما كفر وإن كان الثاني ، فإما أن يكون الله تعالى أنزل الشرع تاماً فقصر الرسول عن تبليغه ، أو يكون الرسول قد أبلغه على تمامه وكماله ، فإن كان الأول فهو كفر أيضاً ، وإن كان الثاني فقد بطل الاجتهاد ، لان الاجتهاد إنما يكون فيما لم يتبين فأما ما قد بين فلا مجال للاجتهاد فيه " ^(٤) وهذا يعطي صورة على انعدام الحكمة والكمال في الاحكام القضائية لأنها من تدخل البشر فيكون فيها ظلم وابتعاد عن الحق والعدالة اهم اهداف القضاء في الدولة الاسلامية .

٤. إقامة الحدود وتنفيذ القصاص

تعدُّ مسألة اقامة وتنفيذ الحدود من مهام السلطة العليا في الدولة والتي تعكس هيبة وقوتها الدولة في تطبيق القوانين العادلة ، واقامة الحدود بالجناة، افضل اشكال اقامة العدالة الجنائية في المجتمع. فإقامة الحد في الجاني فيما يخص حقوق الناس او حق الله عزَّ وجلَّ، هو تطهير للمجتمع من آثار الانحراف وحمل الجميع الى جادة الصلاح. واكد الامام ذلك في عدة توجيهات له بهذا الخصوص منها قوله (عليه السلام)

(١) سورة النساء ، اية ٨٢ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٦١ .

(٣) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٨٩/١ .

(٤) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٨٩/١ .

" إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فإن الإيمان يقتضي الجدّ في طاعة الله والاجتهاد في إقامة الأحكام"^(١) ، وكذلك قال : " لا يسعد أحد إلا بإقامة حدود الله ولا يشقى أحد إلا بإضاعته"^(٢) ، وذكر الامام علي (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: " إدروا الحدود ، ولا ينبغي للإمام أن يعطل الحدود"^(٣). ومن خلال هذه النصوص يمكن ادراج اهمية اقامة الحدود في بناء الدولة بما يلي :

١. ان اقامة الحدود وتنفيذها من قبل الحكومة القائمة بامر الدولة تعكس صورة من صور الطاعة والايمان بالله وتنفيذ حدوده ، ويؤثر هذا على ان الدولة تسير بالمسار الصحيح لبناء دولة العدالة.
٢. يعد مصدر من مصادر اسعاد المجتمع لما يؤدي اقامتها من معاقبة الجاني والاقتصاص منه لما ويسبب التهاون في تنفيذها الشقاء للمجتمع والاعتداء على حقوق الاخرين وعدم احترامها ويعكس بذلك قدرة بناء دولة قادرة على حفظ الامن الاجتماعي وتحقيق الطمأنينة لأفراده.
٣. يعد عامل اصلاح للجاني و ردع للأخرين عن الاعتداء وبالتالي تقليل الجرائم في المجتمع .
٤. ارجاع الحقوق الى اصحابها واعادة كرامة المجني عليه وحفظ حقوقه ما يعكس جو الثقة بين الحكومة وافراد الشعب فيخلق مجتمع مترابط قوي تنعكس قوته على قوة بناء الدولة.

وكل الدلائل التاريخية تُشير الى ان العقوبات في زمن امير المؤمنين (عليه السلام) كانت آلية فعّالة في تنظيم السلوك الاجتماعي العام و هذا ما تأكده احدى الروايات التي تضمنت رسالة معاوية الى ابي موسى الاشعري زمن الامام (عليه السلام) فقد كتب معاوية ان ابن ابي الجسرى وجد على بطن امرأته رجلاً فقتله، وقد اشكل حكم ذلك على القضاة. فسأل ابو موسى امير المؤمنين علياً (عليه السلام)، فأجاب الامام : والله ما هذا في هذه البلاد _ يعني الكوفة وما يليها _ وما هذا بحضرتي، فمن أين جاءك هذا؟ قال: كتب اليّ معاوية ان ابن ابي الجسرى وجد مع امرأته رجلاً فقتله، وقد اشكل ذلك على القضاة (٤) .

اما في دولة العصبية فان اقامة الحدود كانت تعترتها الشبه وذلك لأنه استيفاء الحدود وتنفيذها كان موكول للمصلحة السياسية ان شاعت نفذ الحد وان كان يضر بمصالحها توقفت فيه وهذا ما شار اليه ابن خلدون ولم ينقده قائلاً: " الحدود بعد استيفائها فإن التهم التي تعرض في الجرائم لا نظر للشرع إلا في

(١) الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ٣ / ٤١٦ ؛ ينظر : المجلسي ، بحار ، ٦٩ / ١٢٦ .

(٢) المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٥ / ٣٠٩ .

(٣) القاضي النعمان ، دعائم الاسلام ٢ / ٤٤٢ .

(٤) الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ٤ / ١٧٢ .

استيفاء حدودها وللسياسة النظر في استيفاء موجباتها بإقرار يكرهه عليه الحاكم إذا احتفت به القرائن لما توجبه المصلحة العامة في ذلك فكان الذي يقوم بهذا الاستبداد وباستيفاء الحدود بعده إذا تنزه عنه القاضي^(١). وهذا امر يدعو الى الجور والاستبداد بأحكام الشرع الاسلامي الذي ينعكس بالظلم والجور لانعدام العدالة في التطبيق.

٥. ضوابط إقامة الحدود

أكد الامام علي (عليه السلام) ضوابط تنفيذ الحدود لإعطاء القوة والهيبة لمؤسسات الدولة القانونية لإقامة وبناء دولة العدالة ولضمان بناء دولة العدالة والنزاهة وحددها بما يأتي :

١. العدالة في اقامة الحدود : فالعدالة تنفذ على الجميع بدون استثناء احد في تنفيذ واقامة الحدود لمكانته او منصبه او قربه من الحاكم وهذا يعكس صورة العدالة والمساواة لحكومة امير المؤمنين التي تجعل الناس سواسية امام تطبيق الحق والعدالة وقد أكد الامام ذلك بقوله (عليه السلام) : "عليك بإقامة الحدود على القريب والبعيد ، والحكم بكتاب الله في الرضا والسخط والقسم بالعدل بين الاحمر والاسود"^(٢) فقد نفذ الامام الحد بالوليد بن عقبة، وقد وجب عليه حدّ ، وهو احد اقرباء الحاكم عثمان بن عفان في فترة حكمه فقال عثمان : "من رأى أنّ هذا الحد قد وجب عليه ، فليقم و ليحدّه ، فكأع الناس عنه وعلموا رأيه فيه ، فقام إليه الامام علي (عليه السلام) وتناول السوط وجلده الحدّ بيده"^(٣)، وهذا الامر حصل من الامام ولم تكن مقاليد الحكم بيده فكيف في اثناء فترة حكم دولته (عليه السلام) فحتمًا ان العدالة طبقت على الجميع من دون استثناء.

ويرى الامام ان تطبيق العدالة واقامة الحدود على القريب هي عامل ردع للبعيد عن الجريمة او الجنابة بقوله (عليه السلام): "أقم الحدود في القريب يجتنبها البعيد"^(٤).

٢. لا شفاعة في تنفيذ الحدود : يرفض الامام الشفاعة في الحدود عند الحاكم او القاضي وذلك لان اقامة الحد هو ليس من ملك الحاكم ليتنازل عنه وقت شاء؛ بل هو حكم الله سبحانه وتعالى وتنفيذه واجب ولا تُقبل فيه شفاعة بقوله (عليه السلام) : "لا يشفعن احد في حدّ اذا بلغ الامام ، فانه لا يملكه واشفع فيما لم يبلغ اذا رأيت الندم واشفع عند الامام في غير الحد مع الرضا من المشفوع له ، ولا تشفع في حق امرئ مسلم الا

(١) العبر، ١٩٦/١

(٢) القاضي ابن البراج ، المهذب ، ٥١٧/٢ .

(٣) القاضي النعمان ، دعائم الاسلام ، ٤٤٢/٢ .

(٤) القاضي النعمان ، دعائم الاسلام ، ٤٤٢/٢

بأذنه^(١) وهذا يعطي جانباً حضارياً من حفظ الحقوق القانونية لأفراد المجتمع في دولة الامام علي وان حقوق المواطنين مقدمة على كل شيء حتى قرنها الامام بانها من حقوق الله تعالى التي لا يمكن التفريط بها .

٣. عدم تجاوز اقامة الحد الى الاعتداء : اكد الامام علي (عليه السلام) ان يكون تنفيذ الحدود ضمن ضوابطها الصحيحة وعدم الاعتداء في تنفيذها حتى تحفظ الحقوق ويأمن الناس على ارواحهم وتعم الطمأنينة للعدالة القائمة في الاحكام .

٤. عدم جواز تأخير تنفيذ الحد وإقامته : وهي صورة عميقة من صور السرعة في تطبيق العدالة وعدم التأخير في ذلك او التواني لان التهاون بها او تأخيرها هو تهاون بأرواح وحقوق افراد المجتمع واعطاء الفسحة للجاني ان يأخذ من الحرية مجالاً بعد تنفيذ جريمته او اعتدائه واكد الامام بذلك بقوله : "من وجب عليه الحد اقيم ليس في الحدود نظرة"^(٢)، وقوله (عليه السلام): " ادروا الحدود ولا ينبغي للإمام ان يعطل الحدود"^(٣).

٥. الحد لا يورث وينفذ على صاحب الجرم حصراً فاذا مات لا يجوز طلبه في ورثته قال (عليه السلام): " الحد لا يورث"^(٤)، وهذا القانون يمنع الفوضى الاجتماعية في الاعتداء على الآخرين ويضمن اقامة الحد على صاحب الجرم حصراً ويحول دون تحميل قصاص الذنب في غير مستحقه حفاظاً للأرواح والحقوق العامة.

اما في دولة العصبية فان لا توجد ضوابط ثابتة لضبط اقامة الخدود وانما كانت تقام ضوابطها حسب ضوابط المصلحة السياسية للحاكم وهذا ضرب لأستقلالية القضاء من جهة وانها تحكمها المصلحية والوصولية من جهة اخرى .

(١) الكليني ، الكافي ، ٢٥٤/٧ .

(٢) القاضي النعمان ، دعائم الاسلام ، ٤٤٢/٢ .

(٣) القاضي النعمان ، دعائم الاسلام ، ٤٤٢/٢ .

(٤) القاضي النعمان ، دعائم الاسلام ، ٤٤٢/٢ .

في الختام نورد نتائج التي توصلت اليها الدراسة

١. ان هناك خطين لبناء استراتيجية الدولة مثل الخط الالهي الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) التي اعتمدت التأسيس الالهي القرآني لتخطيط استراتيجية بناء الدولة من حيث اختيار القيادة المعصومة وتحديد الية الاختيار بالنص الالهي ومزايا هذا الاختيار واثاره الايجابية والنافعة للمجتمع والدولة على النقيض والطرح الوضعي البشري المادي العصبي الذي تحدث عنه ابن خلدون والذي كان اساس افكار نظريته في بناء الدولة الذي تضمنت دراسة ظاهره قيام الدول وزوالها فوجد ان مبدأ القوة العصبية الاساس لبناء الدولة واختيار حكامها لتمكنهم من التغلب على شعوبهم والسيطرة عليها .

٢. قدمت اطروحة امير المؤمنين (عليه السلام) انموذجاً لانتقال السلطة على اساس الكفاءة العلمية والعصمة من الاخطاء وهو نموذج مثل التميز والرقي السياسي بكل معنى الكلمة لأثاره الايجابية في حكم وقيادة الدولة وتنظيم استراتيجية بنائها. وعلى النقيض منه جاء الطرح البشري العصبي لاختيار وانتقال السلطة حسب مبدأ القوة والغلبة العصبية.

٣. ان اختيار القيادة الناجحة تأتي بنتائج ناجحة وقوية في منهج استراتيجية بناء الدولة ،لأنها تعمل للجميع ولمصلحة الجميع ، ولا تسخر منصبها لمنافعها الخاصة بل هي مسؤولة وامانة بيد الحاكم يسخرها وينتفع من صلاحياته لخدمة المجتمع ،وهذا لا يتم الا اذا كان اعداد القائد اعدادا يتلاءم ومهمته والمسؤولية الملقاة عليه مسبقا بقيم ومبادئ الاسلام ومؤمنا حتى يكون قادرا على ترجمتها الى قوانين لبناء استراتيجية دولة عادلة تؤمن العيش الكريم للمجتمع وتحافظ على قيم الاسلام ومبادئه وتعمل بها وتعمل على صيانة دستوريته من التلاعب بها او طمسها بعكس دولة ابن خلدون الذي حكم الناس بالقهر والقوة والتغلب لكونه الحاكم الاعلى للدولة يؤمن بأسلوب التغلب اساسا للحكم وخضوع الناس اليه من باقي العصبيات ،وجعل الدين وسيلة للوصول الى الحكم وتكرر أحكامه في قوانين بناء الدولة التي تفتقد للتمثيل الديني في تشريعاتها واعتمدت سياساتها للأهواء وردت الفعل تجاه الاحداث والمستجدات.

٤. اوضحت الدراسة قوة البناء الاداري لمؤسسات الدولة ورسالتها لاعتماد عامل الثقة والكفاءة العلمية في ادارتها ،بخلاف دولة ابن خلدون التي اعتمدت عنصر المحسوبية والمنسوبية والقرابة للحاكم في تولية الموظفين والاداريين في الدولة، الذين استغلوا قريهم من الحاكم الاعلى للدولة سخروا المناصب والوظائف لخدمة مصالحهم وتسخيرهم الرعية لخدمتهم .

٥. اوضحت الدراسة التأثير الجانبي الاقتصادي في استراتيجية بناء الدولة وان منهج ادارة الموارد يتناسب طرديا مع قوة الدولة وعمرانها وصلاح رعيتهما فكلما كان الاقتصاد مزدهرا كان ذلك عامل استقرار اقتصادي وامني للبلاد وكذلك بين ابن خلدون الاثر الاقتصادي في بناء الدولة لما له من دافع يدفع العصبية بالسعي للوصول الى السلطة والملك للاستفادة من هذا المنصب والتلاعب بمقدرات الدولة الاقتصادية لصالح الحاكم وحاشيته .

٦. اوضحت الدراسة الاسس الاستراتيجية في بناء المنظومة الامنية الرصينة غير المتطرفة من ضعاف النفوس حتى لا تؤثر باختلال الامن العام للمجتمع باعداد العناصر النزيهة والكفوءة ، اما عند ابن خلدون فقد لاحظ ان الدولة العصبية تسلم هذه المناصب لأبناء عصبيتها سواء او لمن يبادلها الولاء .

٧. اسس الامام علي (عليه السلام) لاستقلال القضاء حتى تاخذ العدالة مجراها من دون تأثير أي جهة تنفيذية اخرى حتى لو كان القائد الاعلى للدولة . بخلاف دولة العصبية التي سيست القضاء واخضعته لمصالحها ونفوذها.

٨. اوضحت الدراسة اهمية المجتمع وقيمه واثره في بناء الدولة لما في اعداد بنيته من القيم والمبادئ المعنوية والروحية التي تسهم في اعداد قاعدة اجتماعية مؤمنة بمشروع دولتها وتسهم في بنائها بعكس نظرية العصبية التي جعلت المجتمع وسيلة للوصول الحاكم الى الملك واداة لخدمته بعد تسلمه السلطة . وينتهي دور العصبية الاخرى في المجتمع حال وصول الحاكم الى السلطة ، ويتم اقصاء الجميع عن المشاركة في إدارة الدولة الا عصبية الحاكم فان لها جميع الامتيازات والمناصب ، بعكس نظريه الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) التي جعلت المجتمع ومشاركته في بناء الدولة المادة الاساسية الاستراتيجية بناء الدولة ونجاحها .

٩. ضمن الامام للشعب حقوقه جميعها وعدها قوانين ثابتة يجب على الحكومة ان تؤديها للمجتمع في مقابل ذلك فرض على المجتمع بعض الواجبات ، بخلاف دولة العصبية التي كانت ترفع شعارات الحقوق وتطبق بعضها في بداية حكمها لجذب قاعدة شعبية تؤيدها للوصول الى السلطة ، ثم بعد فترة تنكر بعض من هذه الحقوق وتقصر في تأديتها ، ومنها غلق الباب مبكرا في وجه الشعب فتضع الحاجب بينها وبينه .

١٠. قدم الامام طرحا اداريا فعالاً ، يتميز بالقوة والتنظيم والاصالة الاسلامية والنزاهة العامة بفضل القوانين الادارية والرقابية التي قامت عليها المؤسسة الادارية والاقتصادية بعكس دولة العصبية التي

يكون طرحها الاقتصادي معتدل في بداية حكمها ثم عندما تصل الدولة مرحلة الترف والاسراف الامر الذي يزيد من نفقات السلطة الامر ولكي تؤمن نفقاتها التي لا تفي بها الضرائب المعتدلة تقوم بفرض ضرائب جديدة او زيادة معدلات الضرائب الامر الذي يرهق الشعب ويخلق ازمات اقتصادية نتيجة لتترك بعض اصحاب المهن والاعمال اعمالهم تحاشيا لدفع الضرائب المرهقة.

قائمة المصادر

١-القران الكريم

- *ابن الاثير، علي بن ابي الكرم بن محمد بن عبدالواحد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).
- ٢-اسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الكتب العربي ، بيروت ، (د.ت) .
- ٣- الكامل في التاريخ ، بيروت (ت ٣٨٥هـ / ٩٦٥م) .
- *إخوان الصفاء (مجموعة علماء)(ت ق٤/ ق١٠م)
- ٤-رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، دار بيروت ، بيروت ، (١٣٧٦هـ / ١٩٧٥م) .
- *الاريلي،علي بن عيسى (ت ٦٩٣هـ/٢٩٣م)
- ٥-كشف الغمة في معرفة الائمة ، ط٢، دار الاضواء ،بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- *ابن أعثم الكوفي ، احمد (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م) .
- ٦-الفتوح ، تحقيق: علي شيري ، ط ١ ، دار الاضواء ، بيروت، (١٤١١هـ / ١٩٩١م) .
- *الآمدي ، عبد الواحد (من اعلام ق٥هـ / ١١م).
- ٧-غرر الحكم ودرر الكلم ، ط ١ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- *البحراني ،هاشم بن سليمان(ت١١٠٧هـ/١٦١٩م).
- ٨-عمدة النظر في بيان عصمة الاتنى عشر (عليهم السلام) تحقيق :مرتضى ال شبر ، ط١، مطبعة ثامن الحجج،(د.م ، د.ت).
- *البخاري ، ابا عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) .
- ٩-صحيح البخاري، دار الفكر ،(د.م)، (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .
- *ابن البراج ، عبد العزيز الطرابلسي (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م) .
- ١٠-المهذب ، تحقيق: مؤسسة سيد الشهداء العلمية، (د.مط) (د.م)، ١٤٠٦هـ .
- *ابن البطريق ، يحيى بن الحسن(٦٠٠هـ/١٢٠٣م)
- ١١- عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤٠٧هـ.
- *البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) .
- ١٢-انساب الاشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي ، ط ١ ، (د.م)، (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) .
- ١٣ -فتوح البلدان،تحقيق: صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٦م.
- *البيهقي، احمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) .

- ١٤ - السنن الكبرى ، دار الفكر ، د. م ، د. ت
*الترمذي ، بن محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) .
- ١٥ - سنن الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢، دار الفكر ، بيروت (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) .
- *ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ٤٦٩ م).
١٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطابع كستاسوماس وشركاه ، (د.م) ، (د.ت).
*ابن تيمية ، احمد بن عبد الحلیم الحراني (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) .
١٧-منهاج السنة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت).
*الثعلبي ، احمد ابو اسحاق (ت ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م)
١٨-الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
*الثقفي ، ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الكوفي (ت ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م) .
١٩-الغارات ، تحقيق: جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث ، (د.مط)، (د.م)، (د. ت) .
*ابو جعفر الاسكافي ، محمد بن عبدالله (ت ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م)
٢٠-المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)
وبيان أفضليته على جميع العالمين بعد الأنبياء والمرسلين ، تحقيق : محمد باقر المحمودي، ط ١ ،
(د.م) ، (١٤٢٢ هـ / ١٩٨١ م)
*ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد (ت ٢٣٠ هـ / ٩٣٢ م).
٢١ -مسند ابن الجعد، تعليق: عامر احمد حيدر، ط ٢، دار الكتب العلمية ،بيروت
١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
*ابن أبي جمهور ، محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي (ت نحو ٨٨٠ هـ / ٤٧٥ م)
٢٢ -عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية ،تحقيق : شهاب الدين النجفي المرعشي /
مجتبى العراقي ، ط ١، مطبعة سيد الشهداء ،قم ، (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م).
*الجوهري ، ابو نصر اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م) .
٢٣ -الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم
للملايين، بيروت، (١٤٠٧ هـ / ١٩٥٦ م) .
*الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م) .

- ٢٣-المستدرك على الصحيحين ، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة ، بيروت، (د.ت).
- *ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) .
- ٢٤-تقريب التهذيب ، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار المكتبة العلمية ، بيروت، (١٤١٥هـ /١٩٩٥م) .
- *ابن ابي الحديد، المعتزلي (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) .
- ٢٥ -شرح نهج البلاغة ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ١ ، دار احياء الكتب العربية ، (د.م) ، (١٣٧٨هـ /١٩٥٩م) .
- *الحر العاملي ، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ/١٦٩٢م) .
- ٢٦-الفصول المهمة في أصول الأئمة ،تحقيق: محمد بن محمد الحسين القائيني، ط١، مطبعة نغين ،قم، ١٤١٨هـ
- ٢٧-وسائل الشيعة ، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط ٢ ، مطبعة مهر ، قم (١٤١٤هـ)
- *ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ /١٠٦٣م) .
- ٢٨-جمهرة أنساب العرب ،تحقيق : لجنة من العلماء ، ط١، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت، (١٤٠٣هـ /١٩٨٣م) .
- *الجلي ، الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م) .
- ٢٩-الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مكتبة الألفين ،الكويت، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.
- ٣٠-تذكرة الفقهاء، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لأحياء التراث ، ط١، مطبعة مهر، قم ، ١٣٧٢هـ .
- ٣١- خلاصة الاقوال ، تحقيق: جواد القيومي، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي، (د.م)، ١٤١٧هـ
- ٣٢-كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد،تحقيق :جعفر السبحاني،(د.ت، د.م).
- ٣٣-منتهى المطلب ، تحقيق قسم الفقه في مجمع البحوث الاسلامية ، ط ١ ، مؤسسة الطبع والنشر في الأستانة الرضوية المقدسة ، مشهد، ١٤١٢هـ.
- *الجلي ، علي بن برهان الدين (ت ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م) .
- ٣٤-السيرة الحلبية المسمى بلسان العيون في سيرة الامين والمأمون، دار المعرفة، بيروت، القاهرة (١٤٠٠هـ /١٩٧١م) .

- * ابن حنبل، أحمد (ت ٢٤١هـ/٨١٩م)
- ٣٥- مسند أحمد ، (د.مط) ، (د.م) ، (د.ت) .
- * الخزاز القمي، أبي القاسم علي بن محمد بن علي (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م)
- ٣٦- كفاية الأثر في النص على الائمة الاثني عشر (عليهم السلام) ، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي ، مطبعة الخيام ، قم ، ١٤٠١ هـ .
- * الخصيبي، الحسين بن حمدان (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م) .
- ٣٧- الهداية الكبرى، ط ٤ ، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر ، بيروت، (١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) .
- * الخطيب البغدادي ، احمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)
- ٣٨ - تاريخ بغداد، تحقيق :مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م) .
- * ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).
- ٣٩- رحلة ابن خلدون عبد الرحمن الحضرمي الاشبيلي ، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، (د.مط) ، (د.ت)
- ٤٠- العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، تحقيق: عادل بن سعد ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٠ م .
- * ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) .
- ٤١ -وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، مطبعة دار الثقافة، لبنان، (د.ت).
- * خليفة بن خياط ، ابي عمرو خليفة العصفري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) .
- ٤٢- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت، (١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) .
- * ابو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ ٨٨٨ م) .
- ٤٣- سنن ابي داود ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر ، (د.م) ، (د.ت) .
- * الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م) .
- ٤٤- تذكرة الحفاظ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت، (د. ت) .
- ٤٥- سير اعلام النبلاء، تحقيق: حسين الاسد، ط ٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م)
- * الرازي ،محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م)
- ٤٦- مختار الصحاح، تحقيق: احمد شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م
- * الراغب الاصفهاني ، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ / ١١٠٨م) .

- ٤٧- المفردات في غريب ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: محمد خليل عيتاني، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م.
- * الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١١٠٨م) .
- ٤٨- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).
- * الزبير بن بكار ، ابو عبدالله الزبير (ت ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩م) .
- ٤٩- الاخبار الموفقيات ، تحقيق : د. سامي مكي العاني ، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢م .
- * الزمخشري ، ابي القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد (ت ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣م) .
- ٥٠- اساس البلاغة ، تحقيق: محمد باسل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م .
- ٥١- ربيع الابرار ونصوص الاخبار ، تحقيق: سليم النعيمي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦م .
- * زيد بن علي (١٢٢هـ/ ٧٣٩م)
- ٥٢- مسند زيد بن علي، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت - لبنان ، د.ت
- * السرخسي ، ابو بكر محمد بن ابي سهل (ت ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)
- ٥٣- المبسوط ، مطبعة دار المعرفة ، بيروت ، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)
- * ابن سعد ، محمد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ / ٩٤١م) .
- ٥٤- الطبقات الكبرى ، تحقيق: احسان عباس ، ط١، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م .
- * السمرقندي ، ابو الليث (ت ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م) .
- ٥٦- تفسير السمرقندي ، تحقيق: محمود مطرجي ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ت) .
- * السيوطي ، جلال الدين ابي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) .
- ٥٧- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة أوفيس ت منير ، بغداد، ١٩٨٦م.
- ٥٨- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، دار الفكر، بيروت ، (١٤٠١هـ / ١٩٨١م)
- ٥٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الناشر دار الفكر ، بيروت د.ت .
- * سليم بن قيس الهلالي (ت ٩٠هـ/ ٧٠٨م)
- ٦٠- كتاب سليم بن قيس الكوفي ، ط١، دار المصطفى، بيروت - لبنان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- * الشافعي ، ابي عبد الله محمد بن ادريس (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) .
- ٦١- الام ، ط٢، دار الفكر، (د.م) ، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .
- * الشافعي: محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)

٦٢- الزاهر في غريب ألفاظ ، تحقيق: د. محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، ط١، ١٣٩٩ هـ .

* ابن شاذان ، محمد بن أحمد بن علي(ت ٤١٢هـ/١٠٢١م)

٦٣ - مئة منقبة من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده (عليهم السلام) من طريق العامة ، تحقيق : مدرسة الإمام المهدي (ع) / إشراف : السيد محمد باقر بن المرتضى الموحد الأبطحي، ط١، مطبعة امير ، قم ، ١٤٠٧ هـ .

* الشريف الجرجاني، علي بن محمد(ت ٨١٦هـ/٤١٣م).

٦٤ - معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة ، مصر ، (د.ت)

الشريف الرضي ابو الحسن محمد بن الحسين (ت ٤٠٦هـ/١٠١٥م)

٦٥- خصائص الائمة ، جمع البحوث الإسلامية - الأستانة الرضوية المقدسة - مشهد -

إيران، ١٤٠٦ هـ .

* ابن شعبة الحراني ، الحسن بن علي بن الحسين (ت ق ٤/ق ١٠م) .

٦٦- تحف العقول عن آل الرسول (ص) ، تحقيق : ترجمه محمد باقر كمره اي ، ط٦ ، مطبعة

چاپخانه اسلاميه ، ايران ، ١٣٧٦ ش .

* ابن شهر آشوب ، محمد بن علي المازندراني (ت ٥٨٨هـ/١١٩٢م) .

٦٧- مناقب آل ابي طالب ، تحقيق ، لجنة من اساتذة النجف ، المطبعة الحيدرية ، النجف ،

(١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م) .

* الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ/١١٥٣م)

٦٨ - الملل والنحل ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، مطبعة دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) .

* ابن ابي شيبه ، عبد الله بن محمد بن ابي شيبه بن ابراهيم بن عثمان العبسي (ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م) .

٦٩ - مصنف بن ابي شيبه ، تحقيق: سعيد اللحام ، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،

بيروت، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) .

* الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين القمي (ت ٣٨١هـ/٩٩١م) .

٧٠- الامالي، تحقيق :قسم الدراسات الاسلاميه - مؤسسة البعثة، ط١، مركز الطباعة والنشر في

مؤسسة البعثة، طهران، ١٤١٧ هـ .

٧١- علل الشرائع ، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم ، الناشر ، منشورات المكتبة -

الحيدرية ومطبعتها في النجف (١٣٨٥هـ/١٩٦٦م) .

- ٧٢- عيون اخبار الرضا(عليه السلام)،تحقيق: حسين الاعلمي ،مطابع مؤسسة الاعلمي، بيروت ،١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ٧٣-كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: محمد باقر كمره أي ، ط٣،مطبعة چاپخانه اسلاميه،ايران، ١٣٧٧ ش.
- ٧٤- من لا يحضره الفقيه ،تحقيق:علي اكبر الغفاري ،ط٢،مؤسسة النشر الاسلامي،قم،(د. ت).
*الصفار ، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ(ت ٢٩٠هـ/١٠٢م)
- ٧٥-بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (عليهم السلام)،تحقيق: مرزا حسن كوچه باغي،مطبعة الأحمدية ، طهران، ، ١٤٠٤ هـ .
*ضامن بن شدقم (ت ١٠٨٢هـ/١٦٧١م)
- ٧٦ -وقعة الجمل ،تحقيق:تحسين آل شبيب الموسوي،مطبعة محمد،(د.م)، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- *الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م)
- ٧٧-المعجم الأوسط ، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد الحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، (د.م) ، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
*الطبرسي ، احمد بن علي بن ابي طالب (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م) .
- ٧٨-الاحتجاج،تحقيق:محمد باقر الخراسان،دار النعمان للطباعة والنشر،النجف الاشرف (١٣٨٦هـ /١٩٦٦م) .
- ٧٩-مجمع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين ، ط١، مؤسسة الأعلى ، بيروت (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) .
*الطبرسي ،الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م)
- ٨٠-اعلام الوري باعلام الهدى،تحقيق مؤسسة ال البيت(عليهم السلام) لاحياء التراث،ط١،مطبعة ستارة، ايران،١٤١٧هـ.
- ٨١-مكارم الأخلاق ، ط٦ ، (د.مط)، (د.م)، (١٣٩٢هـ /١٩٧٢م) .
*الطبري ، محمد بن جرير بن رستم (ت ق٤٤هـ/ق١٠م).
- ٨٢-المسترشد ، في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: احمد المحمودي ، ط١ ، مطبعة سلمان الفارسي ، قم ، ١٤١٥ هـ .
- ٨٣ -دلائل الامامة ، تحقيق : قسم الدراسات الاسلامية س، ط١، مؤسسة البعثة ، قم ، ١٤١٣هـ.

- *الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) .
- ٨٥-تاريخ الرسل والملوك، ط٤ ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .
- ٨٦-جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : خليل الميس، دار الفكر، بيروت، (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) .
- *الطوسي ، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٧م)
- ٨٧- الأمالي ، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية، ط١،(د.مط) ، قم ، ١٤١٤هـ.
- ٨٨-الاستبصار فيما اختلف من الاخبار ، تحقيق : حسن الموسوي الخراسان ، مطبعة خورشيد ، ط٤، طهران ١٣٩٠ هـ.
- *ابن طيفور ،أبي الفضل بن أبي طاهر (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)
- ٨٩ - بلاغات النساء ، (د.مط)،(د.م)،(د.ت).
- ابن ابي عاصم، الضحاك بن مخلد(ت٢٨٧هـ/٩٠٠م).
- ٩٠-السنة، ط٣،(د.مط) ، بيروت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- *الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ/٨٢٦م) .
- ٩١-المصنف ، تحقيق الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي ، ط١ ، بيروت ، د. ت .
- *الصفار، محمد بن الحسن (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م)
- ٩٢-بصائر الدرجات ، تحقيق : ميرزا حسن كوچه باغي ،:مطبعة الأحمدية - طهران ، ١٤٠٤هـ.
- *العالمي ، يوسف بن حاتم (من اعلام القرن السابع)
- ٩٣-الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم،(د.)
- *ابن عبد ربه ، احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) .
- ٩٤-العقد الفريد ، تحقيق وتعليق بركات يوسف هيود ، دار الارقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ١٩٩٩ م .
- *ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .
- ٩٥-الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، تحقيق علي محمد الجاوي ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت (١٤١٢هـ) .
- *ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) .
- ٩٦-تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: علي شيري ، دار الفكر ، بيروت، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) .

- *العسكري ، أبي هلال، (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)
- ٩٧-الفروق اللغوية، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي ، ط ١ ، (د.مط) ، (د.م)، ١٤١٢ هـ.
- *علي ابن ابي طالب (عليه السلام)(ت ٤٠هـ/٦٦٠م).
- ٩٨-نهج البلاغة ، مجموعة خطب الامام علي (جمع الشريف الرضي ابو الحسن محمد بن الحسين الموسوي) ، تحقيق: صبحي الصالح، ط١، (د. مط)، بيروت ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- ٩٩-نهج البلاغة ، مجموعة خطب الامام علي (جمع الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي) ، تحقيق:محمد عبده ، ط١، مطبعة النهضة، قم، ١٤١٢ هـ.
- *أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة (ت ٤٥٨هـ/١٠٥٦م)
- ١٠٠- المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .
- *العياشي، محمد بن مسعود (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م) .
- ١٠١- تفسير العياشي ، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، سوق الشيرازي، طهران، (د.ت) .
- *الغزالي ، أبي حامد محمد بن محمد بن محمد (ت سنة ٥٠٥هـ/١١١١م).
- ١٠٢-المستصفي في علم الأصول ، تحقيق: محمد عبدالسلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
- *ابن فارس ، ابي الحسين احمد ابن زكريا(ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م) .
- ١٠٣-معجم مقاييس اللغة ، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الاعلام الاسلامي (د.م)، ١٤٠٤هـ.
- *الفتال النيسابوري ، زين المحدثين محمد (ت ٥٠٨هـ/١١١٤م) .
- ١٠٤-روضة الواعظين، تحقيق: محمد المهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الرضي ، قم ، (د.ت) .
- *الفخر الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م).
- ١٠٥- مفاتيح الغيب ، ط ٣ ، (د.مط)، (د.ت) .
- *الفراهيدي ، الخليل بن احمد (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) .
- ١٠٦-العين، تحقيق: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، ط ٢، مؤسسة دار الهجرة، (د.م)، ١٤٠٩هـ.
- *ابو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م) .
- ١٠٧-مقاتل الطالبين ، تحقيق : كاظم المظفر ، ط ٢، (د.مط)، (د.م)، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).

- * الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) .
 ١٠٨ - القاموس المحيط ، (د. مط.) ، (د. م.) ، (د. ت.) .
 * الفيض الكاشاني ، محسن (ت ١٠٩١هـ/١٦٨١م) .
 ١٠٩ - تفسير الصافي ، ط ٣ ، تحقيق: حسين الاعلمي ، مؤسسة الهادي ، قم ، ١٤١٦هـ .
 ١١٠ - الوافي ، تحقيق: ضياء الدين الحسيني الاصفهاني ، ط ١ ، مطبعة طباعة أفست نشاط
 أصفهان ، أصفهان ، (١٤٠٦هـ . ق. ١٩/٣/٦٥هـ. ش.) .
 * ابن الصباغ ، علي بن محمد أحمد المالكي (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) .
 ١١١ - الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، تحقيق : سامي الغريزي ، ط ١ ، مطبعة : سرور ،
 (د. م.) ، ١٤٢٢هـ .
 * القاضي النعمان ، النعمان بن محمد بن منصور (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م) .
 ١١٢ - دعائم الاسلام ، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي ، دار المعارف ، القاهرة ،
 (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م) .
 ١١٣ - شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار ، تحقيق: محمد الحسيني الجليلي ، ط ٢ ،
 مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، (د. ت) .
 * ابن قتيبة ، ابي محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) .
 ١١٤ - الامامة والسياسة ، تحقيق: طه محمد الزيني ، مؤسسة الحلبي ، (د. م.) ، (د. ت) .
 ١١٥ - المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، مصر - القاهرة ،
 ١٩٦٩م .
 ١١٦ - عيون الاخبار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٠م .
 * قطب الدين الراوندي أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ/١١٧٧م)
 ١١٧ - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تحقيق : عبد اللطيف الكوهكمري ، مطبعة الخيام
 ، قم ، ١٤٠٦هـ .
 * ابن قدامه ، شمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) .
 ١١٨ - الشرح الكبير ، ط جديدة بالأوفست ، (د. مط) ، (د. م) ، (د. ت) .
 * القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م) .
 ١١٩ - الجامع لأحكام القرآن ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥م .
 * القلقشندي أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) .

- ١٢٠-صبح الاعشى في صناعة الانشا ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،بيروت -لبنان،(د.ت).
- ١٢١ -مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ، (د.مط)،(د.م)،١٩٦٤م
*ابن كثير ، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) .
- ١٢٢-البداية والنهاية،تحقيق: علي شيري ، دار احياء التراث العربي ، بيروت، (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م) .
- *ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) .
- ١٢٣-جمهرة النسب ، تحقيق : عبد الستار فراج ، الكويت ، ١٩٨٣م .
- *الكليني ، محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت ٣٢٩هـ/٩٤٠م) .
- ١٢٤ - الاصول من الكافي ، تحقيق :هاشم رسولي،(د.مط) ، طهران ، ١٣٨٨ هـ .
*الكندي ،محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٣٥٣هـ/٩٦٤م)
- ١٢٥-ولاية مصر ، تحقيق: د. حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) .
* الكوفي محمد بن سليمان (٣٠٠هـ/٩١٢م)
- ١٣٣-مناقب الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق الحاج الشيخ محمد باقر المحمودي ،ط١،مطبعة النهضة إيران - قم، ١٤١٢ هـ .،طهران،١٤٠٤ هـ .
*الليثي الواسطي،علي بن محمد(ت ق ٦هـ/ق ١٢م) .
- ١٢٦-عيون الحكم والمواعظ،تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، ط١،مطبعة دار الحديث،(د.م) ، (د.ت).
- *ابن ماجه ، ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م) .
- ١٢٧-سنن ابن ماجه ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر . (د.ت) .
*الماوردي، علي بن محمد البغدادي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) .
- ١٢٨-الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٢، مطبعة : مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاءهم، (د.م)، (١٣٨٦هـ / ١٩٦٦ م) .
*المتقي الهندي ، علاء الدين علي بن حسام (ت ٩٧٥هـ/١٥٦٧م) .
- ١٢٩ -كنز العمال في سنين الاقوال والافعال، تحقيق: بكرى حياتي وصفوه السقا ،مؤسسة الرسالة بيروت، (١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م) .
*المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١١ هـ/١٦٩٩م) .

- ١٣٠- بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار ، ط ٢ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .
- ١٣١- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، تحقيق: مرتضى العسكري، ط ٢، دار الكتب الإسلامية.
- ١٣٢ - ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار ، تحقيق : مهدي الرجائي، مطبعة الخيام ، قم ، ١٤٠٦هـ .
- * محب الدين الطبري ، احمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م).
٨٤ - ذخائر العقبى ، (د.مط)، (د.م)، (د.ت).
- * أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ / ٧٩١م) .
- ١٣٤ - مقتل الحسين (عليه السلام) ، تحقيق : حسين الغفاري ، مطبعة العلمية، قم ، (د.ت) .
- * ابن مزاحم المنقري ، نصر (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) .
- ١٣٥ - وقعة صفين ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط ٢ ، مطبعة المدني ، القاهرة - مصر ، ١٣٨٢هـ .
- * المسعودي ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) .
- ١٣٦ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ١ ، (د.مط) ، بيروت ، (د.ت) .
- * مسكويه أبو علي (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) .
- ١٣٧ - تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم امامي ، دار سروش ، طهران ، ١٣٧٩ .

- *مسلم ، ابو الحسين (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م) .
- ١٣٨ - صحيح مسلم، دار الفكر ، بيروت ، (د. ت) .
- *وأبو المعالي الجويني (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)
- ١٣٩ - الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد، د.مط ، ١١٣٦٩هـ/١٩٥٩م.
- *المفيد ، محمد بن محمد(ت ٤١٣هـ/١٠٢٢م) .
- ١٤٠-الاختصاص ، تحقيق: علي اكبر الغفاري -محمود الزرندي، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر ، بيروت ، (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) .
- ١٤١ -الارشاد في معرفة حجج الله على العباد،تحقيق:مؤسسة ال البيت عليهم السلام ، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت ، ١٤٢٤هـ/١٩٩٣ .
- *المقداد السيوري (ت ٨٢٦هـ/١٤٢٢م)
- ١٤٢-النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر ،تحقيق : المقداد السيوري، ط ٢ ، (د.م) ، (١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م) .
- *ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ/١٢٨٠م) .
- ١٤٣ -شرح نهج البلاغة، تحقيق :عني بتصحيحه عدة من الأفاضل، ط ١ مطبعة مكتبة الاعلام الاسلامي، ايران ، ١٣٦٢ ش.
- *ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م) .
- ١٤٤ -لسان العرب ،(د.مط) ، قم ، ١٤٠٥ هـ .
- *النسائي، ابي عبد الرحمن احمد بن علي بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م) .
- ١٤٥ -السنن الكبرى ، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري و كسروي حسن ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، (١٤١١هـ / ١٩٩١م) .
- ١٤٦ -فضائل الصحابة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت .
- *ابن هشام ،عبد الملك (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م) .
- ١٤٧-السيرة النبوية، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني،القاهرة، (١٣٨٣هـ / ١٩٦٦م) .
- *وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م) .
- ١٤٨ - أخبار القضاة، مطبعة عالم الكتب، بيروت ،(د.ت) .
- *ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) .
- ١٤٩-معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت، (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .

*اليقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت ٢٩٢هـ/٨٩٧م) .

١٥٠-تاريخ اليقوبي ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) .

*ابو يعلي الفراء (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م)

١٥١-الاحكام السلطانية ، بيروت ، ١١٤٠٣هـ/١٩٨٤م

قائمة المراجع الثانوية

*الإبراهيمي ، عبد الجواد

١٥٢ -نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية،تحقيق : إعداد عبد الجواد الإبراهيمي ، ط١،

مطبعة بهمن، قم - ايران ، ١٤١٧هـ .

*الاعرجي، زهير

١٥٣-الامام علي ابن ابي طالب الصديق الاكبر ، ط١ ، (د.مط) ، (د.م) ، ٢٠٠٠م .

*انصاريان ، علي

١٥٤ - شرح نهج البلاغة ، مطبعة ستاره ، ايران ، (د.ت) .

*بوعجيلة، ناجية الوريدي

١٥٥ -حفريات في الخطاب الخلدوني الاصول السلفية ، ووهم الحداثة العربية، ط١ ، (د.مط)،

دمشق ، ٢٠٠٨م

*البهادلي، عبد الرضا ناصر

١٥٦ -بحوث في عقائد الإمامية، ط٢، دار القارئ للطباعة والنشر، بيروت،

(٢٠١١هـ/٢٠١١م)

*الجابري ، محمد عابد

١٥٧-فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي ، ، ط٥ ،

مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان -بيروت، ١٩٩٢م .

*جرداق، جورج

١٥٨ - الامام علي صوت العدالة الانسانية،(د.مط)،(د.م) ، (د.ت) ،

١٥٩ -روائع نهج البلاغة، ط٢ ، مطبعة باقري،(د.م)، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) .

*جغلول، عبد القادر

- ١٦٠- الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي، ترجمة: فيصل عباس، ط١، دار المنار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦م.
* حبيب الله الخوئي
- ١٦١- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي، ط٤، مطبعة الاسلامية، طهران، إيران - قم، (د.ت).
* حسين، طه
- ١٦٢- فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م.
* الحسيني، إدريس
- ١٦٣- الخلافة المغتصبة أزمة تاريخ أم أزمة مؤرخ؟، ط١، (د.مط، د.م، د.ت) (حمود، خضير كاظم
- ١٦٤- السياسية الادارية في فكر الامام علي (ع) بين الاصلية والمعاصرة. ط١، (د.ت)، (د.م).
* حوى، سعيد
- ١٦٥- فصول في الأمرة والأمير، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ١٤٥١هـ/١٩٩٤.
* خبراء بيمك
- ادارة الازمات، ترجمة توفيق عبد الرحمن، ط٢، القاهرة، مركز خبراء الهيئة الادارية بيمك، ٢٠٠٤م.
* ربيع، محمد محمود
- ١٦٦- النظرية السياسية لابن خلدون دراسة مقارنة في النظريات الاسلامية والفكر السياسي الاسلامي، (د.ط)، ١٩٨٠م.
* رسلان، صلاح بسيوني
- ١٦٧- السياسة والاقتصاد عند ابن خلدون، مطبعة كلية الاداب، جامعة القاهرة، (د.ت).
* الريشهري، محمد
- ١٦٨- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة محمد كاظم الطباطبائي، محمود الطباطبائي نژاد، ط٢، دار الحديث، قم - إيران، ١٤٢٥هـ.
* الزركلي، خير الدين
- ١٦٩- الأعلام، ط٥، (د.مط)، (د.م)، ١٩٨٠م.
* الزبيدي، عبد الرضا

- ١٧٠- في الفكر الاجتماعي عند الامام علي (عليه السلام) دراسة في ضوء نهج البلاغة، مكتبة فذك، (د.م)، (د.ت) .
*سراج ، حميد
- ١٧١- الفكر الاختباري في نهج البلاغة، ط١، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر، العراق-البصرة
١٤٣٣هـ / ٢٠١٣م .
*السعد ، غسان
- ١٧٢- حقوق الانسان عند الامام علي (عليه السلام) رؤية علمية، ط٢ ، (د. مط) ، بغداد ،
(١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م) .
*سعدي أبو حبيب
- ١٧٣- القاموس الفقهي، ط٢، دار الفكر ، دمشق - سوريا، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م
*الشاكري ، حسين
- ١٧٤- نشوء المذاهب والفرق الإسلامية ، ط١ ، مطبعة ستارة ، (د.م) ، ١٤١٨ هـ .
*شريف ، يونس
- ١٧٥- استقلال القضاء ، ط١، مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م .
*شريط عبد الله
- ١٧٦- الفكر الاخلاقي عند ابن خلدون ، ط٢ ، الدار العربية للكتاب ، تونس- ليبيا ، ١٩٨٤ م .
*الشراهاني ، حسين علي
- ١٧٧- التغيير في الساسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي بن ابي طالب ، ط١
(د.مط) ، (د.م) ، ٢٠١٣ م .
*شمس الدين ، محمد مهدي
- ١٧٨- دراسات في نهج البلاغة ، ط٢، دار الزهراء (عليها السلام) للطباعة ، بيروت
لبنان، (١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) .
*الشيخ ، حسن محمد
- ١٧٩- ملامح من الفكر الاداري عند الامام، ط١، دار البيان العربي ، بيروت
١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
*الشيرازي ، محمد الحسيني
- ١٨٠- توضيح نهج البلاغة ، دار تراث الشيعة ، طهران - إيران ، (د.ت) .
*ابن عاشور، محمد الطاهر

- ١٨١- التحرير والتتوير (المعروف بتفسير ابن عاشور التونسي)، ط١، مؤسسة التاريخ ، لبنان، ١٤٢٠هـ.
- * عبد المنعم ، محمود عبد الرحمن
- ١٨٢ - معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية ، دار الفضيلة للنشر ، القاهرة ، (د.ت) .
- * العريض ، جليل منصور
- ١٨٣- فكر الامام علي كما يبدو في نهج البلاغة ، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت، (١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م)
- * فوزي ، فاروق عمر واخرون
- ١٨٤- النظم السياسية ، منشورات دار الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٧م .
- * القبانجي، حسن
- ١٨٥- مسند الإمام علي (عليه السلام) ، تحقيق: طاهر السلامي، ط١ ، (د.مط)، (د.م)،
- (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) .
- * قباني ، عبد العزيز
- ١٨٦- العصبية في بنية المجتمع العربي، ط، دار الافاق الجديدة ، بيروت، (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) .
- * القرشي، باقر
- ١٨٧ - حياة الامام الحسين بن علي (عليهما السلام)، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٤م.
- كاشف الغطاء هادي
- ١٨٨- مستدرك نهج البلاغة ، منشورات مكتبة الأندلس ، بيروت - لبنان ، (د.ت) .
- * لابيكا، جورج
- ١٨٩ - السياسة والدين عند ابن خلدون، ترجمة: موسي وهبي و شوقي دويهي، ط١، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٠.
- * المحمودي، محمد باقر
- ١٩٠ - نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، تحقيق: الميرزا محمد باقر الزنجاني، (د.مط)، (د.م)، (د.ت).
- * المحنك، هاشم حسين ناصر

- ١٩١- الإدارة والاسلوب القيادي في نهج البلاغة، ط ٢، دار انباء للطباعة والنشر، النجف - العراق ، ١٩٩١ م .
*المدرسي، هادي
- ١٩٢- أخلاقيات أمير المؤمنين ، ط ١ ، مؤسسة الأعلّم للمطبوعات ، بيروت، (١٤١١هـ/ ١٩١١م). *المدرسي ، سيد حجازي
- ١٩٣-النظم الضريبية ، دار القاهرة للطباعة والنشر، مصر ، ٢٠٠٠ م .
المرعشي ،شرح احقاق الحق ، تحقيق:شهاب الدين المرعشي النجفي و إبراهيم الميانجي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم - ايران .
*مزيان، عبد المجيد
- ١٩٤-التوازن بين الفكر الديني والفكر العلمي عند ابن خلدون، ط ١، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية، القاهرة، د.ت.
*مصطفى ، ابراهيم ، احمد الزيات . واخرون .
- ١٩٥- المعجم الوسيط ، تحقيق: مجمع اللغة العربية ، (د.مط)، (د.م)، (د.ت) .
*مغنية، محمد جواد.
- ١٩٦-في ضلال نهج البلاغة، ط ١، مطبعة ستار ، (د.م)، (د.ت) .
*المنتظري
- ١٩٧- دراسات في ولاية الفقيه و فقه الدولة الاسلامية، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، ط ١، قم - ايران ، ١٤٠٨ هـ .
*المكي، عبد الرزاق
- ١٩٨-الفكر الفلسفي عند ابن خلدون، ط ١، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧٠ م.
*المنيف، ابراهيم عبد الله
- ١٩٩-استراتيجية الادارة اليابانية ، ط ١، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض -السعودية، (١٩٩٨م/١٤١٩هـ)
*الموسوي ،محسن باقر
- ٢٠٠- الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي بن أبي طالب ، مؤسسة الغدير ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ .
*المياحي ،شكري ناصر

٢٠١- الامام علي دراسة في فكره العسكري ، ط١، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٣٤هـ/٢-١٣م.

*الميرجهاني .

٢٠٢-مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ، (د.مط)،(د.م)، ١٣٨٨هـ .

*نصار، ناصيف

٢٠٤-الفكر الواقعي عند ابن خلدون، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م

*النشار، مصطفى

٢٠٥-تطور الفكر السياسي القديم من صولون إلى ابن خلدون، ط١، دار قباء للطباعة

والنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.

*النوري، ميرزا حسين (ت ١٣٢٠هـ)

٢٠٦ - مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث،

ط١، (د.مط)، بيروت - لبنان، (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

*الوائلي، احمد

٢٠٧- هوية التشيع، دار الصفوة، ط١، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م

*الوردي، علي

٢٠٨- منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، ط٢، بيروت - لبنان، (د.ت).

*الموسوي، السيد عباس

٢٠٩- شرح نهج البلاغة، ط١، دار الرسول المحجة البيضاء، بيروت، ١٤١٨هـ .

قائمة الرسائل والاطاريح

*السعيدي، توفيق خلف زيدان احمد

٢١٠- الدولة في فكر ابن خلدون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة

بغداد، (١٢٣٣هـ/ ٢٠١٢م).

*الساعدي، علي شعلان سلطان

٢١١ - أفاظ الدولة وشؤونها في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) -

دراسة دلالية -رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٢م.

*سعدون، هدى ياسر

- ٢١٢ - الفكر الاداري عند الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية تربية ابن رشد للعلوم الانسانية ، جامعة بغداد، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- *الشمري ، ماهر جواد كاظم
- ٢١٣ - اساليب الترهيب في الدولة العربية الاسلامية خلال العصر الاموي (٤١-١٣٢هـ) -
- ١٣٢هـ/٦٦٦-٧٤٩م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠١٤م.
- *الطائي، محمد عباس حسن
- ٢١٤ - سياسة الترغيب في العصر الاموي (٤١هـ - ١٣٢هـ) دراسة تاريخية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الاداب-جامعة الكوفة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م .
- *العامري،ذكرى ياسر
- ٢١٥ -الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة البصرة ،كلية التربية للعلوم الانسانية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- *العزاوي ،نزار فاضل حسين
- ٢١٦ - النظام الاداري في خلافة الامام علي بن ابي طالب " عليه السلام " ٣٥-٤٠هـ /
- ٦٥٥-٦٦٠م ، الجامعة المستنصرية ،المعهد العالي لدراسات السياسية والدولية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- *عمران، احمد علي
- ٢١٧ - الفكر السياسي عند مسكويه،دراسة مقارنة مع ابن خلدون ،رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة كربلاء - كلية التربية ، ١٤٢٣هـ /٢٠١١م
- *فرحان، نعمة دهش
- ٢١٨ - نهج البلاغة في ضوء علم اللغة الاجتماعي ، أطروحة دكتوراه جامعة بغداد ، كلية التربية ابن رشد، ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م .
- *الموسوي ،جبار محمد هاشم
- ٢١٩ - الاحتجاج العقائدي بالقرآن الكريم عند أئمة أهل البيت أطروحة دكتوراه غير منشوره ،كلية الفقه/ الشريعة والعلوم الإسلامية،جامعة الكوفة

*ابو حمد، رضا صاحب

٢٢٠- الامام علي بن ابي طالب وسياسته في الخراج لمعالجة السكن والاعمار ، مجلة الغري

للعلوم الاقتصادية والإدارية ، المجلد العاشر .

*صياح، رحيم علي وعبد الحميد حمودي الشمري

٢٢١-الفكر الرقابي عند الإمام علي (عليه السلام)، بحث منشور في مجلة جامعة بابل ،

العلوم الانسانية، المجلد ٢٢ .

* المياحي، شكري ناصر

٢٢٢-استراتيجية المراقبة وفاعلية النظام الرقابي عند الامام علي (عليه السلام) دراسة في كتابه

لواليه على البصرة عثمان بن حنيف ،بحث مقبول للنشر مجلة تراث البصرة ،مركز تراث البصرة

،٢٠١٧م.

*العالمي، جعفر مرتضى

٢٢٣-الغدير في ظل التهديدات الإلهية للمعارضة ، مجلة تراثنا ، العدد الرابع ،١٤١٠هـ.

الملحق رقم (١)

عهد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر
وأعمالها

"من كتاب له (عليه السلام) كتبه للأشتر النخعي ، لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب
أمر أميرها محمد بن أبي بكر ، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،
هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِي فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ ، حِينَ وُلِّاهُ
مِصْرَ جَبَايَةَ خَرَجِهَا وَجِهَادَ دُوَّهَا ، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا ، أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِيتَارِ طَاعَتِهِ ،
وَإِتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ ، الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا ، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ
جُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا ، وَأَنْ يُنْصَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنْصَرِ مَنْ
نَصَرَهُ وَاعْتَزَّازَ مَنْ أَعَزَّهُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَيَرْعَى عِنْدَ الْجَمَحَاتِ ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ
بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ ، ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُولٌ قَبْلَكَ ، مِنْ
عَدْلٍ وَجَوْرِ ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ ، فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ ،
وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ ، بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ
، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، فَاْمْلِكْ هَوَاكَ وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ ، فَإِنَّ
الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ وَأَشْعَرُ قَلْبِكَ الرَّحْمَةُ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالْمَحَبَّةُ لَهُمْ وَاللُّطْفُ
بِهِمْ ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سُبْعًا ضَارِيًا تَعْتَنِمُ أَكْلَهُمْ - فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَحْ لَكَ فِي الدِّينِ ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ
فِي الْخَلْقِ - يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلْلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلْلُ ، وَيُوتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطِإِ ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ
عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ ، مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي
الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وُلَّاكَ ، وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِمْ ، وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ
اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدَّ لَكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ ،
وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنُوحَةً ، وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْعَالٌ فِي
الْقَلْبِ ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ ، وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبْهَةً أَوْ مَخِيلَةً ،
فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ
مِنْ طِمَاحِكَ ، وَيَكْفُ عَنكَ مِنْ غَرَبِكَ ، وَيَقِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَرَبَ عَنكَ مِنْ عَفْلِكَ ، إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي
عَظَمَتِهِ وَالتَّشْبُهَ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهَيِّبُ كُلَّ مُخْتَالٍ أَنْصَفِ اللَّهُ وَأَنْصَفِ النَّاسَ

مِنْ نَفْسِكَ ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ إِلا تَفْعَلْ تَظْلِمُ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ ، مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ ، وَلِيَكُنَّ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعْمُهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ ، وَإِنْ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِيِّ مَثُونَةً فِي الرَّخَاءِ ، وَأَقْلَ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ ، وَأَكْرَهَ لِلإِنصَافِ وَأَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ ، وَأَقْلَ شُكْرًا عِنْدَ الإِعْطَاءِ وَأَبْطَأَ عُدْرًا عِنْدَ الْمُنْعِ - وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَاتِ الدَّهْرِ ، مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ ، وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ ، فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ وَمِثْلِكَ مَعَهُمْ وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ ، أَطْلُبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ غُيُوبًا الْوَالِيِّ أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا ، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ ، يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِفْدٍ ، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتْرٍ ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ - وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِيَّ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ ، وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْذِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ ، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ ، وَلَا حَرِيصًا يُزِينُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ عَرَائِزُ شَتَّى ، يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ إِنَّ شَرَّ وُزْرَانِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيرًا ، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْإِتِّامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً ، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ ، مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ ، مِمَّنْ لَمْ يَعَاوِنِ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ ، أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَثُونَةً وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً ، وَأَحْسَى عَلَيْكَ عَطْفًا وَأَقْلُ لِعَيْرِكَ إِفَاءً ، فَاتَّخِذْ أَوْلِيَّكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ ، ثُمَّ لِيَكُنْ أَثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ ، وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ وَالصَّقَ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ، ثُمَّ رِضْنُهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ ، وَلَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الرَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ ، وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيدًا لِأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ ، وَتَنْذِيرًا لِأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ ، وَالزَّمَّ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى ، إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ ، مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمَثُونَاتِ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلُهُمْ ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ ، يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا ، وَإِنَّ

أَحَقَّ مَنْ حَسَنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ ، وَلَا تَنْفُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمَلٍ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَلْفَةُ وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ ، وَلَا تُحَدِّثَنَّ سُنَّةَ تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ ، فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا ، وَالْوَرُزُّ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا ، وَأَكْثَرُ مُدَارَسَةِ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاقَشَةِ الْحُكَمَاءِ ، فِي تَنْبِيهِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِإِلَادِكَ ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ ، لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ - وَلَا غَنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ ، فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ وَمِنْهَا عُمَالُ الْإِنصَافِ وَالرَّفْقِ ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْحِزْبِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الدِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ ، وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه واله وسلم) عَهْدًا ، مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا ، فَأَلْجُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وَزَيْنُ الْوَلَاةِ ، وَعِزُّ الدِّينِ وَسُبُلُ الْأَمْنِ ، وَلَيْسَ تَقْوَمُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ ، ثُمَّ لَا قِيَامَ لِلْجُنُودِ ، إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ ، الَّذِي يَقُورُونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ ، ثُمَّ لَا قِيَامَ لِهَذَيْنِ الصَّنِيفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنِيفِ الثَّلَاثِ ، مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَالِ وَالْكَتَّابِ ، لِمَا يُحْكَمُونَ مِنَ الْمَعَاوِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ ، وَيُؤْتَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا ، وَلَا قِيَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفُقِ بِأَيْدِيهِمْ ، مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ ، ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ ، الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ ، وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ يَقْدِرُ مَا يُصْلِحُهُ ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي ، مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، إِلَّا بِالِاهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ ، وَتَوَطُّبِنِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقَلَ : قَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ ، أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَإِلِمَامِكَ ، وَأَنْفَاهُمْ جَبِيًّا وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا ، مِمَّنْ يَبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُدْرِ ، وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ وَيَنْبُو عَلَى الْأَفْوِيَاءِ ، وَمِمَّنْ لَا يُبَيِّرُهُ الْعُنْفُ وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ ، ثُمَّ الصَّقُ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَّاحَةِ ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ ، ثُمَّ تَقَفَّدُ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَقَفَّدُ الْوَالِدَانُ مِنْ وِلْدَانِهِمَا ، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوِيَّتُهُمْ بِهِ ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتُهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ ، وَلَا تَدَعُ تَقَفَّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا ، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ ، وَلْيَكُنْ آثَرُ رُءُوسِ جُنُودِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ ، بِمَا يَسْعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ

مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ فُرَّةٍ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطُوتِهِمْ عَلَى وِلَاةِ الْأُمُورِ ، وَقَلَّةِ اسْتِنْقَالِ دُولِهِمْ - وَتَرَكَ اسْتِنْبَاطَ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ ، فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ وَوَاوِصِلْ فِي حُسْنِ النَّشَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَتَعَدِيدِ مَا أَبْلَى دَوْرَ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أفعالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى ، وَلَا تَضْمَنْ بِلَاءَ امْرِيٍّ إِلَى غَيْرِهِ ، وَلَا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بِلَائِهِ ، وَلَا يَدْعُوكَ شَرَفُ امْرِيٍّ ، إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا ، وَلَا ضَعْفُ امْرِيٍّ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا ، وَارْزُقْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ ، وَيَشْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ ، * (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ - فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) * ، فَالْرُدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ ، وَالرُّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمَفْرَقَةِ : ثُمَّ اخْتَرِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ ، مِمَّنْ لَا تَضْيِقُ بِهِ الْأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ ، وَلَا يَتِمَادَى فِي الرِّزَّةِ ، وَلَا يَحْصُرُ مِنَ الْفِيءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ ، وَلَا تُشْرَفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَفْصَاهُ ، وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ ، وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّمًا بِمِرَاجِعَةِ الْخُصْمِ ، وَأَصْبِرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ ، مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ ، وَأَوْلَيْكَ قَلِيلٌ ، ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدِ قَضَائِهِ ، وَافْسَحْ لَهُ فِي النَّبْذِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ ، وَتَقَلِّ مَعَهُ حَاجَتَهُ إِلَى النَّاسِ ، وَأَعْطِهِ مِنَ الْمُنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ ، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرَّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ ، فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا ، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى وَتُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا : ثُمَّ انظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلَهُمْ اخْتِبَارًا ، وَلَا تَوَلَّهُمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً ، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعْبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ ، وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجَرِبَةِ وَالْحَيَاءِ ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا وَأَصْحُ أَعْرَاضًا ، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقًا ، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا ، ثُمَّ أَسْبَغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ ، وَغِنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّوْا أَمَانَتَكَ ، ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ ، وَابْعَثِ الْعُيُونََ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ ، حَدَوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ ، وَتَحَفُّظُ مِنَ الْأَعْوَانِ ، فَإِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ ، اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ ، اكَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا ، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ ،

وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ : وَتَقَفَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ ، وَلْيَكُنْ نَظْرَكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ ، أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً ، فَإِنَّ شَكْوَا تَقْلًا أَوْ عِلَّةً أَوْ انْقِطَاعَ شَرِبٍ أَوْ بَالَةٍ ، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ ، خَفَّفَتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلَحَ بِهِ أَمْرُهُمْ ، وَلَا يَتَّقَلْنَ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفَتْ بِهِ الْمُنُونَةُ عَنْهُمْ ، فَإِنَّهُ دُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ ، وَتَرْبِيَةِ وَلايَتِكَ مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنِ ثَنَائِهِمْ ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِيفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ ، بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ ، وَالثَّقَّةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ ، فَرَبِّمَا حَدَّثَ مِنَ الْأُمُورِ ، مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ احْتِمَلُوهُ ، طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ ، فَإِنَّ الْعُمُرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَارِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّمَا يُعَوَّرُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبِقَاءِ وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ : ثُمَّ انظُرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ ، قَوْلٌ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرُهُمْ ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ ، بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُوهِ صَلَاحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ ، فَيَجْتَرِئُ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافِ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلٍّ ، وَلَا تَقْصُرْ بِهِ الْعُقْلَةُ عَنْ إِيْرَادِ مَكَاتِبَاتِ عُمَالِكَ عَلَيْكَ ، وَاصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ ، فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ ، وَلَا يُضْعَفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلًا ، ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارَكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ ، وَاسْتِيَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ ، فَإِنَّ الرَّجَالَ يَبْعَرِضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوَلَاةِ ، بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ ، وَلَكِنْ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ ، فَاعْمُدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا ، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وُلِيَتْ أَمْرُهُ ، وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ ، لَا يَقْهَرُهُ كِبِيرُهَا وَلَا يَنْشَتُّ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا ، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَعَابَيْتَ عَنْهُ أَلْزِمْتَهُ : ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالنَّجَارِ وَدَوِيِّ الصَّنَاعَاتِ وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا ، الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِّبِ بِمَالِهِ وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ ، وَجَلَابِهَا مِنْ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَنِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا ، وَلَا يَجْتَرِعُونَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّهُمْ سَلِمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ ، وَصَلِحٌ لَا تُخْشَى عَائِلَتُهُ ، وَتَقَفَّدَ أَمْرَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ ، وَاعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا ، وَشُحًا قَبِيحًا ، وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ ، وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوَلَاةِ فَاْمَنْعَ مِنَ الْإِحْتِكَارِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى

الله عليه واله وسلم) مَنَعَ مِنْهُ ، وَلِيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوَازِينِ عَدْلِ ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَانْكَرْ بِهِ ، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ : ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ ، مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً ، وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ ، وَقِسْماً مِنْ غَلَّتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ ، فَإِنَّ لِلْأَفْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى - وَكُلُّ قَدْ اسْتُرْعِيَتْ حَقَّهُ ، وَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ ، فَإِنَّكَ لَا تُعَذِّرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهِمِّ ، فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَلَا تُصَعِّرْ حَدَّكَ لَهُمْ ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ ، مِمَّنْ تَفْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْقِرُهُ الرَّجَالُ ، فَفَرِّغْ لِأَوْلِيكَ ثِقَّتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ ، فَلْيُرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورُهُمْ ، ثُمَّ اعملْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَكُلُّ فَاغْزِرْ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ ، وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيَتِيمِ وَدَوِي الرِّقَّةِ فِي السَّنِّ ، مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ وَلَا يَنْصَبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ ، طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ : وَاجْعَلْ لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً ، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ ، وَتُقْعَدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَنَتِّعٍ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه واله وسلم) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ ، لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤَخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ ، غَيْرَ مُتَنَتِّعٍ ، ثُمَّ احْتَمَلَ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ ، وَنَحَّ عَنْهُمْ الضِّيْقَ وَالْأَنْفَ ، يَبْسُطُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ ، وَأَعْطَى مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً وَامْتَنَعَ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ ، ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا ، مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْنِيَا عَنْهُ كُتَابُكَ ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ ، بِمَا تَخْرُجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ ، وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ : وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ، أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ ، وَلِيَكُنْ فِي خَاصَّةٍ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ إِقَامَةً فَرَائِضِهِ ، الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ ، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ ، مِنْ ذَلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلَا مَنْقُوصٍ ، بِالْعَاقِبَةِ مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ ، وَإِذَا قُضِيَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ ، فَلَا تُكُونَنَّ مُنْفَرّاً وَلَا مُضَيِّعاً ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ ، وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه واله وسلم) حِينَ وَجَّهْتَنِي إِلَى الْيَمَنِ ، كَيْفَ أَصْلِي بِهِمْ ، فَقَالَ صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً : وَأَمَّا بَعْدُ فَلَا تُطَوَّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوَلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيْقِ ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ ، وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ

يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ ، فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَخْسُنُ الْقَبِيحُ ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ ، وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ ، لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ ، تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ ، إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبُذْلِ فِي الْحَقِّ ، فَفِيمَ احْتِجَابِكَ مِنْ وَاجِبِ حَقِّ نُعْطِيهِ ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْئِدِيهِ أَوْ مُبْتَلَى بِالْمَنْعِ ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَن مَسْأَلَتِكَ ، إِذَا أَيْسُوا مِنْ بَدْلِكَ ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ ، مِمَّا لَا مَثُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ ، مِنْ شِكَاةٍ مَظْلَمَةٍ أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ : ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً ، فِيهِمْ اسْتِنْتَارٌ وَتَطَاوُلٌ وَقَلَّةٌ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ ، فَاحْسِمِ مَادَّةَ أَوْلِيكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ ، وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً ، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ ، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ ، فِي شَرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرِكٍ ، يَحْمِلُونَ مَثُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ ، فَيَكُونُ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونِكَ ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالزِّمُّ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ ، وَابْتِغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَيْتَلُّ عَلَيْكَ مِنْهُ ، فَإِنَّ مَعَبَةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ ، وَإِنْ ظَنَنْتَ الرَّعِيَّةَ بِكَ حَيْفًا فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ وَرِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ وَاعْدَارًا ، تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ : وَلَا تَدْفَعَنَّ صَلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلَّهِ فِيهِ رِضًا ، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَاةً لِلْجُنُودِ ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ ، وَلَكِنْ الْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صَلْحِهِ ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارِبٌ لِيَتَعَقَّلَ ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَاتَّهَمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ ، وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً ، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ نِيْمَةً ، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ وَارْزُقْ دِيْمَتَكَ بِالْأَمَانَةِ ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيَتْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ ، النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ ، وَتَشْتَتِ آرَائِهِمْ ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ ، لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ ، فَلَا تَغْدِرَنَّ بِدِيْمَتِكَ وَلَا تَخِيْسَنَّ بِعَهْدِكَ ، وَلَا تَخْتَلِنَنَّ عَدُوَّكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَدِيْمَتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ ، وَحَرِيمًا يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ ، فَلَا إِدْغَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ وَلَا خِدَاعَ فِيهِ ، وَلَا تَعَقُدْ عُقْدًا تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ ، وَلَا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأَكُّيدِ وَالتَّوْتِيَةِ ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ ضَيْقُ أَمْرٍ ، لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضَيْقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرِ تَخَافُ تَبِعْتَهُ ، وَأَنْ تُحِيْطَ بِكَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ طَلِبَةٌ ، لَا تَسْتَقْبِلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ : إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِلنِّفْمَةِ وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِيعَةِ ، وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِيٌّ بِالْحُكْمِ بَيْنَ

العباد ، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد ، لأن فيه قود البدن ، وإن ابتليت بخطي ، وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة ، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك ، عن أن تؤدّي إلى أولياء المقتول حقهم : وإياك والإعجاب بنفسك ، والنقّة بما يعجبك منها وحب الإطراء ، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين ، وإياك والمن على رعيتك بإحسانك ، أو التزيد فيما كان من فلك ، أو أن تعدهم فتنبع موعداك بخلفك ، فإن المن يبطل الإحسان والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المفت عند الله والناس ، قال الله تعالى ، * (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) * ، وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها ، أو التسقط فيها عند إمكانها ، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت ، أو الوهن عنها إذا استوضحت ، فضع كل أمر موضعه وأوقع كل أمر موقعه ، وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة ، والنعابي عما نعى به مما قد وضح للعيون ، فإنه مأخوذ منك لغيرك ، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور ، ويتصف منك للمظلوم ، أم لك حمية أنفك وسورة حدك ، وسطوة يدك وغرب لسانك ، واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة ، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولن تحكم ذلك من نفسك ، حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك ، والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك ، من حكومة عادلة أو سنة فاضلة ، أو أثر عن نبينا (صلى الله عليه واله وسلم) أو فريضة في كتاب الله ، فتفتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدتي هذا ، واستوثقت به من الحجة لنفسك عليك ، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها : وأنا أسأل الله بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة ، أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه ، من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه ، مع حسن الثناء في العباد وجميل الأثر في البلاد ، وتمام النعمة وتضعيف الكرامة ، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة ، (إنا إليه راجعون) ، والسلام على رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً والسلام^(١).

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٢٦-٤٤٥ .

الملحق رقم (٢)

(رسالة عبد الحميد الثاني في مؤهلات الكتاب ومهماتهم)

"وأما الشروط المعتبرة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظهما السلطان في اختياره وانتقائه من أصناف الناس فهي كثيرة وأحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى الكتاب وهي أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووقفكم وأرشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين أصنافا وإن كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات إلى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمروءات والعلم والرزانة بكم ينتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها

وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كاف إلا منكم فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يبصرون وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج في نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره أن يكون حليما في موضع الحلم فهيم في موضع الحكم مقداما في موضع الاقدام محجما في موضع الاحجام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف كتوما للاسرار وفيا عند الشدائد عالما بما يأتي من النوازل يضع الأمور مواضعها والطوارق في أماكنها قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه وإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل أمر عدته وعتاده ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته فتتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فإن ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الأمور ومحافرها فإنها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءة واربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه

أهل الجهالات وإياكم والكبر والسخف والعظمة فإنها عداوة مجتلية من غير إحنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو أليق لأهل الفضل والعدل والنبيل من سلفكم وإن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وآسوه حتى يرجع إليه حاله ويثوب إليه أمره وإن أقعد أحدا منكم الكبر عن مكسبه ولقاء إخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظفروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحوط منه على ولده وأخيه فإن عرضت في الشغل محمدا فلا يصفها إلا إلى صاحبه وإن عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فإن العيب إليكم معشر الكتاب أسرع منه إلى القراء وهو لكم أفسد منه لهم فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة إليه والاضطرار إلى ما لديه فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمؤاساة والاحسان والسراء والضراء فنعمت السيمة هذه من وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة وإذا ولي الرجل منكم أو صير إليه من أمر خلق الله وعباله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا وللمظلوم منصفا فإن الخلق عيال الله وأحبهم إليه أرفقهم بعباله ثم ليكن بالعدل حاكما وللأشراف مكرما وللقيئ موفرا وللبلاد عمرا وللرعية متألفا وعن أذاهم متخلفا وليكن في مجلسه متواضعا حليفا وفي سجلات خراجه واستنقضاء حقوقه رفيقا وإذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلاته فإذا عرف حسنها وقبحها أعانه على ما يوافق من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بألطف حيلة وأجمل وسيلة وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها فإن كانت رموحا لم يهجها إذا ركبها وإن كانت شبوبا اتقاها من بين يديها وإن خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها وإن كانت حرونا قمع برفق هواها في طرقها فإن استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم والكاتب بفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطايا إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها ألا فارقوا رحمكم الله في النظر واعملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا بإذن الله ممن صحبتهموه النبوة والاستتقال والجفوة وبصير منكم إلى الموافقة وتصيروا منه إلى المؤاخاة والشفقة إن شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير

ذلك من فنون أمره قدر حقه فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظه لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فإنهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلها وسيما الكتاب وأرباب الآداب ولأمر أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤنتف أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقته وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فإن ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للتشاغل عن إكثاره وليضرع إلى الله في صلة توفيقه وإمداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه فإنه إن ظن منكم ظان أو قال قائل إن الذي برز من جميل صنعتته وقوة حركته إنما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بظنه أو مقالته إلى أن يكله الله عز وجل إلى نفسه فيصير منها إلى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقل أحد منكم إنه أبصر بالأمور وأحمل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فإن أعقل الرجلين عند ذوي الأبواب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى أن أصحابه أعقل منه وأحمد في طريقته وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيرته وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتممته به تولانا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده فإن ذلك إليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته" (٢)

(٢) ابن خلدون العبر، ١/١٩٤-١٩٦.

Abstract

The study included a study entitled "Building the State between the Thought of Imam Ali Ibn Abi Talib (peace be upon him) and Ibn Khaldun's Method (808 AH) Analytical Study." The curriculum and the strategy of state building were studied by Imam Ali Ibn Abi Talib and Ibn Khaldun at all levels. The selection of leadership qualities and conditions of leadership qualifications as well as the methods of selecting the leader and the impact on the building of the state and touched on the study of the value of the community and its impact on state building and was also briefed on the issue of employment religious image and moral impact in the construction of the state. As well as the study of the strategy of building state administrative, security, judicial and supervisory institutions and referring to the characteristics of both approaches in building institutions.

The first chapter, entitled Leadership and its Impact on the Strategy of State Building, was presented. The first discussion included the necessity of the existence of the ruling leadership of the state. The second topic is the names of the leadership in the thought of Imam Ali and thought Ibn Khaldun, and the third topic, the qualifications and qualities of the leader and its impact on the strategy of building the state. The fourth topic is the methods of selecting leadership and its impact on the strategy of building the state from being a choice in the divine text of Imam Ali and Ibn Khaldun.

The second chapter deals with the value of the society and its impact on the strategy of state building. The first topic deals with the building of the society and its impact on the strategy of state building. The second topic is the role of the society and its impact on building the state. Fifth, the intellectual foundation of the concept of opposition and its impact on state building.

And the impact of religion on the building of the state, and included the study of the impact of religion and its centrality in the sources of legislation to build the institutions of the state, and the extent of the

state's commitment to them, and the implementation of the priority of the preservation of Islamic teachings in the construction strategy, And the stability of intellectual reference. The second topic is the impact of ethics in building the state, which includes a statement of the impact of ethics in the policy of building the state and the ratio of the symbiosis between construction and ethics in terms of the fact that this correlation is constant and continuous or temporary.

The fourth chapter is the strategy of building the administrative system of the state in three aspects. The first is the structure of the administrative system and the building of its institutions and its work system and its impact on the strategy of building the state in terms of states, state administration, ministry and writers. And the development of production from agriculture, industry and trade. The third topic is the strategy of government control and its impact on state building and the results produced by this institution which lead to the implementation of duties and the performance of rights and the integrity of the work of administrators in the state. Fourth Study of building the security system in terms of building the foundations and the foundations of these pillars, and the statement of the security functions of the system axis and fifth section building the judicial system in terms of the importance of the judiciary in the state system and the conditions of the judge and the extent of ensuring the independence of the judiciary and the implementation of its provisions strategy strategy.

**Ministry of Higher Education and Scientific Research
Basra University
College of Education for Human Sciences
History Department**

**(The construction of the state
between the thought of Imam Ali ibn
Abi Talib (peace be upon him) and
the methodology of Ibn Khaldun (T
808 e) analytical study)**

**A Thesis Submitted By
Submitted to the Council of College of Education for Human
Sciences / Basra University, as Partial Fulfillment of the
Requirements for the Degree of Doctorate of Philosophy in
Islamic History**

BY

Fatima Abed Said Shalal AL Maliki

Supervised by

Shukri Nasser Abdel Hassan Al-Mayahi

2018 AD

1438 AH